

كتاب تفاعلي للمحمول وأجهزة الكمبيوتر



فصولي

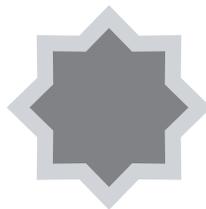
الثقافة الإسلامية

(5)

فُيُؤَلَّفُ

الثَّقَافَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ

(٥)



## فهرس المحتويات

١٣	تقديم بين يدي الكتاب.....
١٥	المعايير والمؤشرات .....
٥٢	الباب الأول.....
٢٧	الفصل الأول.....
٢٩	المبحث الأول.....
٢٩	القرآن: مقدمة سورة محمد .....
٣٤	تابع المبحث الأول.....
٣٤	القرآن: سورة محمد الآيات من ١-٦.....
٤٨	المبحث الثاني.....
٤٨	الحديث: فريضة العلم / مثل العالم العامل.....
٥١	المبحث الثالث.....
٥١	العقيدة: متى يصير الكافر مؤمناً؟ (١).....
٥٩	الفصل الثاني.....
٦٠	المبحث الأول.....
٦٠	القرآن: سورة محمد ٧-١١.....
٦٥	المبحث الثاني.....
٦٥	السيرة: غزوة خيبر.....
٧٠	المبحث الثالث.....
٧٠	أصول الفقه: تعارض الأدلة .....

**٧٥..... الفصل الثالث.....**

- ٧٦..... المبحث الأول.....
- ٧٦..... القرآن: سورة محمد ١٢-١٥.....
- ٨٠..... المبحث الثاني.....
- ٨٠..... علوم الحديث: الحديث الحسن.....
- ٨٧..... المبحث الثالث.....
- ٨٧..... الدعوة: القاعدة التاسعة.....

**٩١..... الفصل الرابع.....**

- ٩٢..... المبحث الأول.....
- ٩٢..... القرآن: مراجعة سورة محمد حفظاً وتفسيراً.....
- ٩٣..... المبحث الثاني.....
- ٩٣..... ملخص كتيب د. محمد عمارة (إحياء الخلافة الإسلامية).....
- ٩٤..... المبحث الثالث.....
- ٩٤..... التاريخ: قيام دولة الخلافة العثمانية.....

**٩٧..... الباب الثاني.....****٩٩..... الفصل الأول.....**

- ١٠١..... المبحث الأول.....
- ١٠١..... القرآن: سورة محمد ١٦-٢٤.....
- ١١٠..... المبحث الثاني.....
- ١١٠..... الحديث: الإخلاص في طلب العلم وتعليمه.....
- ١١٤..... المبحث الثالث.....
- ١١٤..... العقيدة: متى يصير الكافر مؤمناً؟ (٢).....

**الفصل الثاني..... ١٢١**

المبحث الأول..... ١٢٢

المقرآن: سورة محمد ٢٥-٣١..... ١٢٢

المبحث الثاني ..... ١٢٦

السيرة: دعوة الملوك والأمراء..... ١٢٦

المبحث الثالث ..... ١٣١

الفقه: مستجدات في المعاملات المالية ..... ١٣١

**الفصل الثالث..... ١٦١**

المبحث الثالث ..... ١٦٢

المقرآن: سورة محمد ٣٢-٣٨..... ١٦٢

المبحث الثاني..... ١٧٠

علوم الحديث: السنن للإمام النسائي..... ١٧٠

المبحث الثالث ..... ١٧٣

الدعوة: القاعدة العاشرة..... ١٧٣

**الفصل الرابع..... ١٧٧**

المبحث الأول..... ١٧٨

المقرآن: مراجعة سورة محمد كاملة حفظًا وتفسيرًا ..... ١٧٨

المبحث الثاني..... ١٧٨

الدعوة: صفات الداعية..... ١٧٨

المبحث الثالث ..... ١٧٨

التاريخ: الدولة العثمانية / أهم سلاطينها ..... ١٧٨

**الباب الثالث ..... ٩٧١****الفصل الأول ..... ١٨١**

المبحث الأول..... ١٨٣

القرآن: سورة الحجرات ١-٨ ..... ١٨٣

المبحث الثاني..... ١٩٧

الحديث: العلماء عصمة الناس من الضلال..... ١٩٧

المبحث الثالث ..... ٢٠١

العقيدة: متى يصير المؤمن كافر؟ ..... ٢٠١

**الفصل الثاني..... ٢١٧**

المبحث الأول..... ٢١٨

القرآن: سورة الحجرات ٩-١٣ ..... ٢١٨

المبحث الثاني..... ٢٢٩

السيرة: سرية مؤتة (٨ هـ) ..... ٢٢٩

المبحث الثالث ..... ٢٣٧

أصول الفقه: الاجتهاد ..... ٢٣٧

**الفصل الثالث..... ٢٤٥**

المبحث الأول..... ٢٤٦

القرآن: سورة الحجرات ١٤-١٨ ..... ٢٤٦

المبحث الثاني..... ٢٥٦

علوم الحديث: الحديث الضعيف ..... ٢٥٦

المبحث الثالث ..... ٢٦١

الدعوة: القاعدة الحادية عشرة..... ٢٦١

**٢٦٧ ..... الفصل الرابع**

المبحث الأول ..... ٢٦٨

القرآن: مراجعة سورة الحجرات حفظًا وتفسيرًا ..... ٢٦٨

المبحث الثاني ..... ٢٦٨

الدعوة: صفات الداعية ..... ٢٦٨

المبحث الثالث ..... ٢٦٨

التاريخ: فتح القسطنطينية ..... ٢٦٨

**٩٦٢ ..... الباب الرابع****٢٧١ ..... الفصل الأول**

المبحث الأول ..... ٢٧٣

القرآن: سورة العنكبوت ١-٣ ..... ٢٧٣

المبحث الثاني ..... ٢٨٠

الحديث: التعريف بالإسلام ..... ٢٨٠

المبحث الثالث ..... ٢٨٣

العقيدة: معنى الموالاة للكفار ..... ٢٨٣

**٢٩١ ..... الفصل الثاني**

المبحث الأول ..... ٢٩٢

القرآن: سورة العنكبوت ٤-٩ ..... ٢٩٢

المبحث الثاني ..... ٢٩٦

السيرة: غزوة فتح مكة (٨ هـ) ..... ٢٩٦

المبحث الثالث ..... ٣٠٠

الفقه: مستجدات في المعاملات المالية ..... ٣٠٠

**الفصل الثالث..... ٣٣٣**

المبحث الأول..... ٣٣٤

القرآن: سورة العنكبوت ١٠-١٣..... ٣٣٤

المبحث الثالث..... ٣٣٧

علوم الحديث: المدلس-المضطرب-الشاذ-المنكر..... ٣٣٧

المبحث الثالث..... ٣٤٢

الدعوة: القاعدة الثانية عشرة..... ٣٤٢

**الفصل الرابع..... ٣٥٣**

المبحث الأول..... ٣٥٤

القرآن: مراجعة سورة العنكبوت ١-١٣ حفظاً وتفسيراً..... ٣٥٤

المبحث الثاني..... ٣٥٥

الدعوة: رسالة المؤتمر الخامس (١)..... ٣٥٥

المبحث الثالث..... ٣٦١

التاريخ: أهم الإنجازات الحضارية..... ٣٦١

**الباب الخامس..... ٣٦٣****الفصل الأول..... ٣٦٥**

المبحث الأول..... ٣٦٧

القرآن: سورة العنكبوت ١٤-١٨..... ٣٦٧

المبحث الثاني..... ٣٧٢

الحديث: النهوض بالأمة..... ٣٧٢

المبحث الثالث..... ٣٧٥

العقيدة: نصوص بعض العلماء فيما يكون سبباً للردّة..... ٣٧٥

**الفصل الثاني ..... ٣٨٥**

المبحث الأول ..... ٣٨٦

القرآن: سورة العنكبوت ١٩-٢٢ ..... ٣٨٦

المبحث الثاني ..... ٣٩٠

السيره/ ثانيا: الاستعداد للخروج ..... ٣٩٠

المبحث الثالث ..... ٣٩٦

أصول الفقه: الفُتيا والتقليد ..... ٣٩٦

**الفصل الثالث ..... ٤٠١**

المبحث الأول ..... ٤٠٢

القرآن: سورة العنكبوت ٢٤-٣٥ ..... ٤٠٢

المبحث الثاني ..... ٤٠٩

علوم الحديث/ المدرج - المقلوب ..... ٤٠٩

المبحث الثالث ..... ٤١٢

الدعوة: القاعدة الثالثة عشرة ..... ٤١٢

**الفصل الرابع ..... ٤١٥**

المبحث الأول ..... ٤١٦

القرآن: سورة العنكبوت (مراجعة وتوسع) ..... ٤١٦

المبحث الثاني ..... ٤١٧

الدعوة: رسالة المؤتمر الخامس (٢) ..... ٤١٧

المبحث الثالث ..... ٤٢٢

التاريخ: دورهم في حماية المسلمين في أكناف الأرض ..... ٤٢٢

**الباب السادس ..... ٣٢٤****الفصل الأول ..... ٤٢٥**

المبحث الأول..... ٤٢٧

القرآن: سورة العنكبوت ٣٦- ٤٥ ..... ٤٢٧

المبحث الثاني..... ٤٣٤

الحديث: نجاة الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ٤٣٤

المبحث الثالث ..... ٤٣٨

العقيدة: الاحتياط في تكفير المعينين ..... ٤٣٨

**الفصل الثاني..... ٤٤٣**

المبحث الأول..... ٤٤٤

القرآن: سورة العنكبوت ٤٦ - ٥٥ ..... ٤٤٤

المبحث الثاني..... ٤٥١

السيرة: خطة النبي ﷺ لدخول مكة وفتحها..... ٤٥١

المبحث الثالث ..... ٤٥٨

الفقه: مستجدات في المعاملات المالية (٢) ..... ٤٥٨

**الفصل الثالث..... ٤٨٥**

المبحث الأول..... ٤٨٦

القرآن: سورة العنكبوت ٥٦-٦٩..... ٤٨٦

المبحث الثاني..... ٤٩٣

علوم الحديث: المَعْلُ ..... ٤٩٣

المبحث الثالث ..... ٤٩٨

الدعوة: مراجعة القواعد ٩-١٣ ..... ٤٩٨

**الفصل الرابع ..... ٤٩٩**

- المبحث الأول ..... ٥٠٠
- المقرآن: سورة العنكبوت مراجعة ٣٦-٦٩ حفظاً وتفسيراً ..... ٥٠٠
- المبحث الثاني ..... ٥٠١
- الدعوة: رسالة المؤتمر الخامس (٣) ..... ٥٠١
- المبحث الثالث ..... ٥٠٣
- التاريخ: عوامل الضعف وأسباب السقوط ..... ٥٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم بين يدي الكتاب

### همسات في أذن المعلم والمتعلم:

قد يعكف الخبراء والعاملون في الميدان التربوي على إحكام بنية المنهاج التربوي ومفرداته، ويمكن أن يبذل مؤلفو الكتب والمواد الدراسية جهداً عظيماً في إنتاج محتوى دراسي وتربوي راق، وقد يتوافر العديد من الأدوات والوسائل التعليمية والأساليب التربوية، التي تتميز بمحدثاتها وفائدتها، ولكن يبقى المعلم هو حجر الزاوية في العملية التربوية والعنصر الأساس فيها، فهو الذي عُهد إليه تربية وتركيب أبناء الأمة، والارتقاء بمستواهم الإيماني والأخلاقي، وتزويدهم بالمعارف والمهارات التي تعينهم على تحقيق أهدافهم السامية، وهو وحده من بين عناصر المنهاج القادر على تحويل المفردات من كلمات هامة جامدة إلى قيم حية، وسلوك راق، ومفاهيم واعية صحيحة، ويجعل منها أساليب حياة، ومنهاج تفكير.

وإذا كان ذلك يصدق على أي معلم وأي مرَبِّ بشكل عام، فهو أصدق ما يكون على المرَبِّ في دعوة الإسلام، الذي يبلغ رسالة سامية، ويؤدي أمانة غالية، ويسعى إلى أعظم الأهداف. لقد أرشد الله هذه الفئة أن تكون ربانية، يتعلمون ويعلمون، يترَبُّون ويرَبُّون (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتَيْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) [آل عمران: ٧٩].  
وأوضح رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن نجاح مهمة هذه الفئة مرهون بالتيسير بلا تعنت ولا تعنيف (إن الله لم يعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً) رواه مسلم.

### توصيات لتفعيل الجانب التطبيقي للمنهاج على المعلم أن يفعلها:

١. يرسخ الشخصية الإسلامية ووحدة الأمة والانتماء إلى الهوية الإسلامية والحفاظ عليها.
٢. يُعطي قيمة العنصر البشري، ويعطيه مكانة إنسانية في عملية التربية والتعليم.
٣. يركز على التعلم النشط، الذي يجعل الدارس محور العملية التربوية والتعليمية، وأن يتحول هو من مانح للمعرفة إلى ميسر ومرشد للدارسين، لبناء خبراتهم التربوية ورصيدهم المعرفي والقيمي، الذي لا بد أن يترجم في سلوكياتهم.

٤. يوفر الخبرات التربوية بأنواعها، بحيث ترتبط بحياة الدارس وتكون ذات معنى في حياته، وأن تكون محفزة له للاستمرار في عملية التعلم، الأمر الذي يتطلب منه حسن التخطيط والإعداد والتنفيذ والتقويم.
٥. يرسخ مبادئ الحوار والنقاش واحترام وجهات نظر الآخرين.
٦. يبرز العبر والدروس التربوية والأخلاقية، ويعزز القيم والسلوكيات الحميدة وتقديم نفسه كقدوة.
٧. ينظر إلى التقويم على أنه جزء لا يتجزأ من العملية التربوية والتعليمية ومصاحب لها من بدايتها حتى نهايتها.
٨. يعتمد طرق التدريس واستراتيجياتها المناسبة مما ييسر عملية التعليم والتعلم، ويربط بين الجوانب المعرفية من معلومات ومعارف بالجانب السلوكي والقيمي، وتبرز قيمتها عندما يترجم ذلك في شكل تطبيقات تربوية، تمس حياة الدارس وممارساته في مجتمعه.
٩. يستخدم وسائل تعليمية وتقنية، تعينه على تحقيق النشاطات التعليمية والتعليمية والممارسة العملية، التي تساعد في تحقيق الأهداف وتحقيق مؤشرات الأداء.
١٠. سيقدم المادة العلمية والدراسية في تكامل وانسجام بحيث لا تكون منعزلة عن بعضها البعض، سواء كان ذلك بالنسبة للمادة الدراسية الواحدة، أو بين المواد الدراسية المختلفة.
١١. يتفاعل هو والمتعلم بشكل إيجابي مع مشكلات وقضايا المجتمع وحاجاته وقضايا الأمة.
- وعلى المتعلم دور مهم وكبير في العملية التربوية، فهو هدفها ووسيلتها وهذا يحتاج منه أن يكون متفاعلاً ونشطاً، وهو ما يستدعي منه في المقام الأول الاقتناع بهذا الدور، والقيام به على خير وجه، بحثاً وتحضيراً، وإعداداً ومشاركة وتنفيذاً.

وبالله التوفيق



## تَعْرِيفَات

المعايير	المؤشرات
<ol style="list-style-type: none"> <li>١. الاتصاف بأداب أهل القرآن</li> <li>٢. يتعلم كتاب الله ويعلمه</li> <li>٣. الإيمان بأن القرآن الكريم دستور الحياة.</li> <li>٤. العمل بالقرآن.</li> <li>٥. حب القرآن.</li> <li>٦. تعظيم القرآن.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>١. يلتزم بتلاوة جزء من القرآن الكريم يوميا.</li> <li>٢. يحب القرآن الكريم وتلاوته وتدبره.</li> <li>٣. يعظم القرآن الكريم.</li> <li>٤. يتقن تلاوة القرآن الكريم.</li> <li>٥. يحفظ سورتي محمد والحجرات والعنكبوت</li> <li>٦. يتعرف على مقاصد القرآن الكريم في السورتين</li> <li>٧. يتعرف على أسباب النزول في السورتين</li> <li>٨. يستنتج ما ترشد إليه الآيات.</li> <li>٩. يتعرف على أنواع التفسير وأشهر المفسرين في كل نوع.</li> <li>١٠. يقدر جهود علماء التفسير.</li> <li>١١. يتذوق جمال النص القرآني.</li> <li>١٢. التعرف على القراءات السبع</li> <li>١٣. يدرس أحكام التلاوة لأهل بيته.</li> <li>١٤. يتمثل معاني السور في حياته العملية.</li> <li>١٥. يتعرف إلى مباحث النسخ في القرآن</li> <li>١٦. يتعرف على أهم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.</li> </ol>

## تفريغ الجدول

المؤشرات	المعايير
<ol style="list-style-type: none"> <li>١. يحفظ الأحاديث المطلوبة</li> <li>٢. يشرح الأحاديث المطلوبة شرحاً إجمالياً</li> <li>٣. يستنتج ما ترشد إليه الأحاديث.</li> <li>٤. يقدر ويحب سنة النبي صلى الله عليه وسلم.</li> <li>٥. يعظم فرائض الأمة</li> <li>٦. يعظم الأماكن المقدسة</li> <li>٧. يكره أعداء الإسلام</li> <li>٨. يوظف معاني الأحاديث في حياته.</li> <li>٩. يقدر جهود المحدثين في طلب الحديث والرحلة إليه.</li> <li>١٠. يتعرف على علم العلال</li> <li>١١. يتعرف على الفكر النهجي عند المحدثين</li> <li>١٢. يقدر جهود المحدثين في حفظ الحديث.</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>١. تعلم سنة النبي ﷺ والعمل بها</li> </ol>

المعايير	المؤشرات
<p>تعلم أركان الإيمان والاعتقاد بها</p>	<p>١. يوضح مفهوم الغيب، عالم الغيب، الشهادة ٢. يستدل على الإيمان بالغيب بالأدلة الشرعية ويحفظها ٣. يتعرف مفهوم الملائكة ٤. يتبين طبيعة خلقهم، ووظائفهم وخصائصهم وعلاقتهم بعالم الجن والإنس ٥. يستنتج آثار الإيمان بهم ٦. يتعرف بالكتب بالمنزلة ٧. يتبين أهمية الإيمان بالكتب ٨. يتعرف بعض الانحرافات في الكتب المحرفة ٩. يعرف القرآن الكريم، وخصائصه. ١٠. يفرق بين مفهوم النبي والرسول ١١. يوضح الحكمة من ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ١٢. يرد على منكري النبوة ١٣. يعرف بالوحي، وأنواعه، وطرقه ١٤. يستوعب خوارق العادات ويفرق بينها ١٥. يتبين صفات الأنبياء والرسل ١٦. يوضح مسألة العصمة</p>

## تعلم أركان الإيمان

المؤشرات	المعايير
<p>١٧. يستشعر أهمية استمرار دعوة النبي صلى الله عليه وسلم</p> <p>١٨. يتمثل قول الله تعالى " ولكن منكم أمة يدعوون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" وبالتالي يطبق كونه الداعي وحامل الرسالة.</p> <p>١٩. يتعرف مفهوم الإيمان باليوم الآخر</p> <p>٢٠. يتبين موضوع نعيم القبر وعذابه</p> <p>٢١. يستشعر ويستنبط أسماء اليوم الآخر ودلالاتها من القرآن الكريم</p> <p>٢٢. يتعرف بأشراط الساعة والغاية من ذكرها</p> <p>٢٣. يميز بين علامات الساعة الصغرى والكبرى</p> <p>٢٤. يذكر مراحل اليوم الآخر</p> <p>٢٥. يستشعر آثار الإيمان باليوم الآخر</p>	<p>تتبعك الصلاة والتقوى</p> <p>❖ تعلم أركان الإيمان والاعتقاد بها</p>

المعايير	المؤشرات
<p>التعرف على أساسيات في أصول الفقه</p> <p>التعرف على أهم أحكام فقه العبادات ويطبقها</p> <p>التعرف على أهم أحكام فقه المعاملات والاقتصاد الإسلامي</p> <p>التعرف على أهم أحكام فقه المقاصد والأولويات</p> <p>التعرف على أهم أحكام فقه الأسرة</p> <p>التعرف على أهم أحكام فقه الجنائيات والحدود</p> <p>التعرف على أهم أحكام فقه الأيمان والندور</p> <p>التعرف على أهم قواعد وأحكام الحلال والحرام في الإسلام ويطبقها</p> <p>التعرف على أهم أحكام فقه الجهاد وأنواعه</p> <p>التعرف على أهم أحكام فقه الذبائح</p>	<p>١. يوضح مفهوم أصول الفقه وموضوعه وأهم مسأله.</p> <p>٢. يتعرف على نشأة علم أصول الفقه</p> <p>٣. يفرق بين الفقه وأصول الفقه</p> <p>٤. يقارن بين الأحكام العينية والكمائية</p> <p>٥. يتعرف على مصادر التشريع الإسلامي</p> <p>٦. يبين أهم القواعد الفقهية.</p> <p>٧. يتعرف على أهم أحكام البيوع.</p> <p>٨. يدرس أهم أحكام الفقه من كتاب معتمد في قطره.</p> <p>٩. يدرس بعض المعاملات الإسلامية</p> <p>١٠. المعاصرة (المرابحة، الصكوك</p> <p>١١. الإسلامية، الإجارة والمشاركة المنتهية بالتمليك، بطاقات الائتمان، التأمين التجاري، الضمان الاجتماعي).</p> <p>١٢. يتعرف على فقه شركة العقد وأهم أنواعها</p> <p>١٣. يتعرف على فقه المصالح والمفاسد وأقسامهما</p> <p>١٤. يتعرف على قواعد فقه الأولويات</p> <p>١٥. يرد الشبهات المتعلقة بالحدود (حد الرجم، حد السرقة، حد الردة)</p> <p>١٦. يعظم أحكام الشريعة</p>

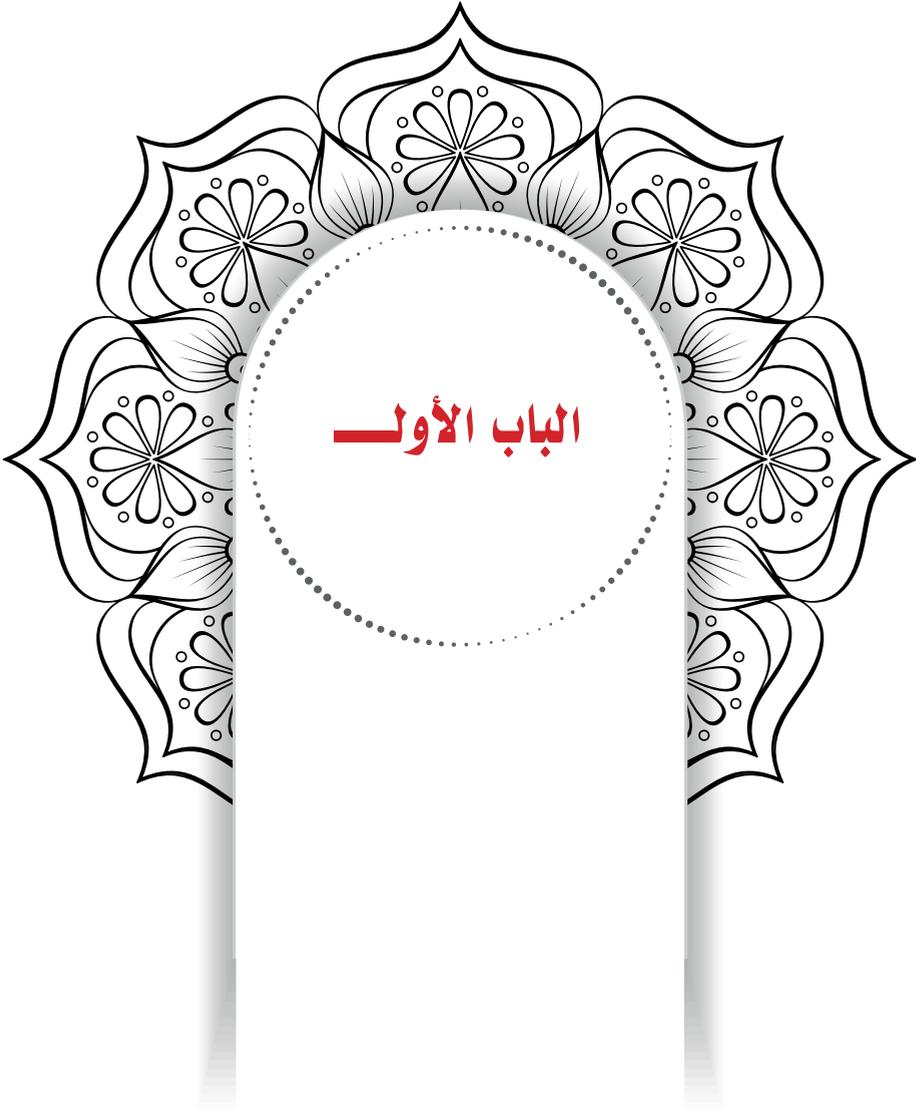
المعايير	المؤشرات
<p style="text-align: center;"><b>تكوينها:</b></p> <ol style="list-style-type: none"> <li>١. دراسة سيرة النبي ﷺ وتمثلها</li> <li>٢. إبراز دور النبي ﷺ في إقامة الدولة</li> <li>٣. إبراز دور المرأة في السيرة</li> <li>٤. إبراز دور الشباب في السيرة</li> <li>٥. تربية رجال الدولة من خلال السيرة</li> <li>٦. إبراز التربية الجهادية في سيرة النبي ﷺ</li> <li>٧. بناء الشخصية الإسلامية</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>١. أن يحلل أحداث غزوة خيبر</li> <li>٢. أن يتعرف على أهم سمات مرحلة ما بعد صلح الحديبية</li> <li>٣. أن يتعرف على وسائل اتصال النبي ﷺ بالدول الأخرى</li> <li>٤. أن يحلل أهم المراسلات بين الرسول ﷺ والملوك</li> <li>٥. أن يتعرف على أسباب غزو الروم في مؤتمه</li> <li>٦. أن يحلل أحداث غزوة مؤتمه</li> <li>٧. أن يتعرف على بطولات أصحاب النبي ﷺ من القادة في مؤتمه</li> <li>٨. أن يتعرف على سمات شخصية خالد بن الوليد العسكرية الفذة</li> <li>٩. أن يتعرف على أهم نتائج غزوة مؤتمه</li> <li>١٠. أن يتعرف على أسباب فتح مكة</li> <li>١١. أن يحلل أحداث فتح مكة</li> <li>١٢. أن يتعرف إلى سلوك النبي ﷺ مع أهل مكة بعد أن فتحها</li> <li>١٣. أن يعظم سيرة النبي ﷺ</li> <li>١٤. أن يقتدي بالنبي ﷺ في سلوكه مع خصومه بعد القدرة عليهم</li> </ol>

## الخطوة الثانية

المعايير	المؤشرات
<ol style="list-style-type: none"> <li>١. تربيته على الدعوة إلى الله.</li> <li>٢. حب الدعوة إلى الله</li> <li>٣. تعريفه بالفكر الإسلامي الواسطي</li> <li>٤. تربيته على دعوة الإسلام والالتزام</li> </ol>	<ol style="list-style-type: none"> <li>١. التعرف على قواعد الدعوة إلى الله</li> <li>٢. التعرف على الثوابت والمتغيرات في العمل الدعوي</li> <li>٣. يتعرف إلى أساليب بعض الدعاة الذين نجحوا في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.</li> <li>٤. يتعرف إلى بعض أعلام الدعوة الإسلامية</li> <li>٥. يتصف بصفات الداعية القدوة.</li> <li>٦. يوظف وسائل التواصل الاجتماعي للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.</li> <li>٧. يتعرف إلى بعض الأعمال الكشفية</li> <li>٨. يذكر صفحات من جهاد الدعاة في بلده.</li> <li>٩. يستشرف دور الدعاة في الواقع المحلي والعالمي.</li> <li>١٠. يمارس أساليب الدعوة إلى الله.</li> <li>١١. التعرف على وسائل التربية الإسلامية الحديثة</li> <li>١٢. يشرح الأصول العشرين</li> <li>١٤. يتعرف إلى صور من التمكين في دعوة الإسلام.</li> <li>١٥. يتعرف إلى أشهر العلماء والمفكرين الإسلاميين في العصر الحديث</li> <li>١٦. يتعرف إلى بعض المفكرين العالميين.</li> <li>١٧. أن يتعرف إلى خطوة الفكر التكفيري.</li> </ol>

المؤشرات	المعاليير
<p>١. يتعرف إلى أهم خطاء الدولة العثمانية وإنجازاتهم</p> <p>٢. يقدم عرضاً يوضح فيه أحوال العالم الإسلامي خلال الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية</p> <p>٣. يبين أثر كل مما يأتي على القضية الفلسطينية: الانتفاضة - حماس والجهاد الفلسطيني المعاصر (السياسي - العسكري)</p> <p>٤. يناقش مع زملائه النزاع على الحدود (السودان - الأكراد - الصحراء الغربية - الحدود العراقية الإيرانية) وأثرها على وحدة الأمة</p> <p>٥. يحلل الأطماع الحديثة في المنطقة وإعادة تقسيمها.</p> <p>٦. يبدي رأيه في ثورات الربيع العربي (الأسباب - الأحداث - النتائج - موقف الغرب)</p> <p>٧. يحدد خصائص وأهداف المشروع الإيراني وأثره على الأمة</p> <p>٨. يقدم مقترحاً حول دور الدعاة في نهوض الأمة الإسلامية</p>	<p><b>المعاليير:</b></p> <p>١. تعرف تاريخ المسلمين كمدخل لمعرفة حاضر العالم الإسلامي</p> <p>٢. الاعتزاز بالتاريخ الإسلامي المشرق.</p> <p>٣. الاعتزاز بالخلافة الإسلامية ويقدرها (في تناول يتم التركيز على دور الدولة في نشر الإسلام والحفاظ على الأمة الإسلامية، والأسباب التي تؤدي إلى الضعف والسقوط)</p> <p>٤. تعرف عناصر القوة في العالم الإسلامي (مكاناته)</p> <p>٥. تبين عوامل ضعف العالم الإسلامي وأساليب الاستعمار في إضعاف الأمة والسيطرة عليها</p> <p>٦. تعرف قضايا العالم الإسلامي - قضية فلسطين -</p> <p>٧. اهتمامه بأوضاع المسلمين في العالم</p> <p>٨. متابعة قضايا العالم الإسلامي:</p> <p>أحوال المسلمين والأقليات الإسلامية وأهم مشكلاتهم.</p> <p>٩. تعرف جهاد الأمة ضد الاستعمار وبيان دور الحركات الإصلاحية وثورات الربيع العربي</p> <p>١٠. تعرف المشروعات العالمية وأثرها على العالم الإسلامي استشراف مستقبل الأمة الإسلامية</p>

مجال السيرة النبوية			
القيم والاتجاهات	المفاهيم	العلووين ومضامينها	الموضوع
		<ul style="list-style-type: none"> <li>غزوة خيبر:</li> <li>أسبابها - أهدافها - أهميتها - أحداثها دور الشباب فيها</li> <li>الدروس المستفادة منها:</li> <li>في التربية الجهادية، في بناء الشخصية الإسلامية في تربية رجال الدولة، في مجالات أخرى.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>غزوة خيبر</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>الوفاء بالعهود</li> <li>المحافظة على كرامة المسلمين</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>العلاقات الدولية</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>العلاقات الدولية:</li> <li>العهود والمواثيق في السلم والحرب</li> <li>المراسلات السياسية:</li> <li>رسائل النبي صلى الله عليه وسلم وسفراؤه إلى الملوك والزعماء</li> <li>رسائله إلى هرقل رسالته إلى كسرى رسالته إلى المقوقس رسالته إلى الحارث الغساني رسالته إلى ملك البحرين المنذر بن سلوى</li> <li>أهداف مراسلاته السياسية صلى الله عليه وسلم</li> <li>نتائج هذه المراسلات</li> <li>أهم الدروس المستفادة منها في تربية رجال الدولة</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>العلاقات الدولية</li> <li>رسائل النبي صلى الله عليه وسلم وسفراؤه إلى الملوك والزعماء</li> </ul>
<ul style="list-style-type: none"> <li>استشعار روح المبادرة</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>الفرار والكرار</li> <li>سيف الله</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>غزوة مؤتة:</li> <li>أسبابها - أهدافها - أهميتها - أحداثها</li> <li>دور الشباب فيها</li> <li>الدروس المستفادة منها: في التربية الجهادية في بناء الشخصية الإسلامية في مجالات أخرى</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>غزوة مؤتة</li> <li>بدء الصراع مع الروم</li> </ul>
	<ul style="list-style-type: none"> <li>التورية</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>فتح مكة:</li> <li>أسبابه - أهدافه - أهميته - أحداثه</li> <li>أهم الدروس المستفادة منه: في التربية الجهادية،</li> <li>في بناء الشخصية الإسلامية، في تربية رجال الدولة، في مجالات أخرى - ما نزل فيه من القرآن</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>فتح مكة</li> </ul>







## الفصل الأول

- المبحث الأول / القرآن: مقدمة سورة محمد
- تابع المبحث الأول / سورة محمد (الآيات من ١-٦)
- المبحث الثاني / الحديث: مثل العالم العامل
- المبحث الثالث: العقيدة: متى يصير الكافر مؤمنا؟







## المبحث الأول

### القرآن: مقدمة سورة محمد

هذه السورة مدنية، ولها اسم آخر هو سورة القتال، وهو اسم حقيقي لها، فالقتال هو موضوعها، والقتال هو العنصر البارز فيها، والقتال في صورها وظلالها، والقتال في جرسها وإيقاعها.

القتال موضوعها؛ فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا وحقيقة الذين آمنوا، في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا، مع إichاء بأن الله عدو للأولين ولي للآخرين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه. فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة: «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم».

وعقب إعلان هذه الحرب من الله على الذين كفروا أمر صريح للذين آمنوا بخوض الحرب ضدهم في صيغة رنانة قوية ، مع بيان لحكم الأسرى بعد الإثخان في المعركة والتقتيل العنيف: «فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فإما منا بعد وإما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها».

ومع هذا الأمر بيان لحكمة القتال، وتشجيع عليه، وتكريم للاستشهاد فيه، ووعد من الله بإكرام الشهداء، وبالنصر لمن يخوض المعركة انتصاراً لله، وبهلاك الكافرين وإحباط أعمالهم: « ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامِنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُيَسِّرْ أَقْدَامَكُمْ ٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَلُهُمْ ٨  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ».

ومعه كذلك تهديد عنيف للكافرين، وإعلان لولاية الله ونصرته للمؤمنين، وضياح الكافرين وخذلانهم وضعفهم وتركهم بلا ناصر ولا معين: «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها . ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم». كذلك تهديد آخر للقرية التي أخرجت الرسول ﷺ «وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم فلا ناصر لهم» ثم تمضي السورة بعد هذا الهجوم العنيف السافر في ألوان من الحديث حول الكفر والإيمان، وحال المؤمنين وحال الكافرين في الدنيا والآخرة، فتنفرق بين متاع المؤمن بالطيبات، وتمتع الكافرين بلذات الأرض كالحيوان: «إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم». كما تصف متاع المؤمنين في الجنة بشتى الأشربة الشهية من ماء غير آسن، ولبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، وعسل مصفى، في وفر وفيض، في صورة أنهار جارية، وذلك مع شتى الثمرات، ومع المغفرة والرضوان. وثُمَّتْ سَوْأَلٌ: أهؤلاء «كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم».

فإذا انقضت هذه الجولة الأولى في المعركة السافرة المباشرة بين المؤمنين والكافرين. أعقبها في السورة جولة مع المنافقين، الذين كانوا هم واليهود بالمدينة يؤلفون خطرا على الجماعة الإسلامية الناشئة لا يقل عن خطر المشركين الذين يحاربونها من مكة وما حولها من القبائل في تلك الفترة، التي يبدو من الوقائع التي تشير إليها السورة أنها كانت بعد غزوة بدر، وقبل غزوة الأحزاب وما تلاها من كسر شوكة اليهود، وضعف مركز المنافقين كما ذكر في تفسير سورة الأحزاب.

والحديث عن المنافقين في هذه السورة يحمل ظلها ظلال الهجوم والقتال،

منذ أول إشارة. فهو يصور تلهيهم عن حديث رسول الله، وغيبة وعيهم واهتمامهم في مجلسه، ويعقب عليه بما يدمغهم بالضلال والهوى: «ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم».

ويهددهم بالساعة يوم لا يستطيعون الصحو ولا يملكون التذكر: «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ» مُحَمَّدٌ ١٨.

ثم يصور هلعهم وجبنهم وتهافتهم إذا ووجهوا بالقرآن يكلفهم القتال - وهم يتظاهرون بالإيمان - والفارق بينهم يومئذ وبين المؤمنين الصادقين: «ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت».

ويحثهم على الطاعة والصدق والثبات، ويردّل اتجاهاتهم، ويعلن عليهم الحرب والطردهم واللعن: «فأولى لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم . فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم). ويفضحهم في توليهم للشيطان، وفي تأمرهم مع اليهود، ويهددهم بالعذاب عند الموت بالفضيحة التي تكشف أشخاصهم فردا فردا في المجتمع الإسلامي، الذي يدجون أنفسهم فيه، وهم ليسوا منه، وهم يكيّدون له: «إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم . فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأديبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم . أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم . ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم . ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم».

وفي الجولة الثالثة والأخيرة في السورة عودة إلى الذين كفروا من قريش ومن اليهود وهجوم عليهم: «إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم».

وتحذير للذين آمنوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أعداءهم: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم . إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم". وحضُّ لهم على الثبات عند القتال (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم)

وتهوين من شأن الحياة الدنيا وأعراضها، وحض على البذل الذي يسره الله، ولم يجعله استتصالا للمال كله؛ رافة بهم، وهو يعرف شح نفوسهم البشرية، وترمها وضيقتها لو أحفاهم في السؤال:

«إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم . إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم»

وتحتم السورة بما يشبه التهديد للمسلمين إن هم بخلوا بإنفاق المال، وبالبذل في القتال: «ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم»

إنها معركة مستمرة من بدء السورة إلى ختامها، يظلها جو القتال، وتتسم بطابعه في كل فقراتها.

وجرس الفاصلة وإيقاعها منذ البدء كأنه القذائف الثقيلة: [ أعمالهم . بالهم . أمثالهم . أهواءهم . أمعاءهم . . ] وحتى حين تخف فإنها تشبه تلويح السيوف في الهواء: [ أوزارها . أمثالها . أقفالها . . . ] .

وهناك شدة في الصور كالشدة في جرس الألفاظ المعبرة عنها، فالقتال أو القتل يقول عنه: «فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب»، والتقتيل والأسر يصوره بشدة: «حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق»، والدعاء

على الكافرين يجيء في لفظ قاس: «فتعسا لهم وأضل أعمالهم». وهلاك الغابرين يرسم في صورة مدوية ظلا ولفظا: «دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها»، وصورة العذاب في النار تجيء في هذا المشهد: «وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم»، وحالة الجبن والفرع عند المنافقين تجيء في مشهد كذلك عنيف: «ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت»، وحتى تحذير المؤمنين من التولي يجيء في تهديد نهائي حاسم: «وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ».

وهكذا يتناسق الموضوع والصور والظلال والإيقاع في سورة القتال.





## تابع المبحث الأول

### القرآن: سورة محمد الآيات من ١-٦

#### الدرس الأول: ١ - ٣ أهم صفات المؤمنين والكافرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَعَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ [سورة محمد ١-٣]

افتتاح يمثل الهجوم بلا مقدمة ولا تمهيد! وإضلال الأعمال الذي يواجه به الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله - سواء صدوا هم أم صدوا وصدوا غيرهم - يفيد ضياع هذه الأعمال وبطلانها، ولكن هذا المعنى يتمثل في حركة، فإذا بنا نرى هذه الأعمال شاردة ضالة، ونلمح عاقبة هذا الشرود والضللال، فإذا هي الهلاك والضياع. وهي حركة تلحظ ظل الحياة على الأعمال، فكأنما هي شخوص حية أضلت وأهلكت. وتعمق المعنى وتلقي ظلاله. ضلال معركة تشرذم فيها الأعمال عن القوم، والقوم عن الأعمال. حتى تنتهي إلى الضلال والهلاك!

وهذه الأعمال التي أضلت ربما كان المقصود منها بصفة خاصة الأعمال التي يأملون من ورائها الخير، والتي يبدو على ظاهرها الصلاح، فلا قيمة لعمل صالح من غير إيمان. فهذا الصلاح شكلي لا يعبر عن حقيقة وراءه، والعبرة بالباعث الذي يصدر عنه العمل لا بشكل العمل، وقد يكون الباعث طيباً، ولكنه حين لا يقوم على الإيمان يكون فلتة عارضة أو نزوة طارئة، لا يتصل بمنهج ثابت واضح في الضمير، متصل بخط سير الحياة العريض، ولا بناموس الوجود الأصيل.

فلا بد من الإيمان ليشد النفس إلى أصل تصدر عنه في كل اتجاهاتها، وتتأثر به في كل انفعالاتها. وحينئذ يكون للعمل الصالح معناه، ويكون له هدفه ويكون له أطراده وتكون له آثاره وفق المنهج الإلهي الذي يربط أجزاء هذا الكون كله في الناموس، ويجعل لكل عمل ولكل حركة وظيفة وأثرا في كيان هذا الوجود، وفي قيامه بدوره، وانتهائه إلى غايته.

من الآية ٢ إلى الآية ٣:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾﴾

وفي الجانب الآخر: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم». والإيمان الأول يشمل الإيمان بما نزل على محمد، ولكن السياق يبرزه ويظهره ليصفه بصفته: «وهو الحق من ربهم»، ويؤكد هذا المعنى ويقرره. وإلى جوار الإيمان المستكبر في الضمير العمل الظاهر في الحياة، وهو ثمرة الإيمان الدالة على وجوده وحيويته وانبعائه، وهؤلاء: «كفر عنهم سيئاتهم» في مقابل إبطال أعمال الذين كفروا ولو كانت حسنات في شكلها وظاهرها، وبينما يبطل العمل ولو كان صالحا من الكافرين، فإن السيئة تغفر للمؤمنين، وهو تقابل تام مطلق يبرز قيمة الإيمان وقدره عند الله، وفي حقيقة الحياة.

«وأصلح بالهم» وإصلاح البال نعمة كبرى تلي نعمة الإيمان في القدر والقيمة والأثر، والتعبير يلقي ظلال الطمأنينة والراحة والثقة والرضى والسلام، ومتى صلح البال استقام الشعور والتفكير، واطمأن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب، ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام. وماذا بعد هذا من نعمة أو متاع؟ ألا إنه الأفق المشرق

الوضيء الرفاف.

ولم كان هذا وكان ذاك؟ إنها ليست المحاباة وليست المصادفة، وليس الجزاف. إنما هو أمر له أصله الثابت، المرتبط بالناموس الأصيل الذي قام عليه الوجود يوم خلق الله السماوات والأرض بالحق، وجعل الحق هو الأساس:

«ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَّبِّهِمْ»

والباطل ليست له جذور ضاربة في كيان هذا الوجود، ومن ثم فهو ذاهب هالك، وكل من يتبعه وكل ما يصدر عنه ذاهب هالك كذلك. ولما كان الذين كفروا اتبعوا الباطل فقد ضلت أعمالهم، ولم يبق لهم منها شيء ذو عناء.

والحق ثابت تقوم عليه السماوات والأرض، وتضرب جذوره في أعماق هذا الكون. ومن ثم يبقى كل ما يتصل به ويقوم عليه. ولما كان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم، فلا جرم، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم. فهو أمر واضح مقرر يقوم على أصوله الثابتة، ويرجع إلى أسبابه الأصلية، وما هو فلتة ولا مصادفة ولا جزاف «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ»، وكذلك يضع لهم القواعد التي يقيسون إليها أنفسهم وأعمالهم، فيعلمون المثل الذي ينتمون إليه ويقاسون عليه. ولا يختارون في الوزن والقياس!

**الدرس الثاني: ٤ - ٦ من أحكام قتال الكفار وثواب الشهداء:**

ذلك الأصل الذي قرره الآية الأولى في السورة يرتب عليه توجيه المؤمنين لقتال الكافرين، فهم على الحق الثابت الذي ينبغي أن يتقرر في الأرض، ويستعلي ويهيمن على أقدار الناس والحياة ليصل الناس بالحق وليقيم الحياة على أساسه. والذين كفروا على الباطل الذي ينبغي أن يبطل وتذهب آثاره من الحياة:

«فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَسُدُّوا أَلْوَتَاقَ فَإِمَّا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا»

واللقاء المقصود في الآية هنا هو اللقاء للحرب والقتال لا مجرد اللقاء، فحتى نزول هذه السورة كان المشركون في الجزيرة منهم المحارب ومنهم المعاهد، ولم تكن بعد قد نزلت سورة «براءة» التي تنهي عهود المشركين المحددة الأجل إلى أجلها، والمطلقة الأجل إلى أربعة أشهر، وتأمّر بقتل المشركين بعد ذلك أنى وجدوا في أنحاء الجزيرة - قاعدة الإسلام - أو يسلموا؛ كي تخلص القاعدة للإسلام.

«فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مِمَّا بَعْدَ وَاِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَّيَبْلُوَنَّ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾»

وضرب الرقاب المأمور به عند اللقاء يجيء بعد عرض الإسلام عليهم وإبائهم له طبعاً، وهو تصوير لعملية القتل بصورتها الحسية المباشرة، وبالحركة التي تمثلها، تمشياً مع جو السورة وظلالها.

«حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ»

والإثخان شدة التقتيل، حتى تتحطم قوة العدو وتتهاوى، فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع، وعندئذ - لا قبله - يؤسر من استأسر ويشد وثاقه، أما والعدو لا يزال قويا فالإثخان والتقتيل يكون الهدف لتحطيم ذلك الخطر.

وعلى هذا لا يكون هناك اختلاف - كما رأى معظم المفسرين - بين مدلول هذه الآية، ومدلول آية الأنفال التي عاتب الله فيها الرسول ﷺ والمسلمين لاستكثارهم من الأسرى في غزوة بدر، والتقتيل كان أولى، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ ثُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)﴾

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٨) [الأنفال: ٦٧-٦٨]. فالإثخان أو لا لتحطيم قوة العدو وكسر شوكته ، وبعد ذلك يكون الأسر . والحكمة ظاهرة، لأن إزالة القوة المعتدية المعادية للإسلام هي الهدف الأول من القتال، وبخاصة حين كانت القوة العددية للأمة المسلمة قليلة محدودة، وكانت الكثرة للمشركين، وكان قتل محارب يساوي شيئاً كبيراً في ميزان القوى حينذاك، والحكم ما يزال سارياً في عمومه في كل زمان بالصورة التي تكفل تحطيم قوة العدو ، وتعجيزه عن الهجوم والدفاع .

فأما الحكم في الأسرى بعد ذلك، فتحدده هذه الآية، وهي النص القرآني الوحيد المتضمن حكم الأسرى:

(فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ كَانُوا أَسْرَىٰ وَهُوَ اللَّهُ يُدْخِلُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ)

أي إما أن يطلق سراحهم بعد ذلك بلا مقابل من مال أو من فداء لأسرى المسلمين، وإما أن يطلق مقابل فدية من مال أو عمل أو نظير إطلاق سراح المسلمين المأسورين.

وليس في الآية حالة ثالثة، كالاسترقاق أو القتل بالنسبة لأسرى المشركين، ولكن الذي حدث فعلاً أن رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده استرقوا بعض الأسرى - وهو الغالب - وقتلوا بعضهم في حالات معينة. ونحن نقل هنا ما ورد حول هذه الآية في كتاب (أحكام القرآن للإمام الجصاص الحنفي) ونعلق على ما نرى التعليق عليه في ثناياه قبل أن نقرر الحكم الذي نراه:

قال الله تعالى: «فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب». قال أبو بكر قد اقتضى ظاهره وجوب القتل لا غير إلا بعد الإثخان، وهو نظير قوله تعالى: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض». قال: «وهذا صحيح فليس بين النصين خلاف».

حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحكم قال: حدثنا جعفر بن محمد بن اليمان، قال: حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا عبدالله بن صالح، عن معاوية

بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض». قال: «ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى بعد هذا في الأسارى: «فإما منّا بعد وإما فداء». فجعل الله النبي والمؤمنين في الأسارى بالخيار؛ إن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استعبدوهم، وإن شاءوا فدّوهم، وقد شك أبو عبيد في «وإن شاءوا استعبدوهم»، والاستعباد مشكوك في صدور القول به عن ابن عباس فنتركه، وأما جواز القتل فلا نرى له سنداً في الآية وإنما نصها المنّ أو الفداء.

وحدثنا جعفر بن محمد قال: حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا أبو مهدي وحجاج، كلاهما عن سفيان، قال: سمعت السدي يقول في قوله: «فإما منا بعد وإما فداء». قال: هي منسوخة، نسخها قوله: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم»، قال أبو بكر: أما قوله: «فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب»، وقوله تعالى: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض»، وقوله: «فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم». فإنه جائز أن يكون حكماً ثابتاً غير منسوخ؛ وذلك لأن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالإثخان في القتل وحظر عليه الأسر - إلا بعد إذلال المشركين وقمعهم - وكان ذلك وقت قلة عدد المسلمين وكثرة عدد عدوهم من المشركين، فمتى أثخن المشركون وأذلوا بالقتل والتشريد جاز الاستبقاء. فالواجب أن يكون هذا حكماً ثابتاً إذا وجد مثل الحال التي كان عليها المسلمون في أول الإسلام. ونقول: إن الأمر بقتل المشركين حيث وجدوا خاص بمشركي الجزيرة. بينما النص في سورة محمد عام. فمتى تحقق الإثخان في الأرض جاز أخذ الأسارى، وهذا ما جرى عليه الخلفاء بعد رسول الله ﷺ وبعد نزول سورة براءة بطبيعة الحال، ولم يقتلوهم إلا في حالات معينة سيأتي بيانها.

وأما قوله تعالى: «فإما منا بعد وإما فداء». فظاهره يقتضي أحد شيئين: منّا أو فداء. وذلك ينفي جواز القتل، وقد اختلف السلف في ذلك، حدثنا

حجاج عن مبارك بن فضالة عن الحسن أنه كره قتل الأسير، وقال: مُنَّ عليه أو فادِه، وحدثنا جعفر قال: حدثنا أبو عبيد قال: أخبرنا هشيم، قال: أخبرنا أشعث، قال: سألت عطاء عن قتل الأسير، فقال: مُنَّ عليه أو فادِه قال: وسألت الحسن، قال: يصنع به ما صنع رسول الله ﷺ بأسارى بدر، يمن عليه أو يفادى به، وروي عن ابن عمر أنه دفع إليه عظيم من عظماء اصطخر ليقته، فأبى أن يقتله، وتلا قوله: «فإما منَّا بعد وإما فداء». وروي أيضا عن مجاهد ومحمد بن سيرين كراهة قتل الأسير، وقد روينا عن السدي أن قوله: «فإما منا بعد وإما فداء» منسوخ بقوله: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم). وروي مثله عن ابن جريج.

حدثنا جعفر، قال: حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: هي منسوخة. وقال: قتل رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط يوم بدر صبرا، قال أبو بكر: اتفق فقهاء الأمصار على جواز قتل الأسير لا نعلم بينهم خلافا فيه، وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في قتله الأسير، منها قتله عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بعد الأسر يوم بدر، وقتل يوم أحد أبا عزة الشاعر بعدما أسر. وقتل بني قريظة بعد نزولهم على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بالقتل وسي الذرية، ومن على الزبير بن باطا من بينهم، وفتح خيبر بعضها صلحا وبعضها عنوة، وشرط على ابن أبي الحقيق ألا يكتم شيئا، فلما ظهر على خيانتته وكتمانه قتله، وفتح مكة وأمر بقتل هلال بن خطل، ومقيس بن حبابة، وعبد الله بن أبي سرح، وآخرين، وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة»، ومن على أهل مكة ولم يغنم أموالهم، وروي عن صالح بن كيسان عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عوف، أنه سمع أبا بكر الصديق يقول: «وددت أني يوم أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته، وكنت قتلته سريحا أو أطلقته نجحاً»، وعن أبي موسى أنه قتل دهقان السوس بعدما أعطاه الأمان على قوم سماهم، ونسي نفسه فلم يدخلها في الأمان فقتله.

فهذه آثار متواترة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في جواز قتل الأسير وفي

استبقائه. وقد اتفق فقهاء الأمصار على ذلك. «وجواز القتل لا يؤخذ من الآية، ولكن يؤخذ من عمل رسول الله ﷺ وبعض الصحابة، وتتبع الحالات التي وقع فيها القتل يعطي أنها حالات خاصة وراءها أسباب معينة غير مجرد التعرض للقتال والأسر؛ فالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط كلاهما كان له موقف خاص في إيذاء رسول الله ﷺ وإيذاء دعوته. وكذلك أبو عزة الشاعر، ولبني قريظة كذلك موقف خاص بارتضائهم حكم سعد بن معاذ سلفا. وهكذا نجد في جميع الحالات أسبابا معينة تفرد هذه الحالات من الحكم العام للأسرى الذي تقرره الآية: (فإما منا بعد وإما فداء).

وإنما اختلفوا في فدائه، فقال أصحابنا جميعا «يعني الحنفية»: لا يفادى الأسير بالمال، ولا يباع السبي من أهل الحرب فيردوا حربا. وقال أبو حنيفة: لا يفادون بأسرى المسلمين أيضا، ولا يردون حربا أبدا، وقال أبو يوسف ومحمد: لا بأس أن يفادى أسرى المسلمين بأسرى المشركين، وهو قول الثوري والأوزاعي، وقال الأوزاعي: لا بأس ببيع السبي من أهل الحرب، ولا يباع الرجال إلا أن يفادى بهم المسلمون، وقال المزني عن الشافعي: للإمام أن يمنَّ على الرجال الذين ظهر عليهم أو يفادي بهم، فأما المجيزون للفداء بأسرى المسلمين وبالمال فإنهم احتجوا بقوله: «فإما منا بعد وإما فداء» وظاهره يقتضي جوازه بالمال وبالمسلمين، وبأن النبي ﷺ فدى أسارى بدر بالمال، ويحتجون للفداء بالمسلمين بما روى ابن المبارك، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن عمران ابن حصين، قال: أسرت ثقيف رجلين من أصحاب النبي ﷺ وأسر أصحاب النبي ﷺ رجلا من بني عامر ابن صعصعة، فمر به النبي ﷺ وهو موثق، فناداه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ فقال: علام أحبس؟ قال: «بجريرة حلفائك»، فقال الأسير: إني مسلم، فقال النبي ﷺ: «لو قلتها وأنت تملك أمرك لأفلحت كل الفلاح»، ثم مضى رسول الله ﷺ فناداه أيضا، فأقبل، فقال: إني جائع فأطعمني، فقال النبي ﷺ: «هذه حاجتك

«ثم إن النبي ﷺ فداه بالرجلين اللذين كانت ثقيف أسرتهما، (وحجة القائلين بالفداء أرجح في تقديرنا من حجة أصحاب الإمام الجصاص على الاختلاف في الفداء بالمال أو بأسرى المسلمين).

وقد ختم الإمام الجصاص القول في المسألة بترجيح رأي أصحابه الحنفية، قال: وأما ما في الآية من ذكر المن والفداء، وما روي في أسارى بدر فإن ذلك منسوخ بقوله: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم»، وقد روينا ذلك عن السدي وابن جريج.

وقوله تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر» إلى قوله: «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». فتضمنت الآيتان وجوب القتال للكفار حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية، والفداء بالمال أو بغيره ينافي ذلك، ولم يختلف أهل التفسير ونقله الآثار أن سورة «براءة» بعد سورة «محمد» فوجب أن يكون الحكم المذكور فيها ناسخا للفداء المذكور في غيرها. «وقد سبق القول بأن هذا القتل للمشركين - أو الإسلام - مقصود به مشركو الجزيرة فهو حكم خاص بهم، أما غيرهم خارجها فتقبل منهم الجزية كما تقبل من أهل الكتاب، وقبول الجزية عند التسليم لا ينفي أن يقع الأسرى في أيدي المسلمين قبل التسليم، فهؤلاء الأسرى ما الحكم فيهم؟ نقول: إنه يجوز المنُّ عليهم إذا رأى الإمام المصلحة، أو الفداء بهم بالمال أو بالمسلمين، إذا ظل قومهم قوة لم تستسلم بعد ولم تقبل الجزية، فأما عند الاستسلام للجزية فالأمر مُنْتَهٍ بطبيعته وهذه حالة أخرى، فحكم الأسرى يظل ساريا في الحالة التي لم تنته بالجزية).

**والخلاصة** التي ننتهي إليها أن هذا النص هو الوحيد المتضمن حكم الأسرى، وسائر النصوص تتضمن حالات أخرى غير حالة الأسر، وأنه هو الأصل الدائم للمسألة، وما وقع بالفعل خارجا عنه كان لمواجهة حالات خاصة وأوضاع وقتية، فقتل بعض الأسرى كان في حالات فردية يمكن أن يكون لها دائما نظائر، وقد أخذوا بأعمال سابقة على الأسر، لا

بمجرد خروجهم للقتال، ومثال ذلك أن يقع جاسوس أسيرا فيحاكم على الجاسوسية لا على أنه أسير، وإنما كان الأسر مجرد وسيلة للقبض عليه. ويبقى الاسترقاق، وقد سبق لنا في مواضع مختلفة من هذه الظلال القول بأنه كان لمواجهة أوضاع عالمية قائمة، وتقاليد في الحرب عامة، ولم يكن ممكنا أن يطبق الإسلام في جميع الحالات النص العام: «فإما منّا بعد وإما فداء». في الوقت الذي يسترق أعداء الإسلام من يأسرونهم من المسلمين، ومن ثم طبقه الرسول ﷺ في بعض الحالات فأطلق بعض الأسارى منّا، وفادى ببعضهم أسرى المسلمين، وفادى بعضهم بالمال، وفي حالات أخرى وقع الاسترقاق لمواجهة حالات قائمة لا تعالج بغير هذا الإجراء. فإذا حدث أن انفقت المعسكرات كلها على عدم استرقاق الأسرى، فإن الإسلام يرجع حينئذ إلى قاعدته الإيجابية الوحيدة، وهي: «فإما منا بعد وإما فداء»؛ لانقضاء الأوضاع التي كانت تقضي بالاسترقاق، فليس الاسترقاق حتميا، وليس قاعدة من قواعد معاملة الأسرى في الإسلام. وهذا هو الرأي الذي نستوحيه من النص القرآني الحاسم. ومن دراسة الأحوال والأوضاع والأحداث، والله الموفق للصواب.

ويحسن أن يكون مفهوما أنني أجنح إلى هذا الرأي لأن النصوص القرآنية واستقراء الحوادث وظروفها يؤيده لا لأنه يهجس في خاطري أن استرقاق الأسرى تهمة أحاول أن أبرئ الإسلام منها! إن مثل هذا الخاطر لا يهجس في نفسي أبدا، فلو كان الإسلام رأى هذا لكان هو الخير، لأنه ما من إنسان يعرف شيئا من الأدب يملك أن يقول: إنه يرى خيرا مما يرى الله، إنما أنا أسير مع نص القرآن وروحه فأجنح إلى ذلك الرأي بإيجاء النص واتجاهه.

وذلك - أي القتال وضرب الرقاب وشد الوثاق واتباع هذه القاعدة في الأسرى - «حتى تضع الحرب أوزارها»، أي حتى تنتهي الحرب بين الإسلام وأعدائه المناوئين له، فهي القاعدة الكلية الدائمة؛ وذلك أن «الجهاد ماض إلى يوم القيامة» كما يقول رسول الله ﷺ حتى تكون

كلمة الله هي العليا.

والله لا يكلف الذين آمنوا هذا الأمر، ولا يفرض عليهم هذا الجهاد، لأنه يستعين بهم - حاشاه - على الذين كفروا، فهو سبحانه قادر على أن يقضي عليهم قضاء مباشرا، وإنما هو ابتلاء الله لعباده بعضهم ببعض، الابتلاء الذي تقدر به منازلهم:

«ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم».

إن هؤلاء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وأمثالهم في الأرض كلها في كل زمان من البغاة الطغاة المفسدين، الذين يظهرون في ثوب البطش والاستكبار، ويتراءون لأنفسهم وللضالين من أتباعهم قادرين أقوياء. إن هؤلاء جميعا حفنة من الخلق، تعيش على ظهر هذه الهباءة الصغيرة المسماة بالأرض، بين هذه الكواكب والنجوم والمجموعات الفلكية والمجرات والعوالم التي لا يعلم عددها ولا مداها إلا الله في هذا الفضاء الذي تبدو فيه هذه المجرات والعوالم نقطا متناثرة، تكاد تكون ضائعة، لا يمسكها ولا يجمعها ولا ينسقها إلا الله.

فلا يبلغ هؤلاء ومن وراءهم من الأتباع، بل لا يبلغ أهل هذه الأرض كلها، أن يكونوا نمالا صغيرة. لا، بل إنهم لا يبلغون أن يكونوا هباء تتقاذفه النسومات. لا، بل إنهم لا يبلغون شيئا أصلا حين يقفون أمام قوة الله.

إنما يتخذ الله المؤمنين - حين يأمرهم بضرب رقاب الكفار وشد وثاقهم بعد إثنائهم - إنما يتخذهم سبحانه ستارا لقدرته، ولو شاء لانتصر من الكافرين جهرة، كما انتصر من بعضهم بالطوفان والسيحة والريح العقيم، بل لانتصر منهم من غير هذه الأسباب كلها، ولكنه إنما يريد لعباده المؤمنين الخير، وهو يبتليهم، ويربيهم، ويصلحهم، ويسر لهم أسباب الحسنات الكبار.

يريد ليبتيهم؛ وفي هذا الابتلاء يستجيش في نفوس المؤمنين أكرم ما في

النفس البشرية من طاقات واتجاهات، فليس أكرم في النفس من أن يعز عليها الحق الذي تؤمن به، حتى تجاهد في سبيله فتقتل وتقتل، ولا تُسَلِّمُ في هذا الحق الذي تعيش له وبه، ولا تستطيع الحياة بدونه، ولا تحب هذه الحياة في غير ظله.

ويريد ليربيهم؛ فيظل يخرج من نفوسهم كل هوى وكل رغبة في أعراض هذه الأرض الفانية مما يعز عليهم أن يتخلوا عنه، ويظل يقوي في نفوسهم كل ضعف ويكمل كل نقص، وينفي كل زغل ودخل، حتى تصبح رغائبهم كلها في كفة وفي الكفة الأخرى تلبية دعوة الله للجهاد، والتطلع إلى وجه الله ورضاه، فترجح هذه، وتشيل تلك، ويعلم الله من هذه النفوس أنها حُيِّرَتْ فاختارت، وأنها تربت فعرفت، وأنها لا تندفع بلا وعي ولكنها تقدر وتختار.

ويريد ليصلحهم؛ ففي معاناة الجهاد في سبيل الله، والتعرض للموت في كل جولة، ما يعود النفس الاستهانة بهذا الخطر المخوف، الذي يكلف الناس الكثير من نفوسهم وأخلاقهم وموازينهم وقيمهم ليتقوه، وهو هيِّنٌ هيِّنٌ عند من يعتاد ملاقاته، سواء سَلِمَ منه أو لاقاه. والتوجه به لله في كل مرة يفعل في النفس في لحظات الخطر شيئاً يقربه للتصور فعل الكهرباء بالأجسام! وكأنه صياغة جديدة للقلوب والأرواح على صفاء ونقاء وصلاح.

ثم هي الأسباب الظاهرة لإصلاح الجماعة البشرية كلها؛ عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين الذين فرغت نفوسهم من كل أعراض الدنيا وكل زخارفها، وهانت عليهم الحياة وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله، ولم يعد في قلوبهم ما يشغلهم عن الله والتطلع إلى رضاه، وحين تكون القيادة في مثل هذه الأيدي تصلح الأرض كلها ويصلح العباد، وأصبح عزيزاً على هذه الأيدي أن تسلم في راية القيادة للكفر والضلال والفساد، وهي قد اشترتها بالدماء والأرواح، وكل عزيز وغال أرخصته لتتسلم هذه الراية لا لنفسها ولكن لله!

ثم هو بعد ذلك كله تيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم الحسنی لينالوا رضاه

وجزائه بغير حساب، وتيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم السوء ليكسبوا ما يستحقون عليه غضبه وعذابه . وكل ميسر لما خلق له . وفق ما يعلمه الله من سره ودخيلته .

**ومن ثم يكشف عن مصير الذين يقتلون في سبيل الله:**

(والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم).

لن يضل أعمالهم . في مقابل ما جاء عن الذين كفروا أنه أضل أعمالهم، فهي أعمال مهتدية واصله مربوطة إلى الحق الثابت الذي صدرت عنه، وانبعثت حماية له، واتجاهها إليه، وهي باقية لأن الحق باق لا يهدر ولا يضيع.

ثم نقف أمام هذه الحقيقة الهائلة حقيقة حياة الشهداء في سبيل الله. فهي حقيقة مقررة من قبل في قوله تعالى:

(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) ولكنها تعرض هنا عرضا جديدا، تعرض في حالة امتداد ونماء في طريقها الذي غادرت الحياة الدنيا وهي تسلكه وتتوخاه، طريق الطاعة والهداية والتجرد والنقاء:

(سيهديهم ويصلح بالهم):

فالله ربهم الذي قتلوا في سبيله يظل يتعهدهم بالهداية - بعد الاستشهاد - ويتعهدهم بإصلاح البال، وتصفية الروح من بقية أوشاب الأرض، أو يزيدها صفاء لتتناسق مع صفاء الملاء الأعلى الذي صعدت إليه، وإشراقه وسناه، فهي حياة مستمرة في طريقها لم تنقطع إلا فيما يرى أهل الأرض المحجوبون، وهي حياة يتعهدا الله ربها في الملاء الأعلى، ويزيدها هدى، ويزيدها صفاء، ويزيدها إشراقا، وهي حياة نامية في ظلال الله، وأخيرا يحقق لهم ما وعدهم:

(ويدخلهم الجنة عرفها لهم)

وقد ورد حديث عن تعريف الله الجنة للشهداء رواه الإمام أحمد في مسنده قال: حدثنا زيد بن نمر الدمشقي، حدثنا ابن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن كثير بن مرة، عن قيس الجذامي - رجل كانت له صحبة - قال: قال رسول الله ﷺ: (يعطى الشهيد ست خصال: عند أول قطرة من دمه، تكفر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده من الجنة، ويزوج من الحور العين، ويأمن من الفزع الأكبر ومن عذاب القبر، ويحلى حلة الإيمان). [ تفرد به أحمد، وقد روى حديثا آخر قريبا من هذا المعنى، وفيه النص على رؤية الشهيد لمقعده من الجنة. أخرجه الترمذي وصححه ابن ماجه ]. فهذا تعريف الله الجنة للشهداء في سبيله، وهذه هي نهاية الهداية الممتدة، وإصلاح البال المستأنف بعد مغادرتهم لهذه الأرض، ونماء حياتهم وهداهم وصلاتهم هناك عند الله.



## المبحث الثاني

### الحديث: فريضة العلم / مثل العالم العامل

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَثْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أُمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَتَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَتْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُتِّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَتَفَعَّهَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

#### معاني الغريب

مثل: هو تقريب الأمر بصورة معينة.

أجادب: جمع جذب، وهي الأرض الصلبة التي تجمع الماء كالغدران.  
قيعان: جمع قاع، وهو الأرض الصلبة المستوية التي لا تثبت ولا تجمع الماء.

#### المعنى الإجمالي للحديث

#### مثل العلماء الربانيين العاملين

في هذا الحديث يضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للناس في تلقيهم للهدى والعلم، كمثل الأرض في حال نزول الغيث عليها. وذلك على ثلاثة أنواع: أما النوع الأول من الأرض فهي أرض خصيبة طيبة استقبلت الماء الكثير وانتفعت به كله، وأفادت منه الناس والحيوان، وكذا طائفة من الناس وفقها الله تعالى لاستقبال الهدى والعلم من كتاب الله وسنة رسوله، فأصلح الله به قلوبهم وأحوالهم، فكانوا علماء حكماء فقهاء ربانيين، هداة ودعاة إلى الخير، مصلحين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يعملون بالقرآن ويعلمونه، ويجتهدون في نشر هذا الدين والعمل به حيثما حلوا أو ارتحلوا، (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ

تَدْرُسُونَ) [آل عمران: ٢٧٩] وهم المصلحون الذين عناهم الله تعالى في قوله: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [هود: ١١٧] وفي هذا الزمان كان من هذه الفئة أبناء الدعوة الإسلامية ورجالها الذين أخذوا على عاتقهم نشر الإسلام، والعمل لأجله في مشارق الأرض ومغاربها، يحيون الإسلام في حياة الناس بعد غربة طالت جميع جوانب الحياة؛ طال زمانها واتسع خرقها، فأصلح الله بهم البلاد والعباد، وأقاموا على كل سبيل من يدعو إلى الله، لا يبتغون الأجر والثواب إلا من الله.

### مثل العلماء الحفاظ

وأما النوع الثاني من الأرض التي ضربها النبي ﷺ مثلاً: فهي تلك الأرض الصلبة، ذات الغدران التي ينزل الغيث عليها، فيتجمع الماء في غدرانها فلا تنبت الزرع وإنما يسقى منها الزرع. وينتفع به، وهي مثل الناس الذين يجمعون النصوص ويحفظونها، فيؤدونها كما وصلتهم، فينتفع الناس بما جمع هؤلاء وحفظوا. كما قال النبي ﷺ فيهم: لرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فهم لم يكن لهم عمل إلا الحفظ ومجرد تأدية فقه إلى من هو أفقه منه، فهم لم يكن لهم عمل إلا ما حفظوا. فدورهم في الحياة ونفعهم أقل من أولئك العلماء والفقهاء والدعاة، وإن كان يرجى منهم أن يرتقوا إلى مصاف العلماء والفقهاء والدعاة، بطلب العلم والفقه والحرص على فهم النصوص وسير أبعادها، والعمل على نشرها وتعليمها للناس وتحويلها إلى برامج عملية في واقع الحياة.

### مثل المعرضين عن الهدى والعلم

وأما النوع الثالث فهي الأرض الصخرية الملساء التي لا تمسك الغيث، ولا تجمعها، ولا تنبت الزرع، فيذهب الماء هدراً من غير نفع، فهي مثل الناس الذين لم يقبلوا هدى الله الذي أنزله على نبيه ﷺ، ولا العلم الذي جاء به، وظلوا في جهالتهم يعمهون، وفي ضلالاتهم يغطون، وقد يكونون من حملة الشهادات العالية، كما قال الله تعالى فيهم:

( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ) [ رواه أبو داود ]

أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١ - في هذا الحديث تصنيف لأنواع الناس من حيث تلقيهم للهدى والعلم النبوي ونفعهم لغيرهم.
- ٢ - فيه دعوة للناس أن يحرصوا على طلب العلم، والفقهاء في الدين.
- ٣ - فيه دعوة إلى العمل بالعلم ونشره وتعليمه.
- ٤ - الدعوة إلى الله أبلغ مظهر من مظاهر الفقه في الدين والانتفاع به.
- ٥ - هذا الحديث يوجه الدعوة إلى مزيد من التفقه في الدين، وأن يترقى الداعية في درجات العلم والعمل والدعوة والحركة بهذا الدين.





## المبحث الثالث

### العقيدة: متى يصير الكافر مؤمناً؟ (١)

نخصص هذا القسم لمعرفة الأمور التي تنقض إيمان العبد، وتخرجه من عداد المؤمنين، وتدخله في عداد الكافرين.

على أن توضيح هذا الأمر يقتضى أن يقدم له يبحث يكشف لنا عن مبدأ الإيمان والإسلام، أي الحد الذي إذا وصله العبد المكلف من البشر، اعتبر مؤمناً ومسلماً، وإذا قصر عنه اعتبر كافرًا، وجرت عليه أحكام الكفر في الدنيا والآخرة، إن لم يبدل ولم يغير، ومات قبل أن يصل إلى ذلك الحد الذي يصير به مؤمناً، وذلك لنكون على بينة من حدود الإيمان، وحدود دائرة الكفر، قبل الكلام فيما يخرج من الأولى ويدخل في الثانية.

ومن هنا كان هذا القسم مشتتلاً على مبحثين، يعتبر الأول منهما مقدمة للثاني وهما:

الأول:- متى يصير الكافر مؤمناً (كيفية الدخول في دين الله عز وجل)

الثاني:- متى يصير المؤمن كافرًا (نواقض الإيمان)

متى يصير الكافر مؤمناً؟

كيفية الدخول في دين الله عز وجل.

يظهر لك مما تقدم أن أركان الإيمان لها إجمال وتفصيل، وإن لكل ركن منها إجمالاً وتفصيلاً فمن عرف تفصيل تلك الأركان، وصدق بها، وعمل بما تقتضيه من الأعمال، كان ممن قال عنهم الله عز وجل (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (١)

ولكن شاءت حكمة الله - تبارك وتعالى - تيسيراً على عباده، وتفضلاً عليهم، أن يجعل الباب الذي يلججه العباد إلى الأمان دون ذلك التفصيل، فاكتفى منهم بالإجمال الذي يندرج تحته التفصيل: فقبل منهم في مبدأ

(١) - الأنفال - الآية ٤.

الأمر أن يقروا بألسنتهم وقلوبهم بأن الله سبحانه هو ربهم ومعبودهم بحق، دون سواه، وأن محمدًا ﷺ هو رسول الله، وأن جميع ما جاء به من عند ربه حق وصدق، وواجب العمل به وجعل لذلك عنواناً، هو الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)

فمن قال هذه الكلمة بلسانه، وصدق بها بجنانه، ولم يقرنها بما ينقضها من القول أو العمل أو الاعتقاد، دخل في دين الله، وفارق الكفر الذي كان عليه<sup>(١)</sup>.

### أدلة الأصل المتقدم:

والذي يدل على أن المطلوب هو الإقرار الإجمالي بأمور الإيمان، وهو الإقرار بالشهادتين، وليس الإقرار التفصيلي بكل خصلة من خصال الإيمان والإسلام، هو بجملة أحاديث صحيحة، رتبت حصول الإيمان والإسلام، واستحقاق دخول الجنة وعدم الخلود في النار، على التصديق بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وكذلك حوادث السيرة التي دلت على أن الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحكمون بدخول الشخص في الإسلام إذا نطق بالشهادتين لا يطالبونه في أول الأمر أن يقرنهما بغيرهما وفيما يلي نذكر لك بعض الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك الأصل، ثم نتبعها بذكر بعض وقائع السيرة الدالة عليه:

### الأحاديث: فمن هذه الأحاديث:

قال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك بهما، إلا دخل الجنة)<sup>(٢)</sup> وفي رواية (لا يلقى الله

(١) - وقد يقول قائل: ولكن أركان الإيمان كما جاءت في الحديث الصحيح أكثر من الإيمان بالله. والإيمان برسوله، فكيف يكتفى بالشهادتين لدخول الإيمان؟ الجواب على ذلك أن الإيمان نوعان: إيمان مجمل، وإيمان مفصل، فالأول هو الإيمان بالله وبكل ما جاء به رسول الله ﷺ من غير تعرض لتفصيل ما جاء به فعندما يشهد العبد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، يكون قد صدق بكل ما جاء به الرسول ﷺ وما أخبر به من أركان الإيمان وأركان الإسلام وإن لم يعرفها بالتفصيل فإن مقتضى ما صدر منه من الشهادتين أنه إذا بلغه شيء مما جاء به الرسول ﷺ آمن به وصدق، لكن الذي بلغه التفصيل بالفعل، فآمن به وعمل به، يكون أقوى إيماناً وأعظم فضلاً عند الله تعالى.

وأما من آمن إيماناً جَمَلًا، ثم بلغه شيء مما جاء به الرسول ﷺ فلم يؤمن به كان ناقضاً لما صدر منه من الشهادتين، وكان مرتدًا بذلك كما سيأتي - انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية - من كتاب مجموعة التوحيد: ص ٥١٠، وأصول السرخسي ج ١ ص ٢٥٣

(٢) - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢٢٤

بهما عبداً، غير شاك ، فيحجب عن الجنة) (١)

وقال ﷺ: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) (٢)

وعند عبادة بن الصامت - رضي الله تعالى عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار) (٣)

وغير هذه الأحاديث مما هو في معناها كثير وكلها يدل على أن من مات على التوحيد، ولقي الله عز وجل بالشهادتين دخل الجنة، ولو في المال، ولم يخلد في النار، وإن عذب فيها على ما كان منه من المعاصي والذنوب. **السنة العملية ووقائع السيرة:**

وفي السنة العملية والسيرة المطهرة، نجد أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان يشهد بالإسلام والإيمان، لمن أقر بالشهادتين ومن ذلك:

أخرج مسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي أن النبي ﷺ قال لجارية أراد معاوية بن الحكم أن يعتقها عن كفارة: (أين الله؟ فقالت: في السماء، فقال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. فقال: أعتقها) (٤)

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث الشريد بن سويد الثقفي، أن النبي ﷺ قال لجارية: (من ربك؟ قالت: الله قال: فمن أنا؟ قالت: رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة) (٥)

وفي قصة إسلام أبي بكر رضي الله عنه، جاء في السيرة أنه لقي رسول الله ﷺ وقال له: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: (بلى، إني رسول الله ونبيّه، بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاتة على طاعته، وقرأ عليه القرآن، فأسلم وكفر بالأصنام

(١) - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٤٢٦

(٢) - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢١٨

(٣) - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢٢٩

(٤) - أنظر: الموطأ ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ونيل الأوطار ج ٧ ص ٢٠٨

(٥) - أنظر: نيل الأوطار ج ٧ ص ٢٠٨

وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر، وهو مؤمن مصدق<sup>(١)</sup> وهذا الذي دعا رسول الله ﷺ إليه أبا بكر إنما هو في حقيقته الشهادتان. وفي قصة إسلام خالد بن سعيد - رضي الله عنه - ، فقد ورد في السيرة أنه لقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد ، فقال: يا محمد، إلام تدعو؟ فقال: أدعوك إلى الله وحده، لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا ينفع ، ولا يدري من عبده ممن لا يعبده، قال خالد: فيأني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فسر رسول الله ﷺ بإسلامه<sup>(٢)</sup>.

وفي قصة إسلام أبي ذر الغفاري أنه قال : كنت ربيع الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر، وأنا الرابع ، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> وهذا سياق مختصر وقد أخرج البخاري قصة إسلام أبي ذر كاملة ، وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي ذر بعد أن أسلم : ارجع إلى قومك ، فأخبرهم حتى يأتيك أمري فقال: والذي بعثك بالحق ، لأحرض بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم قام القوم ، فضربوه حتى اضجعوه<sup>(٤)</sup>. وفي هذا الخبر دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا يدخلون الإسلام بالشهادتين.

وفي قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه - تحدثنا السيرة أنه كان سيدًا مطاعًا شريفًا في دوس، وكان قد قدم مكة، فاجتمع به أشرف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به ، أو يسمع كلامه ، قال الطفيل : فوالله مازالوا بي، حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا، ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفًا

(١) - انظر : السيرة النبوية لأبن كثير ج ١ ص ٤٣٣ ، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤٤٤

(٢) - السيرة النبوية لأبن كثير ج ١ ص ٤٤٥

(٣) - السيرة النبوية لأبن كثير ج ١ ص ٤٤٧

(٤) - صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٧ ص ١٢٩ ، حياة الصحابة ج ١ من ٢٩٠ السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥١. هذا وقد ورد في بعض

الروايات أن أبا ذر كان خامس من أسلم ، وأن خالدًا بن سعيد كان الرابع انظر هذه الروايات في السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥٢ ، ٤٥٣

(قطناً) فرقا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمع فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة قال : فقامت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال: فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي وا ثكل أمي، والله إني لرجل لبيب، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فان كان الذى يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته حتى إذا دخل بيته ، دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا (للذي قالوا) فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك، حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعتة قولاً حسناً فاعرض عليّ أمرك، قال فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت، وشهدت شهادة الحق ... (١) ) وشهادة الحق هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كما جاءت مفسرة في بعض المواضع.

وفي قصة إسلام خالد بن الوليد، تحكى لنا كتب السيرة أنه قدم على رسول الله ﷺ في المدينة ، وكان قد استكتبه أخوه الوليد بن الوليد يدعوه إلى القدوم والإسلام، قال خالد : فلقيني أخي، فقال: أسرع، فإن رسول الله ﷺ قد أُخبرَ بك فُسِّرَ بقدومك، وهو ينتظركم الآن (وكان معه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة) فأسرعنا المشي، فاطلعت عيه، فما زال يتسم إليّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسول الله، فقال: تعال، ثم قال رسول الله ﷺ (الحمد لله الذى هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى الخير).

فهذه الوقائع، وتلك الأحاديث الصحيحة تدل مجتمعة على أمر واحد اتفق عليه أهل السنة، وهو أن الدخول في دين الله لا يكون إلا بالشهادتين،

(١) - انظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

وليس لأحد بعد هذه النصوص أن يحكم بإسلام أحد إذا لم يقر بهما بلسانه وقلبه، وليس لأحد بعدها أن يحكم بكفر أحد إذا أقر بهما، ولم يصدر منه ما ينقضها أو ينقض إحداهما<sup>(١)</sup>.

هذا ولا يكفي للدخول في الإسلام مجرد إحدى الشهادتين، ولا بد منهما جميعاً، وقد يقال: قد ورد في بعض الأحاديث المتقدمة، وغيرها الاكتفاء بالشهادة الأولى (لا إله إلا الله) والجواب: أن المقصود هو الشهادتان، لأنه جاء مفسراً في الأحاديث الأخرى بهما جميعاً<sup>(٢)</sup>، ولا خلاف بين العلماء أن النطق بالشهادتين والتصديق بهما لا يكون منجياً من الخلود في النار، وكافياً في دخول الإيمان والإسلام، إذا كان مقترناً بما ينقضهما أو ينقض إحداهما: فلا يحكم بإيمان إنسان جاء يقول: أقر بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكن لا أعترف بوجوب الزكاة والحج، أو بجرمة الزنا، أو الربا، أو القتل، أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها القرآن أو الرسول ﷺ وعلمت بالضرورة، أو قال: أقر برسالة محمد ﷺ ولكني أعتقد أنها كانت خاصة بقوم أو بجيل معين أو قرن إقراره بالشهادتين بتفسير خاص لهما يؤول إلى إنكار توحيد الله في بعض صفاته وأسمائه، أو أقر بهما وهو ينكر بعض القرآن ولو آية أو كلمة أو حرفاً، فلا تنفعه الشهادتان وقد جاء معهما بما يكذب به القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام<sup>(٣)</sup>.

وكذلك من كان على ملة لا تكفي الشهادتان في نقض مبدأ من مبادئها أو أكثر، ولا بد في حقه من أن يتبرأ من ذلك المبدأ بالإضافة إلى الشهادتين، فلو أن شخصاً كان يعتقد بالتوحيد، وبأن محمداً رسول الله ولكن إلى قوم معينين أو زمن معين، فإن نطقه بالشهادتين لا يكون كافياً لاعتباره مسلماً؛ لأن اعترافه برسالة محمد ﷺ لا ينفي ما كان مشهوراً من اعتقاده

(١) - انظر مثلاً: قصة إسلام أبي العاص بن الربيع في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٣، ٣٠٤، وقصة إسلام عمر بن الخطاب في عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير لابن سيد الناس، وقصة إسلام حمزة في السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٧٧.

(٢) - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج ١، ص ١٤٩، ٢١٩.

(٣) - انظر رسالة كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب من جملة رسائل مطبوعة بعنوان: المجموعة العلمية السعودية من دور علماء السلف الصالح

باختصاصها بقوم أو بزمان، فلا بد مع هذا من أن يقر بأن محمدا رسول الله إلى الناس أجمعين<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر بعض العلماء في هذا الموضوع، قاعدة عامة، مفادها أنه لا يحكم بإسلام الشخص إلا إذا أقر بالشهادتين، وكان هذا الإقرار كافيا في نقض جميع معتقداته الباطلة التي اشتهر بها، فإن لم يكن كذلك كان لابد من النطق بها والتبرؤ من المعتقدات الباطلة التي لم يندرج نقضها تحت الشهادتين<sup>(٢)</sup>.

ويجدر بالملاحظة في هذا المقام أن كلمة (لا إله إلا الله) تنقض جميع التصورات الباطلة عن الخالق، وربوبيته، وألوهيته، ذلك أنها تقتضي كما علمت توحيد الله في ذاته. وفي صفاته وأسمائه وأفعاله، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، فمن نطق بها كان متبرئاً من جميع اعتقاداته الباطلة حول الخالق عز وجل، وأما الشهادة الأخرى فإنها تنقض معظم التصورات الباطلة حول مكانة نبينا محمد ﷺ وحول ما أخبر به من المغيبات جميعها<sup>(٣)</sup>، ولا تنقض بعضها، كما تقدم من اعتقاد بعض الناس بخصوصية رسالته إلى بعض الأقسام، فلا بد في حق هؤلاء من التصريح بعموم رسالته عليه الصلاة والسلام.

وهذا الذي تقدم خاص بمن كان كافرا ابتداء، ولم يسبق له الدخول في دين الله، وأما المرتد عن الإسلام فإنه لا يحكم بإسلامه إلا إذا أقر بما كان قد جحده من أمور الإيمان، بالإضافة إلى الشهادتين، فإن كان ارتداده بسبب جحوده الوحدانية أو الرسالة اكتفى بهما، وإلا فلا بد منهما، وأن يقر معهما بالأمر الذي كان قد أنكره<sup>(٤)</sup> فمن كان ينكر فرضية الزكاة مثلا، أو حرمة الربا أو الزنا، فإنه لا يعود إليه إسلامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقر بفرضية أو حرمة ما أنكره.

(١) - انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٩ ، وشرح السير الكبير ج ١ ص ١٥٠ والمغني لابن قدامة ج ٩ ص ٢١ والمهذب ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٢) - انظر : شرح السير الكبير ج ١ ص ١٥٠ .

(٣) - الدين الخالص : ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) - المغني لابن قدامة ج ٩ ص ٢١ حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٣٩٧ .

ولعل من المفيد في هذا المقام أن ننبه إلى ما تقدم ذكره عند الكلام عن حقيقة الإيمان من اتفاق العلماء على أن النطق بالشهادتين يكفي لاعتبار الناطق بهما مسلمًا، من حيث الظاهر، ومن أجل إجراء الأحكام الدنيوية عليه، وأنه لا يكفي من أجل الخلاص من الخلود في النار، حتى يقترن بالتصديق القلبي، فمن أقر بهما مع ما تقدم من الشروط عومل بمقتضى الإسلام في الحياة الدنيا، وإن كان منافقًا في حقيقة أمره، لأننا مأمورون ببناء الأحكام في هذه الحياة على الظاهر، وترك السرائر لله تعالى، فإنه لا يعلمها إلا هو سبحانه، وقد رأيت فيما تقدم إنكار النبي ﷺ على أسامة بن زيد عندما ترك العمل بالظاهر، وقتل من قال: لا إله إلا الله ظنا منه أنه لم يكن مخلصًا في قوله.

لا إله إلا الله



## الفصل الثاني

- المبحث الأول / القرآن: سورة محمد ٧-١١
- المبحث الثاني / السيرة: غزوة خيبر
- المبحث الثالث / أصول الفقه: تعارض الأدلة





## المبحث الأول

### القرآن: سورة محمد ٧-١١

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۗ \* أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۗ﴾ [مُحَمَّد: ٧ - ١١]

### الدرس الثالث: ٧ - ٩ نصر الله للمؤمنين وإحباطه لأعمال الكافرين

وفي ظل هذه الكرامة للذين قتلوا في سبيل الله، وفي ظل ذلك الرضى، وتلك الرعاية، وبلوغ ذلك المقام، يحرص الله المؤمنين على التجرد لله، والاتجاه إلى نصرته نوجه في الحياة، ويعددهم على هذا النصر والتثبيت في المعركة، والتعس والضلال لأعدائهم وأعدائه: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم). وكيف ينصر المؤمنون الله ، حتى يقوموا بالشرط وينالوا ما شرط لهم من النصر والتثبيت.

إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئا، شركا ظاهرا أو خفيا، وألا تستبقي فيها معه أحدا ولا شيئا، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحرركاتها وسكناتها، وسرها وعلايتها، ونشاطها كله وخلجاتها، فهذا نصر الله في ذوات النفوس . وإن لله شريعة ومنهاجا للحياة، تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور

خاص للوجود كله وللحياة، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة . ونقف لحظة أمام قوله تعالى: (والذين قتلوا في سبيل الله). وقوله: (إن تصروا الله) وفي كلتا الحالتين: حالة القتل، وحالة النصر، يشترط أن يكون هذا الله وفي سبيل الله، وهي لفظة بديهية، ولكن كثيرا من الغبش يغطي عليها عندما تنحرف العقيدة في بعض الأجيال، وعندما تمتهن كلمات الشهادة والشهداء والجهاد وترخص، وتنحرف عن معناها الوحيد القويم . إنه لا جهاد، ولا شهادة، ولا جنة، إلا حين يكون الجهاد في سبيل الله وحده، والموت في سبيله وحده، والنصرة له وحده، في ذات النفس وفي منهج الحياة . لا جهاد ولا شهادة ولا جنة إلا حين يكون الهدف هو أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن تهيمن شريعته ومنهجه في ضمائر الناس وأخلاقهم وسلوكهم، وفي أوضاعهم وتشريعهم ونظامهم على السواء .

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء. أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وليس هنالك من راية أخرى، أو هدف آخر، يجاهد في سبيله من يجاهد، ويستشهد دونه من يستشهد، فيحق له وعد الله بالجنة، إلا تلك الراية وإلا هذا الهدف من كل ما يروج في الأجيال المنحرفة التصور من رايات وأسماء وغايات ! ويحسن أن يدرك أصحاب الدعوة هذه اللفظة البديهية، وأن يخلصوها في نفوسهم من الشوائب التي تعلق بها من منطلق البيئة وتصور الأجيال المنحرفة، وألا يلبسوا برايتهم راية، ولا يخلطوا بتصورهم تصورا غريبا على طبيعة العقيدة . لا جهاد إلا لتكون كلمة الله هي العليا، العليا في النفس والضمير، والعليا في الخلق والسلوك، والعليا في الأوضاع والنظم، والعليا في العلاقات والارتباطات في كل أنحاء الحياة، وما عدا هذا فليس لله، ولكن للشيطان. وفيما عدا هذا ليست هناك شهادة، ولا استشهاد، وفيما عدا هذا ليس هنالك جنة، ولا نصر من عند الله، ولا تثبيت للأقدام، وإنما هو الغبش

وسوء التصور والانحراف، وإذا عز على غير أصحاب الدعوة لله أن يتخلصوا من هذا الغبش وسوء التصور والانحراف ، فلا أقل من أن يخلص الدعوة إلى الله أنفسهم ومشاعرهم وتصورهم من منطق البيئة الذي لا يتفق مع البديهة الأولى في شرط الله.

من الآية ٧ إلى الآية ٩

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَاهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَاهُمْ (٩))

وبعد فهذا شرط الله على الذين آمنوا، فأما شرطه لهم فهو النصر وتثبيت الأقدام، وعد الله لا يخلفه، فإذا تخلف فترة، فهو أجل مقدر لحكمة أخرى تتحقق مع تحقق النصر والتثبيت، ذلك حين يصح أن المؤمنين وفوا بالشرط ثم تخلف عنهم - فترة - نصر الله. ثم نقف لحظة أمام لفظة خاصة في التعبير: (ينصركم - ويثبت أقدامكم).

إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر ، ويكون سببا فيه، وهذا صحيح، ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي بأن المقصود معنى آخر من معاني التثبيت، معنى التثبيت على النصر وتكاليفه. فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان، وبين الحق والضلال، فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة، للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر، وفي عدم التراخي بعده والتهاون، وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء، ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء، وصلاح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر، ولعل هذا هو ما تشير إليه عبارة القرآن، والعلم لله.

(والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم).

وذلك عكس النصر وتثبيت الأقدام، فالدعاء بالتعس قضاء من الله سبحانه بالتعاسة والحيبة والخذلان وإضلال الأعمال ضياع بعد ذلك وفناء. ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم).

وهو تصوير لما يعتمل في قلوبهم ويحتلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة ومنهج واتجاه، وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة والملاحاة. وهي حالة كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم، وتصادمه من داخلها، بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته، وهي نفوس يلتقي بها الإنسان كثيرا في كل زمان ومكان، ويحس منها النفرة والكراهية لهذا الدين وما يتصل به، حتى إنها لتفزع من مجرد ذكره كما لو كانت قد لدغتها العقارب! وتتجنب أن يجيء ذكره أو الإشارة إليه فيما تسمع حولها من حديث! ولعلنا نشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على الملاحظة! وكان جزاء هذه الكراهية لما أنزل الله، أن أحبط الله أعمالهم، وإحباط الأعمال تعبير تصويري على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير، فالحبوط انتفاخ بطون المشية عند أكلها نوعا من المرعى سائما، ينتهي بها إلى الموت والهلاك، وكذلك انتفخت أعمالهم وورمت وانبعجت، ثم انتهت إلى الهلاك والضياع! إنها صورة وحركة، ونهاية مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام المنتفخة كبطون الأنعام، حين ترعى من ذلك النبت السام!

### الدرس الرابع: ١٠ - ١١

لفت نظر الكفار للاعتبار من دمار السابقين ثم يلوي أعناقهم إلى مصارع الغابرين قبلهم في شدة وعنف: (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها). وهي لفظة عنيفة مروعة، فيها ضجة وفرقعة، وفيها مشهد للذين من قبلهم يدمر عليهم كل ما حولهم، وكل ما لهم، فإذا هو أنقاض متراكمة، وإذا هم تحت هذه الأنقاض المتراكمة، وذلك المشهد الذي يرسمه التعبير مقصود بصورته هذه وحركته، والتعبير يحمل في إيقاعه وجرسه صورة هذا المشهد وفرقته في انقضاضه وتحطمه!

وعلى مشهد التدمير والتحطيم والردم ، يلوح للحاضرين من الكافرين، ولكل من يتصف بهذه الصفة بعد بأنها في انتظارهم، هذه الوقعة المدمرة التي تدمر عليهم كل شيء وتدفعهم بين الأنقاض: (وللكافرين أمثالها!) وتفسير هذا الأمر الهائل المروع الذي يدمر على الكافرين وينصر المؤمنين هو القاعدة الأصلية الدائمة: (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم)

### من الآية ١٠ الى الآية ١١

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١)) ومن كان الله مولاه وناصره فحسبه، وفيه الكفاية والغناء، وكل ما قد يصيبه إنما هو ابتلاء وراهه الخير، لا تخليا من الله عن ولايته له ، ولا تخلفا لوعد الله بنصر من يتولاهم من عباده، ومن لم يكن الله مولاه فلا مولى له، ولو اتخذ الإنس والجن كلهم أولياء، فهو في النهاية مضيع عاجز، ولو تجمعت له كل أسباب الحماية وكل أسباب القوة التي يعرفها الناس!.



## المبحث الثاني

### السيرة: غزوة خيبر

أولاً: أسبابها:

- ١- تَزَعُمُ يهود بني النضير ليهود خيبر وجرهم إلى الصراع، والتصدي، والانتقام من المسلمين وإنفاق الأموال لحرب المسلمين.
- ٢- الحقد الدفين، والرغبة القوية من قبل اليهود في العودة إلى ديارهم داخل المدينة.
- ٣- تفرغ المسلمون بعد صلح الحديبية لتصفية خطر يهود خيبر الذي أصبح يهدد أمن المسلمين ومن هنا يمكننا استخلاص أهم هدف لغزوة خيبر وهو تصفية خطر اليهود الذي أصبح يهدد أمن المدينة المنورة بعد أن تم تأمين جنوبها بصلح الحديبية.

ثانياً: مسير الجيش الإسلامي إلى خيبر:

سار الجيش إلى خيبر بروح إيمانية عالية، على الرغم من علمهم بمنعة حصونها، ولما أدرك رسول الله ﷺ الليل أمر الجيش بالنوم على مشارف خيبر، ثم استيقظوا مبكرين، وضربوا خيامهم، ومعسكرهم بوادي الرجيع، وهو واد يقع بين خيبر وغطفان؛ حتى يقطعوا المدد عن يهود خيبر من قبيلة غطفان<sup>(١)</sup>.

ولما أصبح الصبح خرجت اليهود بمساحيهم<sup>(٢)</sup>، ومكاتلهم<sup>(٣)</sup>، فلما رأوا جيش المسلمين قالوا: محمد والله! محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر! الله أكبر! خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين»<sup>(٤)</sup>

(١) انظر: الصراع مع اليهود (٤٥/٢).

(٢) المساحي: جمع، ومفردها، مسحاة، والمسحاة: المجرفة من الحديد.

(٣) المكاتل: جمع مكاتل، وهو المقطف الكبير.

(٤) البخاري (٦١٠) ومسلم (١٣٦٥/١٢٠).

### ثالثا: وصف تساقط حصون خيبر:

هرب اليهود إلى حصونهم، وحاصرهم المسلمون، وأخذوا في فتح حصونهم الواحد تلو الآخر، وكان أول ما سقط من حصونهم ناعم، والصعب بمنطقة النَّطَاة، وأبو النَّزَار بمنطقة الشَّق، وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر، ثم حصن القُمُوص المنيع في منطقة الكتيبة، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ثم أسقطوا حصني منطقة الوطيح، والسلام<sup>(١)</sup>.

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم؛ الذي استشهد تحته محمود بن مسلمة الأنصاري، حيث ألقى عليه مرحبٌ رحىً من أعلى الحصن<sup>(٢)</sup>، والذي استغرق فتحه عشرة أيام<sup>(٣)</sup>، فقد حمل راية المسلمين عند حصاره أبو بكر الصديق، ولم يفتح الله عليه، وعندما جهد الناس، قال رسول الله ﷺ: إنه سيدفع اللواء غدا إلى رجل يحب الله ورسوله، ويجب الله ورسوله، لا يرجع حق يُفتَح له، فطابت نفوس المسلمين، فلما صلى فجر اليوم الثالث دعا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ودفع إليه اللواء، فحمله، فتم فتح الحصن على يديه. المحاكم (٣٧/٣)

وكان عليّ يشتكي من رمد في عينيه عندما دعاه الرسول ﷺ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ<sup>(٤)</sup>. ولقد أوصى الرسول ﷺ عليا بأن يدعو اليهود إلى الإسلام قبل أن يدهمهم، وقال له: «فوالله! لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حُمُرُ النَّعَم»<sup>(٥)</sup>. وعندما سأله عليّ رضي الله عنه: يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك؛ منعوا منك دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». مسلم (٢٤٠٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/٢٦٠).

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٥٠١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر: الوفاقي (٦٥٧/٢).

(٤) البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٥) البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

وبهذا الدور الحاسم لعلي بن أبي طالب عليه السلام يظهر دور الشباب في الجهاد والتضحية وتحقيق الانتصارات عندما يربون التربية النبوية الصادقة. حاصر المسلمون حصون خيبر حصناً حصناً حتى فتحت خيبر عنوة<sup>(١)</sup>، وسارع أهل فدك في شمال خيبر إلى طلب الصلح، وطلبوا منه أن يحقن دمائهم، وبذلوا له الأموال فوافق على طلبهم<sup>(٢)</sup>.

وقد بلغ قتلى اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعين رجلاً، وسبيت النساء والذراري، منهنّ صفية بنت حُيي بن أخطب، فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله، وتزوجها<sup>(٣)</sup>. واستشهد من المسلمين عشرون رجلاً فيما ذكر ابن إسحاق<sup>(٤)</sup>، وخمسة عشر فيما ذكر الواقدي<sup>(٥)</sup>.

#### رابعاً: قدوم جعفر بن أي طالب، ومن معه من الحبشة:

قدم جعفر بن أي طالب، وصحبه من مهاجري الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر، فقَبَّله رسول الله صلى الله عليه وآله، بين عينيه، والتزمه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسرُّ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟!»<sup>(٦)</sup> وكان صلى الله عليه وآله قد أرسل في طلبهم من النجاشي عمراً بن أمية الضمري، وحملهم في سفينتين، ووافق قدومهم عليه يوم فتح خيبر، وقد رافق جعفرًا في قدومه أبو موسى الأشعري، ومن كان بصحبته من الأشعريين<sup>(٧)</sup>.

#### خامساً: تقسيم الغنائم:

١. كانت غزوة خيبر من أكثر غزوات الرسول صلى الله عليه وآله غنيمة من حيث الأراضي، والنخيل، والثياب، والأطعمة، وغير ذلك، ومن خلال وصف كتب السيرة نلاحظ: أن الغنائم كانت تتكون من:

أ- الطعام والثياب، والأثاث، والإبل، والبقر، والغنم.

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٥٠٤.

(٢) مسلم (١٥٥١)، وأحمد (٤٥١/٢)، وأبو داود (٣٠٠٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٧/٩-١٣٨).

(٣) البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥).

(٤) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٣٢٧/١).

(٥) انظر: المغازي (٧٠٠/٢).

(٦) الطبراني في الصغير (٣٠)، وفي الأوسط (٢٠٢٤)، وفي الكبير (١٤٧٠)، وابن سعد (٤/٣٥)، والحاكم (٤٠٨/٣ - ٤٠٩)، والبيهقي في

الكبرى (١٠١/٨)، ومجمع الزوائد (٢٧١/٩ - ٢٧٢).

(٧) انظر: من معين السيرة، ص ٣٥٣.

ب- السبي.

ج الأراضي، والنخيل.

د- وكان من بين ما غنم المسلمون من يهود خيبر عدة صحف من التوراة، فطلب اليهود ردّها، فأمر بتسليمها إليهم، ولم يصنع ﷺ ما صنع الرومان حينما فتحوا أورشليم، وأحرقوا الكتب المقدسة، وداسوها بأرجلهم، ولا ما صنع النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حين أحرقوا كذلك صحف التوراة<sup>(١)</sup>.

وقد أبقى رسول الله ﷺ يهود خيبر فيها على أن يعملوا في زراعتها، وينفقوا عليها من أموالهم، ولهم نصف ثمارها، على أن للمسلمين حق إخراجهم منها متى أرادوا، وكان اليهود قد بادروا بعرض ذلك على النبي ﷺ، وقالوا: نحن أعلم بالأرض منكم، فوافق على ذلك بعد أن هم بإخراجهم منها<sup>(٢)</sup>.

### سادسا مشاركة المرأة في غزوة خيبر:

روت أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار؛ قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلن: يا رسول الله! قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو السير إلى خيبر - فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا. فقال: «على بركة الله»، قالت: فخرجنا معه، قالت: فوالله لقد تزلّ رسول الله ﷺ إلى الصّبح، ونزلت عن حقيبة رحله، قالت: وإذا بها دم منيّ - وكانت أول حيضة حضتها - قالت: فتقبّضت إلى النّاقة، واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي، ورأى الدّم قال: «ما لك؟ لعلك نفست؟» قالت: قلت: نعم؟ قال: «فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء، فاطرحي فيه ملحاً، ثم اغسلي ما أصاب الحقيية من الدم، ثم عودي لمركبك» قالت: فلما فتح الله خيبر؛ رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي تزين في عنقي، فأعطانيها، وعلقها بيده في عنقي،

(١) انظر: السيرة النبوية، لأبي شهبه (٤١٩/٢).

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٣٢٨/١).



فوالله لا تفارقني أبداً<sup>(١)</sup>، وكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها. قالت: وكانت لا تطهر من حيضها، إلا جعلت في طهرها ملحاً، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت<sup>(٢)</sup>. وهي صورة حية أمام كل فتاة مسلمة، تحرص على أن تشارك في أجر الجهاد مع المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وهكذا كانت حياة الرسول ﷺ تعليمًا، وتربية للأمة في السلم والحرب على معاني العقيدة، حقيقة العبادة، وهذا غيض من فيض، وجزء من كل. هذا وقد أحدث فتح خيبر، وفدك، ووادي القرى، وتيماء دويا هائلًا في الجزيرة العربية بين مختلف القبائل، وقد أصيبت قريش بالغيظ، والكآبة؛ إذ لم تكن تتوقع ذلك، وهي تعلم مدى حصانة قلاع يهود خيبر، وكثرة مقاتليهم، ووفرة سلاحهم، ومؤونتهم، ومتاعهم<sup>(٤)</sup>.

أمَّا القبائل العربية الأخرى المناصرة لقريش؛ فقد أدهشها خبر هزيمة يهود خيبر، وخذلها انتصار المسلمين السَّاحق، ولذلك فإنها جنحت إلى مسالمة المسلمين، وموادعتهم بعد أن أدركت عدم جدوى استمرارها في عدائهم، مما فتح الباب واسعاً لنشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، بعد أن تعززت مكانة المسلمين في أعين أعدائهم إلى جانب ما تحقق لهم من خير، وتعزيز لوضعهم الاقتصادي<sup>(٥)</sup>.

واستمرت حركة السرايا بعد خيبر، وكانت كثيرة، وأمر عليها ﷺ كبار الصحابة، وكان في بعضها قتال، ولم يكن في بعضها قتال<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٠٥/٤).

(٢) أحمد (٣٨٠/٦)، والبيهقي في الكبرى (٤٠٧/٢)، وابن سعد (٢١٤/٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢٠٤/٤)، وابن هشام (٣٥٧/٣).

(٣) انظر: فقه السيرة، لمير العضباني، ص ٥٣٤.

(٤) انظر: نضرة النعيم (٣٥٣/١).

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) انظر: السيرة النبوية، للندوي، ص ٢٢١.



## المبحث الثالث

### أصول الفقه: تعارض الأدلة

التعارض بين الدليلين أن يقتضي أحدهما خلاف ما يقتضيه الآخر ومثاله ما روى ابن عباس أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو مُحْرَمٌ، وروي أبو رافع وميمونة نفسها أن النبي ﷺ تزوجها وهو حالٌ.

#### العمل عند التعارض:

إذا تعارضت الأدلة في المسألة الواحدة عند المجتهد، وكان كل منهما صحيحاً بأن كان آية من القرآن أو حديثاً صحيحاً أو إجماعاً أو قياساً، فإنه يتخذ الخطوات التالية بالترتيب، فلا يتعجل شيئاً منها قبل أوانه:

١. الجمع بين الدليلين.

٢. اعتقاد النسخ.

٣. الترجيح بينهما.

٤. التوقف أو التخيير.

الخطوة الأولى: الجمع بين الدليلين .

هو أولى من غيره، لأن فيه العمل بالدليلين جميعاً، أما الخطوات التالية ففيها إلغاء أحد الدليلين على الأقل، والإلغاء إبطال، ولا يجوز إبطال الدليل إن أمكن إعماله.

وأولى طرق الجمع التخصيص.

فإن كان أحد الدليلين أخصّ من الآخر مطلقاً فُدم حكم الأخص في منطقة خصوصه، وبقي حكم العموم في بقية أفراد العام، وقد تقدم إيضاح ذلك في باب العموم والخصوص.

فإن لم يكونا كذلك، وأمکن حملهما على حالين أو زمانين أو مكانين فعل ذلك، فمثال حملهما على حالين حديث أن النبي ﷺ استأذنه رجل

في القبلة في رمضان، فأذن له، واستأذنه آخر فلم يأذن له. قال الصحابي راوي الحديث فنظرنا فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب<sup>(١)</sup>. ولم يحملوه على النسخ، ولا احتاجوا إلى ترجيح. ومثال حمله على زمانين، أو مكانين، ما إذا نهى قوما من المسلمين عن القتال، وأذن لقوم غيرهم، فكان النهي في شهر حرام، والأذن في غير شهر حرام، أو النهي في الحرم، والإذن في الحل.

### الخطوة الثانية: النسخ:

إن لم يمكن الجمع بين الدليلين وجب المصير إلى النسخ، ولا يجوز المصير إلى النسخ إلا إذا تمت شروطه، ومن شرطه أن يعرف المتأخر من الدليلين بحجة صحيحة، إذ لا يجوز أن يعتبر أحد الدليلين ناسخا للآخر بمجرد الرأي، لاحتمال أن يكون العكس هو الصحيح.

ومما يعتبر في النسخ أيضا أن السنة الأحادية لا يجوز أن تعتبر ناسخة للقرآن عند جمهور العلماء. (والمقصود هنا بالأحادية ما انفرد به راوٍ واحد فقط، بخلاف ما رواه اثنان فأكثر)

وقيل أيضا السنة المتواترة كذلك لا تنسخه، وهو الصحيح عند المحققين كما تقدم في بحث السنة، وكذلك المتواتر من الحديث لا ينسخ بحديث الآحاد.

### الخطوة الثالثة: الترجيح بين الدليلين:

إذا لم يعلم آخر الدليلين المتعارضين ورودا رجح المجتهد بينهما<sup>(٢)</sup>، فيعمل بأقواهما، ويترك العمل بأضعفهما، ولا يجوز الترجيح بلا مرجح. غير أن القوة المعتبرة في الترجيح هي من جهات مختلفة منها:

#### ١. جهة الثبوت:

لأن رجحان أحد الدليلين من حيث الثبوت يقوي الظن بأن الآخر مكذوب، أو موهوم. ومن هذه الجهة - جهة الثبوت - يرجح المتواتر على

(١) رواه أبو داود.

(٢) الترجيح أمر ظاهري يصار إليه تخلصا من التعارض الحاصل في نظرنا نحن. أما في واقع الأمر وحقيقته فإما أن يكون أحد الدليلين المتعارضين غير ثابت، وإن كانا ثابتين فلا شك أن أحد الدليلين متأخر في الزمن عن الآخر، فللتأخر هو الناسخ. ففي الحقيقة والواقع الحل عند التعارض ليس إلا في الجمع أو النسخ لا غير، أما الترجيح فإننا نصير إليه لجهلنا بالترتيب الزمني بين الدليلين.

الآحاد؛ ويرجح المتصل على المرسل، ويرجح الأكثر رواة على الأقل؛ ويرجح ما سلم سنده على ما في سنده اضطراب؛ ويرجح ما سلم متنه على ما في متنه اضطراب؛ وترجح رواية الأضبط والأوثق والأفقه على رواية من هو أقل منه ضبطاً أو ثقة أو فقهاً، ويرجح ما له شواهد على ما لا يشهد له في الشرع شيء، وترجح رواية الصحابي - إذا كان هو صاحب الواقعة - على رواية غيره، وبهذا رجحوا رواية ميمونة أن النبي ﷺ تزوجها وهو حال على رواية ابن عباس انه تزوجها وهو محرم.

## ٢- جهة جنس الدليل:

وهي أن يكون جنس أحد الدليلين أقوى من جنس الدليل الآخر، فيقدم القرآن على السنة والقياس، ويقدم القول على الفعل والتقرير، وتقدم السنن على الأقيسة، وأما الإجماع فبعض من أثبتته قدمه على القرآن والسنة. وبين ابن تيمية، كما في الفتاوى الكبرى (١٩/٢٦٧-٢٧٠ أن القول بتقدمه عليها خطأ، لأن حجيتها هي من حيث كونه دليلاً على النص لا لذاته، فإذا علمنا النص صراحة كان النص أقوى .

## ٣- جهة الوضوح والصراحة:

فيقدم القياس الجلي على الخفي، ويقدم النص على الظاهر المؤول، وتقدم الحقيقة على المجاز، ويقدم ما ذكرت علته على ما لم تذكر علته؛ لأن ما ذكرت علته أوضح ويقدم القول على الفعل، ويقدم المنطوق على الإشارة والمفهوم.

## ٤- جهة تأكيد المدلول ولزومه للمكلف:

فيقدم النهي على الأمر لقول النبي ﷺ: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) ومثاله تقديم حديث النهي عن الصلاة بعد العصر على الأمر بالصلاة عند دخول المسجد قبل الجلوس فيه في حق من دخل المسجد بعد العصر كما تقدم.

ويقدم ما كان أقرب إلى الاحتياط، والمرجحات كثيرة إذ كلُّ أمانة ثانوية قد يرجح بها إذا انقذح لدى المجتهد تغليبها لأحد الدليلين، على وجه

صحيح مطابق للطرق الشرعية، والأصول المعتمدة.

### الخطوة الرابعة: التوقف أو التخيير:

إذا عجز المجتهد عن الترجيح بوجه من الوجوه فقد قيل: إنه يتوقف عن العمل بأي منها وقيل يخير فيفعل أي الوجهين، وقيل يخير فيفعل أي الوجهين شاء، لأن معه دليلاً على كلتا الصورتين، وقيل يتساقط الدليلان في حقه، ويرجع كمن ليس عنده دليل، أي يرجع إلى استصحاب الحال والله أعلم.





## الفصل الثالث

- المبحث الأول / القرآن: سورة محمد ١٢-١٥
- المبحث الثاني / علوم الحديث: الحديث الحسن
- المبحث الثالث / الدعوة: القاعدة التاسعة





## المبحث الأول

### القرآن: سورة محمد ١٢-١٥

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرِيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرِيْبَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَّهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُرِّيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ لَّيِّنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَلِيْدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوْا مَاءً حَمِيْمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [مُحَمَّد: ١٢ - ١٥]

### الدرس الخامس: ١٢ مقابلة بين حياة وجزاء المؤمنين والكافرين.

ثم يوازن بين نصيب الذين آمنوا ونصيب الذين كفروا من المتاع بعدما بين نصيب هؤلاء وهؤلاء فيما يشترج بينهم من قتال ونزال، مع بيان الفارق الأصيل بين متاع ومتاع:

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم).

والذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون في الأرض أحيانا من أطيب المتاع ، ولكن الموازنة هنا إنما تقوم بين النصيب الحقيقي الضخم للمؤمنين - وهو نصيبهم في الجنة - والنصيب الكلي للكافرين الذي لا نصيب لهم سواه .  
ونصيب المؤمنين يتلقونه من يد الله في جنات تجري من تحتها الأنهار.

فالله هو الذي يدخلهم، وهو إذن نصيب كريم علوي رفيع، وهم ينالونه من بين يدي الله في علاه جزاء على الإيمان والصلاح، متناسقا في رفعته وكرامته مع الارتفاع المنطلق من الإيمان والصلاح. ونصيب الذين كفروا متاع وأكل (كما تأكل الأنعام).

وهو تصوير زُرِّي، يذهب بكل سمات الإنسان ومعالمه، ويلقي ظلال الأكل الحيواني الشره، والمتاع الحيواني الغليظ، بلا تذوق، وبلا تعفف عن جميل أو قبيح. إنه المتاع الذي لا ضابط له من إرادة، ولا من اختيار، ولا حارس عليه من تقوى، ولا رادع عنه من ضمير.

والحيوانية تتحقق في المتاع والأكل، ولو كان هناك ذوق مرهف للطعوم، وحس مدرب في اختيار صنوف المتاع، كما يتفق هذا لكثير من الناشئين في بيوت النعمة والثراء. وليس هذا هو المقصود، إنما المقصود هو حساسية الإنسان الذي يملك نفسه وإرادته، والذي له قيم خاصة للحياة، فهو يختار الطيب عند الله عن إرادة لا يخضعها ضغط الشهوة، ولا يضعفها هتاف اللذة، ولا تحسب الحياة كلها مائدة طعام، وفرصة متاع بلا هدف بعد ذلك، ولا تقوى فيما يباح وما لا يباح!

إن الفارق الرئيسي بين الإنسان والحيوان أن للإنسان إرادة وهدفا وتصورا خاصا للحياة يقوم على أصولها الصحيحة، المتلقاة من الله خالق الحياة، فإذا فقد هذا كَلَهُ فَقَدَ أَهْمَ خِصَائِصِ الْإِنْسَانِ الْمُمِيزَةِ لِنَجْسِهِ، وَأَهْمَ الْمَزَايَا الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا كَرَّمَهُ اللَّهُ.

### من الآية ١٣ إلى الآية ١٥

(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُرِين لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن حَمْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) (١٥)

### الدرس السادس: ١٣ تهديد قريش بالهلاك لإخراجهم الرسول

وتعترض سلسلة الموازنات بين الذين آمنوا والذين كفروا لفتة إلى القرية التي أخرجت الرسول ﷺ وموازنة بينها وبين القرى الهالكة وكانت أشد قوة منها

(وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلِكَانَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ )

وهي آية يروى أنها نزلت في الطريق بين مكة والمدينة في أثناء رحلة الخروج والهجرة، تسلية للرسول ﷺ وتسرية عنه، وتحويلنا من شأن المشركين الجبارين الذين وقفوا في وجه الدعوة، وآذوا أصحابها، حتى هاجروا من أرضهم وأهلهم وأموالهم فرارا بعقيدتهم.

### الدرس السابع: ١٤ - ١٥ لقطات من نعيم الجنة للمؤمنين

ثم يمضي في الموازنة بين حال الفريقين، ويعلل لم كان الله ولي المؤمنين يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار في الآخرة، بعد النصر والكرامة في الدنيا؟ ولم كان الذين كفروا لا مولى لهم معرضين للهلاك في الدنيا - بعد حياة حيوانية هابطة - وللعذاب في الآخرة والثوي في النار والإقامة؟

(أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم). فهو فارق أصيل في الحالة التي عليها الفريقان، وفي المنهج والسلوك سواء. فالذين آمنوا على بينة من ربهم رأوا الحق وعرفوه، واستيقنوا من مصدره، واتصلوا بربهم فتلقوا عنه، وهم على يقين مما يتلقون، غير مخدوعين ولا مضللين. والذين كفروا زين لهم سوء عملهم، فرأوه حسنا وهو سيئ، ولم يروا ولم يستيقنوا، (واتبعوا أهواءهم)، بلا ضابط يرجعون إليه، ولا أصل يقيسون عليه، ولا نور يكشف لهم الحق من الباطل.

أهؤلاء كهؤلاء؟ إنهم يختلفون حالا ومنهجًا واتجاهًا، فلا يمكن أن يتفقوا ميزانا ولا جزاء ولا مصيرا!

وهذه صورة من صور التفرقة بين هؤلاء وهؤلاء في المصير: (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم).

إن هذه الصورة الحسية من النعيم والعذاب ترد في مواضع من القرآن، وقد تجيء معها صور معنوية أو تجيء مجردة، كما أن صور النعيم والعذاب المجردة عن الحسيات تجيء في مواضع أخرى.

والله الذي خلق البشر، أعلم بمن خلق، وأعرف بما يؤثر في قلوبهم، وما يصلح لتربيتهم، ثم ما يصلح لنعيمهم ولعذابهم. والبشر صنوف، والنفوس ألوان، والطبائع شتى، تلتقي كلها في فطرة الإنسان، ثم تختلف وتتنوع بحسب كل إنسان، ومن ثم فصل الله ألوان النعيم والعذاب، وصنوف المتاع والآلام، وفق علمه المطلق بالعباد.

هنالك ناس يصلح لتربيتهم، ولاستجاشة همتهم للعمل كما يصلح لجزائهم ويرضي نفوسهم أن يكون لهم أنهار من ماء غير آسن، أو أنهار من لبن لم يتغير طعمه، أو أنهار من عسل مصفى، أو أنهار من خمر لذة للشاربين، أو صنوف من كل الثمرات، مع مغفرة من ربهم تكفل لهم النجاة من النار والمتاع بالجنات، فل هؤلاء ما يصلح لتربيتهم، وما يليق لجزائهم.

وهنالك ناس يعبدون الله؛ لأنهم يشكرونه على نعمه التي لا يحصونها، أو لأنهم يحبونه، ويتقربون إليه بالطاعات تقرب الحبيب للحبيب. أو لأنهم يستحيون أن يراهم الله على حالة لا يحبها، ولا ينظرون وراء ذلك إلى جنة.



## المبحث الثاني

### علوم الحديث: الحديث الحسن

تعريفه :

ما اتصل بإسناده من بداية السند إلى منتهاه بنقل العدل غير المتهم بالكذب، ولا بالغفلة، ولا بالخطأ الفاحش، إذا وجد مؤيد له من الدرجة نفسها، أو ما اتصل بنقل العدل الذي خف ضبطه عن ضبط رجل الصحيح، ولو لم يأت ما يؤيده. ويشترط في كلا الحالين ألا يكون شاذاً ولا معللاً بعلّة قاذحة.

الشرح:

وتتفاوت مراتب الحديث تبعاً لتفاوت الرواة في العدالة والضبط، وتتفاوت المنازل في المرتبة الواحدة تبعاً لهذا التفاوت كذلك. فمرتبة الصحيح تنقسم إلى درجات ومنازل، ولكن هذه المنازل لا تخرج عن حدها الأعلى، وحدها الأدنى، ثم تأتي المرتبة الثانية بعد الحد الأدنى من المرتبة الأولى، وهذه المرتبة الثانية هي التي اصطاح العلماء على تسميتها بالحسن، وهي مرحلة وسيطة بين الصحيح المتميز برجاله الحفاظ الضابطين، وبين الضعيف الذي لا يصلح للاحتجاج.

والحسن ينقسم إلى نوعين رئيسيين هما:

**١- النوع الأول:** الحسن لذاته، وهو الذي يوصف راويه بأنه صدوق، وهو دون الحفاظ المتقن الثقة، ومثل هذا لا ينزل إلى رتبة الضعيف، وهو عدل في دينه لكن ضبطه أخف من ضبط رجل الصحيح، وسمي حسناً لذاته لأنه اكتسب هذه الصفة من السند نفسه، ولم تأت الصفة من خارجه بقرينة معينة. وقد عرف الشيخ تقي الدين الشمني الحسن بقوله: «خبر متصل قل ضبط راويه العدل وارتفع عن حال من يعد تفرد منكرًا، وليس بشاذ ولا معلل»<sup>(١)</sup>. فيكون الفرق بينه وبين الصحيح في قوله:

(١) السيوطي، تدريب الراوي ١/١٦٠



قل ضبط راويه. ولكنه يبقى في دائرة الضبط الغالب، لا في دائرة الخطأ الغالب، وهذا النوع هو الذي قال فيه ابن الصلاح: «أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة، غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح، لكونه يقصر عنهم في الحفظ والاتقان، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما ينفرد به من الحديث منكرا، ويعتبر في كل هذا مع سلامة الحديث من أن يكون شاذاً ومنكراً سلامته من أن يكون معللاً»<sup>(١)</sup>.

ولبيان مكان رجال الحسن من رجال الصحيح ورجال الضعيف نسوق كلاماً لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥) يطبق فيه رجال الصحيح والحسن والضعيف على أصحاب الزهري<sup>(٢)</sup> وهم خمس طبقات فيقول:

**الطبقة الأولى:** جمعت الحفظ والإتقان وطول الصحبة للزهري، والعلم بحديثه والضبط له، كمالك وابن عيينة وعبيد الله بن عمر ومعمر ويونس وعقيل وشعيب وغيرهم، وهؤلاء متفق على تخريج حديثهم عن الزهري.

**الطبقة الثانية:** أهل حفظ وإتقان، لكن لم تطل صحبتهم للزهري، وإنما صحبوه مدة يسيرة، ولم يمارسوا حديثه، وهم في إتقانهم دون الطبقة الأولى، كالأوزاعي والليث، وخالد بن مسافر، والنعمان بن راشد، ونحوهم.

**الطبقة الثالثة:** لازموا الزهري، وصحبوه، ورووا عنه، ولكن تكلم في حفظهم كسفيان بن حسين ومحمد بن إسحاق، وصالح بن أبي الأخضر، وزمعة بن صالح<sup>(٣)</sup>.

فهذه الفئة الثالثة هي التي تؤلف رجال الحسن، وهي الفئة التي يعتمد عليها الترمذي والنسائي وأبو داود في سننهم، ويلاحظ ما جاء وصفهم وتكلم في حفظهم، ولم يتعرض لدينهم وأمانتهم، لأن الخلل في جانب واحد، وهو جانب الحفظ والإتقان.

**٢- النوع الثاني:** الحسن لغيره: وهو الذي ينزل رجال إسناده عن رجال النوع الأول، فيكونون ممن كثر خطأهم، ويضعفون من جهة إتقانهم

(١) ابن الصلاح، علوم الحديث (تحقيق د. نور الدين العتر) ص ٣١-٣٢

(٢) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أحد الأعلام الذين حفظوا السنة (ت ١٢٤ هـ).

(٣) ابن رجب الحنبلي، شرح علل الترمذي، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، ج ٢: ٢٠٣

وضبطهم، ولكنهم لا يصلون إلى درجة المغفلين، ولا إلى فاحشي الخطأ، ولا مطعون في دينهم ولا في أمانتهم. وسمي هذا النوع حسنا لغيره؛ لأنه يكتسب الحسن من خارجه بفضل القرائن والشواهد الخارجية، التي تؤيده وتقويه، بأن يأتي هذا الحديث بإسناد آخر لا يقل عن درجة الإسناد الأول، وهذا النوع هو الذي عناه الترمذي عندما قال: «وما قلنا في كتابنا: حديث حسن، وإنما أردنا به حسن إسناده عندنا كل حديث يروى لا يكون في رواته من يتهم بالكذب، ولا يكون الحديث شاذاً، ويروى من غير وجه نحو ذلك، فهو عندنا حديث حسن»<sup>(١)</sup>.

### حكم الحديث الحسن

الحديث الحسن صالح للاحتجاج وتثبت به الأحكام، وهو في هذا كالصحيح، وكثير من الأحاديث الحسان يحتج بها الفقهاء في الحلال والحرام، وسواء أكان الحسن حسناً لذاته أم حسناً لغيره فإنه موجب للعمل به.

### كتب السنن الأربعة من مصادر الحسن:

إذا ذكر الحديث الحسن ذكرت معه كتب السنن الأربعة وهي:

١. جامع الترمذي ويعرف بسنن الترمذي.

٢. سنن أبي داود.

٣. سنن النسائي.

٤. سنن ابن ماجه.

وفيما يلي تعريف موجز بهذه الكتب ومؤلفيها:

### جامع الترمذي:

**مؤلفه:** الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ)، نشأ في ترمذ، وتلقى العلم بها في صباه، فسمع شيوخ بلديه والقادمين إليها، وكان الإمام إسحاق بن راهويه (ت ٧٧ هـ) من أوائل شيوخه، ثم ارتحل إلى خراسان والعراق والحرمين، ولم يرحل إلى

(١) الترمذي، العلل آخر الجامع ١/٥٧٥.



مصر والشام، شارك الإمام البخاري والإمام مسلما في أكثر شيوخهما. وكان قد ضرب به المثل في الحفظ، وكان بصيرا في الحديث ورجاله وعلله، وإلى جانب هذا كان ورعا زاهدا، وكف بصره بعدما كبر<sup>(١)</sup>. كتابه الجامع: سمي كتابه «بالجامع»؛ لأنه لم يقتصر على أبواب الأحكام كالصلاة والزكاة والحج، وإنما تناول موضوعات أخرى منها الفضائل والمناقب والفتن والزهد والأدب والتفسير والسير، وقد بلغت موضوعاته ستة وأربعين موضوعاً، ويعرف كل موضوع باسم كتاب، وقد ختم كتابه بجزء سماه «العلل الصغير» وهو أشبه بالمقدمة التي تبين منهج المؤلف وطريقته ومصطلحاته.

كتاب الجامع للترمذي مصدر من مصادر الحسن، فهو يمتاز بأنه الكتاب المتخصص في الحديث الحسن؛ لأن الترمذي هو أول من أصل للحديث الحسن وجعل كتابه أصلاً له، ولا يوجد حديث في الجامع إلا وينتهي بالحكم عليه نوع من أنواع الحسن.

**مثال:** قال الترمذي: حدثنا محمد بن المثني، حدثنا عبد الوهاب الثقفي، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله - ﷺ: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه والإمام مسلم في صحيحه كذلك، وهو حديث غريب، لم يرد إلا من طريق واحدة، وهي رواية يحيى بن سعيد الأنصاري، وقد وصفه الترمذي بقوله «حسن صحيح، وهذا يعني أن الصحيح يدخل في دائرة الحسن عند الترمذي؛ لأن الحسن عنده معرف بجده الأدنى وأما حده الأعلى فهو مفتوح ليشمل الصحيح.

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٧١/١٣، وتذكرة الحفاظ ٦٣٣/٢-٦٣٥ وميزان الاعتدال ٦٧٨/٣، وشذرات الذهب ١٧٤/٢-١٧٥.

وتحذير التهذيب ٣٨٧/٩-٣٨٩.

(٢) جامع الترمذي ١٧٩/٤-١٨٠.

وأما الحد الأدنى فقد بينه الترمذي بقوله: «كل حديث يروي لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب، ولا يكون شاذاً، ويروى من غير وجه نحو ذلك»<sup>(١)</sup>.

ويُضاف إلى هذا التعريف ما ذكره الترمذي من عدم الاشتغال بالرواية عن المغفل، الذي يخطئ كثيراً، كما جاء في قوله: «فكل من كان متهماً في الحديث بالكذب، أو كان مغفلاً يخطئ الكثير، فالذي اختاره أكثر أهل الحديث من الأئمة أن لا يشتغل بالرواية عنه»<sup>(٢)</sup>.

هذه القيود كلها جعلها الإمام الترمذي حداً فاصلاً بين الحسن بمختلف درجاته وبين الضعيف الواهي المردود، وقد بنى كتابه على هذا الأساس. منزلة كتاب الترمذي:

جامع الترمذي كتاب متفرد في منهجه، مستدرک على من سبقه، محتوٍ على كثير من الأحاديث التي تؤخذ منها رؤوس المسائل الفقهية، ولكن هذا الكتاب لم يسلم من النقد، وخلصته أنه متساهل في التصحيح والتحسين والأخذ عن الضعفاء والمتروكين، ومن الذين وجهوا هذا النقد للإمام الترمذي الإمام شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) أخذاً عليه أنه حكم على بعض الأحاديث بقوله: «وحسن صحيح، أو «حسن» وهي في حقيقتها ضعيفة لضعف روايتها، وضرب مثلاً لذلك أحاديث حكم الترمذي عليها بالحسن وفي أسانيدھا كثير بن عبد الله بن عمرو المزني، وساق الذهبي تحريج العلماء لهذا الراوي<sup>(٣)</sup>، ولكن الإمام الذهبي لم يذكر تعديل الإمام البخاري لهذا الراوي. قال ابن رجب في شرح علل الترمذي: «وقد خرج (الترمذي) حديث كثير بن عبد الله المزني، ولم يجمع على ترك حديثه، بل قد قواه قوم، وقدم بعضهم حديثه على مرسل ابن المسيب»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن رجب أيضاً: «واعلم أن الترمذي - رحمه الله - خرج في كتابه الحديث الصحيح والحسن وهو ما نزل عن درجة الصحيح، وكان

(١) الترمذي، العلل الصغير آخر الجامع ٥/٧٥٨.

(٢) الترمذي، العلل الصغير، آخر الجامع ٥/٧٤٣.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٣/٤٠٧.

(٤) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ١/٣٩٧.

فيه بعض ضعف، والحديث الغريب. والغرائب التي خرجها فيها بعض الكبار، ولا سيما في كتاب الفضائل، ولكنه يبين ذلك غالباً، ولا يسكت عنه، ولا أعلمه خرج عن متهم بالكذب، متفق على اتهامه حديثاً بإسناد منفرد، إلا أنه قد يخرج حديثاً مروياً من طرق أو مختلفاً في إسناده، وفي بعض طرقه متهم»<sup>(١)</sup>.

### السنن لأبي داود السجستاني

مؤلفه: أبو داود سليمان بن الأشعث بن عمرو الأزدي السجستاني (٢٠٥-٢٧٥هـ)، رحل وجمع وصنف، وسمع من علماء مكة والكوفة وحلب وحران وحمص ودمشق وبغداد ومصر، وقد بدأ رحلته وهو دون العشرين من العمر.

كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله وسنده، وإلى جانب ذلك كان على نسك وورع وعفاف وصلاح. قال عنه إبراهيم الحربي: «ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود عليه السلام الحديث»<sup>(٢)</sup>.

### كتاب السنن:

هو أحد الكتب الستة المشهور، وقد خصصه أبو داود لأحاديث الأحكام فتوسع في جمعها وتبويبها، وقد احتوى هذا الكتاب على أربعة آلاف وثماني مئة حديث متصل، يضاف إليها ست مئة حديث مرسل، ومثل هذا العدد الكبير من أحاديث الأحكام لم يسبق أن جمع في كتاب مثل هذا الكتاب. وهذا ما ذكره أبو داود نفسه، عندما قارن بين كتابه وبين الموطأ للإمام مالك وكتابي حماد بن سلمة وابن المبارك.

### منشأ التوسع عند أبي داود:

وقد جاء هذا العدد الكبير من الأحاديث؛ لأن منهج أبي داود يفسح المجال لأحاديث قويت بغيرها، ولو تركت وحدها لما صلح إيرادها في الكتاب. كما ذكر أبو داود في كتابه هذا أحاديث ضعيفة حيث قال: دوما كان

(١) ابن رجب، شرح علل الترمذي، ٣٩٥/١

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٠٤/١٣.

في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته، ومنه ما لا يصح سنده<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أن ما كان فيه وهن غير شديد فإنه يذكره ولا يبين ضعفه. ومذهبه الاحتجاج بالمرسل، ولذلك فقد أكثر من المراسيل.

### كتاب أبي داود من مظان الحديث الحسن

قال أبو داود: وذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح، وبعضها أصح من بعض<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً: «وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبي ﷺ بإسناد صالح إلا وهي فيه»<sup>(٣)</sup>. ومصطلح صالح عند أبي داود يساوي «الحسن» عند الترمذي. والصالح عنده أشمل من الصحيح، لقوله: «وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح»

### التبويب والتفريع عند أبي داود:

يمتاز كتاب أبي داود في ذكر دقائق المسائل والفروع، ففي كتاب الأدب مثلاً، عنده مئة وثمانون باباً، ولا يكاد شيء يخطر على البال إلا وعند أبي داود عنوان له، وعليه أحاديث، فكتاب السنن فيه تفاصيل السنن القولية، والفعلية والتقريبية والصفة النبوية، مما يجعل القارئ، يعيش مع السنة في أدق التفاصيل.

(١) أبو داود، رسالته إلى أهل مكة ص ٢٧.

(٢) رسالة أبي داود لأهل مكة ص ٢٧.

(٣) نفس المصدر الصفحة السابقة.



## المبحث الثالث

### الدعوة: القاعدة التاسعة

#### مجال الدعوة واسع فليتخير الداعية لدعوته

عندما تكون الدعوة في طور التأسيس والتكوين فإن الجهد المبذول قد يقع في مكانه المناسب إذا راعى الداعية مبدأ التخير لدعوته.

فليبدأ بالقرب قبل البعيد، فإنه لا داعي لقطع المسافات من أجل دعوة إنسان ما، لاسيما إذ كان لا على التعيين، في حين أن الأقربين والمجاورين في السكنى أو العمل محتاجون لمثل هذه الدعوة، وهؤلاء الأقربون معروفون عند الداعية، ولا يحتاج إلى جمع المعلومات عنهم، وهم يعرفونه فلا داعي لكثير من المقدمات. وهم يعتبرون عليه إذا أهملهم وذهب إلى الأبعدين.

وهو يعيش بينهم، فهم العين الساهرة في الخير والشر، وهم الشهداء على السراء والضراء، وهو عند الله مسؤول عنهم فقد أخذ النبي ﷺ على قوم أنهم لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم فتوعدهم بالعقوبة، وأمهلهم سنة للقيام بهذا التكليف<sup>(١)</sup>. وعندما بدأ رسول الله ﷺ بالدعوة أمره الله

تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين، فقال (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء: ٣١٤). قال الرازي: ثم أمره بدعوة الأقرب فالأقرب، ذلك لأنه إذا تشدد

على نفسه أو لا ثم على الأقرب فالأقرب ثانيا، لم يكن لأحد فيه مطعن البتة، وكان قوله أنفع وكلامه أنجع<sup>(٢)</sup>. أخرج البخاري في صحيحه

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون

قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً

(١) مجمع الزوائد ١/١٦٤.

(٢) تفسير الرازي الآية: ٢٤/١٧٢.

بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى للبخاري، عن أبي هريرة، قال ﷺ: «يا معشر قريش، أو كلمة نحوه - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمه رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا»<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن حجر: «والسر في الأمر بإنذار الأقربين أن الحجة إذا قامت عليهم تعدتهم إلى غيرهم، وإلا كانوا علة للأبعدين في الامتناع»<sup>(٣)</sup>. وليبدأ بالصغير قبل الكبير: وذلك لأن الصغير لم يصلب عوده على فكر معين أو سلوك معين، والتعامل معه أسهل من التعامل مع الكبير الذي اختار طريقه، وكثرت ارتباطاته ومسؤولياته، وحقق مركزا اجتماعيا أو مكاسب دنيوية يخشى عليها. ثم إن الصغير الذي يقبل على الدعوة يدخل مباشرة في الصياغة والتكوين، ولا يبذل الداعية معه وقتا طويلا في تحليته من الشوائب والعادات الجاهلية، وإنما ينصرف إلى تحليته وتعبئته بالفضائل والعادات الإسلامية، والصغار هم الذرية الذين من طبيعتهم أن يكونوا أتباع الرسل والدعوات. ففي قصة موسى عليه السلام يقول الله تعالى: (فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَقْتُلَهُمْ) (يونس: ٨٣). ولا أعني بقولي هذا إهمال الكبار، وإنما أعني أن إقبال الصغار والناشئة على الدعوة أسرع، وإن صغير اليوم هو رجل الغد، والناشئة هم مستقبل الأمة.

وليبدأ بالمتواضع قبل المتكبر، لأن التواضع يدل على إمكان قبول الحق، في حين أن التكبر يدل على سفه الحق وغمط الناس. ومن هنا وجدنا أتباع الرسل هم من فئة الشاكر المتواضع أو الفقير الصابر الضعيف، والجهد

(١) أخرجه البخاري (فتح الباري) ٥٠١/٨، ومسلم في صحيحه ١٩٣/١.

(٢) أخرجه البخاري (فتح الباري) ٥٠١/٨، ومسلم ١٩٢/١.

(٣) فتح الباري ٥٠٣/٨.

مع هذا الصنف من الناس يؤدي ثماره في الغالب، ولا يعني هذا حرمان الأصناف الأخرى من الدعوة.

إن كسب المواقع الجديدة القريبة السهلة الممكنة يساعد على كسب المواقع البعيدة الصعبة، لأن الانتشار الواسع يعطي الدعوة دماء جديدة وحيوية وطاقة تصرف في الوصول إلى المواقع الأبعد، ثم إن الفكرة عندما تشيع ويكثر أنصارها فإن كثيرين يراجعون موقفهم منها على ضوء ذلك. وليبدأ بالمتقف قبل الأمي، وذلك للدور الذي يقوم به المثقف في المجتمع، إلى جانب أن المثقف أقدر من غيره على محاكمة الآراء واختيار الأفكار. ومن يختار الفكرة عن وعي فإنه في الغالب يلتزم بها، ثم إن المثقفين هم موضع الاختلاف بين أصحاب المذاهب، والمادة المتنازع عليها بينهم.

وليبدأ بغير المنتمي قبل المنتمي، لأن غير المنتمي يقع في مركز وسط بين المذاهب والتجمعات، وأما المنتمي فقد انتقل من المركز إلى الطرف الآخر. والجهد المطلوب لنقله إلى مركز التأثير أضعاف الجهد المطلوب لغير المنتمي؛ علماً بأن المنتمي إذا غير انتماءه عن قناعة وفكر فإنه سيتحول إلى الدعوة مع خبرة واسعة واستعدادات كبيرة، ولكن هذا قليل.

وليبدأ بزميله في العمل أو المهنة قبل غيره؛ لأن أفراد كل مهنة بينهم تعاون تلقائي، ومجالات الحديث بينهم مهياة، ونقاط الاشتراك كثيرة. فالطبيب الأطباء أقدر منه بين المهندسين، والمحامي بين المحامين أقوى منه بين المعلمين. ولما كان الداعية يمتاز بنظافة السلوك، وهذا متوقع - وبالبعد عن روح التنافس الدنيوي فإنه مؤهل للاتصال بزملائه والتأثير فيهم.

والمفروض أن يراعى التخير وفقاً للمرحلة التي تمر فيها الدعوة، فقد تكون المرحلة مرحلة تجميع وسعة انتشار، وقد تكون المرحلة مرحلة عمل محدد، تربوي أو اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي. وفي كل مرحلة تراعى مقتضياتها، ويكون التخير وفق هذه المقتضيات، وقد نفهم قول النبي ﷺ: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن

الخطاب»<sup>(١)</sup>. على ضوء المرحلة التي كانت تمر فيها الدعوة في مكة فقد انتشرت الدعوة بين الضعفاء والفقراء ووصلت إلى مرحلة تريد أن تعلن فيها عن نفسها، وشخصية كشخصية عمر تناسب المرحلة الجديدة، وهذا ما حدث يوم أن دخل عمر رضي الله عنه في دين الله، فقد دخلت الدعوة طورًا جديدًا هو طور العلن بعد السر.

وعندما ذهب مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة جاءه أُسيد بن حضير وكان مشركًا فقال لمصعب ولأُسعد بن زرارة ما جاء بكما إلينا: تسفهان ضعفاءنا؟ وكان أُسعد قد قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، فدعاه مصعب إلى الله تعالى، وقرأ عليه القرآن، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن: سعد بن معاذ. ولما أقبل سعد عليهما، قال أُسعد بن زرارة: أي مصعب، جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. ولما عرض عليه مصعب الإسلام أسلم، ثم انطلق إلى قومه بني عبد الأشهل فقال: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا، وأوصلنا، وأفضلنا رأيا، وأيمنا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله، قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة<sup>(٢)</sup>.

ونستفيد من هذه الحادثة أمرًا مهمًا، وهو أن توجيه الدعوة إلى بعض مراكز القوة في المجتمع يسهم في الإسراع في عملية التغيير، وقد يغير كثيرا في المعادلة لصالح الدعوة. ونستفيد منها أيضا مراعاة المرحلة في الدعوة.

(١) أخرج الترمذي ٦١٧/٥

(٢) سيرة ابن هشام ٤٣٥/١-٤٣٧ بتصرف.



## الفصل الرابع

- المبحث الأول / مراجعة سورة محمد حفظًا وتفسيرًا
- المبحث الثاني / ملخص كتيب د. محمد عمارة  
(إحياء الخلافة الإسلامية)
- المبحث الثالث / التاريخ: قيام دولة الخلافة  
العثمانية.



## المبحث الأول

القرآن: مراجعة سورة محمد حفظًا وتفسيرًا





## المبحث الثاني

ملخص كتيب د. محمد عمارة (إحياء الخلافة الإسلامية)

يمكن الرجوع إلى الكتاب



الكتاب



الدرس



مقدمة

## المبحث الثالث

### التاريخ: قيام دولة الخلافة العثمانية

ينتسب العثمانيون إلى قبيلة تركمانية كانت عند بداية القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي تعيش في كردستان، وتزاول حرفة الرعي، ونتيجة للغزو المغولي بقيادة جنكيز خان على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى، فإن سليمان جد عثمان هاجر في عام ٦١٧هـ الموافق ١٢٢٠م مع قبيلته من كردستان إلى بلاد الأناضول فاستقر في مدينة أخلاط.

ثم بعد وفاته في عام ٦٢٨هـ الموافق ١٢٣٠م خلفه ابنه الأوسط أرطغرل، والذي واصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناضول، وكان معه حوالي مئة أسرة وأكثر من أربعمئة فارس وحين كان أرطغرل والد عثمان فاراً بعشيرته التي لم يتجاوز تعدادها أربعمئة عائلة، من ويالات الهجمة المغولية، فاذا به يسمع عن بعد جلبة وضوضاء، فلما دنا منها وجد قتالاً حامياً بين مسلمين ونصارى وكانت كفة الغلبة للجيش البيزنطي، فما كان من أرطغرل إلا أن تقدم بكل حماس وثبات لنجدة إخوانه في الدين والعقيدة، فكان ذلك التقدم سبباً في نصر المسلمين على النصارى، وبعد انتهاء المعركة قدر قائد الجيش الاسلامي السلجوقي هذا الموقف لأرطغرل ومجموعته، فأقطعهم أرضاً في الحدود الغربية للأناضول بجوار الثغور في الروم، وأتاحوا لهم بذلك فرصة توسيعها على حساب الروم، وحقق السلاجقة بذلك حليفاً قوياً ومشاركاً في الجهاد ضد الروم.

وقد قامت بين هذه الدولة الناشئة وبين السلاجقة علاقة حميمة نتيجة وجود عدو مشترك لهم في العقيدة والدين، وقد استمرت هذه العلاقة طيلة حياة أرطغرل، حتى إذا توفي سنة ٦٩٩هـ-١٢٩٩م خلفه من بعده

في الحكم ابنه عثمان الذي سار على سياسة أبيه السابقة في التوسع في أراضي الروم. استكمل من الكتاب

يمكن الرجوع إلى كتاب  
الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط  
للدكتور: علي محمد الصلابي



الكتاب











## الفصل الأول

- المبحث الأول: تفسير سورة محمد (من ١٦-٢٤)
- المبحث الثاني: الحديث / الإخلاص في طلب العلم وتعليمه
- المبحث الثالث: العقيدة: متى يصير الكافر مؤمناً؟







## المبحث الأول

### القرآن: سورة محمد ١٦-٢٤

قال تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ﴾ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۗ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوبَكُمْ ۗ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾

[مُحَمَّدٌ : ١٦ - ٢٤]

هناك أناس يعبدون الله لأنهم يشكرونه على نعمه التي لا يحصونها، أو أنهم يحبونه ويتقربون إليه بالطاعات تقرب الحبيب للحبيب، أو أنهم يستحيون أن يراهم الله على حال لا يحبها، ولا ينظرون وراء ذلك إلى جنة أو إلى نار، ولا إلى نعيم أو عذاب على الإطلاق، وهؤلاء يصلح لهم تربية ويصلح لهم جزاء أن يقول الله لهم: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أو أن يعلموا أنهم سيكونون (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَقْطَرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ عُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» رواه مسلم

وتقول رابعة العدوية: «أو لو لم تكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد، ولم يخشاه أحد؟»، وتجيّب سفيان الثوري وقد سألها: ما حقيقة إيمانك؟ «ما عبدته خوفا من ناره، ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء، عبدته شوقا إليه».

وبين هذا اللون وذلك ألوان من النفوس والمشاعر والطباع، وكلها تجد - فيما جعله الله من نعيم وعذاب، ومن ألوان الجزاء - ما يصلح للتربية في الأرض، وما يناسب للجزاء عند الله.

والملاحظ عموما أن صور النعيم والعذاب ترق وتشف كلما ترقى السامعون في مراقبي التربية والتهذيب على مدى نزول القرآن، وحسب أنواع المخاطبين، والحالات المتنوعة التي كانت تخاطب بالآيات، وهي حالات ونماذج تتكرر في البشرية في جميع الأعصار.

وهنا نوعان من الجزاء: هذه الأنهار مع كل الثمرات مع المغفرة من الله، والنوع الآخر: (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) وهي صورة حسية عنيفة من العذاب، تناسب جو سورة القتال، وتناسب مع غلظ طبيعة القوم وهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، فالجو جو متاع غليظ وأكل غليظ، والجزاء ماء حميم ساخن وتقطيع للأمعاء، التي كانت تُحش وتلتهم الأكل كالأنعام! ولن يكون هؤلاء كهؤلاء في الجزاء، كما أنهم في الحال والمنهج ليسوا سواء.

بهذا يختم الجولة الأولى التي بدأت بالهجوم عند افتتاح السورة، واستمرت في معركة متصلة، عنيفة، حتى الختام.

## الوحدة الثانية: ١٦ - ٣١ الموضوع: تحذير المؤمنين من مكائد المنافقين والكافرين مقدمة الوحدة

هذه الجولة مع المنافقين، وموقفهم إزاء شخص رسول الله ﷺ وإزاء القرآن. ثم موقفهم من الجهاد الذي فرضه الله على المسلمين لإعلاء كلمة الله. وأخيرا موقفهم من اليهود وتآمرهم معهم سرا للإيقاع بالإسلام والمسلمين.

وحركة النفاق حركة مدنية، لم يكن لها وجود في مكة، لأنه لم يكن هناك ما يدعو إليها، فالمسلمون في مكة كانوا في موقف المضطهد، الذي لا يحتاج أحد أن ينافقه! فلما أعز الله الإسلام والمسلمين بالأوس والخزرج في المدينة، وانتشاره في العشائر والبيوت بحيث لم يبق بيت إلا دخله الإسلام، اضطرت ناس ممن كرهوا محمد ﷺ وللإسلام أن يعز ويستعلي، ولم يملكوا في الوقت ذاته أن يجهروا بالعداوة، اضطروا إلى التظاهر بالإسلام على كره، وهم يضمرون الحقد والبغضاء، ويتربصون بالرسول وأصحابه الدوائر. وكان وجود اليهود في المدينة وتمتعهم فيها بقوة عسكرية وقوة اقتصادية وقوة تنظيمية في أول العهد المدني. وكرهيتهم كذلك لظهور محمد ﷺ ودينه وأتباعه، كان وجود اليهود على هذا الوضع مشجعا للمنافقين، وسرعان ما جمعتهم البغضاء والحقد فأخذوا في حيك المؤامرات ودس الدسائس في كل مناسبة تعرض، كانوا في رخاء ظلت الدسائس سرية والمكايد في الظلام! وكانوا إلى منتصف العهد المدني يؤلفون خطرا حقيقيا على الإسلام والمسلمين.

وقد تواتر ذكر المنافقين، ووصف دسائسهم، والتنديد بمؤامراتهم وأخلاقهم في السور المدنية، كما تكرر ذكر اتصالحهم باليهود، وتلقيهم عنهم، واشتراكهم معهم في بعض المؤامرات المحبوكة. وهذا أحد المواضع التي وردت فيها الإشارة إلى المنافقين، والإشارة كذلك إلى اليهود.

## الدرس الأول: ١٦ - ١٩ من أساليب المنافقين في الكيد للمؤمنين وتهديدهم وتوجيهه المؤمنين

ومنهم من يستمع إليك، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم: ماذا قال آنفا؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم، واتبعوا أهوائهم. ولفظة (ومنهم) تحتل أن تكون إشارة للذين كفروا الذين كان يدور الحديث عنهم في الجولة السابقة في السورة: باعتبار أن المنافقين في الحقيقة فرقة من الكفار مستورة الظاهر، والله يتحدث عنها بحقيقتها في هذه الآية. كما تحتل أن تكون إشارة للمسلمين باعتبار أن المنافقين مندمجون فيهم، متظاهرون بالإسلام معهم، وقد كانوا يُعاملون معاملة المسلمين بحسب ظاهرهم، كما هو منهج الإسلام في معاملة الناس. ولكنهم في كلتا الحالتين هم المنافقون كما تدل عليه صفتهم في الآية وفعالهم، وكما يدل السياق في هذه الجولة من السورة، والحديث فيها عن المنافقين.

وسؤالهم ذاك بعد استماعهم للرسول ﷺ والاستماع معناه السماع باهتمام - يدل على أنهم كانوا يتظاهرون تظاهرا بأنهم يلقون سمعهم وبأهم للرسول ﷺ وقلوبهم لاهية غافلة. أو مطموسة مغلقة. كما أنه قد يدل من جانب آخر على الغمز الخفي اللئيم إذ يريدون أن يقولوا بسؤالهم هذا لأهل العلم: إن ما يقوله محمد لا يفهم، أو لا يعني شيئا يفهم. فها هم أولاء مع استماعهم له، لا يجدون له فحوى ولا يمسكون منه بشيء! كذلك قد يعنون بهذا السؤال السخرية من احتفال أهل العلم بكل ما يقوله محمد ﷺ وحرصهم على استيعاب معانيه وحفظ ألفاظه - كما كان حال الصحابة رضوان الله عليهم مع كل كلمة يتلفظ بها الرسول الكريم - فهم يسألونهم أن يعيدوا ألفاظه التي سمعوها على سبيل السخرية الظاهرة أو الخفية، وكلها احتمالات تدل على اللؤم والخبث والانطماس والهوى الدفين، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم. ذلك حال المنافقين، فأما حال المهتدين فهو على النقيض:

(والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وترتيب الوقائع في الآية يستوقف النظر، فالذين اهتدوا بدأوا هم بالاهتداء، فكافأهم الله بزيادة الهدى، وكافأهم بما هو أعمق وأكمل (وآتاهم تقواهم) والتقوى حال في القلب تجعله أبداً واجفاً من هيبة الله، شاعراً برقابته، خائفاً من غضبه، متطلعا إلى رضاه، متحرجا من أن يراه الله على هيئة أو في حالة لا يرضاها، هذه الحساسية المرهفة هي التقوى، وهي مكافأة يؤتيها الله مَنْ يشاء من عباده، حين يهتدون هم، ويرغبون في الوصول إلى رضى الله.

والهدى والتقوى والحساسية حالٌ ثَقَابِلُ حالِ النفاق والانطِماس والغفلة في الآية السابقة.

وَمِنْ ثَمَّ يعود بعد هذه اللفتة إلى الحديث عن أولئك المنافقين المطموسين الغافلين، الذين يخرجون من مجلس رسول الله ﷺ ولم يَعُوا مما قال شيئا ينفعهم ويهديهم. ويستجيش قلوبهم للتقوى، ويذكّرهم بما ينتظر الناس من حساب وجزاء:

(فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة؟ فقد جاء أشراتها. فأنى لهم - إذا جاءتهم - ذكراهم؟)

وهي جذبة قوية تُخرج الغافلين من الغفلة بعنف، كما لو أخذت بتلايب مخمور وهزته هزا!

ماذا ينتظر هؤلاء الغافلون الذين يدخلون مجالس رسول الله ﷺ ويخرجون منها غير واعين ولا حافظين ولا متذكرين؟ ماذا ينتظرون؟ (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة؟) فتفجأهم وهم غافلون.

هل ينظرون إلا الساعة؟ (فقد جاء أشراتها) ووُجِدَتْ علاماتها. والرسالة الأخيرة أضخم هذه العلامات، فهي إيذان بأنها النذارة الأخيرة قرب الأجل المضروب، وقد قال رسول الله ﷺ: « بُعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بأصبعيه: السبابة والتي تليها، وإذا كان الزمن يلوح ممتدا منذ هذه الرسالة الأخيرة، فإن أيام الله غير أيامنا، ولكنها في حساب الله قد جاءت الأشرار

الأولى، وما عاد لعاقل أن يغفل حتى تأخذه الساعة بغتة حيث لا يملك صحوا ولا ذكرا: (فأني لهم - إذا جاءتهم - ذكراهم؟) إنها الهزة القوية العنيفة التي تُخرج الغافلين من غفلتهم، والتي تتفق كذلك مع طابع السورة العنيف.

ثم يتجه الخطاب إلى الرسول ﷺ ومن معه من المهتدين المتقين المتطلعين، ليأخذوا طريقا آخر، طريق العلم والمعرفة والذكر والاستغفار، والشعور برقابة الله وعلمه الشامل المحيط، ويعيشوا بهذه الحساسية يرتقبون الساعة وهم حذرون متأهبون: (فاعلم أنه لا إله إلا الله، واستغفر لذنبك، وللمؤمنين والمؤمنات، والله يعلم متقلبكم ومثواكم)

وهو التوجيه إلى تذكر الحقيقة الأولى التي يقوم عليها أمر النبي ﷺ ومن معه: (فاعلم أنه لا إله إلا الله)

وعلى أساس العلم بهذه الحقيقة واستحضارها في الضمير تبدأ التوجيهات الأخرى: واستغفر لذنبك.

وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكن هذا واجب العبد المؤمن الشاعر الحساس الذي يشعر أبدا بتقصيره مهما جهد، ويشعر - وقد غفر له - أن الاستغفار ذكر وشكر على الغفران، ثم هو التلقين المستمر لمن خلف رسول الله ﷺ ممن يعرفون منزلته عند ربه، ويرونه يوجه إلى الذكر والاستغفار لنفسه، ثم للمؤمنين والمؤمنات، وهو المستجاب الدعوة عند ربه. فيشعرون بنعمة الله عليهم بهذا الرسول الكريم، وبفضل الله عليهم وهو يوجهه لأن يستغفر لهم، ليغفر لهم! واللمسة الأخيرة في هذا التوجيه: (والله يعلم متقلبكم ومثواكم)

حيث يشعر القلب المؤمن بالطمأنينة وبالخوف جميعا. الطمأنينة وهو في رعاية الله حيثما تقلّب أو ثوى. والخوف من هذا الموقف الذي يحيط به علم الله ويتعقبه في كل حالاته، ويطلع على سيره ونجواه.

إنها التربية، التربية باليقظة الدائمة والحساسية المرهفة، والتطلع، والحذر، والانتظار.

### الدرس الثاني: ٢٠ - ٢٤ جن المنافقين وإفسادهم وتهديد الله لهم.

ينتقل السياق إلى تصوير موقف المنافقين من الجهاد، وما يعتمل في نفوسهم من جبن وخور وذعر وهلع عند مواجهة هذا التكليف، ويكشف دخيلتهم في هذا الأمر، كما يكشف لهم ما ينتظرهم لو ظلوا على هذا النفاق، ولم يخلصوا ويستجيبوا ويصدقوا الله عندما يعزم الأمر ويتحتم الجهاد: (ويقول الذين آمنوا: لولا نزلت سورة. فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت، فأولى لهم طاعة وقول معروف، فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم. فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم! أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟)

وتطَّلَع الذين آمنوا إلى تنزيل سورة: إما أن يكون مُجَرَّد تعبير عن شوقهم إلى سورة جديدة من هذا القرآن الذي يحبونه، ويجدون في كل سورة منه زادا جديدا حبيبا. وإما أن يكون تَطَّلُعًا إلى سورة تُبَيِّن أمرا من أمور الجهاد، وتُقَصِّل في قضية من قضايا القتال تشغل بالهم. فيقولون: (لولا تَرُتِل سورة!)

(فإذا أنزلت سورة محكمة) فاصلة بينة لا تحتمل تأويلا - (وذكر فيها القتال) أي الأمر به، أو بيان حكم المتخلفين عنه، أو أي شأن من شؤونه، إذا بأولئك (الذين في قلوبهم مرض) وهو وصف من أوصاف المنافقين. يفقدون تماسكهم، ويسقط عنهم ستار الرياء الذي يتسترون به، وينكشف جزعهم وضعف نفوسهم من مواجهة هذا التكليف، ويبدون في حالة تزري بالرجال، يصورها التعبير القرآني المبدع صورة فريدة كأنها معروضة للأنظار: (رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت)

وهو تعبير لا تمكن محاكاته، ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى. وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع. والضعف إلى حد الرعشة، والتخاذل إلى حد

الغشية! ويبقى بعد ذلك متفردا حافلا بالظلال والحركة التي تشغف الخيال! وهي صورة خالدة لكل نفس خوارة لا تعتصم بإيمان، ولا بفطرة صادقة، ولا بحياء تتجمل به أمام الخطر، وهي هي طبيعة المرض والنفاق! وبينما هم في هذا التخاذل والتهافت والانهيار تمتد إليهم يد الإيمان بالزاد الذي يقوي العزائم ويشد القوائم لو تناولوه في إخلاص:

(فأولى لهم طاعة وقول معروف. فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم)

نعم.. أولى لهم من هذه الفضيحة، ومن هذا الخور، ومن هذا الهلع، ومن هذا النفاق. أولى لهم (طاعة وقول معروف) طاعة تستسلم لأمر الله عن طمأنينة، وتنهض بأمره عن ثقة، وقول معروف يشي بنظافة الحس واستقامة القلب، وطهارة الضمير، وأولى لهم إذا عزم الأمر، وجد الجدد، وواجهوا الجهاد أن يصدقوا الله، يصدقوه عزيمة، ويصدقوه شعورا، فيربط على قلوبهم، ويشد من عزائمهم، ويثبت أقدامهم، ويسير المشقة عليهم، ويهون الخطر الذي يتمثلونه غولا تُفغر فاهها لتلتهمهم! ويكتب لهم إحدى الحسينين: النجاة والنصر، أو الاستشهاد والجنة. هذا هو الأولى، وهذا هو الزاد الذي يقدمه الإيمان فيقوي العزائم ويشد القوائم، ويذهب بالفرع، ويحل محله الثبات والاطمئنان.

### من الآية ٢٢ إلى الآية ٢٥

وبينما هو يتحدث عنهم يلتفت إليهم مباشرة ليخاطبهم مقرعا مهددا بسوء العاقبة لو قادهم حالهم هذا إلى النكسة والتولي إلى الكفر، وخلع ذلك الستار الرقيق من الإسلام:

(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟) وهذا التعبير، (هل عسيتم؟) يفيد ما هو متوقع من حال المخاطبين، ويلوح لهم بالنذير والتحذير، احذروا فإنكم منتهون إلى أن تعودوا إلى الجاهلية التي كنتم فيها، تفسدون في الأرض وتقطعون الأرحام، كما كان شأنكم قبل الإسلام.

وبعد هذه اللفتة المفزعة المنذرة لهم يعود إلى الحديث عنهم لو انتهوا إلى هذا الذي حذرهم إياه: (أولئك الذين لعنهم الله، فأصمهم وأعمى أبصارهم. أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟) أولئك الذين يظنون في مرضهم ونفاقهم حتى يتولوا عن هذا الأمر الذي دخلوا فيه بظاهرهم ولم يصدقوا الله فيه، ولم يستيقنوه (أولئك الذين لعنهم الله) وطردهم وحجبهم عن الهدى، (فأصمهم وأعمى أبصارهم) وهم لم يفقدوا السمع، ولم يفقدوا البصر، ولكنهم عطلوا السمع وعطلوا البصر، أو عطلوا قوة الإدراك وراء السمع والبصر، فلم يعد لهذه الحواس وظيفة لأنها لم تعد تؤدي هذه الوظيفة.

ويتساءل في استنكار: (أفلا يتدبرون القرآن) وتدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير، (أم على قلوب أقفالها؟) فهي تحول بينها وبين القرآن وبينها وبين النور؟ فإن استغلاق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمع بالهواء والنور!





## المبحث الثاني

### الحديث: الإخلاص في طلب العلم وتعليمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». رواه مسلم (١٩٠٥)

### معاني الغريب:

يُقْضَىٰ عَلَيْهِ أَي: يُحَاسَبُ وَيُسْأَلُ عَنْ أَعْمَالِهِ.

جَرِيءٌ: فَاعِلٌ مِنَ الْجُرْأَةِ، وَهِيَ الْإِقْدَامُ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ.

التعريف بالصحابي راوي الحديث

أبو هريرة الدوسي عبد الرحمن بن صخر، الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، أبو هريرة الدوسي، اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، اختلف في اسمه على أقوال جمّة، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر، ويقال: كان في الجاهلية اسمه عبد شمس، أبو الأسود، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وكناه أبا هريرة، والمشهور عنه: أنه كنى بأولاد هرة برية. قال: وجدتها، فأخذتها

في كمي، فكنت بذلك، كان مقدمه وإسلامه في أول سنة سبع، عام خيبر. وصحب النبي ﷺ أربع سنين، وحمل عنه علما كثيرا، طيبا، مباركا فيه، لم يلحق في كثرته، حدث عنه خلى كثير من الصحابة والتابعين، قال البخاري: روى عنه ثمان مئة أو أكثر، وكان حفظه الخارق من معجزات النبوة، وذلك حين شكى إلى النبي ﷺ نسيان حديثه فقال له: ابسط رداءك فبسطه، فغرف بيديه ثم قال: «ضمه» فضمته، فما نسيت شيئا بعده<sup>(١)</sup>» وكان يقول: ما أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا مني عنه، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب، وكنت لا أكتب<sup>(٢)</sup>» توفي سنة سبع وخمسين للهجرة<sup>(٣)</sup>

### المعنى الإجمالي للحديث:

لا تقبل الأعمال إلا بالإخلاص

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث مصائر ثلاثة أصناف من الناس، وأنهم أول من يحاسب ويسأل يوم القيامة، ولما كانت أعمالهم رياء وسمعة ولم يبتغوا بها وجه الله كان مصيرهم إلى النار.

### مصير المقاتلين رياءً

أما الصنف الأول: فهم الذين قاتلوا مع المسلمين أعداء الله، وأبلوا بلاء حسنا في ذلك، حتى قتلوا، وكان ظاهر أمرهم أنهم شهداء في سبيل الله، واحتفل الناس مهم على ذلك، ووجدوا من التكريم والتبجيل والذكر الحسن ما خلدتهم في ذاكرة الشعوب، ولكن أمرهم يعلمه الله تعالى الخبير العليم على حقيقته.

وقد بين النبي ﷺ هذه الحقيقة عندما ذكر لنا هذا الحوار الدائر بين رب العزة سبحانه، وهذا الشهيد المجاهد فيما كان يبدو للناس. فقد بدأ هذا السؤال عن نعم الله الكثيرة عليه، حتى اعترف بها وأقرها، وذلك من باب وزن عمله الذي هو شهادة مع النعم، إذ إن النعم متفوقة على هذه

(١) أخرجه البخاري ١١٩.

(٢) أخرجه البخاري ١١٣.

(٣) انظر «سير أعلام النبلاء» ٥٧٨ / ٢.

الشهادة لكثرتها ووجوه الأفضال بها، هذا إذا كانت الشهادة خالصة لله تعالى، ولكن المفاجأة أن يقال له: قاتلت ليقال شجاع، وقد قيل. فيتبين على رؤوس الأشهاد أنه كان كاذبا في مدعاه، فيؤمر به إلى النار. وهذا إن دل فإنما يدل على أن الرياء كبيرة من الكبائر يستحق صاحبه النار.

### مصير العلماء المرئيين

أما الصف الثاني: فهم العلماء المعلمون القراء، وكان الحوار بين رب العزة وهذا الصف من الناس أن عَدَّدَ نَعْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفَصَّلَ فِيهَا وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ عِلْمَهُمْ وَتَعْلِيمَهُمْ مَعَ هَذِهِ النِّعْمِ لَا يَصِلُ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ، وهذا إذا كان وزن علمهم وتعليمهم خالصا، فكيف إذا كانوا لا يبتغون وجه الله فيهما، بل قد تحول من باب الفضائل والقربات إلى باب المعاصي والآثام، فيقال لهم: ماذا فعلتم بطلب العلم وتعليمه وقراءة القرآن وإقراءه؟ فيقولون فعلنا ذلك من أجلك وابتغاء مرضاتك.

أما الصف الثالث: فهم الذين يتصدقون وينفقون المال بسخاء في وجوه البر والإحسان، حتى جعل الناس لهم ذكرا حسنا، وسجلت أسماءهم في مشاريع الخير، وتداول الناس أسماءهم، وخلدت هذه الأسماء في تاريخ الجود والكرم والبذل والعطاء، وهؤلاء جاء الله بهم يوم القيامة، وحوارهم فيما فعلوا، وبدأ بذكر النعم الجزيلة التي أنعم بها عليهم، وقررهم بهذه النعم التي اعترفوا بها، وهذه النعم هي أعظم في الجزاء والوزن من نعمة ما أنفقوا وتصدقوا، هذا كله إذا كان الإنفاق سالما من آفة الرياء والسمعة وابتغاء وجوه الناس، فكيف إذا كان الإنفاق فيه جميع هذه الآفات، فلما سألهم فيم أنفقتم وتصدقتم؟ قالوا: من أجلك وابتغاء مرضاتك، فقال: كذبتهم، إنما أنفقتم ليقال جواد ومحسن وكريم، إنما ابتغيتم السمعة والشهرة، فيقال: خذوهم إلى النار.

### منزلة الأعمال الثلاثة في الحياة

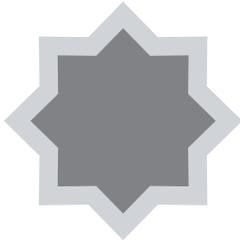
وقد يسأل سائل: ما الذي جعل هذه الأصناف من الناس ولها مثل هذه الأعمال ينتهون إلى هذه النهاية؟ يتبدل الذكر فضيحة، والعمل الظاهر في

خيرها كبيرة من الكبائر، وهذا باعتبار أن هذه الأمور الثلاثة، والتي هي الجهاد والعلم والإنفاق هي من الأسس التي تقوم عليها الحياة الصالحة، فبالجهاد يحافظ على وجود الأمة ومكانتها، يمكن لها بين الأمم، وبالعلم نقيم الحياة على أحكام الشريعة، ونوجه جميع شؤونها وجهة صالحة نافعة، ولا يقوم الصنفان السابقان، ولا غيرهما إلا بالإنفاق، فالمال هو عصب الحياة كما قيل. ولما كانت هذه الأصناف المذكورة في الحديث قد أخلت بالأساس الذي تقوم عليه هذه الأمور، فأفسدت المقاصد والنيات والأهداف التي يقوم عليها العمل عند كل صنف، كان الجزاء مكافئاً، فبدأ بهم أولاً قبل غيرهم، فقال: أول من يقضى عليهم يوم القيامة، وكانت النار مصيرهم ثانياً.

ونخلص إلى أن النية ركن القبول للأعمال أو ردها، فإذا كانت لله تعالى خالصة لوجهه الكريم قبلت، وإلا فالنار أولى بها.

### أهم ما يرشد إليه الحديث:

- ١ - أن ابتغاء وجه الله في الأعمال أساس في قبولها.
- ٢ - أن الرياء وطلب السمعة في الأعمال يبطئها.
- ٣ - أن الأعمال مهما كانت عظيمة فلا يغتر المسلم بها.
- ٤ - يوجه هذا الحديث الدعاة إلى تحقيق الإخلاص في جميع أعمالهم الدعوية، وأن يوجهوا الناس إلى تحقيق الإخلاص في أعمالهم.





## المبحث الثالث

### العقيدة: متى يصير الكافر مؤمناً؟ (٢)

#### كيفية الدخول في دين الله عز وجل

يظهر لك مما تقدم أن أركان الإيمان لها إجمال وتفصيل، وإن لكل ركن منها إجمالاً وتفصيلاً فمن عرف تفصيل تلك الأركان، وصدق بها، وعمل بما تقتضيه من الأعمال، كان ممن قال عنهم الله عز وجل (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) الأنفال - الآية ٤؛ ولكن شاءت حكمة الله، تبارك وتعالى، تيسيراً على عباده، وتفضلاً عليهم، أن يجعل الباب الذي يُلجُّه العباد إلى الأمان دون ذلك التفصيل، فاكتفى منهم بالإجمال الذي يندرج تحته التفصيل: فقبل منهم في مبدأ الأمر أن يقروا بألسنتهم وقلوبهم بأن الله سبحانه هو ربهم ومعبودهم بحق، دون سواه، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله وأن جميع ما جاء به من عند ربه حق وصدق، وواجب العمل به وجعل لذلك عنواناً، هو الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)

فمن قال هذه الكلمة بلسانه، وصدق بها بجنانه، ولم يقرنها بما ينقضها من القول أو العمل أو الاعتقاد، دخل في دين الله، وفارق الكفر الذي كان عليه (١)

#### أدلة الأصل المتقدم:

والذي يدل على أن المطلوب هو الإقرار الإجمالي بأمر الإيمان، وهو الإقرار بالشهادتين، وليس الإقرار التفصيلي بكل خصلة من خصال الإيمان

(١) - وقد يقول قائل: ولكن أركان الإيمان كما جاءت في الحديث الصحيح أكثر من الإيمان بالله. والإيمان برسوله، فكيف يكتفى بالشهادتين لدخول الإيمان؟ الجواب على ذلك أن الإيمان نوعان: إيمان مجمل، وإيمان مفصل، فالأول هو الإيمان بالله وبكل ما جاء به رسول الله ﷺ من غير تعرض لتفصيل ما جاء به فعندما يشهد العبد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يكون قد صدق بكل ما جاء به الرسول ﷺ وما أخبر به من أركان الإيمان وأركان الإسلام وإن لم يعرفها بالتفصيل فإن مقتضى ما صدر منه من الشهادتين أنه إذا بلغه شيء مما جاء به الرسول ﷺ آمن به وصدق، لكن الذي بلغه التفصيل بالفعل، فآمن به وعمل به، يكون أقوى إيماناً وأعظم فضلاً عند الله تعالى.

وأما من آمن إيماناً مجملاً، ثم بلغه شيء مما جاء به الرسول ﷺ فلم يؤمن به إن كان ناقضاً لما صدر منه من الشهادتين، وكان مرتدّاً بذلك كما سيأتي - انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية - من كتاب مجموعة التوحيد: ص ٥١٠، وأصول السرخسي ج ١ ص ٢٥٣

والإسلام، هو بجملة أحاديث صحيحة، رتبت حصول الإيمان والإسلام، واستحقاق دخول الجنة وعدم الخلود في النار، على التصديق بألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكذلك حوادث السيرة التي دلت على أن الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحكمون بدخول الشخص في الإسلام إذا نطق بالشهادتين لا يطالبونه في أول الأمر أن يقرنهما بغيرهما وفيما يلي نذكر لك بعض الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك الاصل، ثم نتبعها بذكر بعض وقائع السيرة الدالة عليه:

### الأحاديث:

فمن هذه الأحاديث:

قال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك بهما، إلا دخل الجنة) (١) وفي رواية (لا يلقى الله بهما عبداً، غير شاك، فيحجب عن الجنة) (٢)

وقال ﷺ: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) (٣) وعند عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار) (٤)

وغير هذه الأحاديث مما هو في معناها كثير (٥) وكلها يدل على أن من مات على التوحيد، ولقي الله عز وجل بالشهادتين دخل الجنة، ولو في المال، ولم يخلد في النار، وإن عذب فيها على ما كان منه من المعاصي والذنوب.

### السنة العملية ووقائع السيرة:

وفي السنة العملية، والسيرة المطهرة، نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يشهد بالإسلام والإيمان، لمن أقر بالشهادتين ومن ذلك:

(١) - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢٢٤

(٢) - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٤٢٦

(٣) - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢١٨

(٤) - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢٢٩

(٥) - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٢١٨ - ٢٤٠

أخرج مسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي أن النبي ﷺ قال لجارية اراد معاوية بن الحكم أن يعتقها عن كفارة: أين الله؟ فقالت: في السماء، فقال: من أنا؟ قالت أنت رسول الله؟ فقال: أعتقها (١)

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث الشريد بن سويد الثقفي، أن النبي ﷺ قال لجارية: من ربك؟ قالت: الله قال: فمن أنا: قالت رسول الله، قال اعتقها فأنها مؤمنة (٢)

وفي قصة إسلام أبي بكر رضي الله عنه، جاء في السيرة انه لقي رسول الله ﷺ وقال له: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آهتنا، وتسفيهك عقولنا، تكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ بلى انى رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاتة على طاعته، وقرأ عليه القرآن، فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد واقرب بحق الإسلام، ورجع أبو بكر، وهو مؤمن مصدق (٣) وهذا الذي دعا رسول الله ﷺ واليه أبا بكر انما هو في حقيقته الشهادتان. وفي قصة اسلام خالد بن سعيد رضي الله عنه، ورد في السيرة أنه لقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد، فقال: يا محمد، إلام تدعو؟ قال: أدعوك إلى الله وحده، لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لا يعبد، قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد إنك سول الله، فسر رسول الله ﷺ بإسلامه (٤)

وفي قصة اسلام ابي ذر الغفاري أنه قال: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر، وأنا الرابع، أتيت رسول الله ﷺ فقلت السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً سول الله، فرأيت الاستبشار في وجه

(١) - أنظر: الموطأ ص ٤٨٥، ٤٨٦، ونيل الأوطار ج ٧ ص ٢٠٨

(٢) - أنظر: نيل الأوطار ج ٧ ص ٢٠٨

(٣) - انظر: السيرة النبوية لأبن كثير ج ١ ص ٤٣٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤٤٤

(٤) - السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٤٥

رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> وهذا سياق مختصر وقد أخرج البخاري قصة إسلام أبي ذر كاملة، وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي ذر بعد أن أسلم: ارجع إلى قومك، فأخبرهم حتى يأتيتك أمرى فقال: والذي بعثك بالحق، لأحرض بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم قام القوم، فضربوه حتى أضجعوه<sup>(٢)</sup> وفي هذا الخبر دلالة واضحة على أن الصحابة كانوا يدخلون الإسلام بالشهادتين.

وفي قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه تحدثنا السيرة أنه كان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس، وكان قد قدم مكة، فاجتمع به أشرف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به، أو يسمع كلامه، قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي، حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً (قطناً) فرقا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة قال: فقمتم منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعي بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي وا ثكل أمي، والله إني لرجل لبيب، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يعني أن اسمع من هذا الرجل ما يقول: فان كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فأتبعته حتى إذا دخل بيته، دخلت عليه فقلت يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا (للذي قالوا) فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك، حتى سددت أذن بكرسف لثلا أسمع قولك، ثم أبى الله أن يُسمعي قولك، فسمعتة قولاً حسناً فاعرض علي أمرك، قال فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت، وشهدت شهادة الحق..)

(١) - السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٤٧

(٢) - صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٧ من ١٢٩، حياة الصحابة ج ١ من ٢٩٠ السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥١. هذا وقد ورد في بعض الروايات ان ابا ذر كان خامس من أسلم، وان خالد بن سعيد كان الرابع انظر هذه الروايات في السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥٢، ٤٥٣

وشهادة الحق هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كما جاءت مفسرة في بعض المواضع.

وفي قصة إسلام خالد بن الوليد، تحكى لنا كتب السيرة إنه قدم على رسول الله ﷺ في المدينة، وكان قد استكتبه أخوه الوليد بن الوليد يدعوه إلى القدوم والإسلام، قال خالد: فلقيني أخي، فقال: أسرع، فإن رسول الله ﷺ قد أخبر بك فسر بقدمك، وهو ينتظركم الآن (وكان معه عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة) فأسرعنا المشي، فاطلعت عليه، فما زال يبتسم إليّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق: فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت سول الله، فقال: تعال، ثم قال رسول الله ﷺ (الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلا رجوت إلا يسلمك إلا إلى الخير) (١)

فهذه الوقائع، وتلك الأحاديث الصحيحة تدل مجتمعة على أمر واحد اتفق عليه أهل السنة، وهو أن الدخول في دين الله لا يكون إلا بالشهادتين، وليس لأحد بعد هذه النصوص أن يحكم بإسلام أحد إذا لم يقر بهما بلسانه وقلبه، إنه ليس لاحد بعدها أن يحكم بكفر أحد إذا أقر بهما، ولم يصدر منه ما ينقضها أو ينقض إحداها

هذا ولا يكفي للدخول في الإسلام مجرد إحدى الشهادتين، ولا بد منهما جميعاً، وقد يقال: قد ورد في بعض الأحاديث المتقدمة، وغيرها الاكتفاء بالشهادة الأولى (لا إله إلا الله) والجواب: إن المقصود هو الشهادتان، لأنه جاء مفسراً في الأحاديث الأخرى بهما جميعاً ولا خلاف بين العلماء أن النطق بالشهادتين والتصديق بهما لا يكون منجياً من الخلود في النار، وكافياً في دخول الإيمان والإسلام، إذا كان مقترنا بما ينقضهما أو ينقض أحدهما: فلا يحكم بإيمان انسان جاء يقول: أقرُّ بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكن لا أعترف بوجود الزكاة والحج، أو بجرمة الزنا أو الربا أو القتل أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها القرآن أو

(١) - السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥٢٠.

الرسول ﷺ وعلمت بالضرورة، أو قال: أقر برسالة محمد ﷺ ولكني أعتقد أنها كانت خاصة بقوم أو بجيل معين أو قرن إقراره بالشهادتين بتفسير خاص لهما يؤول إلى إنكار توحيد الله في بعض صفاته وأسمائه، أو أقر بهما وهو ينكر بعض القرآن ولو آية أو كلمة أو حرفاً، فلا تنفعه الشهادتان وقد جاء معهما بما يكذب به القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>

وكذلك من كان على ملة لا تكفي الشهادتان في نقض مبدأ من مبادئها أو أكثر، ولا بد في حقه من أن يتبرأ من ذلك المبدأ بالإضافة إلى الشهادتين، فلو أن شخصاً كان يعتقد بالتوحيد، وبأن محمداً رسول الله، ولكن إلى قوم معينين أو زمن معين، فإن نطقه بالشهادتين لا يكون كافياً لاعتباره مسلماً؛ لأن اعترافه برسالة محمد ﷺ لا ينفي ما كان مشهوراً من اعتقاده باختصاصها بقوم أو بزمن، فلا بد مع هذا من أن يقر بأن محمداً رسول الله إلى الناس أجمعين<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر بعض العلماء في هذا الموضوع، قاعدة عامة، مفادها انه لا يحكم بإسلام الشخص إلا إذا أقر بالشهادتين، وكان هذا الإقرار كافياً في نقض جميع معتقداته الباطلة التي اشتهر بها، فإن لم يكن كذلك كان لا بد من النطق بها والتبري من المعتقدات الباطلة التي لم يندرج نقضها تحت الشهادتين

ويجدر بالملاحظة في هذا المقام أن كلمة (لا إله إلا الله) تنقض جميع التصورات الباطلة عن الخالق، وربوبيته، وألوهيته، ذلك أنها تقتضي كما علمت توحيد الله في ذاته. وفي صفاته وأسمائه وأفعاله، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، فمن نطق بها كان متبرئاً من جميع اعتقاداته الباطلة حول الخالق عز وجل، وأما الشهادة الأخرى فإنها تنقض معظم التصورات

(١) - انظر رسالة كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب من جملة رسائل مطبوعة بعنوان: المجموعة العلمية السعودية من دور علماء السلف الصالح

ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) - انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ١٤٩، وشرح السير الكبير ج ١ ص ١٥٠ والمغني لابن قدامة ج ٩ ص ٢١ والمهذب ج ٢ ص

٢٢٣.

الباطلة حول مكانة نبينا محمد ﷺ وحول ما أخبر به من المغيبات جميعها ولا تنقض بعضها، كما تقدم من اعتقاد بعض الناس بخصوصية رسالته إلى بعض الأقوام، فلا بد في حق هؤلاء من التصريح بعموم رسالته عليه الصلاة والسلام.

وهذا الذي تقدم خاص بمن كان كافرا ابتداء، ولم يسبق له الدخول في دين الله وأما المرتد عن الإسلام، فإنه لا يحكم بإسلامه إلا إذا أقر بما كان قد جحد من أمور الإيمان، بالإضافة إلى الشهادتين: فإن كان ارتداده بسبب جحوده الوحدانية أو الرسالة اكتفى بهما، وإلا فلا بد منهما وإن يقر معهما بالأمر الذي كان قد أنكره<sup>(١)</sup> فمن كان ينكر فرضية الزكاة مثلا، أو حرمة الربا أو الزنا، فإنه لا يعود إليه إسلامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا سول الله، ويقر بفرضية أو حرمة ما أنكره.

ولعل من المفيد في هذا المقام أن ننبه إلى ما تقدم ذكره عند الكلام عن حقيقة الإيمان من اتفاق العلماء على أن النطق بالشهادتين يكفي لاعتبار الناطق بهما مسلماً، من حيث الظاهر، ومن أجل إجراء الأحكام الدنيوية عليه، وأنه لا يكفي من أجل الخلاص من الخلود في النار، حتى يقترن بالتصديق القلبي، فمن أقر بهما مع ما تقدم من الشروط عوامل بمقتضى الإسلام في الحياة الدنيا، وإن كان منافقاً في حقيقة أمره، لأننا مأمورون ببناء الأحكام في هذه الحياة على الظاهر، وترك السرائر لله تعالى، فإنه لا يعلمها إلا هو سبحانه، وقد رأيت فيما تقدم إنكار النبي ﷺ على أسامة بن زيد عندما ترك العمل بالظاهر، وقتل من قال: لا إله إلا الله ظناً منه أنه لم يكن مخلصاً في قوله.

(١) - المعنى لابن قدامة ج ٩ ص ٢١ حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٣٩٧.



## الفصل الثاني

- المبحث الأول: تفسير سورة محمد (من ٢٥-٣١)
- المبحث الثاني: السيرة دعوة الملوك والأمراء
- المبحث الثالث: الفقه / مستجدات في المعاملات المالية





## المبحث الأول

### القرآن: سورة محمد ٢٥-٣١

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ  
الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ٢٥ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ  
كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٢٦  
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرَهُمْ ٢٧ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ٢٨ ﴾ أَمْ حَسِبَ  
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن نُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ ٢٩ ﴾ وَلَوْ نَشَاءُ  
لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
أَعْمَالَكُمْ ٣٠ ﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ  
وَنَبْلُوَنَّكُمْ ٣١ ﴾ [مُحَمَّد: ٢٥ - ٣١]

من ٢٥ - ٢٨ تهديد للمرتدين الماكرين وبيان ارتباطهم بالكافرين

ومشهد مصور لاحتقارهم

ويعمضي في تصوير حال المنافقين، وسبب توليهم عن الإيمان بعد إذ شارفوه  
فيتبين أنه تأمرهم مع اليهود، ووعدهم لهم بالطاعة فيما يدبرون:  
(إن الذين ارتدوا على أدبارهم - من بعد ما تبين لهم الهدى - الشيطان  
سول لهم وأملى لهم. ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله: سنطيعكم  
في بعض الأمر. والله يعلم إسرارهم)

والتعبير يرسم معنى رجوعهم عن الهدى بعدما تبين لهم، في صورة حركة  
حسية، حركة الارتداد على الأدبار. ويكشف ما وراءها من وسوسة  
الشيطان وتربينه وإغرائه، فإذا ظاهر هذه الحركة وباطنها مكشوفان  
مفهومان! وهم المنافقون الذين يتخفون ويتسترون! ثم يذكر السبب الذي  
جعل للشيطان عليهم هذا السلطان، وانتهى بهم إلى الارتداد على الأدبار

بعد ما عرفوا الهدى وتبينوه: (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر)

واليهود في المدينة هم أول من كرهوا ما نزل الله، لأنهم كانوا يتوقعون أن تكون الرسالة الأخيرة فيهم، وأن يكون خاتم الرسل منهم، وكانوا يستفتحون على الذين كفروا ويوعدونهم ظهور النبي الذي يقودهم ويمكن لهم في الأرض ويسترجع ملكهم وسلطانهم. فلما اختار الله آخر رسله من نسل إبراهيم، من غير يهود، كرهوا رسالته. حتى إذا هاجر إلى المدينة كرهوا هجرته، التي هددت ما بقي لهم من مركز هناك. ومن ثم كانوا إلبا عليه منذ أول يوم، وشنوا عليه حرب الدس والمكر والكيد، حينما عجزوا عن مناصبته العداء جهرة في ميادين القتال، وانضم إليهم كل حانق، وكل منافق، وظلت الحرب سجالا بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى أجلاهم في آخر الأمر عن الجزيرة كلها وخلصها للإسلام.

وهؤلاء الذين ارتدوا على أدماعهم من بعد ما تبين لهم قالوا لليهود: (سنطيعكم في بعض الأمر) والأرجح أن ذلك كان في الدس والكيد والتآمر على الإسلام ورسول الإسلام.

(والله يعلم أسرارهم)

وهو تعقيب كله تهديد. فأين يذهب تأمرهم وإسرارهم وماذا يؤثر، وهو مكشوف لعلم الله؟ معرض لقوة الله؟

ثم التهديد السافر بجند الله، والمتآمرون في نهاية الحياة: (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدماعهم)!

وهو مشهد مفزع مهين. وهم يحتضرون. ولا حول لهم ولا قوة. وهم في نهاية حياتهم على هذه الأرض. وفي مستهل حياتهم الأخرى. هذه الحياة التي تفتح بضرب الوجوه والأدماع. في لحظة الوفاة، لحظة الضيق والكرب والخافة.

الأدبار التي ارتدوا عليها من بعد ما تبين لهم الهدى! فيا لها من مأساة!

(ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله، وكرهوا رضوانه، فأحبط أعمالهم)

فهم الذين أرادوا لأنفسهم هذا المصير واختاروه. هم الذين عمدوا إلى ما

أسخط الله من نفاق ومعصية وتآمر مع أعداء الله وأعداء دينه ورسوله فاتبعوه. وهم الذين كرهوا رضوان الله فلم يعملوا له، بل عملوا ما يسخط الله ويغضبه. (فأحبط أعمالهم) التي كانوا يعجبون بها ويتعجبون، ويحسبونها مهارة وبراعة وهم يتآمرون على المؤمنين ويكيدون. فإذا بهذه الأعمال تتضخم وتنتفخ. ثم تهلك وتضيع!

### الدرس الرابع: ٢٩ - ٣١ تهديد المنافقين وكشفهم للمؤمنين وتعريف المؤمنين على ملامحه

وفي نهاية الشوط يتهددهم بكشف أمرهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين، الذين يعيشون بينهم متخفين، يتظاهرون بالإسلام وهم لهم كائدون: أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم؟ ولو نشاء لأريناكمهم، فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول، والله يعلم أعمالكم. ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم. ولقد كان المنافقون يعتمدون على إتقانهم فن النفاق، وعلى خفاء أمرهم في الغالب على المسلمين. فالقرآن يسفه ظنهم أن هذا الأمر سيظل خافياً، ويهددهم بكشف حالهم وإظهار أضغانهم وأحقادهم على المسلمين. ويقول لرسوله ﷺ: (ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم) أي لو نشاء لكشفنا لك عنهم بذواتهم وأشخاصهم، حتى لترى أحدهم فتعرفه من ملامحه [وكان هذا قبل أن يكشف الله له عن نفر منهم بأسمائهم] ومع ذلك فإن لهجتهم ونبرات صوتهم، وإمالتهم للقول عن استقامته، وانحراف منطقتهم في خطابك سيدلك على نفاقهم: (ولتعرفنهم في لحن القول) ويعرج على علم الله الشامل بالأعمال وبواعثها: (والله يعلم أعمالكم) فلا تخفى عليه منها خافية.

ثم وعد من الله بالابتلاء. ابتلاء الأمة الإسلامية كلها، لينكشف المجاهدون والصابرون ويتميزوا وتصبح

الآية ٣١

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (٣١)

أخبارهم معروفة، ولا يقع الالتباس في الصفوف، ولا يبقى مجال لخفاء أمر المنافقين ولا أمر الضعاف والجزعين:

(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، ونبلوا أخباركم)

والله يعلم حقائق النفوس ومعادنها، ويطلع على خفاياها وخبايها، ويعلم ما يكون من أمرها علمه بما هو كائن فعلا. فما هذا الابتلاء؟ ولمن يكون العلم من ورائه بما يتكشف عنه؟

إن الله - جلَّت حكمته - يأخذ البشر بما هو في طوقهم، وما هو من طبيعتهم واستعدادهم. وهم لا يعلمون عن الحقائق المستكنة ما يعلمه. فلا بد لهم من تكشف الحقائق ليدر كوها ويعرفوها ويستيقنوها، ثم ينتفعوا بها. والابتلاء بالسراء والضراء، وبالنعماء والبأساء، وبالسعة والضيق، وبالفرج والكرب، كلها تكشف عما هو مخبوء من معادن النفوس، وما هو مجهول من أمرها حتى لأصحابها.

أما المراد بعلم الله لما تتكشف عنه النفوس بعد الابتلاء فهو تعلق علمه بها في حالتها الظاهرة التي يراها الناس عليها.

ورؤية الناس لها في صورتها التي تدر كها مداركهم هو الذي يؤثر فيهم ويكيف مشاعرهم، ويوجه حياتهم بوسائلهم الداخلة في طوقهم، وهكذا تتم حكمة الله في الابتلاء.

ومع هذا فإن العبد المؤمن يرجو إلا يتعرض لبلاء الله وامتحانه. ويتطلع إلى عافيته ورحمته. فإذا أصابه بلاء الله بعد هذا صبر له، وهو مدرك لما وراءه من حكمة، واستسلم لمشئمة الله واثقا من حكمته، متطلعا إلى رحمته وعافيته بعد الابتلاء.

وقد روي عن الفضيل العابد الصوفي أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: اللهم لا تبلنا، فإنك إن بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا وعذبتنا.



## المبحث الثاني

### السيرة: دعوة الملوك والأمراء

يشير المنهج النبوي في دعوة الزعماء والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل الدعوة، فإلى جانب دعوة الأمراء، والشعوب اختار الرسول ﷺ أسلوباً جديداً من أساليب الدعوة، وهو مراسلة الملوك، ورؤساء القبائل، وكان لأسلوب إرسال الرسائل إلى الملوك، والأمراء أثر بارز في دخول بعضهم الإسلام، وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك، والأمراء من الدعوة الإسلامية، ودولتها في المدينة، وبذلك حققت هذه الرسائل نتائج كثيرة، واستطاعت الدولة الإسلامية من خلال ردود الفعل المختلفة تجاه الوسائل أن نهجها سياسياً، وعسكرياً واضحاً، وتميزاً<sup>(١)</sup>، وإليك أهم هذه الرسائل:

١. فقد وردت رواية صحيحة، تضمنت نص كتاب النبي ﷺ الذي بعثه مع دحية الكلبي إلى هرقل عظيم الروم<sup>(٢)</sup> وذلك في مدة هدنة الحديبية، وهو كما يلي:

”بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم؛ تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت؛ فعليك إثم الأريسيين (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران ٦٥. البخاري (٤٥٥٣) ومسلم (١٧٧٣) ولقد تسلم هرقل رسالة النبي ﷺ ودقق في الأمر كما في الحديث الطويل المشهور بين أبي سفيان وهرقل المروي في الصحيحين حين سأله عن أحوال النبي ﷺ، وقال بعد ذلك لأبي سفيان: (إن كان ما تقول حقاً؛

(١) انظر: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، د. سعيد المهجر، ص ١١٢.

(٢) انظر: نضرة النعيم (١/٣٤٤)، وقد اعتمدت عليه في توثيق مصادر الوسائل.



فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم: أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، فلو أتني أعلم أن أخلص إليه؛ لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده؛ لغسلت عن قدميه) انظر تخريج الحديث السابق.

٢ - أرسل النبي ﷺ بكتاب إلى كسرى ملك الإمبراطورية الفارسية، مع عبد الله بن حذافة السهمي، "أمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين<sup>(١)</sup>، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه؛ مزقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزقوا كُلَّ مَمْرُقٍ". أحمد (٢٤٣/١)، والبخاري (٤٤٢٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/٣٨٧)<sup>(٢)</sup> ونصُّ الرسالة كما أوردها الطبري كالتالي: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله، ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلى الناس كافة؛ لينذر من كان حيا، أسلم؛ تسلم، فإن آبيت؛ فعليك إثم الجوس". تاريخ الطبري (٦٥٤/٢ - ٦٥٥)

٣ - أما كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، فقد أرسله مع عمرو ابن أمية الضمري، وقد جاء في الكتاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، وأشهد أن الله، كلمته ألقاها إلى مرم البتول الطيبة الحصينة، فحملت به، فخلق من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة في طاعته، وأن تتبعتني، وتؤمن بالذي جاءني، فأني رسول الله، وإني أدعوك، وجنودك إلى الله - عز وجل - وقد بلغث، ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى". نصب الراية للزيلعي (٤٢١/٤)

٤. أما كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر، وكذلك ردُّ المقوقس إليه<sup>(٣)</sup> فلم يثبت من طرقٍ صحيحة، ولا يعني ذلك نفي إرسال الكتاب إليه،

(١) شرح المواهب اللدنية (٣/٣٤١)

(٢) كانت الرسالة في محرم سنة ٧ هـ كما في زاد المعاد.

(٣) المصدر السابق نفسه.

كما أن ذلك لا يعني الطعن بصحة النصوص من الناحية التاريخية، فربما تكون صحيحة من حيث الشكل، والمضمون، غير أنها لا يمكن أن يحتاج بها في السياسة الشرعية<sup>(١)</sup>، فلقد أورد محمد بن سعد في طبقاته<sup>(٢)</sup>: أن النبي ﷺ بعث إلى المقوقس، جريج بن مينا ملك الإسكندرية وعظيم القبط، كتابا حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وأنه قال خيرا، وقارب الأمر، غير أنه لم يسلم، وأهدى إلى النبي ﷺ عدة هدايا كان بينها مارية القبطية، وأنه لما ورد جواب المقوقس إلى النبي ﷺ قال: "صَنَّ الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه". الزيلعي في نصب الراية (٤/٤٢٢) (٣)

٥. وبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب، أخا بني أسد بن حزيمة برسالة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، حين عودته والمسلمين من الحديدية، وقد تضمن نص الرسالة قوله: "سلام على من اتبع الهدى، وآمن به، إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك". الزيلعي في نصب الراية (٤/٤٢٤)، والطبري في نريغه (٢/٦٥٢)

### نتائج هذه المراسلات:

وقد كان تلقي الملوك هذه الوسائل يختلف: فأما هرقل، والنجاشي، والمقوقس؛ فتأدبوا، وتلفظوا في جوابهم، وأكرم النجاشي، والمقوقس رسل رسول الله ﷺ، وأرسل المقوقس هدايا؛ منها جاريتان كانت أحدهما مارية أم إبراهيم (ابن رسول الله)، وأما كسرى أبرويز؛ فلما قُرى عليه الكتاب مزقه، وقال: "يكتب إلي هذا؛ وهو عبدي؟!« فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: "مزق الله ملكه!" سبق تخريجه.

وأمر كسرى باذان - وهو حاكمه على اليمن - بإحضاره، فأرسل بابويه يقول له: إن ملك الملوك قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنتقل معي، فأخبره رسول الله ﷺ بأن الله

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٤٥٩/٢)

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٢٦٠/١-٢٦١)

(٣) البداية والنهاية (٣٤٠/٥)

سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله (١)  
وقد تحقق ما أنبأ به رسول الله ﷺ بكل دقة، فقد استولى على عرشه ابنه  
(قباد) الملقب بـ (شرويه) وقتل كسرى ذليلاً مهاناً بإيعاز منه سنة (٦٢٨ م)،  
وقد تمزق ملكه بعد وفاته، وأصبح لعبة في أيدي أبناء الأسرة الحاكمة،  
فلم يعيش (شرويه) إلا ستة أشهر، وتوالى على عرشه في مدة أربع سنوات  
عشرة ملوك، واضطرب حبل الدولة إلى أن اجتمع الناس على (يزدجرد)  
وهو آخر ملوك بني ساسان، وهو الذي واجه الزحف الإسلامي؛ الذي  
أدى إلى انقراض الدولة الساسانية؛ التي دامت، وازدهرت أكثر من أربعة  
قرون انقراضاً كلياً، وكان ذلك في سنة (٦٣٧ م)، وهكذا حققت هذه  
النبوءة في ظرف ثماني سنين

وقد حققت هذه السياسة النتائج الآتية:

- أ. وطد الرسول ﷺ بهذه لسياسة أسلوباً جديداً في التعامل الدولي لم تكن تعرفه البشرية من قبل.
  - ب. أصبحت الدولة الإسلامية لها مكانتها، وقوتها، وفرضت وجودها على الخريطة الدولية لذلك الزمان.
  - ج. شفت للرسول ﷺ نيات الملوك، والأمراء، وسياستهم نحوه، وحكمهم على دعوته.
  - د. كانت مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبيراً عملياً على عالمية الدعوة الإسلامية، تلك العالمية التي أوضحتها آيات نزلت في العهد المكّي، مثل قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء ١٠٧.
- دروس وعبر وفوائد:**

### ١ - اعتبارات حكيمة خاصة بالملوك:

في رسائل رسول الله ﷺ للملوك فوارق دقيقة مؤسّسة على حكمة الدعوة، روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، و(الخلفيات) التي يمتازون بها، فلما كان هرقل، والمقوقس يدينان بألوهية

(١) انظر: تاريخ الطبري (٩٠/٣-٩١) والإصابة في معرفة الصحابة.

المسيح كلياً، أو جزئياً، وكونه ابن الله، جاءت في الكتابين اللذين وجها إليهما كلمة (عبد الله) مع اسم النبي ﷺ صاحب هاتين الرسالتين. ولما كان كسرى أبرويز وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدينون بوجود إلهين: أحدها يمثل الخير، وهو: يزدان، والثاني يمثل الشر وهو: إهرمن، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة، والتصوير الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجه إلى الإمبراطور الإيراني عبارة: ”وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً“ (١)

**٢ - تقدير الرجال:**

لما أسلم باذان بن ساسان وكان أميراً على اليمن لم يعزله رسول الله ﷺ، بل أبقاه أميراً عليها بعد إسلامه، حين رأى فيه الإداري الناجح، والحاكم المناسب، مما يدل على أن الرسول ﷺ يقدر الكفاءات في الرجال، ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومن الجدير بالذكر: أن الرسول ﷺ قد ولى ولده أي: ولد باذان - شهراً أميراً على اليمن بعد موت أبيه (٢)

**٣. جواز أخذ الجزية من المجوس:**

هذا الحكم استخرج من كتاب النبي ﷺ الذي أرسله إلى المنذر بن ساوى يحدد فيه الموقف من اليهود، والمجوس؛ إذ ورد فيه: ”ومن أقام على يهوديته، أو مجوسيته؛ فعليه الجزية“ (٣)

**٤. جواز أخذ هدية الكافر:**

لقد أرسل المقوقس عظيم القبط حاكم مصر - وهو كافر - مع سفير رسول الله ﷺ حاطب بن أي بلتعة هدية تشتمل على جاريتين، وكسوة للرسول ﷺ، وبغلة يركبها، فقبلها رسول الله ﷺ عليه وسلم، وإحدى هاتين الجاريتين مارية القبطية (٤)

**نشاط:** اذكر أمثلة على بعض الأساليب الدعوية الحديثة.

(١) انظر: السيرة النبوية، ص ٢٩٠.

(٢) غزوة الحديبية، لأبي فارس، ص ٢٤٢، ونصب الراية، للزبيعي.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) انظر: غزوة الحديبية، لأبي فارس، ص ٢٤٣.



## المبحث الثالث

### الفقه: مستجدات في المعاملات المالية

القضايا الفقهية المعاصرة في فقه المعاملات

الهدف العام من الدرس:

أن يعرف الدارس بعض التطبيقات المعاصرة في فقه المعاملات، والأحكام الفقهية المتعلقة بها.

الأهداف الخاصة من الدرس:

١. أن يفهم الدارس أحكام الفقه الإسلامي في المسائل المستجدة في فقه المعاملات.
٢. أن يهتم الدارس بأحكام الفقه الإسلامي في معرفة الأحكام الشرعية بفقه المعاملات.
٣. أن يمارس الدارس تطبيق هذه الأحكام في حياته العملية.
٤. أن يحيط بالتطبيقات المعاصرة لمسائل فقه المعاملات المالية، وكيفية التعامل معها.

تمهيد:

أحكام الفقه الإسلامي ليست جامدة، ولكنها عملية، تأخذ بيد الدارس لمعرفة الحكم الفقهي في المسائل التي تهمه في حياته العامة والخاصة، وقد استجدت كثير من المسائل التي اصطلح عليها بالنوازل لذا كان لا بد من دراسة الحكم الفقهي العام بطريقة مبسطة، متناولا التطبيقات الفقهية المعاصرة، وذلك مما يسأل عنه كثيرا، وعموم المسلمين في حاجة معرفتها.

ومن أمثلة التطبيقات المعاصرة في فقه المعاملات المالية المعاصرة ما يلي:

١. الإجارة المنتهية بالتمليك.
٢. اشتراط المؤجر على المستأجر الزيادة إذا تأخر في سداد الأجرة.

٣. التايم شير (المهاياة)
  ٤. دفع المال لسكان العمارة مقابل إخلائها.
  ٥. الإيداع لدى المصارف الربوية.
  ٦. بطاقة الائتمان.
  ٧. أخذ زيادة على الدين مقابل ملاحظة المدين في السداد.
  ٨. الاقتراض بفائدة ربوية لضرورة ماسة.
  ٩. بيع التأشيرات.
  ١٠. البيع بالتقسيط.
  ١١. التسويق الشبكي.
  ١٢. التأمين التجاري.
  ١٣. التأمين التعاوني.
  ١٤. التأمين على السيارات.
  ١٥. إبدال الذهب الرديء بالجيد مع إعطاء الفرق.
  ١٦. بيع الذهب بالتقسيط.
  ١٧. التخلص من المال الحرام.
  ١٨. التعامل مع صاحب المال المشبوه.
  ١٩. ضم الفوائد الربوية لتركة المتوفى.
  ٢٠. إجراء العقود بالوسائل الحديثة.
  ٢١. طرح مشروع استثماري لعقار قبل بنائه.
  ٢٢. العمل في المصارف الربوية.
  ٢٣. التضخم وتغير العملة.
  ٢٤. المسابقات المعاصرة بعوض.
  ٢٥. هدايا المؤسسات الدعائية.
  ٢٦. المقاصد الشرعية للحروب في الإسلام.
- كتاب (مرفق)

## ١. الإجارة المنتهية بالتملك:

التعريف بالمسألة:

للإجارة المنتهية بالتملك صور متعددة، منها ما ينتهي بالوعد بالتملك، ومنها ما ينتهي بالهبة، ومنها إجارة ساترة للبيع، لكن الصورة التي تشمل أغلبها وهي الأشهر في الواقع: أن يعقد طرفان على أن يؤجر أحدهما لآخر سلعة معينة، مقابل أجره معينة، يدفعها المستأجر على أقساط، خلال مدة محددة، تنتقل بعدها ملكية السلعة للمستأجر عند سداه لآخر قسط بعقد جديد.

## حكم المسألة:

أولاً: اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذا العقد، ولكن بعض المجمع الفقهي ذهب إلى جواز ذلك وصحة هذا العقد، ومن قال بذلك الهيئة الشرعية لمصرف الراجحي والهيئة الشرعية لبيت التمويل الكويتي، وذهب مجمع الفقه الإسلامي الدولي إلى جواز بعض صور الإيجار المنتهي بالتملك. ثانياً: ضابط الصور الجائزة والممنوعة ما يلي:

أ. ضابط المنع: أن يرد عقدان مختلفان، في وقت واحد، على عين واحدة، في زمن واحد.

ب. ضابط الجواز:

١. وجود عقدين منفصلين، يستقل كل منهما عن الآخر زماناً، بحيث يكون إبرام عقد البيع بعد عقد الإجارة، أو وجود وعد بالتملك في نهاية مدة الإجارة. والخيار يوازي الوعد في الأحكام.

٢. أن تكون الإجارة فعلية، وليست ساترة للبيع.

أهم أدلة القائلين بصحة الإجارة المنتهية بالتملك:

١/ اجتماع البيع والإجارة في صفقة واحدة جائز، لعدم التنافي بين العقدين.  
٢/ الوعد بالهبة بعد عقد الإيجار ملزم قطعاً.

قرارات المجمع الفقهي والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

أولاً: قرارات المجمع الفقهي:

١/ قرر مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في قراره رقم: ١١٠ (١٢/٤) في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ إلى غرة رجب ١٤٢١هـ (٢٣-٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠) قرر ما يلي:

الإيجار المنتهي بالتمليك:

**أولاً: ضابط الصور الجائزة والممنوعة ما يلي:**

ج. أن يكون ضمان العين المؤجرة على المالك لا على المستأجر، وبذلك يتحمل المؤجر ما يلحق العين من غير تلف ناشئ من تعدد المستأجر أو تفريطه، ولا يلزم المستأجر بشيء إذا فاتت المنفعة.

د. إذا اشتمل العقد على تأمين العين المؤجرة، فيجب أن يكون التأمين تعاونياً إسلامياً لا تجارياً، ويتحمله المالك المؤجر وليس المستأجر.

هـ. يجب أن تطبق على عقد الإجارة المنتهية بالتمليك أحكام الإجارة طوال مدة الإجارة، وأحكام البيع عند تملك العين. وتكون نفقات الصيانة غير التشغيلية على المؤجر لا على المستأجر، طوال مدة الإجارة.

**ثانياً: من صور العقد الممنوعة:**

أ. عقد إجارة ينتهي بتملك العين المؤجرة مقابل ما دفعه المستأجر من أجره خلال المدة المحددة، دون إبرام عقد جديد، بحيث تنقلب الإجارة في نهاية المدة بيعة تلقائياً.

ب. إجارة عين لشخص بأجرة معلومة، ولمدة معلومة، مع عقد بيع له معلق على سداد جميع الأجرة المتفق عليها خلال المدة المعلومة، أو مضاف إلى وقت في المستقبل.

ج. عقد إجارة حقيقي، واقترن به بيع بخيار الشرط لصالح المؤجر، ويكون مؤجلاً إلى أجل طويل محدد، (هو آخر مدة عقد الإجارة)

**ثالثاً: من صور العقد الجائزة:**

أ. عقد إجارة يمكّن المستأجر من الانتفاع بالعين المؤجرة، مقابل أجره

معلومة في مدة معلومة، اقترن به عقد هبة العين للمستأجر، معلقا على سداد كامل الأجرة، وذلك بعقد مستقل، أو وعد بالهبة بعد سداد كامل الأجرة، (وذلك وفق ما جاء في قرار المجمع بالنسبة للهبة رقم (٣/١/١٣) في دورته الثالثة)

ب. عقد إجارة مع إعطاء المالك الخيار للمستأجر بعد الانتهاء من وفاء جميع الأقساط الإيجارية المستحقة، خلال المدة في شراء العين المأجورة بسعر السوق عند انتهاء مدة الإجارة (وذلك وفق قرار المجمع رقم ٤٤ (٥/٦) في دورته الخامسة)

ج. عقد إجارة يمكن المستأجر من الانتفاع بالعين المؤجرة، مقابل أجرة معلومة في مدة معلومة، واقترن به وعد ببيع العين المؤجرة للمستأجر بعد سداد كامل الأجرة بثمن يتفق عليه الطرفان.

د. عقد إجارة يمكن المستأجر من الانتفاع بالعين المؤجرة، مقابل أجرة معلومة، في مدة معلومة، ويعطي المؤجر للمستأجر حق الخيار في تملك العين المؤجرة في أي وقت يشاء، على أن يتم البيع في وقته بعقد جديد بسعر السوق، (وذلك وفق قرار المجمع السابق رقم ٤٤ (٥/٦)، أو حسب الاتفاق في وقته.

رابعا: هناك صور من عقود التأجير المنتهي بالتمليك محل خلاف، وتحتاج إلى دراسة تعرض في دورة قادمة إن شاء الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

### ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:

١/ صدرت فتوى من بيت التمويل الكويتي بأن البيوع من العقود التي لا تقبل الإضافة إلى المستقبل، ولذا لا ينعقد، ولا يصح، ولكن تجوز المواعدة على التبايع، فإذا انتهت مدة الإجارة أو فسخت أحدث المتعاقدان بيعاً للعين المؤجرة.

٢/ قرار الهيئة الشرعية لمصرف الراجحي.

وقد سئلت الهيئة الشرعية لمصرف الراجحي عن موضوع الإجارة المنتهية بالتمليك.

فأجابت: لا ترى الهيئة مانعاً شرعياً من دخول الشركة في عقد إجارة يمنح المستأجر فيه خلال مدة العقد - وعلى أوقات متساوية - الحق في شراء العين المؤجرة، وفق العرض المقدم من المؤجر، بشرط أن يكون الثمن معلوماً عند توقيع عقد الإجارة، وإلا يكون ستارا لعملية تمويل ربوي.

## ٢. اشتراط المؤجر على المستأجر الزيادة إذا تأخر في سداد الأجرة التعريف بالمسألة:

أن يتفق المستأجر مع المؤجر، على أن يعطيه الإيجار بداية كل شهر، وإذا تأخر عن المدة المحددة لدفع الإيجار، يقوم المالك بتغريم المستأجر، قيمة مالية معينة نتيجة التأخر في السداد.

## حكم المسألة:

الزيادة المشترطة في الأجرة عند التأخر في سدادها من الربا المحرم، ولكن بعض المعاصرين أجاز ذلك في حالة الضرورة في صورة خاصة.

## الأدلة:

١/ أن هذه الأجرة، هي دين في ذمة المستأجر، وأي زيادة على الدين فهي ربا باتفاق الفقهاء.

٢/ أن مجرد القبول بهذه الغرامة، فيه إقرار للتعامل الربوي وذريعة إليه، فلا يجوز.

## الفتاوى العلمية:

١/ ورد استفسار لمركز الفتوى بموقع إسلام ويب عن هذه المسألة. فأجابوا بما يلي:

أولاً: من استأجر بيتاً، وتم العقد بينه وبين صاحب البيت، فإن صاحب البيت يملك الثمن من حين العقد، إذا مكّن المستأجر من استيفاء المنفعة (أي: خلى بينه وبين السكنى في البيت)، فتكون أجرة البيت ديناً في ذمة المستأجر لصاحب البيت.

قال ابن قدامة رحمه الله: ”ولو أجر داره سنين بأجرة: ملكها من حين العقد، وجرت في حول الزكاة، وحكمها حكم الدين“ انتهى.

فعلى هذا: إذا كانت الأجرة تجب بالعقد صارت ديناً في ذمة المستأجر، فلا يجوز لصاحب البيت أن يشترط على المستأجر دفع فائدة أو زيادة في حال تأخره عن موعد السداد؛ لأن ذلك من الربا المحرم. ثانياً: إذا اشتمل العقد على اشتراط غرامة في حال التأخر عن السداد، فهو عقد محرم، لا يجوز الدخول فيه، ولو كان الإنسان متيقناً من قدرته على السداد؛ لأنه إقرار للربا، والتزام به، وذلك محرم، ولأن الإنسان قد يعرض له ما يمنعه من السداد، من مرض أو سفر ونحوه.

## ٢ / وورد سؤال آخر فأجابوا بما يلي:

فلا يجوز إبرام هذا العقد ما دامت هناك غرامة تأخير مشترطة عند التأخر عن دفع الأجرة المستحقة على السيارة لأن هذه الأجرة هي دين في ذمتك، وأي زيادة على الدين فهي ربا باتفاق الفقهاء، وسواء في ذلك إذا كنت تخشين أن تتأخري عن الدفع أم لا، لأن مجرد القبول بهذه الغرامة فيه إقرار للتعامل الربوي وذريعة إليه.

لكن إذا كنت مضطرة لتأجير سيارة، ولم يجد طريقة تندفع بها الضرورة من شراء ونحوه، جاز له في هذه الحالة إبرام العقد، لأجل هذه الضرورة مع الحذر من التأخر في دفع الأجرة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

## ٣ / ومن فتاوى الشبكة الإسلامية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى إله وصحبه، أما بعد: فالجواب أن تلك الزيادة التي تطالبك بها الجامعة عند تأخرك في سداد الأجرة لعسرك هي من صريح الربا، قال الخطاب وهو أحد علماء المالكية المعتمدين: وأما إذا التزم المدعى عليه للمدعي أنه إذا لم يوفه حقه في كذا فله عليه كذا وكذا فهذا لا يختلف في بطلانه لأنه صريح الربا، وسواء كان الشيء الملتزم به من جنس الدين أو غيره، وسواء كان شيئاً معيناً أو منفعة. انتهى.

فلا يجوز لهم أخذها وإن اضطررت إلى دفعها فلا حرج عليك، وأن أمكنك التحايل عليها فلك ذلك، وينبغي أن تبحث عن سكن آخر لا يكون فيه مثل ذلك الشرط إن أمكنك.

### ٣. المشاركة في الوقت (التايم شير)

#### التعريف بالمسألة:

أن تقوم شركة بتأجير أو بيع حصة، أو سهم لمدة أسبوع (مثلاً)، سنويًا في فندق أو منتجع، مدى الحياة، مع إمكانية استبداله في عدة دول حول العالم، مع دفع الفرق، ودفع ثمن صيانة ثابت سنويًا.

#### حكم المسألة:

للمعاصرين رأيان في هذه المعاملة:

الرأي الأول: ما ذهبت الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بالإمارات، وهو جواز هذه المعاملة إذا كان العقد مستكملًا شروط وأركان البيع، أو الإجارة الشرعية، لأنها شراء منفعة، وشراء المنافع دون الأعيان جائز، فهو كبيع الأعيان ذاتها.

الرأي الثاني: ما ذهب إليه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ردًا على سؤال لأحد المستمعين في برنامج إذاعي، وهو القول بتحريم التايم شير للجهالة في مكان الإقامة والمدة.

#### القرارات والفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية الفتاوى العلمية:

١/ الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف (الإمارات)

عرض على اللجنة سؤال عن موضوع التايم شير.

فأجابت بما نصه:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى إله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فالتايم شير له صور متعددة، والحكم عليها يختلف باختلافها، ومن تلك الصور: شراء منفعة معلومة: كأسبوع في السنة في عقار معروف للمشتري

على سبيل الدوام وتورث عنه لو مات، وله حق بيعها ونحو ذلك، وهذه الصورة جائزة، لأنها شراء منفعة، وشراء المنافع دون الأعيان جائزة، فهو كبيع الأعيان ذاتها.

قال العلامة الخطيب الشربيني رحمه الله في مغني المحتاج في تعريف البيع: (عقد معاوضة مالية يفيد ملك عين أو منفعة على التأيد، فدخل بيع حق الممر ونحوه، وخرجت الإجارة بقيد التأقيت، فإنها ليست بيعاً) وقال العلامة ابن مفلح رحمه الله في الفروع: (قد ذكر أكثر الأصحاب جواز بيع المنافع، لكن على التأيد)

وأما إمكانية استبدال هذه المنفعة بمنفعة أخرى في مكان آخر عند الحاجة، فلا مانع منه، ويكون مالك المنفعة في هذه الحالة قد جعل منفعته التي يملكها مقابل المنفعة التي طلب التحول إليها في مكان آخر، ولا حرج في دفع الفرق له أو عليه، قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله في أسنى المطالب: (ولو أبدلاً-أي العاقدان- منفعة بمنفعة في عقد مجدد جاز كما لو استأجر داراً أو قبضها، ثم استأجر بمنفعتها دابة) وظاهر أن هذا في المنفعة العينية، وهذا هو الواقع في الصورة التي نتحدث عنها، ولا حرج أيضاً في دفع مبلغ ثابت سنويا لصيانة حصته التي اشتراها، والله أعلم.

#### ٤. دفع المال لسكان العمارة مقابل إخلائها التعريف بالمسألة:

أن يقوم شخص بدفع مبلغ من المال لسكان عمارة له، في مقابل إخلاتهم للعمارة.

#### حكم المسألة:

يجوز أن يدفع لسكان العمارة مبلغاً مقابل إخلاتهم لها، لأنه إنما يأخذه مقابل إسقاط حقه في تكملة المدة، هذا ما ذهبت إليه الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي.

الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:

فتوى الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي.

سئلت الهيئة عن موضوع دفع المال لسكان العمارة مقابل إخلائها. فأجابت بما يلي:

إنه لا مانع لبيت التمويل الكويتي أن يدفع مبلغا لسكان العمارة في مقابل إخلائهم لها، وهذا تصرف جائز لا غبار عليه. ولا بد من الإشارة إلى أن الأصل في أحكام الشريعة الإسلامية، أن عقد الإجارة بين المالك والمستأجر ينتهي بانتهاء مدته، وللطرفين الخيار في تجديد العقد أو إنجائه، أما في ظل القوانين الوضعية المطبقة، نجد أنها وضعت قيوداً على حرية المالك في إخلاء العين المؤجرة، إلا بموجب الأسباب المحددة بالقوانين، ففي هذه الحالة يجوز للمالك أن يدفع مبلغا معيناً للمستأجر في مقابل تنازله عن شغل العين المؤجرة.

### ٥. الإيداع في البنوك الربوية في بلاد غير المسلمين التعريف بالمسألة:

أن يقوم العميل بإيداع أمواله في بنك ربوي، في بلاد غير المسلمين، سواء كان الإيداع بفائدة، أو دونها.

### حكم المسألة:

ذهب قطاع الفتوى بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت إلى عدم جواز إيداع المال في البنوك الربوية، إلا عند الاحتياج لذلك مع عدم وجود البنوك الإسلامية، ويقتصر حينئذ على الإيداع في الحساب الجاري دون فوائد، من باب ارتكاب أهون الضررين، ووجه التحريم أن البنك يستفيد من هذا المال، ويستعين به على أعماله المحرمة من ربا وغيره.

### القرارات والفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:

فتوى قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

ورد إلى القطاع سؤال عن موضوع الإيداع في البنوك الربوية في بلاد غير المسلمين.

فأجابت بما يلي:

إذا تيسر للمسلم إيداع ماله في غير البنك الربوي، فلا ينبغي أن يودع ماله في البنك الربوي، أما إن احتاج إلى الإيداع في بنك ربوي كأن لم يكن هناك بنك إسلامي أو قامت حاجة معتبرة للإيداع في بنك ربوي، فيجوز ذلك مع وجوب أن يكون الإيداع في حساب ليس عليه فوائد كالحساب الجاري.

وإذا صح ما يذكره السائل من أن البنوك في أمريكا أو الدول الأوروبية تعطي فوائد على الحسابات الجارية، ثم إذا رفض المودع أخذ الفوائد فإن البنوك تعطيتها للجهات الدينية غير الإسلامية ونحوها، فحينئذ يجوز للمودع أخذ تلك الفوائد والتخلص منها، بأن تصرف في وجوه الخير العامة، ما عدا طبع المصاحف وبناء المساجد، ولا يحلّ لمن هي في يده أن يؤدي منها حقاً عليه، سواء كان لله تعالى أو للأفراد أو للدولة كالضرائب مثلاً، ولا ينفقها على نفسه أو أهله.

والأولى أن تنفق هذه الفوائد الربوية في الحالات الاضطرارية في الجوائح، والمجاعات، والكوارث العامة، والخاصة. وهذا الحكم ينطبق على كل مال محرّم، سواء نتج عن تجارة أو غيرها. والله أعلم.

### إيداع الأموال لدى المصارف الربوية

التعريف بالمسألة:

أن يقوم العميل بإيداع مبالغ من ماله في حساب المصارف التي تتعامل بالربا.

### حكم المسألة:

ذهب مجمع الفقه الإسلامي الدولي، وهيئة الفتاوى والرقابة الشرعية بينك دبي الإسلامي، وفتاوى قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بالكويت، إلى أن إيداع أي مبلغ في بنك ربوي بقصد تحصيل فائدة ربوية وإنفاقها ولو في سبيل الخير ممنوع شرعاً، ورخصت الهيئة والقطاع في ذلك في حالة

الحاجة لحفظ المال وعدم وجود وسيلة أخرى للحفظ مع عدم أخذ الفوائد الربوية.

### قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية. أولاً: قرارات المجامع الفقهية:

قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره التاسع بأبي ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة من ١ - ٦ ذي القعدة ١٤١٥ هـ الموافق ١ - ٦ نيسان (أبريل) ١٩٩٥ م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع الودائع المصرفية (حسابات المصارف)، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولاً: الودائع تحت الطلب (الحسابات الجارية)، سواء أكانت لدى البنوك الإسلامية أو البنوك الربوية، هي قروض بالمنظور الفقهي، حيث إن المصرف المتسلم لهذه الودائع يده يد ضمان لها، وهو ملزم شرعاً بالرد عند الطلب. ولا يؤثر على حكم القرض كون البنك (المقترض) مليئاً. ثانياً: إن الودائع المصرفية تنقسم إلى نوعين بحسب واقع التعامل المصرفي: - الودائع التي تدفع لها فوائد، كما هو الحال في البنوك الربوية، هي قروض ربوية محرمة، سواء أكانت من نوع الودائع تحت الطلب (الحسابات الجارية)، أم الودائع لأجل، أم الودائع بإشعار، أم حسابات التوفير.

### ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:

١/ فتاوى قطاع الإفتاء بالكويت.

ورد إلى القطاع سؤال عن موضوع الإيداع لدى المصارف الربوية.

فأجابت بما يلي:

أما السؤال الثالث بشأن إيداع الأموال في حسابات جارية لدى البنوك الربوية (دون فوائد) مع وجود بنوك إسلامية، فإن الأولى عدم الإقدام على ذلك لما فيه من دعم نشاط هذه البنوك وتوفير السيولة لها، إلا إذا وجد داع يدع لحفظ المال حيث لا تتوافر وسائل أخرى للحفظ. والله أعلم.

كما ورد إليهم أيضاً سؤال عن موضوع الإيداع لدى المصارف الربوية. فأجابت بما يلي:

إن إيداع أي مبلغ في بنك ربوي بقصد تحصيل فائدة ربوية وإنفاقها، ولو في سبيل الخير ممنوع شرعاً، ومن باب أولى الإنفاق منها على أجور الموظفين والنثرات وغيرها، أما إذا كان الإيداع لمجرد الحفظ ودون فوائد ربوية، فإن الإيداع في هذه الحالة جائز شرعاً. والله سبحانه وتعالى أعلم.

**٢/ فتاوى هيئة الفتاوى والرقابة الشرعية ببنك دبي الإسلامي.**

ورد إلى اللجنة سؤال عن موضوع الإيداع لدى المصارف الربوية. فأجابت بما يلي:

لما كان الأصل في السؤال أن الإيداع في البنك لا يتضمن فائدة محرمة، فإنه يكون جائزاً شرعاً، غير أنه يتعين على المسلم التعامل مع المصارف الإسلامية، كلما أمكن ذلك توكياً من الوقوع في الحرام أو الإعانة عليه.

## ٦. إصدار بطاقة الائتمان

### التعريف بالمسألة:

أن يقوم العميل بإبرام عقد بينه وبين المصرف (البنك)، يقوم بموجبه المصرف بإصدار مستند لعميله، يُمكنه من شراء السلع أو الخدمات، ممن يعتمد المستند، دون دفع الثمن حالاً، لتضمنه التزام المصدر بالدفع. ويكون الدفع من حساب المصدر، ثم يعود على حاملها في مواعيد دورية، وبعضها يفرض فوائد ربوية على مجموع الرصيد غير المدفوع بعد مدة محددة من تاريخ المطالبة أو غرامة تأخيريه، وبعضها لا يفرض شيئاً. وتتفوق بطاقات الائتمان على الشيكات في عنصر: ”الأمان والسهولة وأنها: ”وسيلة دفع جاهزة مأمونة“ واستخدام لها محلياً أو دولياً، دون الحاجة إلى حمل النقود، أو التحويل، ومن فوائدها:

أ/ الأمان على أمواله من أي اعتداء وسطو.

ب/ الأمان على نفسه من الهجوم عليه لما معه من النقود.

ج/ التمكن من الشراء أمام أي رغبة للشراء سابقة أو طارئة.

د/التعامل مع الآخرين بأي عملة دون الحاجة إلى حمل العملات المتعددة. ه/ توفر البطاقة لحاملها- الحصول على حطيطة وتخفيض - خصم من التاجر عن سعر السوق، بنسبة معينة، تتراوح بين ٥٪ إلى ٣٠٪ حسب السلعة، والمنشأة التجارية وفي الخدمات الفندقية، والحجوزات. لهذا انتشرت في العالم حتى قدر عدد حاملي البطاقة في العالم بنحو "٨٠٠" مليون فرد.

### حكم المسألة:

اختلف العلماء المعاصرون في حكم إصدار البطاقات الائتمانية على رأيين، ولكن الراجح من يقول بالجواز وهو قول جمهور المعاصرين، ومنهم ندوة البركة الثانية عشرة للاقتصاد الإسلامي، وباحثون بمجمع علماء الشريعة بأمريكا، وكذلك هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، والهيئة الشرعية لمصرف الراجحي، وأجازتها الهيئة الشرعية لبنك البلاد، بشرط عدم أخذ أو إعطاء أي فائدة محرمة، وأن يُشترط على حاملها عدم التعامل بها فيما حرّمته الشريعة.

### أهم أدلة الجواز:

أن العلاقة بين مصدر البطاقة وحاملها إقراض أو ضمان، والأصل فيهما الجواز، وإنما المحظور ما ذكر في أدلة القول الأول من الغرامات الربوية، وهذا غير لازم للعقد، ومتى وُجد كان محرماً.

قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

### أولاً: قرارات المجامع الفقهية:

١/ قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ إلى غرة رجب ١٤٢١هـ (٢٣-٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠)، وبناء على قرار المجلس رقم ٧/١/٦/٥ في موضوع الأسواق المالية بخصوص بطاقة الائتمان، حيث قرر البت في التكيف الشرعي لهذه البطاقة وحكمها إلى دورة قادمة، وإشارة إلى قرار المجلس في دورته

العاشرة رقم ١٠٢/٤/١٠، موضوع (بطاقات الائتمان غير المغطاة)، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله من الفقهاء والاقتصاديين، ورجوعه إلى تعريف بطاقة الائتمان في قراره رقم (٧/١/٦٣)، الذي يستفاد منه تعريف بطاقة الائتمان غير المغطاة بأنه: قرر ما يلي:

أولاً: لا يجوز إصدار بطاقة الائتمان غير المغطاة ولا التعامل بها، إذا كانت مشروطة بزيادة فائدة ربوية، حتى ولو كان طالب البطاقة عازماً على السداد ضمن مدة السماح المجاني.

**ثانياً: يجوز إصدار البطاقة غير المغطاة إذا لم تتضمن شروط زيادة ربوية على أصل الدين.**

٢/ وناقش كذلك مجمع الفقه الإسلامي بالهند أنواع البطاقات من حيث اشتغالها على الربا وعدمه، لأن الإسلام حرم الربا لما فيه استغلال وضرر للفقراء، وبعد النقاش قرر ما يلي:

- ١- لا مانع شرعاً من استخدام بطاقة إيه تي ايم (الصرف الآلي)، التي يتم بواسطته سحب الرصيد المودع في البنك، لأن الأصل في الأشياء الإباحة.
- ٢- يجوز استخدام بطاقة ديبيت (بطاقة السحب الفوري)، وشراء البضائع بها، ونقل الرصيد بها من حساب إلى حساب آخر.
- ٣- يجوز دفع الرسوم على حصول واستخدام بطاقة إيه تي ايم وبطاقة ديبيت، لأنها عوض البطاقة وأجر الخدمة.
- ٤- لا يجوز استخدام بطاقة كريدت (بطاقة الائتمان)، والبطاقة مثلها لاشتمال صورتها الرائجة على الربا.

٣/ قرر مجمع علماء الشريعة بأمريكا، بعد نقاشه لموضوع بطاقة الائتمان، ما يلي:

الراجح جواز اقتنائها واستعمالها في شراء البضائع بها، بشرط أن يلتزم بسداد قيمة المشتريات خلال المدة التي لا ربا فيها، والتي تكون عادة حوالي ٢٥ أو ٣٠ يوماً، لكن لا يجوز استعمال بطاقة الائتمان في السحب النقدي الكاش (كاش أدفانس)، لأنه سيلحقه الربا لا محالة، لأن من

سحب مبلغاً نقدياً عبر البطاقة فستفرض عليه فائدة ربوية، ولا يعطى أي مهلة للسداد بلا ربا، وأما مسألة اشتغال العقد على شرط فاسد فقد تقدم توضيحها في إجابة السؤال الخامس، وأما النسبة التي تخصمها البطاقة من التاجر البائع فهي أجرة لهم على تحصيل الأموال، أو هي عمولة سمسرة، وهي جائزة إن شاء الله على الراجح من قولي العلماء.

### ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:

١/ فتاوى ندوة البركة الثانية عشرة للاقتصاد الإسلامي (الحلقة الفقهية السادسة):

المحور الأول: الضوابط الشرعية لإصدار واستخدام بطاقات الائتمان: بطاقة الائتمان هي مستند يعطيه مصدره (البنك المصدر) لشخص طبيعي أو اعتباري (حامل البطاقة) بناء على عقد بينهما يمكنه من شراء السلع أو الخدمات ممن يعتمد المستند (التاجر) دون دفع الثمن حالاً، لتضمنه التزام المصدر بالدفع. ويتم التعامل ببطاقات الائتمان من خلال نظام متكامل تدخل فيه أطراف متعددة، وتنشأ بينها علاقات مختلفة، وتترتب رسوم وعمولات شتى على إعطاء البطاقة، أو استخدامها للدفع، أو السحب النقدي، أو قبول التاجر التعامل بها.

وقد أحاط المشاركون علماً بما انتهت إليه الهيئات الشرعية للبنوك الإسلامية التي أصدرت بطاقات ائتمان، من مشروعية استخدام بطاقات الائتمان، التي يراعى في إصدارها استخدامها الضوابط الشرعية.

٢/ قررت الهيئة الشرعية لبنك البلاد، بشأن موضوع إصدار البطاقات الائتمانية، ما يلي:

١- يجوز إصدار البطاقات الائتمانية مثل بطاقات فيزا وماستركارد؛ بشرط عدم أخذ أو إعطاء أي فائدة محرمة، وأن يُشترط على حاملها عدم التعامل بها فيما حرّمته الشريعة.

٢- لا يجوز إصدار بطاقة الائتمان ذات الدين المتجدد، الذي يسدده حامل البطاقة على أقساط آجلة بفائدة ربوية.

٣- لا يجوز إصدار بطاقة الائتمان لمن يعلم أو يظن أنه يستخدمها في أعمال مخالفة للشريعة الإسلامية.

٤. قررت هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية بخصوص موضوع أنواع البطاقات، ما يلي:

### ٢/٣ بطاقة الائتمان والحسم الآجل.

يجوز إصدار بطاقة الائتمان والحسم الآجل بالشروط الآتية:

(أ) ألا يشترط على حامل البطاقة فوائد ربوية في حال تأخره عن سداد المبالغ المستحقة عليه.

(ب) في حالة إلزام المؤسسة حامل البطاقة بإيداع مبلغ نقدي ضماناً لا يمكن لحامل البطاقة التصرف فيه، يجب النص على أنها تستثمره لصالحه على وجه المضاربة مع اقتسام الربح بينه وبين المؤسسة بحسب النسبة المحددة.

(ج) أن تشترط المؤسسة على حامل البطاقة عدم التعامل بها فيما حرّمته الشريعة، وأنه يحق للمؤسسة سحب البطاقة في تلك الحالة.

٥/ قررت الهيئة الشرعية لمصرف الراجحي بشأن إصدار بطاقة التسويق (فيزا)، ما يلي:

بعد تأمل الهيئة لهذه المعاملة لم يظهر لها من الناحية الشرعية ما يوجب الاعتراض على قيام الشركة بإصدار هذه البطاقة (فيزا)، بشرط إلا يترتب على قيامها بذلك أخذ أو إعطاء أي فائدة محرمة، بشكل ظاهر أو مستتر، سواء تم ذلك مع عملائها أو شركة فيزا العالمية أو شركة الخدمات المالية العربية، التي ستقوم بالوساطة الفنية والحسابية بين شركة الراجحي المصرفية للاستثمار وشركة فيزا العالمية أو غيرهم من أطراف المعاملة..

### أخذ الرسوم على إصدار البطاقة الائتمانية

#### التعريف بالمسألة:

أن يأخذ البنك مبلغاً معيناً ثابتاً من العميل عند إصدار بطاقة الائتمان.

## حكم المسألة:

اختلف المعاصرون في حكم أخذ الرسوم على إصدار البطاقة على آراء:  
الرأي الأول: يجرم أخذ الرسوم، وهذا رأي بعض أعضاء مجمع الفقه.  
**أهم أدلة هذا الرأي:**

١/ أن العلاقة بين المصدر وحامل البطاقة ضمان، وأخذ هذه الرسوم من الأجر على الضمان، وهو محرم.  
 ٢/ أن الائتمان الذي يقدمه المصدر شبيه بالقرض، فما يأخذه من رسوم فيه شبهة الربا، بوصفه من المنفعة المشروطة في القرض.  
 ٣/ أن بعض البطاقات كالبطاقة الذهبية تقدّم خدمات محرمة كالتأمين على الحياة، وهذا مأخوذ في الاعتبار عند تقدير هذه الرسوم، فيحرم أخذها لذلك.

٤/ أن هذه الرسوم في مقابل عدد مرات استفادة حامل البطاقة من التسهيلات المالية التي تمنحها البطاقة، وهذه المرات غير معلومة العدد، فالعقد لا يخلو من غرر وجهالة.

الرأي الثاني: جواز أخذ هذه الرسوم، وهذا رأي أكثر الباحثين، الذين تصدوا لدراسة أحكام هذه البطاقات، وهو ما صدر عن المجمع الفقهي والهيئات الشرعية: كمجمع الفقه الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي -المؤتمر الإسلامي سابقا-، وهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية في البحرين، وهيئة الشرعية لشركة الراجحي المصرفية، وهيئة الفتوى والرقابة الشرعية في بيت التمويل الكويتي، وندوة البركة الفقهية الثانية عشرة، واختاره كثير من الباحثين المعاصرين.

## أهم أدلة هذا الرأي:

١/ أن هذه الرسوم في مقابل تقديم الخدمات المصرفية، هي أجرة مقطوعة لا علاقة لها بمقدار دين حامل البطاقة، فهي أجرة في مقابل عمل.  
 ٢/ على تكييف العلاقة بين المصدر والحامل بأنها قرض، فهذه الرسوم تعد من أجور خدمات القروض، وقد أجاز مجمع الفقه في دورته الثالثة هذه

الأجور، بشرط أن تكون في حدود النفقات الفعلية. ٣/ أن إصدار هذه البطاقات تكلف المصرف أعمالاً إدارية كثيرة: كتجهيز البطاقة، وإرسال الإشعار، وإجراءات فتح الملف، وتعريف الجهات التي قد يحتاج للتعامل معها، وما يترتب على ذلك من أعمال مكتبية وموظفين واستئجار مواقع للأجهزة، وإجراء اتصالات هاتفية، وتكاليف الاشتراك في المنظمات، فهذه الرسوم في مقابل هذه التكاليف.

الرأي الثالث: التفصيل، وذلك أن الرسوم على أقسام:

أ/ التكاليف والنفقات الفعلية، وهذه جائزة إذا لم تكن تكاليف أمور محرمة: كالتأمين، وتم تقديرها بدقة وعدل.

ب / رسوم الضمان، وهذه لا يجوز أخذها.

ج / أجور الخدمات المقدمة لحامل البطاقة، وهذه في الواقع تابعة للضمان؛ لذا لا يجوز أخذها؛ للقاعدة الفقهية (التابع تابع)، وحكم رسوم الخدمات تابعة لحكم رسوم الضمان، ولما جاء في القاعدة الأخرى: (إذا اجتمع الحلال والحرام غلب جانب الحرام)

قرارات الجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

أولاً: قرارات الجامع الفقهية:

قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ إلى غرة رجب ١٤٢١ هـ (٢٣-٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ م)، وبناء على قرار المجلس رقم ٧/١/٦٥ في موضوع: (الأسواق المالية بخصوص بطاقة الائتمان)، حيث قرر البت في التكييف الشرعي لهذه البطاقة وحكمها في دورة قادمة، وإشارة إلى قرار المجلس في دورته العاشرة رقم ١٠/٤/١٠٢، وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع (بطاقات الائتمان غير المغطاة)، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله من الفقهاء والاقتصاديين، ورجوعه إلى تعريف بطاقة الائتمان في قراره رقم (٧/١/٦٣)، الذي يستفاد منه تعريف

بطاقة الائتمان غير المغطاة بأنه: .. قرر ما يلي:  
أولاً: لا يجوز إصدار بطاقة الائتمان غير المغطاة ولا التعامل بها إذا كانت مشروطة بزيادة فائدة ربوية، حتى ولو كان طالب البطاقة عازماً على السداد، ضمن مدة السماح المجاني.

ثانياً: يجوز إصدار البطاقة غير المغطاة إذا لم تتضمن شرط زيادة ربوية على أصل الدين.

ويتفرع على ذلك:

أ . جواز أخذ مصدرها من العميل رسوماً مقطوعة عند الإصدار أو التجديد، بصفتها أجراً فعلياً على قدر الخدمات المقدمة منه.

ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:

١/ قررت هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية:  
 أنه يجوز للمؤسسة المصدرة للبطاقة أن تتقاضى من حامل البطاقة رسم عضوية، ورسم تجديد، ورسم استبدال.

٢/ الهيئة الشرعية لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار.  
 فقد اطّلت الهيئة الشرعية لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار على السؤال المقدم من الشركة برقم ع س ر ١٣٨ / ٩٠ المتعلق بالرسوم والعمولات، التي تستحق للشركة من جراء اشتراكها في إصدار بطاقة فيزا العالمية، وبعد تأمل الهيئة لمجمل ما ورد حول هذا الموضوع من الشركة تبين لها أن الرسوم والعمولات، التي تستحق لشركة الراجحي جراء اشتراكها في إصدار بطاقة فيزا تنقسم إلى أربعة أقسام، هي كما يلي:  
 ١/ الرسوم التي تستحق لها على عميلها لقاء إصدار البطاقة له، أو تجديدها سنوياً، أو إصدار بطاقة على حسابه لزوجته أو أولاده، أو إصدار بطاقة بديلة في حال فقدته لبطاقته، وهذه الرسوم يجوز للشركة تحصيلها من عميلها.

٢/ رسوم وعمولات تستحق للشركة على الغير، مقابل خدمة يقوم العميل بالحصول عليها منهم، بموجب اشتراكه في بطاقة فيزا، بحيث لا يتحمل

العميل شيئاً من هذه الرسوم، وهذا النوع يجوز للشركة تحصيله ممن قدم الخدمة للعميل.

٣/ رسوم وعمولات تستحق للشركة مقابل التوسط في عمليات المصارفة والتحويل من بلد إلى بلد، فلا بأس للشركة من تحصيلها من العميل أو غيره.

٤/رسوم تستحق لشركة الراجحي مقابل إقراضها مبلغاً من النقود لشخص يحمل بطاقة فيزا، ففي هذه الحال:

لا يجوز للشركة أن تتقاضى أي رسوم لقاء هذا القرض، سواء أكانت هي المصدرة للفيزا، أو كانت الفيزا صادرة من مصدر آخر:

فإذا كانت الفيزا من شركة الراجحي، وسجل لها مركز فيزا الدولي رسوماً عنها، فعلى الشركة أن تقوم بتسجيل هذه الرسوم لعميلها في حسابه الدائن (أي تردها إليه)، أما إن كانت الفيزا من مصدر آخر، وسجل مركز الفيزا لشركة الراجحي رسوماً عن هذا القرض، فعلى الشركة قيد هذه الرسوم في حساب الأعمال الخيرية، خروجاً من الشبهة. ٣/فتوى هيئة الرقابة الشرعية في بيت التمويل الكويتي.

ورد سؤال للهيئة عن موضوع أخذ الرسوم على إصدار بطاقة فيزا. فأجابت بما نصه:

يجوز أخذ أجره عن الخدمات المقدمة لصاحب بطاقة فيزا التمويل، ومنها القيام بالدفع من حسابه المشتمل على رصيد على أساس أجر الوكالة بالدفع. أما في حالة انكشاف رصيده وقيامنا بالدفع عنه منا، فلا يؤخذ منه عمولة، لأنه قرض حسن.

**أخذ الرسوم على السحب النقدي بطاقة الائتمان  
التعريف بالمسألة:**

أن يقوم العميل بسحب مبلغ معين من رصيده بطاقة الائتمان، فيخصم من رصيده مبلغاً من المال: كرسوم على الخدمة، التي تقدم من بطاقة الائتمان.

مثال ذلك: سحب العميل مبلغ (١٨٠٠) ريال، ثم يخصم منه بعد (٤٥) يوماً مبلغ (١٨١٨) ريالاً، بأخذ (١٨) ريالاً زيادة على الذي سحبه من رصيده كرسوم للشبكة الدولية.

وللسحب النقدي بالبطاقة الائتمانية حالتان:

١/ السحب اليدوي: والمراد ما يحصل بإبراز البطاقة للبنك، والحصول على النقود مناولَةً.

٢/ السحب الآلي، وهو ما يكون عن طريق أجهزة الصراف الآلي (ATM)، وهذا النوع من السحب عادةً ما يكون له تكاليف من أجهزة وصيانة واستئجار مواقع ونحو ذلك.

### حكم المسألة:

أما في الحالة الأولى: وهي السحب اليدوي ف لا يجوز أخذ أي رسوم في مقابل السحب؛ لأن ذلك من الربا الصريح، وهذه الرسوم لا يقابلها تكاليف فعلية في الغالب؛ ومن هنا فقد أكدت فتاوى الهيئات الشرعية للمصارف الإسلامية على حرمة استخدام البطاقة الائتمانية في السحب اليدوي من البنوك الربوية؛ لأن هذه البنوك تحتسب فائدة ربوية عبارة عن نسبة مئوية من المبلغ المسحوب.

وأما في الحالة الثانية: وهي السحب الآلي فقد اختلف الباحثون في حكم الرسوم المأخوذة على السحب النقدي ببطاقة الائتمان على عدة آراء: الرأي الأول: لا يجوز أخذ الرسوم مطلقاً، سواءً أكانت في مقابل نفقات فعلية أم لم تكن.

### أهم أدلة هذا الرأي:

أن هذه الرسوم من الربا المحرم؛ لأنها من فوائد القروض.

الرأي الثاني: جواز أخذ الرسوم، سواءً أكانت نسبة مئوية من المبلغ المسحوب، أم كانت مبلغاً مقطوعاً، وهذا ما صدر عن هيئة الفتوى والرقابة الشرعية في بيت التمويل الكويتي، وفتوى ندوة البركة.

**أهم أدلة هذا الرأي:**

أن رسوم السحب النقدي في مقابل خدمات يقدمها المصدر من توصيل المال إلى حامل البطاقة في أي مكان عبر فروعه أو أجهزة الصرف، كما أنها في مقابل خدمات يقدمها المسحوب منه من إجراء اتصالات، وتكاليف إبراق، وأجهزة صرف، ونحو ذلك.

الرأي الثالث: يجوز أخذ الرسوم بشرط أن تكون مبلغًا مقطوعًا لا نسبةً مئويةً.

وهذا ما صدر بالأغلبية عن الهيئة الشرعية لشركة الراجحي المصرفية، وهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات الإسلامية.

**أهم أدلة هذا الرأي:**

أن تغير الرسم بتغير المبلغ المسحوب (النسبة المئوية) فيه شبهة الربا، وهذا منتفٍ في حالة كون الرسم مبلغًا مقطوعًا في كل حالة من حالات السحب.

الرأي الرابع: يجوز أخذ الرسوم بشرط أن تكون مبلغًا مقطوعًا في مقابل النفقات الفعلية لعملية الإقراض، ولا يجوز الزيادة على التكلفة الفعلية، وهذا رأي مجمع الفقه الإسلامي، والهيئة الشرعية لشركة الراجحي.

**أهم أدلة هذا الرأي:**

أن السحب النقدي في حقيقته اقتراض من المسحوب منه، فما يأخذه المقرض من زيادة ربا محرم شرعًا، وهذا من ربا القروض، ويستثنى من ذلك التكلفة الفعلية للإقراض، فهي غير داخلية في المنفعة المحرمة لما سبق، وهي من أجور خدمات القروض، التي أجازها مجمع الفقه في دورته الثالثة، بشرط أن تكون في حدود النفقات الفعلية، وما زاد فهو ذريعة لربا القروض وستار لإخفائه.

قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

**أولاً: قرارات المجامع الفقهية:**

قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي

في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ إلى غرة رجب ١٤٢١ هـ (٢٣-٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م) بناء على قرار المجلس رقم ٧/١/٦٥ في موضوع: (الأسواق المالية بخصوص بطاقة الائتمان)، حيث قرر البت في التكييف الشرعي لهذه البطاقة وحكمها في دورة قادمة، وإشارة إلى قرار المجلس في دورته العاشرة رقم ١٠/٤/١٠٢، وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع (بطاقات الائتمان غير المغطاة)، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله من الفقهاء والاقتصاديين..قرر ما يلي:

**أولاً:** لا يجوز إصدار بطاقة الائتمان غير المغطاة، ولا التعامل بها إذا كانت مشروطة بزيادة فائدة ربوية، حتى ولو كان طالب البطاقة عازماً على السداد، ضمن مدة السماح المجاني.

**ثانياً:** يجوز إصدار البطاقة غير المغطاة إذا لم تتضمن شرط زيادة ربوية على أصل الدين.

**ويتفرع على ذلك:**

**ثالثاً:** السحب النقدي من قبل حامل البطاقة اقتراض من مصدرها، ولا حرج فيه شرعاً إذا لم يترتب عليه زيادة ربوية، ولا يعد من قبيلها الرسوم المقطوعة التي لا ترتبط بمبلغ القرض أو مدته مقابل هذه الخدمة. وكل زيادة على الخدمات الفعلية محرمة، لأنها من الربا المحرم شرعاً، كما نص على ذلك المجمع في قراره رقم ١٣ (٢/١٠) و١٣ (٣/١)

**ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:**

١/ قرر مجلس فقهاء الشريعة بأميركا في دورته التدريبية الثانية لأئمة المساجد والمراكز الإسلامية بالساحل الغربي للولايات المتحدة في المدة من ١٣ - ١٧ مايو - ٢٠٠٥ حول استثمار الأموال في الإسلام بمدينة ساكرامنتو بولاية كاليفورنيا ما يلي:

**بشأن بطاقة الائتمان:**

بطاقات الائتمان هي البطاقات التي تحوّل لحاملها الحصول على حاجياته

من السلع أو الخدمات دينًا. وتقضي بوجوب دفع فوائد ربوية أو غرامات مالية عند التأخر عن الوفاء.

الأصل في هذه البطاقات أنها من العقود الفاسدة، نظرا لما تتضمنه من شرط ربوي، يتعين قبوله من المتعامل بها، ويلزمه الوفاء به عند الاقتضاء. يرخص في استخراج هذه البطاقات إذا عمت البلوى بها، ومست الحاجة إليها، وانعدم البديل المشروع، وغلب على ظن المتعامل بها قدرته على الوفاء، وتجنب الوقوع تحت طائلة هذا الشرط الربوي، على ألا تستخدم فعلا إلا بقدر الحاجة، وأن يسد ما عليه دفعة واحدة دون تأخير، وأن يتوقف عن استخدامها مطلقًا عندما يصبح لديه تاريخ ائتماني، يكفي لتسهيل معاملاته وحصوله على ما يريد، فإن ما رخص فيه للحاجة يقدر بقدرها.

لا يحل السحب النقدي عن طريق هذه البطاقات إلا عند الضرورات، لأن الشرط الربوي يطبق منذ اللحظة الأولى، ولا سبيل إلى الفكك منه. ٢ / الهيئة الشرعية لمصرف الراجحي.

قررت الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي في موضوع أخذ الرسوم على بطاقة الائتمان، ما يلي:

ترى الهيئة أنه لا يجوز للشركة تحصيل أي رسوم تحت أي اسم لقاء السحب النقدي من عملائها، الذين يحملون بطاقة فيزا الصادرة من الشركة أو غيرها، لقاء سحبهم مبالغ نقدية بموجب حملهم لبطاقة فيزا، حتى ولو كانت العمولة مطالبًا بها من بنوك أجنبية، قامت بصرف مبلغ نقدي لحملة بطاقة الفيزا، التي تصدرها الشركة، وعلى الشركة إيجاد طريقة تتعامل بها مع البنوك الأجنبية، بحيث لا تدفع هذه الرسوم، أو تتوصل إلى طريقة من خلال شبكة مراسليها، لتزويد حملة بطاقات الفيزا التي تصدرها بواجبهم من النقد، تحويلاً من حساباتهم مباشرة، ولا مانع في هذه الحالة من تحصيل الرسم الفعلي لتحويل المبلغ من حساب العميل إلى المنطقة التي هو فيها.

## ٧. أخذ زيادة على الدين مقابل ملاحظة المدين في السداد التعريف بالمسألة:

فرض زيادة مادية على العميل، تأخره عن سداد ما عليه من ديون، ولو من غير شرط.

### حكم المسألة:

ذهب مجمع الفقه الإسلامي الدولي، والهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي إلى عدم جواز الزيادة على الدين في حال المماطلة في السداد، وأن هذا في الحقيقة نوع من الربا، الذي كان منتشرًا في الجاهلية، إذ كان الدائن يذهب إلى المدين، فيقول له: إما أن تقضي وإما أن تُربي، وهذا مما يتنافى مع مبدأ الإسلام، الذي أمر الدائن بإنظار المعسر، أو إسقاط الدين عنه أصلاً والتصدق به عليه، فقد قال عز وجل: "وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [البقرة: ٢٨٠]. وأمر المدين الموسر بعدم المماطلة، فقال صلى الله عليه وسلم: "مطل الغني ظلم" رواه البخاري ومسلم.

قرارات الجماع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

أولاً: قرارات الجماع الفقهية: .

قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠ الموافق ١٤ - ٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع البيع بالتقسيط، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

ثالثاً: إذا تأخر المشتري المدين في دفع الأقساط عن الموعد المحدد فلا يجوز إلزامه أي زيادة على الدين بشرط سابق أو دون شرط، لأن ذلك ربا محرم.

رابعاً: يحرم على المدين المليء أن يماطل في أداء ما حل من الأقساط، ومع ذلك لا يجوز شرعاً اشتراط التعويض في حال التأخر عن الأداء.

## ثانياً: قرارات الهيئات الشرعية:

١/ فتوى الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي.  
ورد سؤال إلى الهيئة أيضاً عن موضوع أخذ زيادة على الدين مقابل ماطلة  
المدين في السداد.  
فأجابت بما نصه:

لا يجوز أخذ أي زيادة على الدين مقابل ماطلة المدين، ولو كان ماطلاً  
عن عمد، تفادياً من الوقوع في ربا النسئة.

٢/ فتوى الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي.  
ورد سؤال إلى الهيئة أيضاً عن موضوع أخذ زيادة على الدين مقابل ماطلة  
المدين في السداد.  
فأجابت بما نصه:

إذا وقعت الماطلة من المدين فإن المستحق هو الدين فقط دون أي زيادة،  
لأنه يعامل معاملة الغاصب للمال المثلي، وجزاؤه رد المثل دون زيادة مع  
الإثم على عمله.

## ٨. الاقتراض بفائدة ربوية لضرورة ملحة

## التعريف بالمسألة:

أن يقوم شخص بالاقتراض بفائدة من البنك، لضرورة ألت به.

## حكم المسألة:

## في هذه المسألة رأيان:

الرأي الأول: أنه لا ضرورة إلى الربا، وأنه يحرم أخذ الفوائد الربوية، وهو  
ما أفتى به عدد من المعاصرين.

وذلك أن الضرورة ما يترتب عليها تلف نفس أو فوات عضو، وعدم أخذ  
المال الربوي لا يترتب عليه شيء من ذلك، ومن خشى على نفسه الهلاك  
حتى حلت له الميتة بالضرورة فرضاً فإن له فيها غناءً عن الربا.

الرأي الثاني: يجوز الاقتراض بالفائدة، إن لم يجد الشخص وسيلة للتعایش غير هذه، على إلا يزيد في الاقتراض عن حاجته الماسة، ولا إثم عليه لحالته المبينة في السؤال، والإثم على المقرض بالربا. هذا ما ذهب إليه قطاع الإفتاء بوزارة الشؤون الإسلامية بالكويت.

### القرارات والفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:

١/ قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

ورد إلى القطاع سؤال عن موضوع الاقتراض بفائدة ربوية لضرورة ماسة. فأجابت بما نصه:

إنه يجوز له أن يقترض بالفائدة المذكورة، إن صح ما يذكره أنه لم يجد وسيلة للتعایش غير هذه، على إلا يزيد في الاقتراض عن حاجته الماسة، ولا إثم عليه لحالته المبينة في السؤال، والإثم على المقرض بالربا. والله أعلم.

### ٩. بيع التأشيرات: العناوين المرادفة: بيع الفيزا

#### التعريف بالمسألة:

أن يقوم صاحب العمل ببيع تأشيرات استقدام لعمالة وافدة، على أن يستقدمهم إلى بلده، ويعملوا في مؤسسته، أو شركته، أو يقوم بتفريغهم للعمل لجهة أخرى.

#### حكم المسألة:

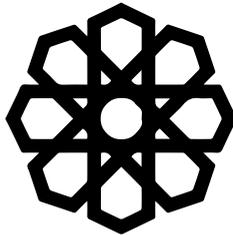
ذهبت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إلى تحريم بيع التأشيرات، لأن في بيعها كذباً ومخالفة واحتيالا على أنظمة الدولة، وأكلاً للمال بالباطل، قال الله تعالى: "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [البقرة: ١٨٨].

قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

### سئلت اللجنة عن موضوع بيع التأشيرات. فأجابت بما يلي:

بيع الفيزا لا يجوز؛ لأن في بيعها كذباً ومخالفة واحتيالاً على أنظمة الدولة، وأكلاً للمال بالباطل، وعلى ذلك فإن ثمن الفيزا التي بعتهما والنسب التي تأخذها من العمال كسب محرم، يجب عليك التخلص منه، وإبراء ذمتك منه، فما حصلت عليه من ثمن الفيزا تنفقه في وجوه البر والخير، من فقراء وإنشاء وبناء مرافق تنفع المسلمين.

وأما الأموال التي أخذتها من العمال أنفسهم نسبة في كل شهر، فإنه يجب عليك ردها إليهم إن كانوا موجودين، أو تيسر إيصالها إليهم في بلدهم على عناوينهم. وإن تعذر معرفتهم أو إيصالها إليهم، فإنك تتصدق بها عنهم؛ لأن هذه النسبة اقتطعت منهم بغير حق، ودون عوض، وعليك الاستمرار في التوبة من هذا العمل، وعدم العودة إليه مستقبلاً، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، قال الله تعالى: ”وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا“ [الطلاق: ٢-٣].  
وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.







## الفصل الثالث

- المبحث الأول: تفسير سورة محمد (من ٣٢-٣٨)
- المبحث الثاني: علوم الحديث / السنن للنسائي
- المبحث الثالث: الدعوة / القاعدة العاشرة





## المبحث الأول

### القرآن: سورة محمد ٣٢-٣٨

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يُضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْغَرَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤِلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّن يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾

[مُحَمَّد : ٣٢ - ٣٨]

الموضوع: الافتراق بين المؤمنين والكافرين وتوجيهات جهادية للمؤمنين

وتهديد المتشاكين بالاستبدال

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يُضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ (٣٢))

مقدمة الوحدة

الحديث في الشطر الأول من هذا الشوط الأخير من السورة عن (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى) وهؤلاء، الأقرب أن يكونوا هم المشركين الذين كان الحديث عنهم في أول السورة. فهم الذين ينطبق عليهم هذا التبجح في الوقوف للدعوة

الإسلامية. التبجح الذي يعبر عنه بالصد عن سبيل الله ومشاقة الرسول ﷺ وإن كان هناك احتمال آخر، وهو أن يكون الحديث عاما لكل من يقف هذا الموقف، يشمل اليهود في المدينة ويشمل المنافقين، على سبيل التهديد لهم إذا هموا أن يقفوا مثل هذا الموقف جهرة أو سرا. ولكن الاحتمال الأول أقرب على كل حال.

أما الحديث في الشطر الثاني والأخير حتى ختام السورة فهو خطاب للمؤمنين، يدعوهم إلى مواصلة الجهاد بالنفس وبالمال، دون تراخ أو دعوة إلى مهادنة الكفر المعتدي الظالم، تحت أي مؤثر من ضعف أو مراعاة قرابة أو رعاية مصلحة. ودون بخل بالمال الذي لا يكلفهم الله أن ينفقوا منه إلا في حدود استطاعة، مراعي الشح الفطري في النفوس! وإن لا ينهضوا بتكاليف هذه الدعوة فإن الله يحرمهم كرامة حملها والانتداب لها، ويستبدل بهم قوما غيرهم ينهضون بتكاليفها، ويعرفون قدرها. وهو تهديد عنيف مخيف يناسب جو السورة، كما يشي بأنه كان علاجا لحالات نفسية قائمة في صفوف المسلمين إذ ذاك - من غير المنافقين - وذلك إلى جانب حالات التفاني والتجرد والشجاعة والفداء التي اشتهرت بها الروايات. فقد كان في الجماعة المسلمة هؤلاء وهؤلاء. وكان القرآن يعالج ويربي لينهض بالمتخلفين إلى المستوى العالي الكريم.

(إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وشاقوا الرسول - من بعد ما تبين لهم الهدى - لن يضروا الله شيئا، وسيحبط أعمالهم)

إنه قرار من الله مؤكد، ووعد منه واقع: أن الذين كفروا، ووقفوا في وجه الحق أن يبلغ إلى الناس، وصدوا الناس عنه بالقوة، أو المال، أو الخداع، أو أية وسيلة من الوسائل، وشاقوا الرسول ﷺ في حياته بإعلان الحرب عليه، والمخالفة عن طريقه، والوقوف في غير صفه. أو بعد وفاته بمحاربة دينه وشريعته ومنهجه والمتبعين لسنته والقائمين على دعوته. وذلك (من بعد ما تبين لهم الهدى) وعرفوا أنه الحق، ولكنهم اتبعوا الهوى، وجمع بهم العناد وأعمالهم الغرض، وقادتهم المصلحة العاجلة.

قرار من الله مؤكد، ووعده من الله واقع أن هؤلاء (لن يضروا الله شيئاً) وهم أضال وأضعف من أن يذكروا في مجال إلحاق ضرر بالله سبحانه وتعالى. فليس هذا هو المقصود إنما المقصود أنهم لن يضروا دين الله ولا منهجه ولا القائمين على دعوته. ولن يحدثوا حدثاً في نواميسه وسننه. مهما بلغ من قوتهم، ومهما قدروا على إيذاء بعض المسلمين فترة من الوقت. فإن هذا بلاء وقتي يقع بإذن الله لحكمة يريد لها، وليست ضراً حقيقياً لناموس الله وسنته ونظامه ونهجه وعباده القائمين على نظامه ونهجه. والعاقبة مقررة: (وسيحبط أعمالهم) فنتتهي إلى الخيبة والدمار. كما تنتهي الماشية التي ترعى ذلك النبات السام!

وفي ظل هذا المصير المخيف للذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول. يلتفت إلى الذين آمنوا ليحذرهم ظل هذا المصير، ويوجههم إلى طاعة الله وطاعة الرسول:

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ولا تبطلوا أعمالكم) وهذا التوجيه يوحى بأنه كان في الجماعة المسلمة يومئذ من لا يتحرى الطاعة الكاملة، أو من تثقل عليه بعض التكاليف، وتشق عليه بعض التضحيات، التي يقتضيها جهاد هذه الطوائف القوية المختلفة التي تقف للإسلام، وتناوشه من كل جانب، والتي تربطها بالمسلمين مصالح ووشائج قربي يصعب فصمها والتخلي عنها نهائياً كما تقتضي العقيدة ذلك. ولقد كان وقع هذا التوجيه عنيفاً عميقاً في نفوس المسلمين الصادقين، فارتعشت له قلوبهم، وخافوا أن يقع منه ما يبطل أعمالهم، ويذهب بحسناتهم.

قال الإمام أحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة: حدثنا أبو قدامة، حدثنا وكيع، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

وروي من طريق عبد الله بن المبارك، أخبرني بكر بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن نافع، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول، حتى نزلت: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فقلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر الموجبات والفواحش. حتى نزل قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك. فكنا نحاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصبها".

ومن هذه النصوص يتجلى كيف كانت نفوس المسلمين الصادقين تتلقى آيات القرآن: كيف تهتز لها وتضطرب، وكيف ترتجف منها وتخاف، وكيف تحذر أن تقع تحت طائلتها، وكيف تتحرى أن تكون وفقها، وأن تطابق أنفسها عليها. وبهذه الحساسية في تلقي كلمات الله كان المسلمون مسلمين من ذلك الطراز!

ثم بين الله لهم في الآية التالية مصير الذين يشاقون رسول الله ﷺ ويخرجون عن طاعته، ثم يصرون على هذا ويذهبون من هذه الأرض كافرين: (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، ثم ماتوا وهم كفار، فلن يغفر الله لهم)

فالفرصة متاحة فقط للمغفرة في هذه الدنيا، وباب التوبة يظل مفتوحا للكافر وللعاصي حتى يغرغر. فإذا بلغت الروح الحلقوم فلا توبة ولا مغفرة، فقد ذهبت الفرصة التي لا تعود.

ومثل هذه الآية يخاطب المؤمنين كما يخاطب الكفار. فأما هؤلاء فهي نذارة لهم ليتداركوا أمرهم ويتوبوا قبل أن تغلق الأبواب. وأما أولئك فهي تحذير لهم وتنبيه لاتقاء كافة الأسباب التي تقرب بهم من هذا الطريق الخطر المشؤوم!

ندرك هذا من ترتيب النهي عن الوهن والدعوة إلى السلم في الآية التالية على ما ورد في الآية السابقة من بيان لمصير الكافرين المشاقين: (فلا تهنوا

وتدعوا إلى السلم، وأنتم الأعلون والله معكم، ولن يترك أعمالكم) فهذا هو الذي يحذر المؤمنين إياه، ويضع أمامهم مصير الكفار المشاقين للرسول، ليحذروا شبحه من بعيد!

وهذا التحذير يشي بوجود أفراد من المسلمين كانوا يستثقلون تكاليف الجهاد الطويل ومشقته الدائمة، وتهن عزائمهم دونه، ويرغبون في السلم والمهادنة ليستريحوا من مشقة الحروب. وربما كان بعضهم ذوي قرابة في المشركين ورحم، أو ذوي مصالح وأموال، وكان هذا يمنح بهم إلى السلم والمهادنة. فالنفس البشرية هي هي، والتربية الإسلامية تعالج هذا الوهن وهذه الخواطر الفطرية بوسائلها. وقد نجحت نجاحا خارقا، ولكن هذا لا ينفي أن تكون هناك رواسب في بعض النفوس، وبخاصة في ذلك الوقت المبكر من العهد المدني. وهذه الآية بعض العلاج لهذه الرواسب. فلننظر كيف كان القرآن يأخذ النفوس. فنحن في حاجة إلى تحري خطوات القرآن في التربية. والنفوس هي النفوس: (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم. وأنتم الأعلون. والله معكم. ولن يترك أعمالكم)

أنتم الأعلون. فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم. أنتم الأعلون اعتقادا وتصورا للحياة. وأنتم الأعلون ارتباطا وصلته بالعلي الأعلى. وأنتم الأعلون منهجا وهدفا وغاية. وأنتم الأعلون شعورا وخلقا وسلوكا. ثم. أنتم الأعلون قوة ومكانا ونصرة. فمعكم القوة الكبرى: (والله معكم) فليستم وحدكم. إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القهار. وهو لكم نصير حاضر معكم. يدافع عنكم. فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟ وكل ما تبدلون، وكل ما تفعلون، وكل ما يصيبكم من تضحيات محسوب لكم، لا يضيع منه شيء عليكم: (ولن يترك أعمالكم) ولن يقطع منها شيئا لا يصل إليكم أثره ونتيجته وجزاؤه.

فعلام يهن ويضعف ويدعو إلى السلم، من يقرر الله ﷻ له أنه الأعلى. وأنه معه. وأنه لن يفقد شيئا من عمله. فهو مكرم منصور ماجور؟ هذه هي اللمسة الأولى. واللمسة الثانية تھوين من شأن الحياة الدنيا،

التي قد يصيبهم بعض التضحيات فيها.

(إنما الحياة الدنيا لعب ولهو. وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم، ولا يسألكم أموالكم)

والحياة الدنيا لعب ولهو حين لا يكون وراءها غاية أكرم وأبقى. حين تعاش لذاتها مقطوعة عن منهج الله فيها. ذلك المنهج الذي يجعلها مزرعة الآخرة، ويجعل إحسان الخلافة فيها هو الذي يستحق وراثة الدار الباقية. وهذا هو الذي تشير إليه الفقرة التالية في الآية: (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) فالإيمان والتقوى في الحياة الدنيا هو الذي يخرجها عن أن تكون لعبا ولهوا، ويطبعا بطابع الجد، ويرفعها عن مستوى المتاع الحيواني، إلى مستوى الخلافة الراشدة، المتصلة بالملأ الأعلى. ويومئذ لن يكون ما يبذله المؤمن المتقي من عرض هذه الحياة الدنيا ضائعا ولا مقطوعا، فعنه ينشأ الأجر الأوفى، في الدار الأبقى. ومع هذا فإن الله لا يسأل الناس أن يبذلوا أموالهم كلها، ولا يشق عليهم في فرائضه وتكاليفه، لعلمه سبحانه بشح نفوسهم فطرة وخلقة. وهو لا يكلف نفسا إلى وسعها وهو أرحم بهم من أن يكلفهم بذلها كلها، فتضييق صدورهم وتظهر أضعافهم:

(إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا، ويخرج أضعافكم) وهذا النص يوحى بحكمة اللطيف الخبير، كما يوحى برحمته ولطفه بالنفوس. ويكشف عن التقدير الدقيق في تكاليف هذا الدين، ومراعاته للفطرة، وتناسقه مع بشرية البشر بكل استعداداتها، وطاقاتها، وأحوالها. فهو عقيدة ربانية لإنشاء نظام رباني إنساني. نظام رباني من ناحية أن الله هو الذي يقيم منهجه وقواعده، وإنساني من ناحية أن الله يراعي في تكاليفه طاقة الإنسان وحاجته. والله هو الذي خلق، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير.

وفي النهاية يواجههم بواقع حالهم تجاه دعوتهم إلى البذل في سبيل الله، ويعالج شح النفوس بالمال بالوسائل القرآنية، كما عالج شحها في ذات النفس عند الجهاد:

هَذَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾

الآية ترسم صورة وصفية لواقع الجماعة المسلمة يومذاك. ولواقع الناس تجاه الدعوة إلى البذل في كل بيئة. فهي تقرر أن منهم من يبخل. ومعنى هذا أن هنالك من لا يبخلون بشيء. وقد كان هذا واقعا، سجلته الروايات الكثيرة الصادقة، وسجله القرآن في مواضع أخرى. وقد حقق الإسلام في هذا المجال مثلا تحسب من خوارق الأمثال في البذل والتضحية عن رضى وعن فرح بالبذل والعطاء. ولكن هذا لم يمنع أن يكون هنالك من يبخل بالمال. ولعل الجود بالنفس أرخص عند بعضهم من الجود بالمال!

والقرآن يعالج هذا الشح في هذه الآية: (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) فما يبذله الناس إن هو إلا رصيد لهم مذخور، يجدونه يوم يحتاجون إلى رصيد، يوم يحشرون مجردين من كل ما يملكون. فلا يجدون إلا ذلك الرصيد المذخور. فإذا بخلوا بالبذل، فإنما يبخلون على أنفسهم، وإنما يقللون من رصيدهم، وإنما يستخسرون المال في ذواتهم وأشخاصهم، وإنما يجرمونها بأيديهم!

أجل. فالله لا يطلب إليهم البذل، إلا وهو يريد لهم الخير، ويريد لهم الوفرة، ويريد لهم الكنز والذخر. وما يناله شيء مما يبذلون، وما هو في حاجة إلى ما ينفقون: (والله الغني وأنتم الفقراء)

فهو الذي أعطاكم أموالكم، وهو الذي يدخر لكم عنده ما تنفقونه منها. وهو الغني عما أعطاكم في الدنيا، الغني عن أرصدتكم المذخورة في الآخرة. وأنتم الفقراء في الدارين وفي الحالين. أنتم الفقراء إلى رزقه في الدنيا، فما لكم من قدرة على شيء من الرزق إلا أن يهبكم إياه. وأنتم الفقراء إلى أجره في الآخرة، فهو الذي يتفضل به عليكم، وما أنتم بموفين شيئا مما عليكم، فضلا على أن يفضل لكم شيء في الآخرة، إلى أن يتفضل عليكم.

فقيم البخل إذن وفيه الشح؟ وكل ما في أيديكم، وكل ما ينالكم من أجر على ما تتفقون هو من عند الله، ومن فضل الله؟  
ثم الكلمة الأخيرة وهي فصل الخطاب.

إن اختيار الله لكم لحمل دعوته تكريم ومن وعطاء. فإذا لم تحاولوا أن تكونوا أهلاً لهذا الفضل، وإذا لم تنهضوا بتكاليف هذه المكانة، وإذا لم تدركوا قيمة ما أعطيتم فيهن عليكم كل ما عداه. فإن الله يسترد، ما وهب، ويختار غيركم لهذه المنة ممن يقدر فضل الله:  
(وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم)

وإنها لندارة رهيبة لمن ذاق حلاوة الإيمان، وأحس بكرامته على الله، وبمقامه في هذا الكون وهو يحمل هذا السر الإلهي العظيم. ويمشي في الأرض بسلطان الله في قلبه، ونور الله في كيانه، ويذهب ويجيء وعليه شارة مولاه.

وما يطيق الحياة وما يطعمها إنسان عرف حقيقة الإيمان وعاش بها ثم تسلب منه، ويطرده من الكنف، وتوصد دونه الأبواب. لا بل إن الحياة لتغدو جحيماً لا يطاق عند من يتصل بربه ثم يطبق دونه الحجاب.  
إن الإيمان هبة ضخمة، لا يعدلها في هذا الوجود شيء، والحياة رخيصة رخيصة، والمال زهيد زهيد، حين يوضع الإيمان في كفة، ويوضع في الكفة الأخرى كل ما عداه.  
ومن ثم كان هذا الإنذار أشد ما يواجهه المؤمن وهو يتلقاه من الله.





## المبحث الثاني

### علوم الحديث: السنن للإمام النسائي

مؤلفه:

الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي<sup>(١)</sup> (٢١٥-٣٠٣هـ) وُلد بـ (نسا) بنواحي بلخ. وطلب العلم في صغره، فارتحل إلى قتيبة بن سعيد فأقام عنده ببغلان سنة، فأكثر عنه. وارتحل إلى خراسان، والحجاز، ومصر، والشام، والثغور، واستوطن مصر، كان ورعا متحريراً. أثنى عليه العلماء وكبار النقاد، فقال عنه الدارقطني: كان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعلمهم بالحديث والرجال. خرج من مصر سنة اثنين وثلاثمائة، ومات بفلسطين سنة ثلاث وثلاثمائة.

كتاب المجتبي من السنن الكبرى:

كتاب السنن للنسائي الذي هو أحد الكتب الستة المشهورة، واحد السنن الأربعة المشهورة هو كتاب «المجتبي من السنن الكبرى». إذ أن الإمام النسائي صنف كتابه السنن الكبرى، ثم هُذب هذا الكتاب فجاء كتاب «المجتبي»، مجتبي من الأصل. وهو كتاب متخصص في أحاديث الأحكام. وقد تضمن واحدا وخمسين كتابا. وفي كل كتاب من التفاصيل والفروع الشيء الكثير. فكتاب الاستعاذة جعل فيه خمسة وستين بابا في الاستعاذة. ومن الجدير بالذكر أنه تمت طباعة السنن الكبرى.

منهج النسائي.

لا يكتفي الإمام النسائي بإيراد الحديث فحسب، بل يذكر الكثير من روايات الحديث، ويذكر ما بينها من اختلاف، ويوازن ويقارن ويذكر العلل، والصحيح، والأصح، والضعيف، والأضعف. يعتبر كتاب النسائي من أنقى الكتب الأربعة من حيث الأسانيد. ويقسم

(١) انظر ترجمة النسائي في سير أعلام النبلاء ١٤-١٢٥-١٣٥، تهذيب التهذيب ٣٦/١.



كتابه إلى ثلاثة أقسام: (١)

القسم الأول: المخرج في الصحيحين، وهو أكثر الكتاب.  
القسم الثاني: وهو صحيح على شرط البخاري ومسلم.  
القسم الثالث: أحاديث أبان عن علتها بما يفهمه أهل المعرفة.

### السنن لابن ملجه القزويني

مؤلفه:

الإمام أبو عبد الله محمد بسن يزيد بن ماجه القزويني (٢) (٢٠٩-٢٧٣هـ)، كان حافظاً ناقداً واسع العلم. ارتحل إلى بلاد فارس والعراق، ومكة، والشام، ومصر. ومات بقزوين في رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

### صنف السنن والتاريخ والتفسير.

كتاب السنن: عرف كتاب ابن ماجه بالسنن. وهو الذي سماه عندما قال: «عرضت هذه السنن على أبي زرعة الرازي» مع العلم أن هذا الكتاب أقرب إلى الكتاب الجامع؛ لأنه ضم سبعة وثلاثين كتاباً من كتب الحديث، منها الأحكام، والأدب، والفتن، والزهد. وقد جعل ابن ماجه لكتابه مقدمة طويلة، استوفى فيها الكثير من أبواب العلم.

مكانة سنن ابن ماجه: تأخر إلحاق سنن ابن ماجه بالكتب الستة. حيث كانت تعرف قبله بالكتب الخمسة، وأول من أضافه إليها الإمام محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ) صاحب كتاب شروط الأئمة الستة. وسار على منواله الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي المتوفي سنة ٦٠٠هـ. فضمن كتابه الكمال في أسماء الرجال رجال ابن ماجه. ثم درج على هذا أصحاب كتب الرجال وكتب الأطراف (٣) ومن الجدير بالذكر أن الأحاديث الضعيفة كثيرة في هذا الكتاب، وهي نحو الألف

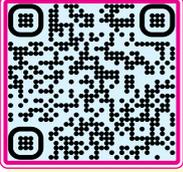
(١) المقدسي، شروط الأئمة الستة ص ١٢، وانظر زهر الرنى على الجنبى للسيوطي بمامش السنن ٣/١.

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٧٧/١٣-٢٨١ وتقديب التهذيب ٥٣٠/٩.

(٣) كتب الأطراف: هي الكتب التي تجمع روايات الحديث الواحد عن الصحابي الواحد من مواضع مختلفة من الكتب.

ترتيب الكتاب: رتب ابن ماجه كتابه ترتيبا موقفا بارعا، على درجة بالغة من الشمول والاستيعاب، وقد بلغت ابوابه ألفا وخمسين بابا، قال ابن حجر عن هذا الكتاب: جامع جيد كثير الأبواب والغرائب.





## المبحث الثالث

### الدعوة: القاعدة العاشرة

#### الزمن عنصر فعّال من عناصر الدعوة

كثيرا ما يشعر الدعاة بخيبة الأمل عندما يدعون إلى الله، ويستعملون الحجج والبراهين، ولكن لا يجدون استجابة كبيرة من المدعوين. وهذا الشعور بالخيبة ناشئ عن إسقاطهم لعنصر مهم من عناصر معادلة الدعوة وهو عنصر الزمن.

أول ما يجب أن نعلمه أن الواقع الذي نتعامل معه واقع غير إسلامي، وأنه تشكل بفعل عوامل كثيرة، معظمها نشأ بفعل مؤثرات مادية إحادية أو فاسدة، وقد سيطر هذا الواقع على أفراد المجتمع، وأصبح الداعية يتعامل مع الفرد القابع تحت هذه التراكمات الفكرية والسلوكية، التي هي بمثابة الحجاب المانع من الاتصال بين الداعية والمدعو، وبعبارة أخرى فإن الداعية في عالم، والمدعو في عالم آخر. والمدعو صاحب قيم غير القيم التي ينادي بها الداعية، ولهذا كله فإن توقع الاستجابة السريعة في غير محله، وهو مخالف لطبائع الأشياء.

إن أية كلمة يقولها الداعية لا تذهب هباء منثورا، وإنما تدخل في مكونات المدعو، ويحتزنها عقله وتتراكم خبراته الحيرة، وقد يظهر أثر كلمة قيلت قبل سنوات بفعل موقف محرك أدى إلى استرجاع تلك الخبرة، ثم إن ما يقوله الداعية اليوم يجده داعية آخر رصيذا بعد سنين. وكثيرا ما يحدث أنه عندما نتحدث مع إنسان ما يقول: هذا شيء سمعته من فلان.

وإن اختيار زمن الدعوة أمر في غاية الأهمية، وهناك أوقات يخلو المرء فيها مع نفسه، ولا يكون مستعدا فيها لتقبل الأفكار. وإن الدعوة تتأثر بالجو

العام والظرف الذي يمر فيه الداعية والمدعو، ولهذا فإن على الداعية أن يختار أنسب الأوقات التي لا إحراج فيها ولا مشقة. يقول ابن مسعود رضي الله عنه:  
 ”كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا“ (١)  
 ولا ينبغي أن يطيل الداعية على المدعو؛ لأنه قد يضجره ويمله. ومعيار عدم الإطالة أن يترك المدعو في شوق لاستكمال الموضوع، وأن يطلب المزيد.

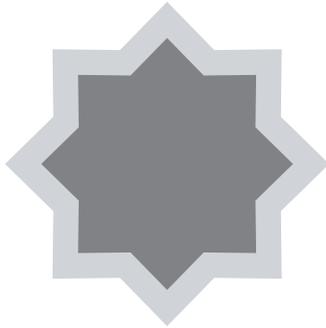
الاستعجال على المدعو قد يؤدي إلى نتيجة سيئة؛ إذ أنه قد يفصل في المسألة إما بالرفض وإما بالاستجابة والإقبال. وكلا الأمرين قبل أوانه خطير، فهذا من قبيل سلب القرار، لا من قبيل اختيار القرار. ففي حالة قرار الرفض يكون المدعو قد تعجل في اتخاذ قراره قبل أن يستكمل وجوه الدعوة، وبذلك يكون قد اتخذ موقفا من الدعوة، وليس من السهل أن يغير موقفه؛ لأن المرء حريص على أن يعرف بالمواقف الثابتة، وهذه النتيجة إنما كانت بفعل الداعية الذي أراد أن يجني الثمرة قبل أوانها.

وفي حالة قرار الاستجابة المستعجل يجد المدعو نفسه بعد وقت يسير أما تكاليف وواجبات لم يحسب حسابها، ويتبين له أنه لو انتظر قليلا لما اختار هذا الموقف، ويدخل في صراع بين الموقف المعلن والموقف المبدئي، وقد يرتكب محظورات سلوكية كالكذب والنفاق، وكل هذا بسبب الاستعجال عليه، ولو فتحت أمامه فرصة التفكير والتدبر لاتخذ الموقف المبدئي الأصيل.

والطريقة المثلى ألا نستعجل إصدار القرار، بل نطلب من المدعو أن يتمهل في اتخاذ الموقف، وأن نصارحه بالعقبات في طريق الاستجابة إلى جانب الإيجابيات المبشرة والآمال المتوقعة.

(١) - أخرجه البخاري (فتح الباري) ١/١٦٢

وإن إدخال الزمن كعنصر من عناصر الدعوة يخفف من حدة الدعاة، ويقف أمام اليأس الذي يعتري الدعاة أحياناً، ويفتح لهم باب الأمل، ذلك عندما يفقهون دور الزمن. وإن الطبيب لا يقول للمريض خذ العلاج جرعة واحدة، بل يقول له خذه على جرعات، وفي خلال مدة معينة من الزمن.







## الفصل الرابع

- المبحث الأول / القرآن مراجعة سورة محمد كاملة  
حفظًا وتفسيرًا
- المبحث الثاني: الدعوة: صفات الداعية
- المبحث الثالث / الدولة العثمانية: أهم سلاطينها



## المبحث الأول

القرآن: مراجعة سورة محمد كاملة حفظاً وتفسيراً

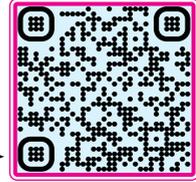
المبحث الثاني



الدعوة: صفات الداعية

مرفق ملف صفات الداعية

المبحث الثالث



التاريخ: الدولة العثمانية / أهم سلاطينها

يمكن الرجوع إلى كتاب

الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط

للدكتور: علي محمد الصلابي



الكتاب







## الفصل الأول

- المبحث الأول / القرآن: سورة الحجرات ١-٨
- المبحث الثاني / الحديث: العلماء عصمة الناس من الضلال
- المبحث الثالث: العقيدة: متى يصير المؤمن كافرا؟







## المبحث الأول

### القرآن: سورة الحجرات ١-٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا  
 تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ  
 بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 يَعْزُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ  
 لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ  
 الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ  
 لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ  
 فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ  
 نَادِمِينَ ﴿٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ  
 الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ  
 وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٨﴾  
 فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ [الحجرات: ١-٨]

هذه السورة التي لا تتجاوز ثماني عشرة آية، سورة جليلة ضخمة، تتضمن حقائق كبيرة من حقائق العقيدة والشريعة، ومن حقائق الوجود والإنسانية. حقائق تفتح للقلب وللعقل آفاقا عالية وأمادا بعيدة، وتثير في النفس والذهن خواطر عميقة ومعاني كبيرة، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم، وقواعد التربية والتهديب، ومبادئ التشريع والتوجيه، ما يتجاوز حجمها وعدد آياتها مئات المرات!

وهي تبرز أمام النظر أمرين عظيمين للتدبر والتفكير. وأول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة، لعالم رفيع كريم نظيف سليم، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم، والتي تكفل قيامه أولاً، وصيانتته أخيراً.. عالم يصدر عن الله، ويتجه إلى الله، ويليق أن ينتسب إلى الله.. عالم نقى القلب، نظيف المشاعر، عفت اللسان، وقبل ذلك عفت السريرة.. عالم له أدب مع الله، وأدب مع رسوله، وأدب مع نفسه، وأدب مع غيره. أدب في هواجس ضميره، وفي حركات جوارحه. وفي الوقت ذاته له شرائعه المنظمة لأوضاعه، وله نظمه التي تكفل صيانتته، وهي شرائع ونظم تقوم على ذلك الأدب، وتنبثق منه، وتتسق معه، فيتوائى باطن هذا العالم وظاهره، وتتلاقى شرائعه ومشاعره، وتتوازن دوافعه وزواجره، وتتناسق أحاسيسه وخطاه، وهو يتجه ويتحرك إلى الله، ومن ثم لا يوكل قيام هذا العالم الرفيع الكريم النظيف السليم وصيانتته، لمجرد أدب الضمير ونظافة الشعور، ولا يوكل كذلك لمجرد التشريع والتنظيم، بل يلتقي هذا بذلك في انسجام وتناسق، كذلك لا يوكل لشعور الفرد وجهده، كما لا يترك لنظم الدولة وإجراءاتها. بل يلتقي فيه الأفراد بالدولة، والدولة بالأفراد، وتتلاقى واجباتهما ونشاطهما في تعاون واتساق.

هو عالم له أدب مع الله، ومع رسول الله، يتمثل هذا الأدب في إدراك حدود العبد أمام الرب، والرسول الذي يبلغ عن الرب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فلا يسبق العبد المؤمن إلهه في أمر أو نهي، ولا يقترح عليه في قضاء أو حكم، ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه، ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأياً مع خالقه، تقوى منه وخشية، وحياء منه وأدبا، وله أدب خاص فيه خطاب رسول الله ﷺ وتوقيره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا

تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَعُضُونَ أَصْوَابَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

وهو عالم له منهجه في التثبت من الأقوال والأفعال، والاستيثاق من مصدرها، قبل الحكم عليها. يستند هذا المنهج إلى تقوى الله، وإلى الرجوع بالأمر إلى رسول الله، في غير ما تقدم بين يديه، ولا اقتراح لم يطلبه ولم يأمر به: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة، فتصبخوا على ما فعلتم نادمين، واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتكم. ولكن الله حبيب إليكم الإيمان، وزينه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون، فضلا من الله ونعمة، والله عليم حكيم﴾

وهو عالم له نظمه وإجراءاته العملية في مواجهة ما يقع فيه من خلاف وفتن وقلقل واندفاعات، تخلخل كيانه لو تركت بغير علاج، وهو يواجهها بإجراءات عملية منبثقة من قاعدة الأخوة بين المؤمنين، ومن حقيقة العدل والإصلاح، ومن تقوى الله والرجاء في رحمته ورضاه: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾

وهو عالم له آدابه النفسية في مشاعره تجاه بعضه البعض، وله آدابه السلوكية في معاملاته بعضه مع بعض: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾

وهو عالم نظيف المشاعر، مكفول الحرمات، مصون الغيبة والحضرة،

لا يؤخذ فيه أحد بظنه، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض أمن الناس وكرامتهم وحریتهم فيه لأدنى مساس: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضا، يجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ يجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم وهو عالم له فكرته الكاملة عن وحدة الإنسانية المختلفة الأجناس المتعددة الشعوب، وله ميزانه الواحد الذي يقوم به الجميع، إنه ميزان الله المبرأ من شوائب الهوى والاضطراب.

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ﴾ (١٣) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَنْعَلِمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليمٌ خبيرٌ﴾  
والسورة بعد عرض هذه الحقائق الضخمة التي تكاد تستقل برسم معالم ذلك العالم الرفيع الكريم النظيف السليم، تحدد معالم الإيمان، الذي باسمه دعي المؤمنون إلى إقامة ذلك العالم. وباسمه هتف لهم ليلبوا دعوة الله الذي يدعوهم إلى تكاليفه بهذا الوصف الجميل، الحافز إلى التلبية والتسليم: يا أيها الذين آمنوا.. ذلك النداء الحبيب الذي يحجل من يدعى به من الله أن لا يجيب، والذي ييسر كل تكليف ويهون كل مشقة، ويشوق كل قلب

فيسمع ويستجيب: ﴿قالت الأعراب: آمنا. قل: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: أسلمنا. ولما يدخل الإيمان في قلوبكم. وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا، إن الله غفور رحيم. إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون. قل: أتعلمون الله بدينكم، والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله بكل شيء عليم﴾

وتكشف السورة في ختامها عن ضخامة الهبة الإلهية للبشر. هبة الإيمان التي يمن بها على من يشاء، وفق ما يعلمه فيه من استحقاق: يمنون عليك أن أسلموا. قل: لا تمنوا علي إسلامكم. بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون. فأما الأمر الثاني الذي يبرز للنظر من خلال السورة، ومن مراجعة المناسبات الواقعية التي صاحبت نزول آياتها، فهو هذا الجهد الضخم الثابت المطرد، الذي تمثله توجيهات القرآن الكريم والتربية النبوية الحكيمة، لإنشاء وتربية تلك الجماعة المسلمة، التي تمثل ذلك العالم الرفيع الكريم النظيف السليم، الذي وجد حقيقته يوما على هذه الأرض، فلم يعد منذ ذلك الحين فكرة مثالية، ولا حلما طائرا، يعيش في الخيال!

هذه الجماعة المثالية التي تمثلت حقيقة واقعة في فترة من فترات التاريخ لم تنبت فجأة ولم توجد مصادفة، ولم تخلق بين يوم وليلة، كذلك لم تظهر نتيجة نفحة تغير طبائع الأشياء كلها في لحظة أو ومضة؛ بل نمت نموا طبيعيا بطيئا كما تنمو الشجرة الباسقة العميقة الجذور. وأخذت الزمن اللازم لنموها، كما أخذت الجهد الموصول الثابت المطرد الضروري لهذا النمو. واحتاجت إلى العناية الساهرة، والصبر الطويل، والجهد البصير في التهذيب، والتوجيه والدفع، والتقوية والتثبيت. واحتاجت إلى معاناة التجارب الواقعية المريرة والابتلاءات الشاقة المضنية، مع التوجيه لعبرة هذه التجارب والابتلاءات.. وفي هذا كله كانت تتمثل الرعاية الإلهية لهذه الجماعة المختارة - على علم - لحمل هذه الأمانة الكبرى، وتحقيق مشيئة الله بها في الأرض. وذلك

مع الفضائل الكامنة والاستعدادات المكنونة في ذلك الجيل، وفي الظروف والأحوال المهيأة له على السواء.. وبهذا كله أشرفت تلك الومضة العجيبة في تاريخ البشرية، ووجدت هذه الحقيقة التي تتراءى من بعيد وكأنها حلم مرفرف في قلب، أو رؤيا مجنحة في خيال!

### الدرس الأول: ١ - ٥

**توجيه المسلمين إلى الأدب مع الرسول عليه السلام: غض الصوت وعدم التقدم عليه وعدم مناداته بجلالة:**

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله إن الله سميع عليم. يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون. إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، لهم مغفرة وأجر عظيم. إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم، والله غفور رحيم)..

تبدأ السورة بأول نداء حبيب، وأول استجاشة للقلوب. (يا أيها الذين آمنوا).. نداء من الله للذين آمنوا به بالغيب. واستجاشة لقلوبهم بالصفة التي تربطهم به، وتشعرهم بأنهم له، وأنهم يحملون شارته، وأنهم في هذا الكوكب عبيده وجنوده، وأنهم هنا لأمر يقدره ويريده، وأنه حبيب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم اختيارا لهم ومنة عليهم، فأولى لهم أن يقفوا حيث أراد لهم أن يكونوا، وأن يقفوا بين يدي الله موقف المنتظر لقضائه وتوجيهه في نفسه وفي غيره، يفعل ما يؤمر ويرضى بما يقسم، ويسلم ويستسلم:

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، واتقوا الله إن الله سميع عليم).

يا أيها الذين آمنوا، لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحا، لا في خاصة أنفسكم، ولا في أمور الحياة من حولكم. ولا تقولوا في أمر قبل قول الله فيه على لسان رسوله، ولا تقضوا في أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله.

قال قتادة: ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا وكذا. لو صح كذا. فكره الله تعالى ذلك. وقال العوفي: نحو أن يتكلموا بين يديه. وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه. وقال الضحاك: لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم. وقال علي بن طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة.

**الأدب الأول: فهو أدب نفسي مع الله ورسوله.** وهو منهج في التلقي والتنفيذ. وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته.. وهو منبثق من تقوى الله، وراجع إليها. هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم.. وكل ذلك في آية واحدة قصيرة، تلمس وتصور كل هذه الحقائق الأصلية الكبيرة.

وكذلك تأدب المؤمنون مع ربهم ومع رسولهم، فما عاد مقترح منهم يقترح على الله ورسوله، وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله ﷺ أن يدلي به، وما عاد أحد منهم يقضي برأيه في أمر أو حكم، إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول الرسول.

روى أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه - بإسناده - عن معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ « قال: بكتاب الله تعالى. قال ﷺ: « فإن لم تجد؟ » قال: بسنة رسول الله. قال ﷺ: « فإن لم تجد؟ » قال ﷺ: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله. »

وحتى لكأن رسول الله ﷺ يسألهم عن اليوم الذي هم فيه، والمكان الذي هم فيه، وهم يعلمونه حق العلم، فيتخرجون أن يجيبوا إلا بقولهم: الله ورسوله أعلم. خشية أن يكون في قولهم تقدّم بين يدي الله ورسوله! جاء في حديث أبي بكرة نفيح بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل في حجة الوداع:

«أي شهر هذا؟». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه

بغير اسمه. فقال: « أليس ذا الحجة؟ » قلنا بلى! قال: « أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: « أليس البلدة الحرام؟ » قلنا: بلى! قال: « فأى يوم هذا؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: أليس يوم النحر؟ قلنا بلى!.. إلخ.

فهذه صورة من الأدب، ومن التحرج، ومن التقوى، التي انتهى إليها المسلمون بعد سماعهم ذلك النداء، وذلك التوجيه، وتلك الإشارة إلى التقوى، تقوى الله السميع العليم.

**والأدب الثاني** هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب، وتوقيرهم له في قلوبهم، توقيرا ينعكس على نبراتهم وأصواتهم، ويميز شخص رسول الله بينهم، ويميز مجلسه فيهم، والله يدعوهم إليه بذلك النداء الحبيب، ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير الرهيب:

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)..  
يا أيها الذين آمنوا؛ ليوقروا النبي الذي دعاهم إلى الإيمان.. أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون.. ليحذروا هذا المزلق الذي قد ينتهي بهم إلى حبوط أعمالهم، وهم غير شاعرين ولا عالمين، ليتقوه!  
ولقد عمل في نفوسهم ذلك النداء الحبيب، وهذا التحذير المرهوب، عمله العميق الشديد.

قال البخاري: حدثنا بسرة بن صفوان اللخمي، حدثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة. قال: كاد الخيران أن يهلكا.. أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعوا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم «في السنة التاسعة من الهجرة» فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع «أي ليؤمره عليهم» وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه «في رواية أخرى أن اسمه القعقاع بن معبد» فقال: أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ما أردت إلا خلافي. فقال: ما أردت خلافيك. فارتفعت أصواتهما في ذلك. فأنزل الله تعالى: (يا

أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون). قال ابن الزبير رضي الله عنه: فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهم! وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار «يعني كالمس!».

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) - إلى قوله: (وأنتم لا تشعرون) وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت. فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من أهل النار. حبط عملي. وجلس في أهله حزينا. ففقدته رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم إليه، فقالوا له: تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم وأجهر له بالقول. حبط عملي. أنا من أهل النار. فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا. بل هو من أهل الجنة». قال أنس رضي الله عنه: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة.

فهكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب، وذلك التحذير الرعيب، وهكذا تأدبوا في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون. ولو كانوا يشعرون لتداركوا أمرهم! ولكن هذا المنزلق الخافي عليهم كان أخوف عليهم، فخافوه واتقوه!

ونوه الله بتقواهم، وغضهم أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعبير عجيب: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى. لهم مغفرة وأجر عظيم)..

فالتقوى هبة عظيمة، يختار الله لها القلوب، بعد امتحان واختبار، وبعد تخليص وتمحيص، فلا يضعها في قلب إلا وقد تهيأ لها، وقد ثبت أنه يستحقها. والذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قد اختبر الله قلوبهم وهياً لتلقي تلك الهبة. هبة التقوى. وقد كتب لهم معها وبها المغفرة

والأجر العظيم.

إنه الترغيب العميق، بعد التحذير المخيف. بها يربي الله قلوب عباده المختارين، ويعدها للأمر العظيم. الذي نهض به الصدر الأول على هدى من هذه التربية ونور.

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالوا: من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً!

وعرّف علماء هذه الأمة وقالوا: إنه يكره رفع الصوت عند قبره صلى الله عليه وسلم كما كان يكره في حياته صلى الله عليه وسلم احتراماً له في كل حال.

ثم أشار إلى حادث وقع من وفد بني تميم حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام التاسع. الذي سمي «عام الوفود».. لمجيء وفود العرب من كل مكان بعد فتح مكة، ودخولهم في الإسلام، وكانوا أعراباً جفاة، فنادوا من وراء حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المطلّة على المسجد النبوي الشريف: يا محمد. اخرج لنا. فكره النبي صلى الله عليه وسلم هذه الجفوة وهذا الإزعاج. فنزل قوله تعالى:

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم، والله غفور رحيم)..

فوصفهم الله بأن أكثرهم لا يعقلون. وكره إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وحرمة رسول الله القائد والمربي. وبيّن لهم الأولى والأفضل وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم. وحبّب إليهم التوبة والإنابة، ورغبهم في المغفرة والرحمة.

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع، وتجاوزوا به شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كل أستاذ وعالم. لا يزعجونهم حتى يخرج إليهم، ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم.. يحكى عن أبي عبيد - العالم الزاهد الراوية الثقة - أنه قال: «ما دقت باباً على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه»..

## الدرس الثاني: ٦ - ٨ توجيه المسلمين للتثبيت من خبر الفاسق وبيان آثار الإيمان.

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم، ولكن الله حَبَّبَ إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكرهَ إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون، فضلا من الله ونعمة، والله عليم حكيم)..

كان النداء الأول لتقرير جهة القيادة ومصدر التلقي. وكان النداء الثاني لتقرير ما ينبغي من أدب للقيادة وتوقير. وكان هذا وذلك هو الأساس لكافة التوجيهات والتشريعات في السورة. فلا بد من وضوح المصدر الذي يتلقى عنه المؤمنون، ومن تقرير مكان القيادة وتوقيرها؛ لتصبح للتوجيهات بعد ذلك قيمتها ووزنها وطاعتها. ومن ثم جاء هذا النداء الثالث يبين للمؤمنين كيف يتلقون الأنباء وكيف يتصرفون بها، ويقرر ضرورة التثبيت من مصدرها: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فبينوا، أن تصيبوا قوما بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)..

ويخصص الفاسق لأنه مظنة الكذب. وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها. فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذا بها. فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره. وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطا بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء. ولا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق. فتصيب قوما بظلم عن جهالة وتسرع. فتندم على ارتكابها ما يغضب الله، ويجانب الحق والعدل في اندفاع.

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، وقال ابن كثير:

قال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق يتصدقهم فتلقوه بالصدقة، فرجع فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك - زاد قتادة وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام - فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونهم، فلما جاءوا أخبروا خالداً رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة. قال قتادة: فكان رسول الله ﷺ يقول: «التثبت من الله والعجلة من الشيطان».. وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى، ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حبان، وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة، والله أعلم.. [ انتهى كلام ابن كثير في التفسير ] ..

ومدلول الآية عام، وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق، فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء. والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره. أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة. والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداءً. وهذا نموذج من الإطلاق والاستثناء في مصادر الأخبار.

ويبدو أنه كان من بعض المسلمين اندفاع عند الخبر الأول الذي نقله الوليد بن عقبة، وإشارة على النبي ﷺ أن يعجل بعقابهم. وذلك حمية من هذا الفريق لدين الله وغضبا لمنع الزكاة. فجاءت الآية التالية تذكرهم بالحقيقة الضخمة والنعمة الكبيرة التي تعيش بينهم ليدركوا قيمتها ويتبهاوا دائماً لوجودها:

(واعلموا أن فيكم رسول الله)..

وهي حقيقة تتصور بسهولة لأنها وقعت ووجدت. ولكنها عند التدبر

تبدوا هائلة لا تكاد تتصور! وهل من اليسير أن يتصور الإنسان أن تتصل السماء بالأرض صلة دائمة حية مشهودة، فتقول السماء للأرض، وتخبر أهلها عن حالهم وجهرهم وسرهم، وتقوم خطاهم أولاً بأول، وتشير عليهم في خاصة أنفسهم وشؤونهم. ويفعل أحدهم الفعلة ويقول أحدهم القولة، ويسر أحدهم الخالجة، فإذا السماء تطلع، وإذا الله ﷻ ينبيء رسوله بما وقع، ويوجهه لما يفعل وما يقول في هذا الذي وقع.. إنه لأمر. وإنه لنبأ عظيم. وإنها لحقيقة هائلة. قد لا يحس بضخامتها من يجدها بين يديه. ومن ثم كان هذا التنبيه لوجودها بهذا الأسلوب: (واعلموا أن فيكم رسول الله).. اعلموا هذا وقدره حق قدره، فهو أمر عظيم.

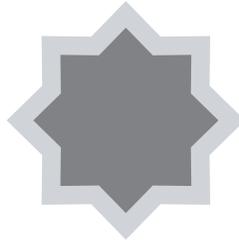
ومن مقتضيات العلم بهذا الأمر العظيم أن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله. ولكنه يزيد هذا التوجيه إيضاحاً وقوة، وهو يخبرهم أن تدبير رسول الله ﷻ لهم بوحى الله أو إلهامه فيه الخير لهم والرحمة واليسر. وأنه لو أطاعهم فيما يعين لهم أنه خير لعنتوا وشق عليهم الأمر. فالله أعرف منهم بما هو خير لهم، ورسوله رحمة لهم فيما يدبر لهم ويختار: (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم)..

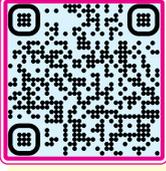
وفي هذا إيحاء لهم بأن يتركوا أمرهم لله ورسوله، وأن يدخلوا في السلم كافة، ويستسلموا لقدر الله وتدبيره، ويتلقوا عنه ولا يقترحوا عليه. ثم يوجههم إلى نعمة الإيمان الذي هداهم إليه، وحرك قلوبهم لحبه، وكشف لهم عن جماله وفضله، وعلّق أرواحهم به، وكره إليهم الكفر والفسوق والمعصية، وكان هذا كله من رحمته وفيضه:

(ولكن الله حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان. أولئك هم الراشدون. فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم).. واختيار الله لفريق من عباده، ليشرح صدورهم للإيمان، ويحرك قلوبهم إليه، ويزينه لهم فتنهفو إليه أرواحهم، وتدرك ما فيه من جمال وخير.. هذا الاختيار فضل من الله ونعمة، دونها كل فضل وكل نعمة. حتى نعمة الوجود والحياة أصلاً، تبدو في حقيقتها أقل من نعمة الإيمان وأدنى! وسيأتي قوله تعالى: (بل

الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) فنفضّل القول إن شاء الله في هذه المنّة. والذي يستوقف النظر هنا هو تذكيرهم بأن الله هو الذي أراد بهم هذا الخير، وهو الذي خلّص قلوبهم من ذلك الشر: الكفر والفسوق والعصيان. وهو الذي جعلهم بهذا راشدين فضلا منه ونعمة. وأن ذلك كله كان عن علم منه وحكمة.. وفي تقرير هذه الحقيقة إيجاء لهم كذلك بالاستسلام لتوجيهه الله وتدبيره، والاطمئنان إلى ما وراءه من خير عليهم وبركة، وترك الاقتراح والاستعجال والاندفاع فيما قد يظنونه خيرا لهم، قبل أن يختار لهم الله. فالله يختار لهم الخير، ورسول الله ﷺ فيهم، يأخذ بيدهم إلى هذا الخير. وهذا هو التوجيه المقصود في التعقيب.

وإن الإنسان ليعجل، وهو لا يدري ما وراء خطوته. وإن الإنسان ليقترح لنفسه ولغيره، وهو لا يعرف ما الخير وما الشر فيما يقترح: (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا). ولو استسلم لله، ودخل في السلم كافة، ورضي اختيار الله له، واطمأنّ إلى أن اختيار الله أفضل من اختياره، وأرحم له وأعود عليه بالخير لاستراح وسكن. وأمضى هذه الرحلة القصيرة على هذا الكوكب في طمأنينة ورضى.. ولكن هذا كذلك منّة من الله وفضل يعطيه من يشاء.





## المبحث الثاني

### الحديث: العلماء عصمة الناس من الضلال

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

### التعريف بالصحابي راوي الحديث

عبد الله بن عمرو بن العاص. الإمام، الحبر، العابد، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه، أبو محمد. من أهل مكة. كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. وقد أسلم قبل أبيه، وله مناقب، وفضائل، ومقام راسخ في العلم والعمل، حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما جما. وكتب الكثير بإذن النبي صلى الله عليه وسلم وترخيصه له في الكتابة. وكان كثير العبادة، حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لَجْسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنْ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» الحديث»<sup>(١)</sup>. وكان يشهد الحروب والغزوات. ويضرب بسيفين. وحمل راية أبيه يوم اليرموك. وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة. وعمي في آخر حياته. وتوفي في مصر سنة ٦٥ للهجرة<sup>(٢)</sup>.

### المعنى الإجمالي للحديث

#### ١- دور العلماء في إرشاد الأمة.

في هذا الحديث بيان لدور العلماء في الأمة، فهم هدايتها ومرشدوها إلى الحق، وهم صمام أمانها من الضلال والانحراف، فالعلماء ورثة الأنبياء، ووجود العلماء في الأمة نعمة عظيمة، وتزداد الأمة بكثرتهم خيرا وبركة وهداية بخلاف أي فن أو مهنة أخرى قد يكون في كثرة أصحابها ما يعرض المهنة إلى الكساد، وقد يقودها إلى الفساد. أما العلماء فإن زيادة عددهم

(١) أخرجه البخاري ١٩٥٧، ومسلم ١١٥٩.

(٢) انظر اسير أعلام النبلاء» ٧٩/٣، والأعلام» للزركلي ١١/٤.

مهما بلغ لا يزيد الأمة إلا رشادا وسدادا. يوجهونها في جميع جوانب حياتها، فيصلحون مناهجها التعليمية والثقافية والإعلامية، وأنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وهذا ما سجله تاريخ الإسلام عندما كان العلماء يملؤون الحواضر والقرى والأرياف، حتى إنك لتجد في القرية الصغيرة العشرات منهم يفتون الناس ويرشدونهم في أمور دينهم وديناهم.

قال ابن القيم: «فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعُنوا بضبط قواعد الحلال والحرام؛ فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (النساء: ٥٩) قال عبد الله بن عباس في إحدى الروايتين عنه وجابر بن عبد الله والحسن البصري وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح والضحاك ومجاهد في إحدى الروايتين عنه: أولو الأمر هم العلماء، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد»<sup>(١)</sup>.

## ٢- من صفات العلماء الربانيين.

ويشترط لمن يتصدر للفتوى وإرشاد الناس والعمل على إصلاح ما فسد من أحوالهم، أن يكون عالما بالحلال والحرام والأحكام الشرعية، وأن يكون صالحا في نفسه، صادقا في قوله، قدوة للناس في جميع أحواله، سره وعلانيته سواء. قال ابن القيم: «ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية، والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالما بما يبلغ صادقا فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة،

(١) - انظر «إعلام الموقعين» ١/٨.

مرضي السيرة، عدلا في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله؛ وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسماوات؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به؛ فإن الله ناصره وهاديه»<sup>(١)</sup>.

### ٣- واجب الأمة في تكوين العلماء ورعايتهم.

ولا تزال هذه الأمة بخير ما حرصت على تكوين العلماء الربانيين العاملين، والاستكثار منهم، وهذا سبيل قومها وسلامتها من الضلال والانحراف. فتهيء لهم المناهج العلمية الرصينة القادرة على إعدادهم وتكوينهم حتى يصلوا إلى أعلى المستويات العلمية، وتوفر لهم ما يلزمهم في حياتهم المعيشية، وتمكنهم من أداء دورهم في توجيه الأمة وقيادتها.

### ٤- تمكين العلماء من أداء رسالتهم.

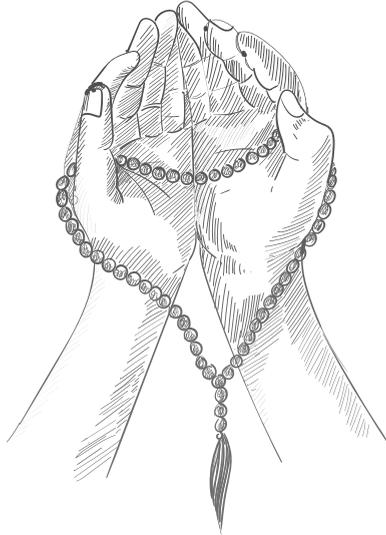
أما أن يُضَيَّق عليهم، فيُمنَعون من المنابر والصروح العلميّة، وتُمنَع عليهم حركتهم واتصالهم بالناس، وأحوالهم المعيشية، ويعتقلون في كثير من الأحيان من أجل كلمة أو موقف في وجه الباطل والفساد، في الوقت الذي تفتح فيه الأبواب أمام أدياء العلم والمعرفة والفتوى. فيفتون الناس بغير علم فيضلون ويضلون.

وما ورد في هذا الحديث من صورة قبض العلم بقبض العلماء، فإنه وإن كانت صورته لم تستحكم بعد إلى الآن، إلا أن ما أوردناه من صور التضييق على العلماء واستبدال الجهّال بهم، يشمله تحذير النبي ﷺ في هذا الحديث من أن تصل الأمة إلى هذه الحالة.

(١) انظر «إعلام الموقعين» ٨/١.

### أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١ - تحذير الأمة من نقص علماء الدين فيها.
- ٢ - تحذير الأمة من تولية الجهال أمور الإرشاد والإفتاء.
- ٣ - أساس الإصلاح في الأمة العلماء الربانيون.
- ٤ - دعوة الأمة إلى الحرص على تكوين العلماء،
- ٥ - تمكين العلماء من أداء دورهم.
- ٦ - يوجه هذا الحديث الدعوة والمصلحين إلى إبراز دور العلماء في التوجيه والإرشاد والإصلاح. والعناية بالعلماء، والدفاع عنهم.





## المبحث الثالث

### العقيدة: متى يصير المؤمن كافراً؟

#### الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام كفر

عرفت فيما تقدم كيف يدخل الناس في دين الله عز وجل، والذين يلجون باب الإيمان أنواع: فمنهم من يثبت الله عليه، فيموت مُقراً مصدقاً بأنه لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله، ومنهم من يرتد على عقبه بسبب إنكاره وجحوده.

والنوع الأول يتفاوت فيه المؤمنون: فمنهم المحسنون، ومنهم المقتصدون، ومنهم الظالمون لأنفسهم، ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب، ومنهم يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم من يعذب في النار، حتى يمن الله عليه، فيخلصه منها بفضل سبحانه.

وأما أسباب الخروج من الإسلام بعد الدخول فيه، فنذكر لك أولاً القاعدة الجامعة التي اتفق عليها أهل السنة، ثم نشرع في تفصيلها:

#### القاعدة:

فأما القاعدة العامة التي تحكم ما يكفر من الاعتقادات والأقوال والأفعال، فنختار في التعبير عنها ما قاله الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في العقيدة الطحاوية: (وُسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين.. ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله...

ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه) (١)

وبيان هذه القاعدة أن الشارع قد جعل للإيمان والإسلام مدخلا وبابا يدخل منه وهو كما علمت الإقرار والتصديق بالشهادتين، فمن ولج إلى الإسلام من هذا الباب، فإنه لا يخرج إلا أن يصدر عنه قول أو عمل أو

(١) - انظر العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٢.

اعتقاد يناقض إقراره السابق وتصديقه بالشهادتين. وقد علمت فيما تقدم أن معنى شهادة (أن لا إله إلا الله) توحيد الله في ربوبيته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وتوحيده في ألوهيته، وعدم توجه الإنسان بالعبادة إلى غيره سبحانه. وأن معنى شهادة (محمد رسول الله) الإقرار والتصديق بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ من الشرائع، وما أخبر به من أمور الغيب، وأنه من عند ربه عز وجل، والاعتراف له بجميع أخلاق وصفات النبوة، من صدق وأمانة وفطنة وتبليغ وعصمة وغير ذلك.

وبعد هذا فإن من قال قولاً أو فعل فعلًا يدل على إنكار شيء بما تقدم يكون قد نقض إقراره السابق بالشهادتين، وخرج من دين الله سبحانه، فإن كان قوله أو فعله مطابقاً لحقيقة نيته واعتقاده كان كافراً في الدنيا والآخرة فيعامل بأحكام الكفار في الدنيا، وتطبق عليه أحكام الردة والتي من أهمها الاستنابة، ثم القتل إن لم يتب. ويكون من المخلدن في نار جهنم إن مات على هذه الحال.

وأما إذا أذنب المؤمن وقال قولاً أو فعل فعلًا يعد في الشرع معصية لله تعالى فلا يكون هذا بمجرد دليل على خروجه من الإيمان وإن لم يتب عنه، إن لم يكن فيه ما يدل على نقضه الشهادتين أو احداها وهو في مشيئة الله: إن شاء عذبه بذنبه ومعصيته، وأدخله النار، ثم ماله إلى الجنة، لكثرة الأحاديث الصحيحة الدالة على أنه يخرج من النار من مات وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وإن شاء سبحانه غفر له، ولم يعذبه وأدخله الجنة بغير عذاب في النار، فإن الله سبحانه يقول (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعْزِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفُو مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (١)

### أنواع النواقض:

ومن هنا تعلم أن الأمور التي تكون سبباً في الخروج من دين الله عز وجل تتنوع إلى أنواع جميعها يرجع إلى تلك القاعدة العامة. وكل نوع يدخل فيه

(١) - النساء - الآية ١١٦.

صور وتفصيلات كثيرة يصعب حصرها. ولكن تلك الأنواع يمكن حصرها في أربعة هي:

- ١ - نوع يتضمن إنكار الربوبية أو الطعن فيها.
- ٢ - نوع يتضمن الطعن في أسماء الله وصفاته.
- ٣ - نوع يتضمن الطعن في الألوهية.
- ٤ - نوع يتضمن إنكار الرسالة أو الطعن في صاحبها عليه الصلاة والسلام. فهذه أربعة أنواع: ويدخل في كل واحد منها صور من الأفعال والأقوال والاعتقادات جميعها يعود على الشهادتين بالنقض، وتخرج صاحبها من الإسلام، والعياذ بالله تعالى، وفيما يلي تفصيل كل نوع من هذه الأنواع، وتوضيحه بالأمثلة:

### النوع الأول:

فقد علمت أن أول أنواع التوحيد هو توحيد الله في الربوبية والملك، وهو الاعتقاد بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء ورازقه، والمتصف فيه وحده، بمشيئته وعلمه وحكمته سبحانه، فكل قول أو اعتقاد فيه إنكار لهذه الخصائص الربانية أو بعضها، كفر وردة، فيدخل في هذا إنكار الخالق، والقول بقدم شيء أي لم يخلقه الله سبحانه، أو إسناد الخلق أو التدبير إلى غير الله عز وجل، كالصدقة، والطبيعة، ونحوهما، أو إنكاره ملك الله لكل مخلوق، أو ادعاء الرزق من غير الله تعالى، أو إشراك غيره معه في ذلك، أو ادعاء أن الله خلق الخلق واهملهم، وأنه لا يتصف فيهم، ولا يحفظهم ولا يدبر أمرهم، أو نحو ذلك بما فيه مساس خصائص الربوبية. وكذلك يعد كفراً وردة إن ادعى شخص لنفسه شيئاً من هذه الخصائص، كأن يدعى لنفسه الربوبية، كما قال فرعون: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) <sup>(١)</sup> أو أن يدعى أنه يملك أو يرزق أو يدبر شيئاً من دون الله تعالى، وكذلك يكفر من يصدقه في هذه الدعوى.

(١) - النازعات: الآية ٢٤.

## النوع الثاني:

وهو ما يتضمن الطعن في النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو توحيد الله فيما يليق به من الأسماء والصفات.

فقد أثبت الله سبحانه لنفسه، وأثبت رسوله ﷺ صفات وأسماء ونفى سبحانه عن نفسه، ونفى عنه رسوله صفات: فمن نفى أو انتقص شيئاً مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله، فقد كفر، وكذلك من أثبت لله شيئاً نفاه عنه رسوله، فكفر الصفات نوعان: كفر نفى وكفر إثبات.

ويدخل في الأول: نفى أية صفة من صفات الله سبحانه، كنفي علمه الكامل أو قدرته أو حياته أو قيوميته أو سمعه أو بصره أو استوائه على العرش أو كلامه أو همته أو جبروته أو كبريائه، أو غيرهما مما هو ثابت لله في الكتاب أو السنة.

ويدخل فيه أيضاً تأويل صفات الله وأسمائه بما ينقصها أو يحد من كمالها كمن يقر بعلم الله، ولكنه يدعى أنه العلم الإجمالي، وأن الله تعالى لا يعلم الجزئيات والتفصيلات، أو يشبه صفة من تلك الصفات بما عند المخلوقات، فيدعى أنه عز وجل يسمع كما يسمع الناس أو يبصر كبصرهم، ونحو ذلك. ويدخل في النوع الثاني، وهو كفر الإثبات، إثبات أية صفة لله نفاه سبحانه عن نفسه، أو نفاه عن رسول الله ﷺ كإثبات الولد له سبحانه. أو البنات أو الصاحبة أو السنة أو النوم أو الغفلة أو الموت، أو أي نقص من النواقص التي تعترى البشر.

وكذلك يكفر كل من يثبت شيئاً من صفات الله لنفسه أو لمخلوق، ويكفر من يصدقه في دعواه، كقول من قال: أنا أعلم كعلم الله، أو فلان عنده من الحكمة كما عند الله سبحانه وتعالى فيكفر هذا القائل، ويكفر من يصدقه في قوله، لأن إثبات الشريك لله في صفاته انتقاص منه جل وعلا، وكل انتقاص منه أو من صفاته كفر وردة.

## النوع الثالث:

وهو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في النوع الثالث من أنواع

التوحيد، وهو توحيد الألوهية، وهو الشهادة بأن الله وحده هو المعبود بحق، وأن سواه لا يستحق أي شيء من العبادة، فمن قال قولاً أو فعل فعلاً أو اعتقد اعتقاداً يتضمن انكار هذا الحق لله سبحانه، أو انتقاص شيء منه، أو إثباته، أو إثبات شيء منه لغير الله عز وجل، فقد كفر وارتد عن دين الله وأكثر ارتداد الناس وكفرهم يرجع إلى هذا النوع، فإن أكثرهم في الماضي والحاضر يقرون بوجود الخالق سبحانه، وكثير منهم يثبت له خصائص الربوبية وصفائها من قدرة وتدبير ورزق وأحياء وإماته وغيرها وقد ذكر الله في كتابة الكريم أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم كانوا مقرين بأن الله خالقهم قال تعالى ( وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ )<sup>(١)</sup> وقال أيضاً ( وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ )<sup>(٢)</sup> وإنما دخل الكفر على معظم الكافرين بسبب إنكارهم استحقاق الباري بأن يفرد في توجيه العبادة إليه سواء أكان هذا الإنكار بالقلب وهو الاعتقاد، أو بما يدل عليه من القول أو الفعل، وبسبب إقرارهم باستحقاق غيره هذا الأمر سواء أكان هذا الإقرار تصديقاً بالقلب واعتقاداً، أم كان قولاً أو فعلاً يدل عليه.

والواقع أن هذا النوع من الكفر يدخل صاحبه في النوعين السابقين من الكفر، لأن من يعترف لله سبحانه بأنه الخالق لكل شيء، والمدبر لكل شيء، ويعترف له بجميع صفات الجلال والكمال يقتضيه ذلك أن يعترف له وحده دون غيره بالألوهية المطلقة، واستحقاق العبودية له دون سواه، فإن أنكر ذلك وعيد غيره أو عبد معه غيره، فإن اعترافه لله بالربوبية باطل ولا قيمة له.

يقول الصنعاني: (فمن شأن من أقر الله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرد به بتوحيد العبادة، فإذا لم يفعل ذلك فالإقرار الأول باطل)<sup>(٣)</sup> ولذا كان توحيد الله في عبادته موضوع الامتحان للعباد في هذه الحياة الدنيا

(١) - الزخرف - الآية ٨٧.

(٢) - الزخرف - الآية ٩.

(٣) - تظهير الاعتقاد ص ٩.

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١)  
 ومن هنا يتضح أن شهادة أن (لا إله إلا الله) يناقضها أمران:  
الأول: نفى استحقاق الخالق لأن يعبد بأي نوع من أنواع العبادة.  
الثاني: إثبات هذا الاستحقاق لأي مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى.  
 فكل قول أو تصرف أو اعتقاد يتضمن أحد هذين الأمرين يدخل صاحبه في الكفر والردّة، والعبادة التي لا تستحق إلا لله هي الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد، مما يدخل فيها الحب والخشية والاستغاثة والدعاء والتوكل والرجاء، والركوع والسجود والصوم والذبح، والطواف، والخشوع وغيرها.  
 وبناء عليه فإن من ينفي بقول أو اعتقاد أو عمل استحقاق الله لهذه المعاني يكفر، فيكفر من قال أو اعتقد أن الله سبحانه لا يخشى أو لا يدعى أو لا يستعان به أو لا يركع له أو يرجى، أو يسخر ممن عبد الله أو استخف بمن يدعو الله أو يستعين به أو يرجوه بسبب دعائه لله واستعانه به، أو الصلاة له أو الصوم، أو الطواف أو أي فعل أو قول يعده الشرع عبادة، لأن استهزائه واستخفافه لذلك أو لبعضه يدل بصورة قاطعة على عدم اعتقاده باستحقاق الباري لهذه العبادات، كذلك يكفر من أنكر استحقاقه للطاعة وامتنال أمره واجتناب نهيّه، فإن لله عز وجل شرعاً ضمنه كتابه، وأوصى به إلى رسوله ﷺ فمن ادعى أن شيئاً من هذا الشرع لا يستحق الامتنال والتطبيق أو يصلح في هذا الزمان أو نحو ذلك كفر بهذه الدعوى، لأن من خصائص الألوهية الأمر والحكم والتشريع (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) (٢) ومن خصائص العبودية الامتنال والطاعة.

وفي مقابل ذلك يكفر كل من يثبت لغير الله شيئاً من تلك العبادات، فيكفر من يدعى استحقاقه

لتلك العبادات، أو أمر الناس بممارستها له ومن أجله، ويكفر من يصدقه ورضي بقوله أو يمارس بعض تلك العبادات له، وكذلك من أحب أن يعبد بأصناف تلك العبادات وإن لم يأمر الناس بذلك، كمن أحب أن يخشى أو

(١) - الذاريات - الآية ٥٦.

(٢) - يوسف - الآية ٤٠.

ان يستعان به أو يتوكل عليه، أو يرجى<sup>(١)</sup> أو يسجد له أو يركع له أو يخشع الناس له أو غير ذلك من المعاني التي لا يصح التوجه بها إلا إلى الخالق عز وجل.

ويكفر من ادعى أن له الحق في تشريع ما لم يأذن به الله، بسبب ما أوتي من السلطان والحكم، فيدعى أن له الحق في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، ومن ذلك وضع القوانين والأحكام التي تبيح الزنا والربا وكشف العورات أو تغيير ما جعل الله لها من العقوبات المحددة في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ أو تغيير المقادير الشرعية في الزكاة والمواريث والكفارات والعبادات وغيرها مما قدره الشارع في الكتاب والسنة؟

ويدخل في الكفر من يؤمن بهذه الطواغيت ويعترف لها بما ادعته من حقوق الألوهية، فقد قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)<sup>(٢)</sup> وقال أيضاً (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)<sup>(٣)</sup> والعروة الوثقى هي شهادة أن لا اله إلا الله فهذا هو معناها: أن تنفى بجميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له.

ومن هنا تعلم أنه إذا قام حاكم ينتحل الحق في إصدار تشريعات مناقضة لما هو ثابت في الكتاب أو السنة، يحلل به ما حرم الله، أو يحرم ما أحله سبحانه، كفر وارتد عن دين الله القيم، لأنه يعتقد بذلك أنه يسعه الخروج عن شريعة الإسلام بما يشرع للناس، ومن اعتقد ذلك كان من الكافرين<sup>(٤)</sup>.

ولكن هذا الحكم لا يدخل فيه إصدار التشريعات التي تناوّلها نصوص الشارع أو لم تتعرض لها، ولا الأحكام الاجتهادية التي اختلف العلماء فيها. فمن سن قانوناً يبيح بموجبه الزنا أو الربا أو أي شيء من المعاصي المتفق

(١) - والمقصود بذلك الخشية والاستعانة والرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله وهي خشية الغيب والاستعانة في تحقيق الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، وكذلك الرجاء فيما هو من اختصاص الله سبحانه ، واما فيما يقدر عليه الناس ، فلا يكفر فيها العبد ، كمن خاف من السلطان وقد هدده بالسجن أو الموت أو استعان بصاديق في قضاء حاجة يقدر عليها، أو قال شخص لآخر : أرجوك أن تفعل كذا مما يقر عليه الناس ، فكل ذلك لا يدخل في الكفر.

(٢) - النحل - الآية ٣٦.

(٣) - البقرة - الآية ٢٥٦.

(٤) - نواقض الإسلام لمحمد بن عبد الوهاب - الجامع الفريد ص ٢٧٨.

على حرمتها في شرع الله فقد كفر ويكفر جميع من يسهم برضاه في إصدار مثل هذا القانون، ولكن لا يكفر من سن قانوناً ينظم فيه السير مثلاً أو نحوه مما لم يتعرض له الشارع بالذكر، ولا يكفر من سن قانوناً ينظم فيه الأسعار، ولا يقال أن التسعيرة حرام لأن بعض العلماء لا يجيزه، ذلك أنه أمر اجتهادي، وقد قال به بعض الفقهاء.

وتعلم أيضاً أنه يكفر من الناس من يعترف لهذه الطواغيت بهذه الحقوق ويرضى بها، ويتحاكم إليها وإلى شرائعهم المناقضة للإسلام في أصوله وما علم منه بالضرورة، وقد قال تعالى ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ) (١)

وقال تعالى ( أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ) (٢)

### النوع الرابع من النواقض:

وهو كل قول أو فعل أو اعتقاد يتضمن الطعن في الرسالة أو في صاحبها عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، لأن ذلك ينقض شهادة أن محمداً رسول الله فإن هذه الشهادة تعني: التصديق بكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه حق وصدق وأن محمداً ﷺ أهله ربه وحلّاه بجميع الصفات التي تمكنه من أداء الرسالة وتبليغها على أتم وجه وأكمله.

وبهذا تعلم أنه ينقض هذه الشهادة أحد أمرين:

الأول: الطعن في رسول الله ﷺ الثاني: إنكار بعض ما أخبر به رسول الله ﷺ مما يتناقض مع اصطفاء الله له لتبليغ دينه إلى عباده: فيكفر كل من طعن في صدق الرسول أو أمانته، أو عفته أو صلاح عقله، ونحو ذلك ويكفر من سب الرسول ﷺ أو استهزأ أو استخف به أو بتصرف من تصرفاته الثابتة.

ويدخل في الأمر الثاني إنكار أي أمر من الأمور التي أخبر بها فيكفر من أنكر ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام وثبت عنه من البعث

(١) - النساء - الآية ٦٠ .

(٢) - الشورى - الآية ٢١ .

والحساب والميزان والصراف والجنة والنار وغيرها، من المغيبات ويكفر من أنكر شيئاً من القرآن مهما كان<sup>(١)</sup> لأن جميع آيات القرآن أخبر عليه السلام أنها من كلام الله تعالى فمن جحد شيئاً من ذلك فقد كذب الرسول عليه الصلاة والسلام ويكفر من أنكر حكماً من الأحكام الثابتة في القرآن أو السنة، فيكفر كل من أنكر فريضة الصلاة أو الزكاة أو حرمة الزنا أو السرقة، أو ادعى زيادة ركعة في إحدى الصلوات، أو جوازها بدون وضوء ونحو ذلك. ولكن يعذر من جحد شيئاً ليس مشتهراً في الدين ولا يعلمه إلا خاصة العلماء، ولا يكفر أيضاً من أنكر حكماً مجتهداً فيه وليس مجمعاً عليه. يقول الإمام النووي: (وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئاً ما اجتمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرًا كالصلوات الخمس وصور شهر رمضان والاعتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده، فإنه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر.. فأما ما كان الإجماع فيه معلوماً من طريق علم الخاصة كتحریم نكاح المرأة وعمتها وخالتها وأن القاتل عمداً لا يرث وأن للجددة السدس وما أشبه ذلك من الأحكام، فإن من أنكرها لا يكفر بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة)<sup>(٢)</sup> ويكفر من جحد آية من القرآن أو أنكر أمراً غيبياً أو كذب خبراً عما كان وما سيكون مما ورد به القرآن الكريم.

ويكفر من جحد إرسال الرسل قبل محمد ﷺ أو جحد ما ذكر من قصصهم مع أقوامهم، ومن أنكر الكيفية التي ذكرها الله عن بداية الخلق أو ادعى كيفية أخرى تخالف ما ذكر في آيات الكتاب الكريم، ومن أنكر الجن والشيطان أو أنكر الكرسي والعرش واللوح والقلم ومن أنكر وجود شخصية تاريخية أثبت القرآن وجودها ومن أنكر رسالة أو نبوة من ذكر القرآن أنهم رسل وأنبياء، وكذلك من طعن في أحدهم بما لا يليق باختيار الله لهم أو أنكر أنّ الله أرسل رسلاً غيرهم لم يسمهم، لأنه صرح بذلك في أكثر من

(١) - انظر شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر ص ١٦٧.

(٢) - شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ٢٠٥.

موضع، ويكفر كذلك من أنكر إعجاز القرآن الكريم لأن هذا الإعجاز ثابت بإخبار الله عز وجل وبالواقع، وكذلك من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أو صدق من يدعيها لأن القرآن أخبر أن محمداً خاتم النبيين. الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام كفر:

ومن المفيد هنا أن نكرر ما ذكرناه سابقاً، وهو أن تلك الصور والتفصيلات مما يحبط الشهادتين ليست إلا أمثلة وقد يوجد غيرها.

ونوجه الانتباه هنا إلى أمر قد يظن أنه لا يدخل فيما سبق، مع أنه في حقيقته ينقض الشهادتين ويتضمن إنكار التوحيد والرسالة، إلا وهو الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام<sup>(١)</sup> فإن من قال: صدقت لمن أنكر الشهادتين ومن قال: كذبت لمن نطق بهما، لا يشك أحد في كفره حتى وإن كان القول الأول بمجاملة للقائل، وهنالك أساليب مختلفة من الأقوال والأعمال والأحوال لا تقل دلالتها في عرف الشارع وفي عرف الناس، وعرف اللغة عن قول: صدقت لمن كفر أو كذبت لمن أسلم، فمن صدرت منه خرج من دين الإسلام، من هذه الأساليب:

### أولاً: أساليب الرضى بالكفر:

١ - عدم تكفير الكافرين من ملحدين ومرتدين ومشركين: أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة<sup>(٢)</sup>. فمن علم من شخص أو جماعة أو مذهب أو حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو أهل دين من الأديان كفراً واضحاً، فأعتقد عدم كفرهم أو ردتهم، أو قال عن مذاهبهم أو بعضها أنه صحيح، فقد دخل معهم في الكفر وأصبح مثلهم.

ولكن هذه القاعدة تحتاج إلى بيان واحتياط عند تطبيقها: ذلك أنه يفترض من أجل الحكم بردة هذا الإنسان أنه يعلم حقيقة من يحكم بإسلامهم وعدم كفرهم، فإن كان لا يعرف حقيقتهم وما هم عليه من الكفر، فلا يجوز الحكم عليه بالردة من أول الأمر، وإنما يبين له بوسائل

(١) - انظر شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر، ص ١٥٦

(٢) - نواقض الاسلام - محمد بن عبد الوهاب - انظر الجامع الفريد ص ٢٧٧

البيان السليمة، التي لا يبقى بعدها شك فيما ينسب إليهم فإن أنكر بعد هذا كفرهم اعتبر حكمة هذا ردة وكفراً، لأن إنكاره في حقيقته تبين لمذهبه واعتزاف بصحته.

على أنه ينبغي أن يلاحظ أن كفر بعض الطوائف أصبح مشتهراً ومعلوماً بين الناس بالضرورة كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، فيكفر كل من ينكر كفر هؤلاء من أول الأمر.

وأما المذاهب والطوائف التي لا يفترض اشتهاها بين الناس وعلم مبادئها الكافرة فينبغي أن يترتب في تكفير من لا يحكم بردة اتباعها، حتى يبين له بما يقطع الشك ويعرف على مواقع الكفر في هذه المذاهب والطوائف (١) وخاصة أن بعض هذه الطوائف تنسب نفسها إلى الإسلام، وتظاهر أمام العامة أنها لا تنكر شيئاً من الإسلام، وتخفى عنهم بادئ الأمر ما ينفرهم عنها، مما فيه الإنكار الصريح الواضح لمبادئ الإسلام أو بعضها.

كذلك يشترط لتكفير هذا الصنف من الناس أن يكون المحكوم عليهم قد كفروا بأمر متفق على الكفر بسببه، فإن كان مختلفاً فيه بين العلماء المعتبرين، بعضهم يعده من النواقض وبعضهم لا يعده، لم يجز تكفير من لم يكفرهم، كتكفير الخوارج وبعض الفرق الأخرى التي لم يتفق على ردها، ويدخل في هذا من لم يكفر تارك الصلاة عمداً، الذي لم يحدد فرضيتها، فإذا تحققت هذه الشروط، وأنكر المسلم كفر الكافرين وصحح ما هم عليه كان في حقيقة الأمر كالناطق المعتقد بالسبب الذي أدخلهم في الكفر، فيكون ناقضاً بذلك ما سبق منه من الشهاداتين، ومن جهة أخرى يكون منكراً للنصوص والدلائل التي تكفر أمثالهم فيكفر بسبب إنكاره لهذه النصوص.

٢ - موالة الكفار وإظهار موافقتهم على دينهم.

فقد علمت أن من معنى شهادة أن لا اله إلا الله نفي استحقاق العبادة لغير الله عز وجل، فوق ما تدل عليه من إثبات هذا الاستحقاق لله وحده وهو ما دل عليه قوله تعالى أيضاً ( أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ) (٢)

(١) - مجموعة التوحيد ص ١٢٦.

(٢) - النحل - الآية ٣٦.

فلا يكفى في تحقيق معنى هذه الشهادة أن يعبد الإنسان ربه، حتى يتجنب عبادة غيره من جهة، وينفى استحقاق أي مخلوق لأي من أنواع العبادة التي لا تصح إلا لله من جهة أخرى، وهذا أمر متفق عليه ولا جدال فيه ومما لا جدال فيه أيضاً أن من أظهر خصائص الكفار أنهم لا يعبدون الله حق عبادته، أو أنهم يشركون معه في العبادة غيره، زيادة على ما قد يكون منهم من إنكار للرسالة أو طعن في الرسول ﷺ أو غير ذلك من الأمور المتناقضة للإسلام والمضادة للشهادتين، وهذا أمر متفق عليه أيضاً وبناء على هاتين المسلمتين يتحدد الموقف الذى يتفق مع الشهادتين من أعداء الله وأعداء دينه من الكفار والمشركين والمرتدين، ويتبين الحد الذى يجب ان يقف عنده المسلم ولا يتجاوزه من أجل الحفاظ على دينه وإيمانه في معاملتهم وبناء العلاقات معهم، وهو الحد الذى لا يفهم من الوقوف عنده والموافقة على دينهم والرضى عن كفرهم، فإذا تحطى المسلم هذا الحد ودخل في طاعة الكفار وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم، وقطع الموالاة مع المسلمين، ورفع علاقته معهم على علاقته مع المسلمين وضحى بالثانية من أجل الأولى فقد صار منهم وارقد عن دينه، وكان كافراً من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وهو الذى يقع تحت سلطان الكفار، فيأمرونه بطاعتهم في باطلهم، ويهددونه بالقتل أو يشرعون في تعذيبه، فيجوز له عندئذ فقط الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان، ومع أن هذا الأمر يدخل في معنى الشهادتين كما تقدم فإنه ورد في القرآن آيات كثيرة جداً تفرض على المؤمن قطع الولاء للكفار وتوجب عليه معاداتهم في الدين، ويدل كثير من هذه الآيات في ظاهره على كفر وردة من لم يقم بهذه الفريضة، فإذا رجعت إلى المعنى الذى تدل عليه الشهادتان وجمعت مع هذا الظاهر الذى تدل عليه هذه النصوص عرفت أنه على حقيقته لا يجوز تأويله، ونذكر لك فيما يلي بعض هذه النصوص، لا جميعها فإنها كثيرة لا يزيد عليها إلا ما جاء بخصوص التوحيد والأمر بعبادة الله:

أ- قوله تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) (١)

فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء قال ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) (ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم وتظاهروهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عورتهم فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعنى بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر) (٢)

وأما قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) فهو كقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) وهو أن يكون المسلم مقهوراً معهم لا يقدر على عداوتهم فيظهر لهم من المعاشرة والقلب مطمئن بالإيمان بالله، ومليء بالعداوة والبغضاء للكفر وأعداء الله قال ابن جرير: (إلا أن تتقوا وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل) (٣) وسيأتيك إن شاء الله تعالى بيان حد الإكراه المعتبر في هذا المقام.

ب- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْحِكُوا عَلَى مَا اسْتَرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ) (٥٢) (٤)

فنهى سبحانه وتعالى عن موالاته اليهود والنصارى، وذكر أن من والاهم كان منهم، فمن تولى اليهود فهو يهودي ومن تولى النصارى فهو نصرائي، وكذلك من تولى أي كافر فهو مثله في كفره، لأن المتولي متبين لما عليه ذلك الكافر وراض عنه، فيكون مثله من حيث الكفر، وقد روي ابن أبي

(١) - آل عمران - الآية ٢٨.

(٢) - تفسير الطبري ج ٦ ص ٣١٣.

(٣) - تفسير الطبري ج ٦ ص ٣١٣.

(٤) - المائدة - الآيات ٥١، ٥٢.

حاتم عن محمد بن سيرين قال: (قال عبد الله بن عتبة: ( ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر ) قال فظننا يريد هذه الألة ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ) إلى قوله تعالى ( فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ) ثم تأمل عذر هؤلاء الذين كفروا بموالاتهم لليهود والنصارى، والذي لم يقبله الله عز وجل منهم وهو خوفهم من أهل الكتاب وسلطانهم على مراكزهم وأموالهم وديناهم، فإن تأملك هذا يعطيك ضوءاً وإشارة إلى معنى الإكراه، وما يعتبر منه وما لا يعتبر وهو ما وعدناك بالكلام عنه بعد الانتهاء من ذكر هذه الآيات.

ج - قوله تعالى: (تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ((٨١)) (١)

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي مرتبط بعدم ولاية الكفار، فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم ومن جهة أخرى فقد رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب، وأخبر أن موالاتهم لا تحصل من مؤمن، فإن أهل الإيمان يعادونهم ولا يوالونهم.

ثم انظر كيف اعتبر سبحانه وتعالى عدم الموالاة للكفار داخلاً في معنى الشهادتين اللتين عبر عنهما بالإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ووجه الارتباط هو ما قدمناه لك في مبدأ الكلام عن الموالاة للكفار والموافقة على دينهم.

د - قوله تعالى: (بَشِّرِ الْمُتَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ((١٣٩)) (٢) فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد كافراً فمن واد كافراً فليس بمؤمن، وإذا كان الله قد نفى الإيمان عن يواد أباه وأخاه وعشيرته، إذا كانوا كافراً، فمن واد الكفار الأبعدين أولى بأن لا يكون مؤمناً.

(١) - المائة - الآيات ٨٠ ، ٨١ .

(٢) - النساء - الآيات ١٣٨ - ١٣٩ .

و - قوله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) ) (١)

فأخبر تعالى أن سبب ما جري عليهم من الردة والكفر هو قولهم للذين كفروا: سنطيعكم في بعض الأمر، فلم ينفعهم ما علموه من الهدى والحق مع ما قالوه وما وعدوه للذين يكرهون الإسلام.

ز - قوله تعالى: ( وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ) (٢)

فذكر تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يُكفر بها ويستَهزأُ بها فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم، هذا وهم في بلد واحد في أول الإسلام، فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزه وبلاده، فدعا الكافرين بالله المستهزئين بها إلى بلاده واتخذهم أولياء وأصحاباً وجلساء ومستشارين، وسمع كفرهم واستهزائهم وأقرهم، وطرده علماء المسلمين وأبعدهم!! فهذا أسلوب من أساليب الرضى بالكفر والكفار يبعد صاحبه عن الإيمان، ويدخله في الكفر والعياذ بالله، لأن السكوت في مجالس الكفر وما يكون فيها دليل كاف على الموافقة.

فيجب على المؤمن أن يحذر ذلك كما يحذر الكفر الصريح، فيلزمه مفارقة هذه المجالس، حتى ينجو من عذاب الله، ولا يمنعه من ذلك خوف على مال أو مركز، أو أي عرض من أعراض هذه الدنيا، فإن الله سبحانه أحق أن يخشاه.

(١) - محمد - الآيات ٢٥ - ٢٨.

(٢) - النساء - الآية ١٤٠.

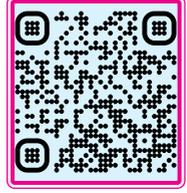




## الفصل الثاني

- المبحث الأول / القرآن: سورة الحجرات ٩-١٣
- المبحث الثاني / السيرة: سرية مؤتة (٨ هـ)
- المبحث الثالث / أصول الفقه: الاجتهاد





## المبحث الأول

### القرآن: سورة الحجرات ٩-١٣

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَافَتَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۗ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَبِ بئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۝

[الحجرات : ٩ - ١٣]

### الدرس الثالث: الإصلاح بين المؤمنين والتذكير بأخوتهم.

وهذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام والتفكك، تحت النزوات والاندفاعات. تأتي تعقياً على تبين خير الفاسق، وعدم العجلة والاندفاع وراء الحمية والحماسة، قبل التثبت والاستيقان. وسواء كان نزول هذه الآية بسبب حادث معين كما ذكرت الروايات، أم كان تشريعاً لتلافي مثل هذه الحالة، فهو يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة

الجماعة الإسلامية من التفكك والتفرق، ثم لإقرار الحق والعدل والصلاح، والارتكان في هذا كله إلى تقوى الله ورجاء رحمته بإقرار العدل والصلاح. والقرآن قد واجه - أو هو يفترض - إمكان وقوع القتال بين طائفتين من المؤمنين، ويستبقي لكلتا الطائفتين وصف الإيمان مع اقتتالهما، ومع احتمال أن إحداها قد تكون باغية على الأخرى، بل مع احتمال أن تكون كلتاها باغية في جانب من الجوانب.

وهو يكلف الذين آمنوا - من غير الطائفتين المتقاتلتين طبعاً - أن يقوموا بالإصلاح بين المتقاتلين، فإن بغت إحداها فلم تقبل الرجوع إلى الحق - ومثله أن تبغيا معا برفض الصلح أو رفض قبول حكم الله في المسائل المتنازع عليها - فعلى المؤمنين أن يقاتلوا البغاة إذن، وأن يظلوا يقاتلونهم حتى يرجعوا إلى أمر الله. وأمر الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين، وقبول حكم الله فيما اختلفوا فيه، وأدى إلى الخصام والقتال. فإذا تم قبول البغاة لحكم الله، قام المؤمنون بالإصلاح القائم على العدل الدقيق طاعة لله وطلباً لرضاه.. (إن الله يحب المقسطين)..

ويعقب على هذه الدعوة وهذا الحكم باستجاشة قلوب الذين آمنوا واستحياء الرابطة الوثيقة بينهم، والتي جمعتهم بعد تفرق، وألفت بينهم بعد خصام، وتذكيرهم بتقوى الله، والتلويح لهم برحمته التي تنال بتقواه. (إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون)..

ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه، وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم ليردوهم إلى الصف، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة، وهو إجراء صارم وحازم كذلك.

ومن مقتضيات هذه القاعدة كذلك ألا يجهز على جريح في معارك التحكيم هذه، وألا يقتل أسير، وألا يتعقب مدبر ترك المعركة، وألقى السلاح، ولا تؤخذ أموال البغاة غنيمة؛ لأن الغرض من قتالهم ليس هو القضاء عليهم،

وإنما هو ردهم إلى الصف، وضمهم إلى لواء الأخوة الإسلامية. والأصل في نظام الأمة المسلمة أن يكون للمسلمين في أنحاء الأرض إمامة واحدة، وأنه إذا بويع لإمام، وجب قتل الثاني، واعتباره ومن معه فئة باغية يقاتلها المؤمنون مع الإمام. وعلى هذا الأصل قام الإمام علي عليه السلام بقتال البغاة في وقعة الجمل وفي وقعة صفين، وقام معه بقتالهم أجلاء الصحابة رضوان الله عليهم. وقد تخلف بعضهم عن المعركة منهم سعد ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وابن عمر رضي الله عنهم إما لأنهم لم يتبينوا وجه الحق في الموقف في حينه فاعتبروها فتنة. وإما لأنهم كما يقول الإمام الجصاص:

«ربما رأو الإمام مكثفياً بمن معه مستغنيا عنهم بأصحابه فاستجازوا القعود عنه لذلك».. والاحتمال الأول أرجح، تدل عليه بعض أقوالهم المروية؛ كما يدل عليه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما في ندمه فيما بعد على أنه لم يقاتل مع الإمام.

ومع قيام هذا الأصل فإن النص القرآني يمكن إعماله في جميع الحالات - بما في ذلك الحالات الاستثنائية التي يقوم فيها إمامان أو أكثر في أقطار متفرقة متباعدة من بلاد المسلمين، وهي حالة ضرورة واستثناء من القاعدة - فواجب المسلمين أن يحاربوا البغاة مع الإمام الواحد، إذا خرج هؤلاء البغاة عليه. أو إذا بغت طائفة على طائفة في إمامته دون خروج عليه، وواجب المسلمين كذلك أن يقاتلوا البغاة إذا تمثلوا في إحدى الإمامات المتعددة في حالات التعدد الاستثنائية، بتجمعهم ضد الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، وهكذا يعمل النص القرآني في جميع الظروف والأحوال.

وواضح أن هذا النظام، نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، نظام له السبق من حيث الزمن على كل محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التي حاولتها في كل تجاربها الكسيحة! وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق، لأن الاحتكام فيه إلى أمر الله الذي لا يشوبه غرض ولا هوى، ولا يتعلق به نقص أو قصور.. ولكن

البشرية البائسة تطلع وتعرج، وتكبو وتتعثر، وأمامها الطريق الواضح الممهّد المستقيم!

### الدرس الرابع: ١١ تحريم السخرية والنبز واللمز.

(يا أيها الذين آمنوا، لا يسخر قوم من قوم، عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء، عسى أن يكن خيرا منهن. ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تناجروا بالألقاب. بئس الاسم: الفسوق بعد الإيمان. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)..

إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة، كرامتها واحدة.

والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب: يا أيها الذين آمنوا. وينهاهم أن يسخر قوم بقوم، أي رجال برجال، فلعلهم خير منهم عند الله، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن في ميزان الله.

وفي التعبير إحياء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية، التي يوزن بها الناس. فهناك قيم أخرى، قد تكون خافية عليهم، يعلمها الله، ويزن بها العباد، وقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير، والرجل القوي من الرجل الضعيف، والذكي الماهر من الساذج الخام، وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم، وذو العصبية من اليتيم... وقد تسخر الجميلة من القبيحة، والشابة من العجوز، والمعتدلة من المشوهة، والغنية من الفقيرة.. ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس، فميزان الله يرفع ويخفض بغير هذه الموازين!

ولكن القرآن لا يكتفي بهذا الإحياء، بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية، ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة من يلمزها فقد لمزها: (ولا تلمزوا أنفسكم).. واللمز: العيب. ولكن لفظة جرسا وظلا، فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية!

ومن السخرية واللمز التنازب بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويجسون فيها سخرية وعبياء، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به، ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا، وقد غير رسول الله ﷺ أسماء وألقابا كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المرهف، وقلبه الكريم، بما ييزري بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم.

والآية بعد الإيحاء بالقيم الحقيقية في ميزان الله، وبعد استجاشة شعور الأخوة، بل شعور الاندماج في نفس واحدة، تستثير معنى الإيمان، وتحذر المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم، والفسوق عنه والانحراف بالسخرية واللمز والتنازب: (بئس الاسم: الفسوق بعد الإيمان) فهو شيء يشبه الارتداد عن الإيمان! وتهدد باعتبار هذا ظلما، والظلم أحد التعبيرات عن الشرك: (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون).. وبذلك تضع قواعد الأدب النفسي لذلك المجتمع الفاضل الكريم.

#### الدرس الخامس: ١٢ تحريم سوء الظن والغيبة والتجسس.

(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ فكرهتموه. واتقوا الله، إن الله تواب رحيم)

فأما هذه الآية فتقيم سياجا آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم، حول حرمت الأشخاص به وكراماتهم وحررياتهم، بينما هي تُعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم، في أسلوب مؤثر عجيب...

وتبدأ - على نسق السورة - بذلك النداء الحبيب: يا أيها الذين آمنوا.. ثم تأمرهم باجتنب كثير من الظن، فلا يتركوا نفوسهم نهباً لكل ما يهيجس فيها حول الآخرين من ظنون وشبهات وشكوك، وتعلل هذا الأمر: (إن بعض الظن إثم) وما دام النهي منصبا على أكثر الظن، والقاعدة أن بعض الظن إثم، فإن إيحاء هذا التعبير للضمير هو اجتناب الظن السيء أصلا، لأنه لا يدري أي ظنونه تكون إثما!

بهذا يُطهر القرآن الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السيء، فيقع في الإثم، ويدعه نقيًا بريئًا من الهواجس والشكوك، أبيض يكن لإخوانه المودة التي لا يחדشها ظن السوء، والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع، وما أروح الحياة في مجتمع بريء من الظنون!

ولكن الأمر لا يقف في الإسلام عند هذا الأفق الكريم الوضيء في تربية الضمائر والقلوب، بل إنّ هذا النصّ يقيم مبدأ في التعامل، وسياجا حول حقوق الناس الذين يعيشون في مجتمعه النظيف، فلا يؤخذون بظنة، ولا يحاكمون بريئة، ولا يصبح الظن أساسا لمحاكمتهم، بل لا يصح أن يكون أساسا للتحقيق معهم، ولا للتحقيق حولهم، والرسول ﷺ يقول: « إذا ظننت فلا تحقق ».. ومعنى هذا أن يظل الناس أبرياء، مصونة حقوقهم، وحرّياتهم، واعتبارهم، حتى يتبين بوضوح أنهم ارتكبوا ما يؤخذون عليه، ولا يكفي الظن بهم لتعقبهم بغية التحقق من هذا الظن الذي دار حولهم! فأى مدى من صيانة كرامة الناس وحرّياتهم وحقوقهم واعتبارهم ينتهي إليه هذا النص! وأين أقصى ما تتعجب به أحسن البلاد ديمقراطية وحرية وصيانة لحقوق الإنسان فيها من هذا المدى الذي هتف به القرآن الكريم للذين آمنوا، وقام عليه المجتمع الإسلامي فعلا، وحققه في واقع الحياة، بعد أن حققه في واقع الضمير؟

ثم يستطرد في ضمانات المجتمع إلى مبدأ آخر يتصل باجتناّب الظنون:  
(ولا تجسسوا) ...

والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن، وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات، والاطلاع على السوءات.

والقرآن يقاوم هذا العمل الدنيء من الناحية الأخلاقية، لتطهير القلب من مثل هذا الاتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سواتهم، وتمشيا مع أهدافه في نظافة الأخلاق والقلوب.

ولكن الأمر أبعد من هذا أثرا، فهو مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسة في نظامه الاجتماعي، وفي إجراءاته التشريعية والتنفيذية.

إن للناس حرياتهم وحرمااتهم وكراماتهم التي لا يجوز أن تنتهك في صورة من الصور، ولا أن تمس بحال من الأحوال.

ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم، آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم، آمنين على عوراتهم، ولا يوجد مبرر - مهما يكن - لانتهاك حرمان الأنفس والبيوت والأسرار والعورات، حتى ذريعة تتبع الجريمة وتحقيقها لا تصلح في النظام الإسلامي ذريعة للتجسس على الناس، فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم، وليس لأحد أن يأخذهم إلا بما يظهر منهم من مخالفات وجرائم، وليس لأحد أن يظن أو يتوقع، أو حتى يعرف أنهم يزاولون في الخفاء مخالفة ما، فيتجسس عليهم ليضبطهم! وكل ماله عليهم أن يأخذهم بالجريمة عند وقوعها وانكشافها، مع الضمانات الأخرى التي ينص عليها بالنسبة لكل جريمة.

قال أبو داود: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب قال: أتى ابن مسعود، فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرا، فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به.

وعن مجاهد: لا تجسسوا، خذوا بما يظهر لكم، ودعوا ما ستر الله.

وروى الإمام أحمد - بإسناده - عن دجين كاتب عقبة، قال: قلت لعقبة: إن لنا جيرانا يشربون الخمر، وأنا داع لهم الشرط، فيأخذونهم، قال: لا تفعل، ولكن عظهم وتهددهم، قال: ففعل فلم ينتهوا، قال: فجاءه دجين فقال: إني قد نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشرط فتأخذهم، فقال له عقبة: ويحك! لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها ».

وقال سفيان الثوري عن راشد بن سعد، عن معاوية بن أبي سفيان، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » فقال أبو الدرداء رضي الله عنه كلمة سمعها معاوية رضي الله عنهما من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها.

فهكذا أخذ النص طريقه في النظام العملي للمجتمع الإسلامي! ولم يعد مجرد تهذيب للضمير وتنظيف للقلب، بل صار سياجا حول حرمان الناس وحقوقهم وحررياتهم، فلا تمس من قريب أو بعيد، تحت أي ذريعة أو ستار. فأين هذا المدى البعيد؟ وأين هذا الأفق السامق؟ وأين ما يتعجب به أشد الأمم ديمقراطية وحرية وحفظا لحقوق الإنسان بعد ألف وأربع مئة عام؟ بعد ذلك يجيء النهي عن الغيبة في تعبير عجيب، يبدعه القرآن إبداعا. (ولا يغتب بعضكم بعضا. أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ فكرهتموه) لا يغتب بعضكم بعضا. ثم يعرض مشهدا تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية. مشهد الأخ يأكل لحم أخيه... ميتا..! ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز، وأنهم إذن كرهوا الاغتياب! ثم يعقب على كل ما نهاهم عنه في الآية من ظن وتجسس وغيبة باستحاشة شعور التقوى، والتلويح لمن اقتترف من هذا شيئا أن يبادر بالتوبة تطلعا للرحمة.

(واتقوا الله إن الله تواب رحيم).

ويسري هذا النص في حياة الجماعة المسلمة فيتحول إلى سياج حول كرامة الناس، وإلى أدب عميق في النفوس والقلوب، ويتشدد فيه رسول الله ﷺ متمشيا مع الأسلوب القرآني العجيب في إثارة الاشمئزاز والفرع من شبح الغيبة البغيض.

في حديث رواه أبو داود: حدثنا القعني، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال ﷺ: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال ﷺ: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته. (١) وقال أبو داود: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني علي بن الأقرم عن أبي حذيفة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفة كذا وكذا «قال عن مسدد تعني قصيرة» فقال ﷺ: لقد قلت كلمة لو

(١) رواه الترمذي وصححه.

مزجت بماء البحر لمزجته». قالت: وحكيت له إنسانا، فقال ﷺ: «ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا»..

وروى أبو داود بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، قلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»..

ولما اعترف ماعز بالزنا هو والغامدية، ورجمهما رسول الله ﷺ بعد إقرارهما متطوعين وإلحاحهما عليه في تطهيرهما، سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب! ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار، فقال: «أين فلان وفلان؟ انزلا فكلنا من جيفة هذا الحمار» قالوا: غفر الله لك يا رسول الله! وهل يؤكل هذا؟ قال ﷺ: «فما نلتما من أخيكما أنفا أشد أكلا منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها».

وبمثل هذا العلاج الثابت المطرد تطهر المجتمع الإسلامي وارتفع، وانتهى إلى ما صار إليه: حلما يمشي على الأرض، ومثلا يتحقق في واقع التاريخ.

**الدرس السادس: ١٣ تذكير الناس بأصلهم وأن التقوى أساس التفاضل.**

وبعد هذه النداءات المتكررة للذين آمنوا، وأخذهم إلى ذلك الأفق السامي الوضيء من الآداب النفسية والاجتماعية، وإقامة تلك السياجات القوية من الضمانات حول كرامتهم وحرمتهم وحرماقتهم، وضمنان هذا كله بتلك الحساسية التي يثيرها في أرواحهم، بالتطلع إلى الله وتقواه..

بعد هذه المدارج إلى ذلك الأفق السامق، يهتف بالإنسانية جميعها على اختلاف أجناسها وألوانها، ليردها إلى أصل واحد، وإلى ميزان واحد، هو الذي تقوم به تلك الجماعة المختارة الصاعدة إلى ذلك الأفق السامق. (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا،

إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير).  
يا أيها الناس، يا أيها المختلفون أجناسا وألوانا، المتفرقون شعوبا وقبائل.  
إنكم من أصل واحد. فلا تختلفوا ولا تفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا.  
يا أيها الناس، والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم.. من ذكر  
وأُنثى.. وهو يطالعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل؛ إنها ليست  
التناحر والخصام، إنما هي التعارف والوثام، فأما اختلاف الألسنة والألوان،  
واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا  
يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء  
بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من  
حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تحدد به القيم، ويعرف به  
فضل الناس: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).. والكريم حقا هو الكريم عند  
الله. وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازن: (إن الله عليم خبير)..  
وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة  
واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف  
البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع  
القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون:  
ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد. كما يرتفع لواء واحد يتسابق  
الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله، وهذا هو اللواء الذي رفعه  
الإسلام لينقذ البشرية من دعوات العصبية للجنس، والعصبية للأرض،  
والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت، وكلها من الجاهلية وإليها، تنزير بشتى  
الأزياء، وتسمى بشتى الأسماء، وكلها جاهلية عارية من الإسلام!  
وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها، ليقم  
نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله.. لا راية الوطنية، ولا راية  
القومية، ولا راية البيت، ولا راية الجنس، فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم، أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان».

وقال ﷺ عن العصبية الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة».

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، المجتمع الإنساني العالمي.





## المبحث الثاني

### السيرة: سرية مؤتة (٨ هـ)

أولاً: أسبابها:

بعد صلح الحديبية بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى حاكم (بُصرى) التابع لحاكم الروم، فقام شرحبيل بن عمرو الغساني بضرب عنق رسول الله ﷺ، ولم تجر العادة بقتل الرُّسل والسفراء، كما أعلن الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق أنه أساء استقبال مبعوث رسول الله ﷺ، وهدد بإعلان الحرب على المدينة.

وقد كان مقتل سفير رسول الله ﷺ - الحارث بن عمير الأزدي - محركاً لنفوس المسلمين، وبعثاً لهم ليضعوا حداً لهذه التصرفات العدوانية وتأديب عرب الشام التابعين للدولة الرومانية، والذين دأبوا على استفزاز المسلمين، وتحديدهم، وارتكاب الجرائم ضد دعواتهم أصبح هدفاً مهماً؛ لأن تحقيق هذا الهدف معناه: فرض هيئة الدولة الإسلامية في تلك المناطق، حيث لا تتكرر مثل هذه الجرائم في المستقبل، وحيث يأمن الدعاة المسلمون على أنفسهم، ويأمن التجار المترددون بين الشام والمدينة من كل أذى يحول دون وصول السلع الضرورية إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

وفي سنة (٨ هـ) أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتجهز للقتال، فاستجابوا للأمر النبوي، وحشدوا حشوداً لم يحشدوها من قبل؛ إذ بلغ عدد المقاتلين في هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل، واختار النبي ﷺ للقيادة ثلاثة أمراء على التوالي: زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة<sup>(٢)</sup>. وقد أمر رسول الله ﷺ الجيش الإسلامي أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه، وأن يدعوا من كان هناك إلى

(١) انظر: المسلمون والروم في عصر النبوة، ص ٨٩.

(٢) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص ٢٠.

الإسلام، فإن أجابوا؛ فيها ونعمت، وإن أبوا؛ استعينوا بالله عليهم وقتلواهم (١). وقد زود الرسول ﷺ الجيش في هذه السرية، وغيرها من السرايا بوصايا تتضمن آداب القتال في الإسلام (٢)، فقد أوصى رسول الله ﷺ أصحابه بقوله: «أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تدمموا بناءً، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: فإما الإسلام، وإما الجزية، وإما الحرب» (٣).

### ثانياً: الجيش يصل إلى معان واستشهاد الأمراء الثلاثة.

لما وصل الجيش الإسلامي إلى معان من أرض الشام - وهي الآن محافظة من محافظات الأردن - بلغه: أن النصارى الصليبيين من عرب، وعجم قد حشدوا حشوداً ضخمة لقتالهم؛ إذ حشدت القبائل العربية مئة ألف صليبي من لحم، وجذام وبهراء وبلي، وعينت لهم قائداً، هو مالك بن رافلة، وحشد هرقل مئة ألف نصراي صليبي من الروم، فبلغ جيشهم مئتي ألف مقاتل، مزودين بالسلاح الكافي، يرفلون في الديباج لينبهر المسلمون بهم وبقوتهم (٤)، ولقد قام المسلمون في معان يومين يتشاورون في التصدي هذا الحشد الضخم، فقال بعضهم: نرسل إلى رسول الله ﷺ في المدينة نخبره حشود العدو، فإن شاء أمدنا بالمدد، وإن شاء أمرنا بالقتال، وقال بعضهم لزيد بن حارثة قائد الجيش: وقد وطنت البلاد، وأخفت أهلها، فانصرف فإنه لا يعدل العافية شيء (٥)، ولكن عبد الله بن رواحة حسم الموقف بقوله: يا قوم! والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة! وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا؛ فإما هي إحدى الحسينين: إما ظهور، وإما شهادة! فأهبت كلماته مشاعر

(١) انظر: السيرة الحلبية (٧٨٧/٢)

(٢) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص ٢١.

(٣) انظر: للغازي (٧٥٨-٧٥٧/٢)

(٤) انظر: شرح المواهب الدنية (٢٧١/٢)

(٥) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساکر (٣٩٦/١).

المجاهدين، واندفع زيد بن حارثة بالناس إلى منطقة مؤتة جنوب الكرك يسير حيث أثر الاصطدام بالروم هناك، فكانت ملحمة سجل فيها القادة الثلاثة بطولة عظيمة انتهت باستشهادهم<sup>(١)</sup>. فقد استبسل زيد بن حارثة رضي الله عنه، وتوغل في صفوف الأعداء وهو يحمل راية رسول الله ﷺ حتى شاط (أي: سال دمه) في رماح القوم<sup>(٢)</sup>. ثم أخذ الراية جعفر، وانبرى يتصدى لجموع المشركين الصليبيين، فكنفوا حملاتهم عليه، وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم، فلم تلن له قناة، ولم تهن له عزيمة؛ بل استمر في القتال وزيادة في الإقدام نزل عن فرسه، وعقرها، وأخذ ينشد:

يا حبذا الجنة واقترابها      طيبة وباردا شرابها  
والروم روم قد دنا عذابها      كافرة بعيدة أنسابها

#### عليّ إذ لاقيتها ضرابها

لقد أخذ سيدنا جعفر ﷺ اللواء بيده اليميني فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه، وانحنى عليه حتى استشهد وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ولقد أثخن ﷺ بالجراح؛ إذ بلغ عدد جراحه تسعين ما بين طعنة برمح أو ضربة بسيف، أو رمية بسهم، وليس من بينهم جرح في ظهره، بل كلها في صدره<sup>(٣)</sup>، ولقد عوض الله - تبارك وتعالى - جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وأكرمه على شجاعته، وتضحيته بأن جعل له جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، فقد روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عامر؛ قال: كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر؛ قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين<sup>(٤)</sup>. وبعد استشهاد جعفر بن أبي طالب ﷺ تسلم الراية عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه وامتنى جواده، وهو يقول:

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٤٦٨/٢)

(٢) الطبراني في الكبير (٤٦٥٥)، وابن هشام (١٩/٤)، وجمع الزوائد (١٥٩/٦).

(٣) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص ٥٨.

(٤) البخاري (٤٢٦٤)، والبيهقي في الدلائل (٣٧٢/٤).

أقسمت يا نفس لتنزلنه      لتنزلن أو لتكرهنه  
 إن أجلب الناس وشدو الرنه      مالي أراك تكرهين الجنة  
 قد طال ما قد كنت مطمئنة      هل أنت إلا نظفة في شنة  
 يا نفس إلا تقتلي تموتي      هذا حمام الموت قد صليت  
 وما تمنيت فقد أعطيت      إن تفعلي فعلهما هديت

ويذكر: أن ابن عم لعبد الله بن رواحة قد قدم له قطعة من لحم، وقال له: شد بهذا صُلبك، فإنك لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده، ثم انتهش منه نَحْشَةً، ثم سمع جلبة، وزخاما في جبهة القتال، فقال يخاطب نفسه: وأنت في الدنيا! ثم ألقى قطعة اللحم من يده، وتقدم يقاتل العدو حتى استشهد عليه السلام وكان ذلك في آخر النهار<sup>(١)</sup>.

ثالثا: المسلمون يختارون خالد بن الوليد قائدا.

ولما استشهد عبد الله بن رواحة عليه السلام وسقطت الراية من يده فالتقطها ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي الأنصاري وقال: يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل! فاصطلح الناس على خالد بن الوليد<sup>(٢)</sup>، وجاء في (إمتاع الأسماع): أن ثابت بن أقرم نظر إلى خالد بن الوليد، فقال: خذ اللواء يا أيا سليمان! فقال: لا. خذه أنت أحقُّ به، أنت رجل لك سن، فقد شهدت بدرا، فقال ثابت: خذه أيها الرجل، فو الله ما أخذته إلا لك<sup>(٣)</sup>!

فأخذه خالد بن الوليد عليه السلام وأصبحت الخطة الأساسية المنوطة لخالد في تلك الساعة العصبية من القتال أن ينقذ المسلمين من الهلاك الجماعي، فبعد أن قدر الموقف واحتمالاته المختلفة تقديرا دقيقا، ودرس ظروف المعركة دراسة وافية، وتوقع نتائجها اقتنع بأن الانسحاب بأقل خسارة ممكنة هو الحال

(١) الرنة: صوت ترجيع شبه الكقاء

(٢) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص ٦١

(٣) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٢٧/٤).

الأفضل، فقوة العدو تبلغ (٦٦) ضعفا لقوة المسلمين، فلم يبقَ أمام هؤلاء إلا الانسحاب المنظم، وعلى هذا الأساس وضع خالد الخطة التالية:

أ - الحيلولة بين جيش الروم وجيش المسلمين؛ ليضمن هذا الأخير سلامة الانسحاب.

ب - لبلوغ هذا الهدف لا بد من تضليل العدو بإيهامه أنّ مددا قد ورد إلى جيش المسلمين، فيخفف من ضغطه، وهجماته، ويتمكن المسلمون من الانسحاب، وصمد خالد حتى المساء عملاً بهذه الخطة، وغير في ظلام الليل مراكز المقاتلين في جيشه، فاستبدل اليمين باليسرة، ومقدمة القلب بالمؤخرة، وفي أثناء عملية الاستبدال اصطنع ضجة صاخبة وجلبة قوية، تم حمل على العدو، عند الفجر، بهجمات سريعة متتالية، وقوية؛ ليدخل في روعه: أن إمدادات كثيرة وصلت إلى المسلمين<sup>(١)</sup>.

**ونجحت الخطة؛** إذ بدا للعدو صباحاً: أن الوجوه والرايات التي تواجهه جديدة لم يرها من قبل، وأن المسلمين يقومون بهجمات عنيفة، فأيقن: أنهم تلقوا إمدادات، وأن جيشاً جديداً نزل إلى الميدان، وكان البلاء الحسن الذي أبلاه المسلمون قد فتّ في عضد الروم، وحلفائهم، فأدركوا أن إحرار نصر حاسم ونهائي على المسلمين أمر مستحيل فتخاذلوا وتقاعدوا عن متابعة الهجوم، وضعف نشاطهم واندفاعهم، فخفت الضغط عن جيش المسلمين، وانتهز خالد الفرصة، فباشر الانسحاب، وكانت عملية التراجع التي قام بها خالد في أثناء معركة (مؤتة) من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارة ونجاحاً، بل إنها تتفق وتتلاءم مع التكتيك الحديث للانسحاب، فقد عمد خالد إلى سحب الجناحين بحماية القلب، ولما أصبح الجناحان بمنى عن العدو وفي مأمن عنه؟ عمد إلى سحب القلب بحماية الجناحين، إلى أن تمكن، وضمن سلامة الانسحاب كلياً<sup>(٢)</sup>، ويقول المؤرخون: إن خسارة المسلمين لم تتعدّ الإثني عشر قتيلاً في هذه المعركة، وإن خالداً قال: "لقد

(١) البداية والنهاية (٢٤٧/٤) والوافدي (٧٦٤/٢)

(٢) انظر: معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، ص ١٧٣

انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية<sup>(١)</sup>. ويمكن القول بأن خالدًا بحظته تلك، قد أنقذ الله المسلمين به من هزيمة ماحقة، وقتل محقق، وإن انسحابه كان قمة النصر بالنسبة لظروف المعركة؛ حيث يكون الانسحاب في ظروف مماثلة أصعب حركات القتال، بل أجداها وأنفعها.

رابعاً: معجزة الرسول ﷺ، وموقف أهل المدينة من الجيش.

ظهرت معجزة للرسول ﷺ في أمر هذه السرية، فقد نعى إلى المسلمين في المدينة زيदा، وجعفرًا، وابن أبي رواحة قبل أن يصل إليه خبرهم، وحزن رسول الله ﷺ لما وقع للسرية، وذرفت عيناه الدموع، ثم أخبرهم بتسلم خالد للراية، وبشرهم بالفتح على يديه، وأسماه: سيف الله<sup>(٢)</sup>، وبعد ذلك قدم من أخبرهم بأخبار السرية، ولم يزد عما أخبرهم به النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

ولما دنا الجيش من حول المدينة، تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتمون، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان، واحملوهم وأعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله، فأخذه فحمله على يديه، وجعل الناس يثبون على الجيش التراب، ويقولون: يا فرار! أفررت من سبيل الله! ويقول رسول الله ﷺ: "ليسوا بالفرار، ولكتهم الكرار إن شاء الله تعالى" (البيهقي في الدلائل (٣٧٤/٤)، وابن هشام (٢٤/٤)<sup>(٤)</sup>.

وإن الإنسان ليعجب من هذه التربية النبوية التي صنعت من الأطفال الصغار، رجالاً وأبطالاً يرون العودة من المعركة دون شهادة في سبيل الله فراراً من سبيل الله، لا يكافؤون عليه إلا حثو التراب في وجوههم، فأين شبابنا المتسكعون في الشوارع، من هذه النماذج الرفيعة من الرجولة الفذة المبكرة؟! ولن تستطيع الأمة أن ترتفع إلى هذه الأهداف النبيلة، والقمم الشوامخ إلا بالتربية الإسلامية الجادة القائمة على المنهاج النبوي الكريم<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري (٤٢٦٥)، والبيهقي في الدلائل (٣٧٣/٤).

(٢) انظر: نضرة النعيم (٣٦٠/١).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٢٥٥/٤).

(٤) انظر: السيرة النبوية، للندوي، ص ٣٢٨، وتاريخ الذهبي، ص ٤٩١، والبداية والنهاية، لابن كثير، وقال: هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة.

(٥) انظر: دروس وعبر من الجهاد النبوي، ص ٣٥٨.

خامسا: دروس، وعبر، وفوائد.

في هذه الغزوة دروس، وعبر كثيرة منها:

### ١. أهمية هذه المعركة.

تعدُّ هذه المعركة من أهم المعارك التي وقعت بين المسلمين والنصارى الصليبيين من عرب، وعجم؛ لأنها أول صدام مسلح ذي بال بين الفريقين، وأثرت تلك المعركة على مستقبل الدولة الرومانية، فقد كانت مقدمة لفتح بلاد الشام، وتحريرها من الرومان، ونستطيع أن نقول: إن تلك الغزوة هي خطوة عملية قام بها النبي ﷺ للقضاء على دولة الروم المتجبرة في بلاد الشام، فقد هزَّ هيبتها في قلوب العرب، وأعطت فكرة عن الرُّوح المعنوية العالية عند المسلمين، كما أظهرت ضعف الروح المعنوية في القتال عند الجندي الصليبي النصراني<sup>(١)</sup>، وأعطت فرصة للمسلمين للتعرف على حقيقة قوات الروم، ومعرفة أساليبهم في القتال.

### ٢. حب الشهادة باعث للتضحية.

### ٣. إكرام النبي ﷺ لآل جعفر.

لما أصيب جعفر دخل رسول الله ﷺ على أسماء بنت عميس فقال: ”أتني ببني جعفر“، فأنت بهم، فشمهم، وقبَّلهم، وذرفت عيناه، فقالت أسماء: أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟

قال: ”نعم أصيبوا هذا اليوم!“ فجعلت تصيح، وتولول، فقال النبي ﷺ: ”لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم“.<sup>(٢)</sup> ونلاحظ في هذا الخبر عدة أمور منها:

أ - جواز بكاء المرأة على زوجها المتوفى.

ب - استحباب صنع الطعام لأهل الميت.

### ٤ - من فقه القيادة:

إنه درس عظيم يقدمه لنا الصحابي الجليل ثابت بن أقرم العجلاني عندما

(١) انظر: الصراع مع الصليبيين، ص ٦٤.

(٢) أحمد (٣٨٠/٦)، وابن ماجه (١٦١١)، ومجمع الزوائد (١٦١/٦)، والبيهقي في الدلائل (٣٧٠/٤)، وابن هشام (٢٢/٤).

أخذ اللواء بعد استشهاد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه آخر الأمراء، وذلك أداء منه للواجب؛ لأن وقوع الراية معناه: هزيمة الجيش، ثم نادى المسلمين أن يختاروا لهم قائدا، وفي زحمة الأحداث قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد.

ونلاحظ من هذه الرواية أن ثابتا جمع المسلمين أولا، وأعطى القوس باربها، فأعطى الراية أبا سليمان خالد بن الوليد<sup>(١)</sup>، ولم يقبل قول المسلمين: أنت أميرنا؛ ذلك: أنه يرى فيهم من هو أكفأ منه لهذا العمل، وحينما يتولى العمل من ليس له بأهل، فإن الفساد متوقع، والعمل حينما يكون لله تعالى، لا يكون فيه أثر لحب الشهرة، أو حظ النفس.

إن ثابتا لم يكن عاجزا عن قيادة المسلمين - وهو ممن حضر بدرا - ولكنه رأى من الظلم أن يتولى عملا وفي المسلمين من هو أجدر به منه، حتى ولو لم يمض على إسلامه أكثر من ثلاثة أشهر؛ لأن الغاية هي السعي لتنفيذ أوامر الله على الوجه الأحسن، والطريقة المثلى<sup>(٢)</sup>.

إن كثيرا ممن يتزعمون قيادة الدعوة الإسلامية اليوم يضعون العراقيل أمام الطاقات الجديدة، والقدرات الفذة، خوفا على مكانتهم القيادية، وامتيازاتهم الشخصية، وأطماعهم الدنيوية، فعلى أولئك القادة أن يتعظوا من هذا الدرس البليغ لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

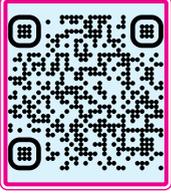
**٥. نستدل من تجهيز النبي ﷺ لهذا الجيش بعد استشهاد رسوله**

**(الحارث بن عمير الازدي) أهمية المحافظة على كرامة المسلمين.**

نشاط: استنتج دروسا أخرى من هذه الغزوة.

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، الحميدي (١٢٤/٧)

(٢) انظر: من معين السيرة، للشامي، ص ٣٧٦.



## المبحث الثالث

### أصول الفقه: الاجتهاد

نذكر في هذا الباب أربعة مباحث:

الأول: ما يدخله الاجتهاد من الأحكام وما لا يدخله.

الثاني: الصفات التي لا بد من توافرها في المسلم ليتمكن من أخذ الأحكام بنفسه من أدلتها، وهذه الصفات هي ما يعبر عنه بـ ”شروط المجتهد“.

الثالث: الأسلوب العملي الذي يتبعه المجتهد لتحصيل الحكم المطلوب.

الرابع: حكم الخطأ في الاجتهاد.

### المبحث الأول

#### ما يدخله الاجتهاد من الأحكام

ليست أدلة الأحكام بمستوى واحد من قوة الثبوت، ومن وضوح الدلالة على المراد، بل هي مختلفة، فمنها ما يستوى العرب في فهم الحكم منه للقطع بوروده وشدته وضوحه، كدلالة قول الله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدُومٌ وَحَلْمُ الْحَنْزِيرِ) على حرمه ما ذكر فيها.

وكدلالة قول النبي ﷺ: ”خمس صلوات كتبهن الله على العباد“<sup>(١)</sup> على وجوب خمس صلوات على المسلم.

ومنها ما يميز الناس في فهمه، كما أرشد إلى ذلك قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)<sup>(٢)</sup>.

فما ثبت وروده، ووضحت دلالته، لا مشقة في أخذ الحكم منه. ولا يسمى ذلك اجتهادا، لأن الاجتهاد بذل الوسع في استنباط الحكم.

وما كان بخلاف ذلك، فلا بد فيه من اجتهاد.

إمكان انفصال جهتي الاجتهاد.

(١) حديث «خمس صلوات..» متفق عليه.

(٢) سورة آل عمران / ٧ .

لا مانع أن يكون الرجل مجتهدا في إثبات النصوص، ولا يكون مجتهدا في دلالتها بل يقلد غيره، ومن هؤلاء بعض القوم الذين تخصصوا في علم الحديث وأسانيده ورجاله وعلله.

وبالعكس قد يكون الرجل مقلدا في إثبات النصوص لعلماء الحديث وأهل الجرح والتعديل وعلم الرجال، وما صححوه يجتهد هو في استنباط الحكم منه، ومن هؤلاء بعض الفقهاء الذين يجهلون طرق إثبات الأحاديث. قاعدة تجري الاجتهاد.

الصحيح إمكان تجزؤ الاجتهاد، فيكون المرء مجتهدا في باب معين من أبواب الفقه، كأمر الحج مثلا، يتخصص فيها حتى يحيط بها علما. ولكن لا بد له من أن يكون له إلمام عام بسائر أبواب الفقه، لأن بعضها يعين على بعض.

## المبحث الثاني

### شروط المجتهد

اختلف الأصوليون ما بين متشدد في الشروط، بحيث لا تنطبق شروطه إلا على الأئمة الأربعة وقلة أمثالهم، وما بين متساهل يرى أن لكل إنسان الحق في الاجتهاد.

### والحق التوسط في ذلك كما سيتبين بعد.

والشروط التي لا بد منها للمجتهد هي ما يلي:

١. أن يكون عارفا بنصوص الكتاب والسنة الواردة في الدلالة على الأحكام الشرعية. فإن كان يجتهد في مسألة من مسائل الطلاق يكون ملماً بآيات الطلاق وأحاديثه، وإن كان اجتهاده في شيء من أحكام الحج ففي آيات الحج وأحاديثه، وهكذا...

وَأتم ذلك أن يكون استوعب كتاب الله تعالى حفظا واستظهارا، وحفظ مجموعة كبيرة من الأحاديث في أبواب الفقه المختلفة.

وقد قيل إن مجموع آيات الأحكام خمسمئة آية، وأحاديث الأحكام قريب من ألفين إلى عشرة آلاف.

والأولى أن يقال: هي أحاديث الأحكام الموجودة في كتب السنة المعتمدة وهي قريب من عشرة كتب قلما يخرج عنها حديث صحيح، وهي موطأ مالك، ومسنند أحمد، وصحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الدارمي، وصحيح ابن حبان.

ولا يشترط أن يكون الإنسان مستظها لكل تلك الأحاديث، بل أن يكون قد درسها، ثم تكون لديه المقدرة على الوصول إليها في مظانها. ومن أجل هذا كان علم البحث في الكتاب والسنة ميسرا جدا لعمل المجتهد، وقد أمكن ذلك بترتيبات ممتازة وضعت قديما وحديثا على شكل فهارس ومعاجم ومجاميع مرتبة على أبواب الفقه، تيسرت في الوقت الحاضر لمن يطلبها.

وقد صنف العلماء قديما وحديثا مصنفات في تفسير آيات الأحكام، وفي شرح أحاديث الأحكام، وتعتبر دراسة كتاب في كلا النوعين تمهيدا جيدا للاجتهاد.

٢. أن يكون عالما بلسان العرب: وذلك بمعرفة معاني مفرداته معرفة إجمالية، مع التمكن من الوصول إلى المعرفة الدقيقة بالرجوع إلى كتب المعاجم. وأيضا بمعرفة فروق الأساليب المركبة، وذلك بأن يكون له ملكة في النحو والصرف والبلاغة، مع التمكن من الرجوع، في دقائق مسألها، إلى مظانها في كتبها.

٣. أن يكون عالما بأصول الفقه، لما تقدم من أنه العلم بالقواعد التي تتبع في الاستنباط، وخاصة معرفة القياس، فإن به تعرف أحكام أكثر الوقائع الجديدة، حتى لقد قال الإمام الشافعي: الاجتهاد هو القياس.

٤. أن يكون عالما بالناسخ والمنسوخ من الآيات والأحاديث، لئلا يعمل بحكم منسوخ، ويكفي أن يكون عنده كتاب معتمد في ذلك.

٥. أن يكون عالما بما أجمع عليه مجتهدو الأمة قبله، لئلا يخرج عن إجماعهم، ولينحصر اجتهاده فيما اختلفوا فيه وفيما لم يتعرضوا له، ولا ينحصر كتابه في ذلك اسمه مراتب الإجماع سبقت الإشارة إليه، وينبغي أن يعرف أوجه

اختلاف من قبله فيما اختلفوا فيه، لأن ذلك يوسع أفق نظره وتفكيره، ويصره بالطريق الذي هو سائر فيه، فلا يخبط خبط عشواء.

٦. أن يكون لديه فطنة وذكاء أصيل، فإن ذلك هو الأساس لحسن التصرف في الأدلة، والاستفادة من العلوم المختلفة التي تستنبط منها الأحكام، كما أن العقل الحصيف هو الأداة للتبرير في أي علم من العلوم، بالإضافة إلى أن يكون لدى الإنسان قابلية عقلية ونفسية للعلم الذي يريد أن يبرز فيه، وتلك القابلية هبة من الله تعالى يمنحها من يشاء، لا تتوفر عادة لكل أحد. تربية الملكة الفقهية.

إن كثرة المطالعة في كتب الفقهاء، وخاصة الأئمة المتقدمين منهم الذين يوضحون منهاج اجتهادهم، ويذكرون الأدلة، وينقدون خلاف من خالفوه، يربي الملكة الفقهية، ويقوي ملاحظة مواضع الدلالة وأساليبها ويولد المراس والدربة على استخلاص الأحكام. وهو يبصر المجتهد بمواضع الخطأ في الاستدلال، فلا تنطلي عليه الايهامات والتهويلات، وتتضح أمامه منزلات الأقدام.

ويحسن ان يتتبع الطالب كتب الفقه المقارن، التي تذكر الخلاف في المسائل، مع الأدلة والتعليل، دون تلك التي تذكر الأقوال المجردة.

وعلى الطالب أن يديم المباحثة مع أهل العلم في المسائل، وخاصة المسائل الواقعة، ويعرف كيفية استدلالهم، والأصول العامة التي يراعونها، وعليه أن يطالع على المؤلفات التي تبرز القواعد الفقهية التي تضم شتات المسائل الفرعية، ليعلم الاتجاهات العامة للتشريع، والمقاصد العامة التي يرمي إليها، لثلا يشذ بعيدا عن تلك الاتجاهات، أو يخالف تلك المقاصد ويعاندها، فإن هذين الأمرين: الاتجاهات، والمقاصد، ميزان يستطيع به المجتهد أن يكتشف أكثر الأخطاء التي قد تقع منه أو من غيره في ميدان الاجتهاد. وسنضع ملحقا بأسماء الكتب التي نرشحها لتكوّن مكتبة الفقيه.

## الاجتهاد في تحقيق المناط.

إن ما تقدم ذكره هو بيان للاجتهاد في معرفة الحكم وبيانه. وقد تقع معرفة الحكم دون اجتهاد بل بالتقليد، ولكن هناك نوع من الاجتهاد آخر، لا بد منه لكل من يتولى القضاء في أمر ما أو يتولى الإفتاء في مسألة من المسائل، حتى لو كان مقلداً، ويسمى هذا النوع تحقيق المناط، أي تحقيق وجود مناط الحكم في الواقعة المحكوم فيها أو عدم وجوده، ويمثل له علماء الأصول بأن الشرع أوجب للمرأة النفقة (بقدر كفايتها) فإذا حكم القاضي على الزوج بنفقة شهرية لزوجته مقدارها (مئة دينار) مثلاً، فإن القاضي لا بد قد تحقق باجتهاده وجود (الكفاية) وهي مناط الحكم في (المئة دينار) التي حكم بها، وسيأتي لهذا النوع مزيد بيان في باب الإفتاء.

**تقليد المجتهد لمذاهب الغير:**

إذا اجتهد العالم المؤهل للاجتهاد في مسألة، وتوصل إلى الحكم فيها، فليس له تقليد غيره ممن يخالفه القول في تلك المسألة. أما إن لم يجتهد فإن لم يكن لديه متسع من الوقت قبل العمل فله أن يقلد غيره وإن كان لديه متسع من الوقت فقد قيل يجوز له التقليد. والأولى أن يقال في الحالة الأخيرة: وليس له أن يقلد غيره مهما علا مقام ذلك الغير، بل عليه أن يستعين بالله ويستمد منه التوفيق، وليحاول الوصول إلى مطلوبة من الدلائل على الحق، التي أثبتها الله في كتابه وسنة نبيه، لتكون منارا للحق، يُهتدى بها في الظلمات.

وإن قلد وهو قادر على الوصول إلى الحق بنفسه دون أن يكون عليه في ذلك ضيق وحرَج، فقد أخطأ.

فإن ضم إلى ذلك التعصب لإمام معين، لا يقبل إلا قوله، ولا يتبع إلا مذهبه، فقد حرم نفسه خيراً كثيراً، وما من أحد إلا يصيب ويخطئ. فإن ضم إلى ذلك نهي غيره عن الاجتهاد، وألزمهم بالتقليد والتعصب لمن يقلدهم، كان ممن يدعو الناس إلى الضلال عن الهدى، وإلى إلغاء عقولهم التي وهبهم الله، ويحول بينهم وبين فهم كتاب الله وسنة نبيه.

بالإضافة إلى أن هذه الدعوى تفرق جماعة المسلمين، وتجعلهم كمن قال الله فيهم: (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) وقد ضم البعض إلى ذلك سوء آخر، فزعم أن الاجتهاد أقفل بابه، وهذا سوء ظن بالله تعالى.

والواجب على علماء الملة أن يجعلوا اعتمادهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم، ينهلون من منبعيهما الصافيين، ويستترشدون لفهمهما والاستنباط منهما بطرق من سبقهم من الأئمة في الاستنباط، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

### المبحث الثالث

#### الطريق العملي للوصول إلى الحكم.

على المجتهد أولاً أن ينظر في آيات كتاب الله تعالى، فإن وجد نصاً صريحاً غير منسوخ وليس له معارض، فعليه أن يعمل به، فإن لم يجد نظر في السنة كذلك، ثم ينظر فإن كان النص عاماً وفي الكتاب أو السنة أخص منه، أو ظاهراً وفي الكتاب أو السنة ما يدل على تأويله، أو مجملاً وفيهما ما يبينه، فعليه أن يأخذ بذلك، ثم ينظر الإجماع، فإن لم يجد من ذلك شيئاً قاس الأمر المسؤول عنه على ما يساويه في العلة مع ملاحظة القواعد الكلية.

### المبحث الرابع

#### أخطاء المجتهدين، وهل كل مجتهد مصيب؟

مسائل العقائد إذا اختلف فيها مجتهدان فتناقض قولاهما، فإن أحدهما مخطئ لا شك في ذلك، ومثال ذلك معرفة وجود الله تعالى، وإثبات أسمائه وصفاته، ومعرفة أصول الأمان الستة وما تستتبعه.

ومثلها معرفة الأمور التي وقعت أو ستقع، لأن الأمر الذي وقع لا يتغير واقعه باختلاف الأقوال والآراء، كما قال الله تعالى: (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) وقال: (فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) والحق هو الواقع.

حكم المخطئ في مسائل العقائد.

المخطئ في العقائد إن كان خطؤه في معرفة وجود الله تعالى، أو استحقاؤه للإفراد بالعبادة، أو أداه خطؤه إلى إنكار أصل من أصول الإيمان الستة، أو إلى ترك الدخول في الإسلام، فإن خطأه يكون كفراً، ومثال ذلك كفر المشركين واليهود والنصارى.

وأما إن كان خطؤه في نحو نفي رؤية الله تعالى حقيقة، أو تأويل الصفات ونحو ذلك، مع إقراره بالله ربا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما، فقد اختلفت الأمة في تكفير المخطئ في ذلك، والأقرب عدم القول بالتكفير لمن استفرغ وسعه في طلب الحق من ذلك، بل يكون ذلك بدعة اعتقادية، والله أعلم.

### الخطأ في المسائل الفرعية:

أما المسائل الفرعية فقد اختلف العلماء فيها.

أ- فقال بعضهم: كل مجتهد فيها مصيب إذا استفرغ وسعه، وعلى هذا فللمقلد أن يتخير من أقوال المجتهدين ما شاء، فكلها في حقه صواب، ويسمى الذاهبون إلى هذا الرأي (المصوبة).

ب - وقال الجمهور إن المصيب من المختلفين واحد، وهذا هو الصحيح إن شاء الله للأدلة التالية:

**الأول:** أن المجتهد يستفرغ وسعه في طلب الحق، والحق هو حكم الله في المسألة، فمن أصاب حكم الله فقد أصاب، ومن أخطأ فقد أخطأ، ولا يقال لمن أخطأه قد أصاب.

**والثاني:** دليل عقلي، وهو أن المجتهدين إذا قال أحدهما في شيء معين: إنه حرام، وقال الآخر: هو حلال، فهذا تناقض، واجتماع النقيضين غير معقول.

**والثالث:** ما ورد أن النبي ﷺ قد، قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد وأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر»<sup>(١)</sup> ودلالة الحديث على هذه القاعدة واضحة، حيث سمي هذا مخطئاً، وسمي الآخر مصيباً.

وأفاد الحديث فائدة أخرى، وهي أن المجتهد المخطئ في الحكم محطوط عنه

(١) حديث «إذا حكم الحاكم فاجتهد...» متفق عليه.

الإثم، ولعل ذلك لعدم تعمده الخطأ، وجعل له أجر هو - والله أعلم - أجر اجتهاده في الوصول إلى الحكم الشرعي.  
 تنبيه: لمزيد من التوسع في مباحث الاجتهاد.  
 راجع رسالة (الاجتهاد والتقليد) للشوكاني.  
 رسالة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لابن تيمية.  
**للمناقشة:**

١. هل تعتقد أن التشدد في شروط الاجتهاد يحول على المدى البعيد بين الناس وبين تفهم الكتاب والسنة، وأن التساهل فيها يؤدي إلى ظهور فرق من المسلمين تزيغ عن الحق، وتنحرف بهم السبل.  
 - ما هي الطريقة المثلى في نظرك؟



## الفصل الثالث

- المبحث الأول / القرآن: سورة الحجرات ١٤-١٨
- المبحث الثاني / علوم الحديث: الحديث الضعيف
- المبحث الثالث / الدعوة: القاعدة الحادية عشرة





## المبحث الأول

### القرآن: سورة الحجرات ١٤-١٨

قال تعالى: ﴿ \* قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحجرات: ١٤ - ١٨]

#### الدرس السابع: ١٤-١٨ الإسلام والإيمان وآثارهما ومنة الله بهما.

وفي ختام السورة تأتي المناسبة لبيان حقيقة الإيمان وقيمتها، في الرد على الأعراب الذين قالوا: (آمنا) وهم لا يدركون حقيقة الإيمان، والذين منوا على رسول الله ﷺ أنهم أسلموا وهم لا يقدرون منة الله على عباده بالإيمان: (قالت الأعراب: آمنا. قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا؛ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم. وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا، إن الله غفور رحيم. إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون. قل: أتعلمون الله بدينكم؟ والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله بكل شيء عليم. يمنون عليك أن أسلموا. قل: لا تمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين. إن الله يعلم غيب السماوات والأرض، والله بصير بما تعملون)

قيل: إنها نزلت في أعراب بني أسد، قالوا: آمنا أول ما دخلوا في الإسلام، ومنوا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله أسلمنا وقتلتك العرب ولم نقاتلك، فأراد الله أن يعلمهم حقيقة ما هو قائم في نفوسهم وهم يقولون هذا القول، وأنهم دخلوا في الإسلام استسلاماً، ولم تصل قلوبهم بعد إلى مرتبة الإيمان، فدل بهذا على أن حقيقة الإيمان لم تستقر في قلوبهم، ولم تشرها أرواحهم: (قل: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)..

ومع هذا فإن كرم الله اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح يصدر منهم لا ينقصهم منه شيئاً، فهذا الإسلام الظاهر الذي لم يخالط القلب فيستحيل إيماناً واثقاً مطمئناً، هذا الإسلام يكفي لتحسب لهم أعمالهم الصالحة فلا تضيع كما تضيع أعمال الكفار، ولا ينقص من أجرها شيء عند الله ما بقوا على الطاعة والاستسلام: (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) ذلك أن الله أقرب إلى المغفرة والرحمة، فيقبل من العبد أول خطوة، ويرضى منه الطاعة والتسليم إلى أن يستشعر قلبه الإيمان والطمأنينة: (إن الله غفور رحيم)..

ثم بين لهم حقيقة الإيمان: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون)، فالإيمان تصديق القلب بالله ورسوله، التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور، والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد مندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب، في واقع الحياة في دنيا الناس يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان، وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة، ولا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه، والصورة الواقعية من حوله، لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة. ومن هنا

هذا الانطلاق إلى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن، يريد به أن يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه، ليراهما ممثلة في واقع الحياة والناس والخصومة.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَنْتَعِلْمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾

بين المؤمن وبين الحياة الجاهلية من حوله خصومة ذاتية ناشئة من عدم استطاعته حياة مزدوجة بين تصوره الإيماني، وواقعه العملي، وعدم استطاعته كذلك التنازل عن تصوره الإيماني الكامل الجميل المستقيم في سبيل واقعه العملي الناقص الشائن المنحرف، فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله، حتى تنثني هذه الجاهلية إلى التصور الإيماني والحياة الإيمانية.

(أولئك هم الصادقون) الصادقون في عقيدتهم، الصادقون حين يقولون: إنهم مؤمنون، فإذا لم تتحقق تلك المشاعر في القلب، ولم تتحقق آثارها في واقع الحياة، فالإيمان لا يتحقق، والصدق في العقيدة وفي ادعائها لا يكون.

ونقف قليلاً أمام هذا الاحتراس المعترض في الآية: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا)... إنه ليس مجرد عبارة. إنما هو لمس لتجربة شعورية واقعية. وعلاج لحالة تقوم في النفس. حتى بعد إيمانها (ثم لم يرتابوا) وشيبه بها الاحتراس في قوله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله.. ثم استقاموا..) فعدم الارتياب، والاستقامة على قوله: ربنا الله، تشير إلى ما قد يعتري النفس المؤمنة - تحت تأثير التجارب القاسية، والابتلاءات الشديدة - من ارتياب ومن اضطراب، وإن النفس المؤمنة لتضطرم في الحياة بشدائد تزلزل، ونوازل تزعزع. والتي تثبت فلا تضطرب، وتثق فلا ترتاب، وتظل مستقيمة موصولة هي التي تستحق هذه الدرجة عند الله.

والتعبير على هذا النحو ينبه القلوب المؤمنة إلى مزالق الطريق، وأخطار الرحلة، لتعزم أمرها، وتحتسب وتستقيم، ولا ترتاب عندما يدهم الأفق ويظلم الجو، وتناوحها العواصف والرياح!  
ثم يستطرد مع الأعراب يعلمهم أن الله أعلم بقلوبهم وما فيها، وأنه هو يجبرهم بما فيها ولا يتلقى منهم العلم عنها.  
(قل: أتعلمون الله بدينكم؟ والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله بكل شيء عليم)..

والإنسان يدعي العلم، وهو لا يعلم نفسه، ولا ما يستقر فيها من مشاعر، ولا يدرك حقيقة نفسه ولا حقيقة مشاعره، فالعقل نفسه لا يعرف كيف يعمل، لأنه لا يملك مراقبة نفسه في أثناء عمله، وحين يراقب نفسه يكف عن عمله الطبيعي، فلا يبقى هناك ما يراقبه! وحين يعمل عمله الطبيعي لا يملك أن يشغل في الوقت ذاته بالمراقبة، ومن ثم فهو عاجز عن معرفة خاصة ذاته وعن معرفة طريقة عمله، وهو هو الأداة التي يتناول بها الإنسان.  
(والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض) علما حقيقيا، لا بظواهرها وآثارها، ولكن بحقائقها وماهياتها، وعلما شاملا محيطا غير محدود ولا موقوت.

(والله بكل شيء عليم).. بهذا الإجمال الشامل المحيط.  
وبعد بيان حقيقة الإيمان التي لم يدركوها ولم يبلغوها، يتوجه إلى الرسول ﷺ بالخطاب عن منّهم عليه بالإسلام، وهذا المنّ ذاته دليل على أن حقيقة الإيمان لم تكن قد استقرت بعد في تلك القلوب، وأن حلاوة الإيمان لم تكن بعد قد تذوقتها تلك الأرواح.

(يؤمنون عليك أن أسلموا. قل: لا تمنوا عليّ إسلامكم. بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان، إن كنتم صادقين).

لقد منّوا بالإسلام، وزعموا الإيمان، فجاءهم الرد أن لا يؤمنوا بالإسلام، وأنّ المنّة لله عليهم لو صدقوا في دعوى الإيمان.

ونحن نقف أمام هذا الرد، الذي يتضمن حقيقة ضخمة، يغفل عنها

الكثيرون، وقد يغفل عنها بعض المؤمنين. إن الإيمان هو كبرى المنن التي ينعم بها الله على عبد من عباده في الأرض، إنه أكبر من منة الوجود الذي يمنحه الله ابتداءً لهذا العبد، وسائر ما يتعلق بالوجود من آلاء الرزق والصحة والحياة والمتاع. إنها المنة التي تجعل للوجود الإنساني حقيقة مميزة، وتجعل له في نظام الكون دوراً أصيلاً عظيماً.

وأول ما يصنعه الإيمان في الكائن البشري، حين تستقر حقيقته في قلبه، هو سعة تصوره لهذا الوجود، ولارتباطه هو به، ولدوره هو فيه وصحة تصوره للقيم والأشياء والأشخاص والأحداث من حوله، وطمأنينته في رحلته على هذا الكوكب الأرضي حتى يلقي الله، وأنسه بكل ما في الوجود حوله، وأنسه بالله خالقه وخالق هذا الوجود، وشعوره بقيمته وكرامته، وإحساسه بأنه يملك أن يقوم بدور مرموق يرضى عنه الله، ويحقق الخير لهذا الوجود كله بكل ما فيه وكل من فيه.

فمن سعة تصوره أن يخرج من نطاق ذاته المحدودة في الزمان والمكان، الصغيرة الكيان، الضئيلة القوة، إلى محيط هذا الوجود كله، بما فيه من قوى مدخورة، وأسرار مكنونة، وانطلاق لا تقف دونه حدود ولا قيود في نهاية المطاف.

فهو بالقياس إلى جنسه، فرد من إنسانية، ترجع إلى أصل واحد هذا الأصل اكتسب إنسانيته ابتداءً من روح الله، من النفخة العلوية التي تصل هذا الكائن الطيني بالنور الإلهي، النور الطليق الذي لا تحصره سماء ولا أرض ولا بدء ولا انتهاء، فلا حد له في المكان، ولا حد له في الزمان، وهذا العنصر الطليق هو الذي جعل من المخلوق البشري هذا الإنسان.. ويكفي أن يستقر هذا التصور في قلب إنسان ليرفعه في نظر نفسه، وليكرمه في حسه، وليشعره بالوضاءة والانطلاق، وقدماه تدبان على الأرض، وقلبه يرف بأجنحة النور إلى مصدر النور الأول الذي منحه هذا اللون من الحياة. وهو بالقياس إلى الفئة التي ينتسب إليها، فرد من الأمة المؤمنة، الأمة الواحدة الممتدة في شعاب الزمن، السائرة في موكب كريم، يقوده نوح وإبراهيم وموسى

وعيسى ومحمد وإخوانهم من النبيين، صلوات الله عليهم أجمعين.. ويكفي أن يستقر هذا التصور في قلب إنسان، فيشعر أنه فرع من تلك الشجرة الطيبة الباسقة المتطاولة، العميقة الجذور الممتدة الفروع، المتصلة بالسماء في عمرها المديد. يكفي أن يشعر الإنسان هذا الشعور ليجد للحياة طعما آخر، وليحس بالحياة إحساسا جديدا، وليضيف إلى حياته هذه حياة كريمة، مستمدة من هذا النسب العريق.

ثم يتسع تصوره ويتسع حتى يتجاوز ذاته وأمه وجنسه الإنساني، ويرى هذا الوجود كله، الوجود الصادر عن الله الذي عنه صدر، ومن نفخة روحه صار إنسانا، ويعرفه إيمانه أن هذا الوجود كله كائن حي، مؤلف من كائنات حية، وأن لكل شيء فيه روحا، وأن لهذا الكون كله روحا.. وأن أرواح الأشياء، وروح هذا الكون الكبير، تتوجه إلى بارئها الأعلى - كما تتوجه روحه هو - بالدعاء والتسبيح وتستجيب له بالحمد والطاعة، وتنتهي إليه بالإذعان والاستسلام، فإذا هو في كيان هذا الكون جزء من كل، لا ينفصل ولا ينعزل صادر عن بارئه، متجه إليه بروحه راجع في النهاية إليه، وإذا هو أكبر من ذاته المحدودة، أكبر بقدر تصوره لضخامة هذا الوجود الهائل، وإذا هو مأنوس بكل ما حوله من أرواح، ومأنوس بعد ذلك كله بروح الله التي ترعاه، وعندئذ يشعر أنه يملك أن يتصل بهذا الوجود كله، وأن يمتد طولا وعرضا فيه، وأنه يملك أن يصنع أشياء كثيرة، وأن ينشئ أحداثا ضخمة، وأن يؤثر بكل شيء ويتأثر، ثم يملك أن يستمد مباشرة من تلك القوة الكبرى التي برأته وبرأت كل ما في الوجود من قوى وطاقات، القوة الكبرى التي لا تنحسر ولا تضعف ولا تغيب.

ومن هذا التصور الواسع الرحيب يستمد موازين جديدة حقيقية للأشياء والأحداث والأشخاص والقيم والاهتمامات والغايات، ويرى دوره الحقيقي في هذا الوجود، ومهمته الحقيقية في هذه الحياة بوصفه قدرا من أقدار الله في الكون، يوجهه ليحقق به ويحقق فيه ما يشاء، ويمضي في رحلته على هذا الكوكب، ثابت الخطو مكشوف البصيرة مأنوس الضمير.

ومن هذه المعرفة لحقيقة الوجود حوله، ولحقيقة الدور المقسوم له، ولحقيقة الطاقة المهيأة له للقيام بهذا الدور، من هذه المعرفة يستمد الطمأنينة والسكينة والارتياح لما يجري حوله، ولما يقع له فهو يعرف من أين جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب؟ وماذا هو واجد هناك؟ وقد علم أنه هنا لأمر، وأن كل ما يقع له مقدر لتمام هذا الأمر، وعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأنه مجزي على الصغيرة والكبيرة، وأنه لم يخلق عبثاً، ولن يترك سدى، ولن يمضي مفرداً... ومن هذه المعرفة تحتفي مشاعر القلق والشك والحيرة الناشئة عن عدم معرفة المنشأ والمصير، وعدم رؤية المطوي من الطريق، وعدم الثقة بالحكمة التي تكمن وراء مجيئه وذهابه، ووراء رحلته في ذلك الطريق، يحتفي شعور كشعور الخيام الذي يعبر عنه بما ترجمته:

**لبست ثوب العمر لم أستشر ❖❖❖ وحررت فيه بين شتى الفكر**

**وسوف أنضو الثوب عني ولم ❖❖❖ أدر لماذا جئت أين المقر؟**

فالمؤمن يعرف بقلب مطمئن، وضمير مستريح، وروح مستبشرة، أنه يلبس ثوب العمر بقدر الله الذي يصرف الوجود كله بتصريف الحكيم الخبير، وأن اليد التي ألبسته إياه أحكم منه وأرحم به، فلا ضرورة لاستشارته لأنه لم يكن ليشير كما يشير صاحب هذه اليد العليم البصير، وأنه يلبسه لأداء دور معين في هذا الكون، يتأثر بكل ما فيه ويؤثر في كل ما فيه، وأن هذا الدور يتناسق مع جميع الأدوار التي يقوم بها كل كائن من الأشياء والأحياء منذ البدء حتى المصير.

وهو يعلم إذن لماذا جاء، كما أنه يعرف أين المقر، ولا يحار بين شتى الفكر، بل يقطع الرحلة ويؤدي الدور في طمأنينة وفي ثقة وفي يقين، وقد يرتقي في المعرفة الإيمانية، فيقطع الرحلة ويؤدي الدور في فرح وانطلاق واستبشار، شاعرا بجمال الهبة وجلال العطية، هبة العمر - أو الثوب - الممنوح له من يد الكريم المنان، الجميل اللطيف، الودود الرحيم، وهبة الدور الذي يؤديه - كائنا ما كان من المشقة - لينتهي به إلى ربه في اشتياق حبيب!

ويختفي شعور كالشعور الذي عشته في فترة من فترات الضياع والقلق، قبل أن أحيأ في ظلال القرآن، وقبل أن يأخذ الله بيدي إلى ظله الكريم، ذلك الشعور الذي خلغته روعي المتعبة على الكون كله، فعبرت عنه أقول:

وقف الكون حائرا أين يمضي؟ ولماذا وكيف - لو شاء - يمضي؟

عبث ضائع وجهد غبين ومصير مقنع ليس يرضي

(يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨))

فأنا أعرف اليوم - والله الحمد والمنة - أنه ليس هناك جهد غبين فكل جهد مجزي، وليس هناك تعب ضائع فكل تعب مثمر، وأن المصير مرض وأنه بين يدي عادل رحيم، وأنا أشعر اليوم - والله الحمد والمنة - أن الكون لا يقف تلك الوقفة البائسة أبدا، فروح الكون تؤمن برها وتتجه إليه، وتسبح بحمده، والكون يمضي وفق ناموسه الذي اختاره الله له، في طاعة وفي رضى وفي تسليم!

وهذا كسب ضخم في عالم الشعور وعالم التفكير، كما أنه كسب ضخم في عالم الجسد والأعصاب، فوق ما هو كسب ضخم في جمال العمل والنشاط والتأثر والتأثير.

والإيمان - بعد - قوة دافعة وطاقة مجمعة، فما تكاد حقيقته تستقر في القلب حتى تتحرك لتعمل، ولتحقق ذاتها في الواقع، ولتوائم بين صورتها المضمرة وصورتها الظاهرة، كما أنها تستولي على مصادر الحركة في الكائن البشري كلها، وتدفعها في الطريق..

[ذلك سر قوة العقيدة في النفس، وسر قوة النفس بالعقيدة، سر تلك الخوارق التي صنعتها العقيدة في الأرض وما تزال في كل يوم تصنعها، الخوارق التي تغير وجه الحياة من يوم إلى يوم، وتدفع بالفرد وتدفع بالجماعة إلى التضحية بالعمر الفاني المحدود في سبيل الحياة الكبرى التي لا تفتنى، وتقف

بالفرد القليل الضئيل أمام قوى السلطان وقوى المال وقوى الحديد والنار، فإذا هي كلها تنهزم أمام العقيدة الدافعة في روح فرد مؤمن، وما هو الفرد الفاني المحدود الذي هزم تلك القوى جميعاً، ولكنها القوة الكبرى الهائلة التي استمدت منها تلك الروح، والينبوع المتفجر الذي لا ينضب ولا ينحسر ولا يضعف].

تلك الخوارق التي تأتي بها العقيدة الدينية في حياة الأفراد وفي حياة الجماعات لا تقوم على خرافة غامضة، ولا تعتمد على التهاويل والرؤى، إنها تقوم على أسباب مدركة وعلى قواعد ثابتة، إن العقيدة الدينية فكرة كلية تربط الإنسان بقوى الكون الظاهرة والخفية، وتثبت روحه بالثقة والطمأنينة، وتمنحه القدرة على مواجهة القوى الزائلة والأوضاع الباطلة، بقوة اليقين في النصر، وقوة الثقة في الله، وهي تفسر للفرد علاقاته بما حوله من الناس والأحداث والأشياء، وتوضح له غايته واتجاهه وطريقه، وتجمع طاقاته وقواه كلها، وتدفعها في اتجاه، ومن هنا كذلك قوتها، قوة تجميع القوى والطاقات حول محور واحد وتوجيهها في اتجاه واحد، تمضي إليه مستنيرة الهدف، في قوة، وفي ثقة وفي يقين.

ويضاعف قوتها أنها تمضي مع الخط الثابت الذي يمضي فيه الكون كله ظاهره وخافيه وأن كل ما في الكون من قوى مكنونة تتجه اتجاهها إيماناً، فيلتقي بها المؤمن في طريقه، وينضم إلى زحفها الهائل لتغليب الحق على الباطل، مهما يكن للباطل من قوة ظاهرة لها في العيون بريق! وصدق الله العظيم: (يؤمنون عليك أن أسلموا. قل: لا تمنوا عليّ إسلامكم. بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) فهي المنّة الكبرى التي لا يملكها ولا يهبها إلا الله الكريم، لمن يعلم منه أنه يستحق هذا الفضل العظيم.

وصدق الله العظيم فماذا فقد من وجد الأنس بتلك الحقائق والمدركات وتلك المعاني والمشاعر؟ وعاش بها ومعها، وقطع رحلته على هذا الكوكب في ظلالها وعلى هداها؟ وماذا وجد من فقدها.

((إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨))  
النعيم. وهو يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام. والأنعام أهدى لأنها تعرف  
بفطرتها الإيمان، وتهتدي به إلى بارئها الكريم!

(إن الله يعلم غيب السماوات والأرض، والله بصير بما تعملون)..  
والذي يعلم غيب السماوات والأرض يعلم غيب النفوس، ومكنون الضمائر،  
وحقائق الشعور ويبصر ما يعمله الناس، فلا يستمد علمه بهم من كلمات  
تقولها ألسنتهم، ولكن من مشاعر تجيش في قلوبهم، وأعمال تصدق ما  
يجيش في القلوب..

وبعد فهذه هي السورة الجليلة، التي تكاد بآياتها الثمانية عشرة تستقل برسم  
معالم عالم كريم نظيف رفيع سليم، بينما هي تكشف كبريات الحقائق، وتقرر  
أصولها في أعماق الضمير.



## المبحث الثاني

### علوم الحديث: الحديث الضعيف

تعريفه:

«الحديث الضعيف هو الحديث الذي فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث الحسن». يأتي الحديث الضعيف في المرتبة الثالثة، وهي مرتبة عدم القبول والاحتجاج؛ لأن الحديث يكون قد فقد شرطاً أو أكثر من شروط القبول، فقد يختل فيه شرط الاتصال فيوصف بالانقطاع، وقد يختل شرط العدالة في الراوي، فيوصف بالفسق أو البدعة أو الكذب، وقد يختل شرط الضبط اختلالاً كبيراً فينزل عن أدنى مراتب الحسن بأن يكون الراوي فاحش الخطأ، أو شديد الغفلة، أو مجهولاً، وقد تظهر علة في الحديث يتبين معها أن الحديث لا أصل له، أو يتبين أن الحديث شاذ خالف راويه ثقات الرواة، في كل هذه الأحوال يكون الحديث ضعيفاً، لأنه فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحسن ولم نقل: شروط الصحيح؛ لأن الفاقد لشرط الحسن فاقده لشرط الصحيح من باب أولى.

#### حكم رواية الضعيف.

تجوز رواية الحديث الضعيف مع بيان ضعفه، أو نسبته إلى الكتاب الذي رواه، ولا يجوز إطلاق روايته من غير بيان.

#### حكم العمل بالحديث الضعيف.

ذهب بعض العلماء إلى عدم جواز العمل بالحديث الضعيف مطلقاً، فإذا اشتمل الحديث على حكم شرعي في الحلال أو الحرام فلا يؤخذ لضعف الحديث.

وذهب آخرون إلى جواز العمل بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال، دون الأحكام الشرعية في الحلال والحرام، وفضائل الأعمال مثل البر وصلة

الجار ومكارم الأخلاق.

وزهب الإمام ابن حجر<sup>(١)</sup> إلى تقييد العمل بالحديث الضعيف بما يلي:

١. ألا يكون ضعف الحديث شديداً، كرواية الكذابين والمتهمين بالكذب وفاحشي الخطأ.

٢. أن يشهد للحديث الضعيف أصل عام من أصول الشريعة، كبر الوالدين، أو صلة الجار.

٣. ألا يعتقد راوية ثبوته وسُنَّيته حتى لا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله.

### أنواع الضعيف.

الضعيف أنواع كثيرة، وقد بلغت هذه الأنواع عند العراقي (ت ٨٠٦ هـ) صاحب ألفية الحديث، اثنين وأربعين قسماً، وذلك باعتبار فقدته لشروط أو أكثر من شروط الصحة، وكما أن الصحيح منازل ومستويات والحسن كذلك فإن الضعيف درجات متفاوتة، فهناك الضعيف القريب من الحسن، والضعيف الواهي الساقط.

### ١. المرسل

تعريفه:

المرسل: قول التابعي: قال رسول الله ﷺ

عرفنا سابقاً أن التابعي هو الذي أدرك الصحابة، ولم يدرك النبي ﷺ، وقد اشتهرت أسماء كثير من التابعين من أمثال سعيد بن المسيب، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، وعامر الشعبي، ومحمد بن شهاب الزهري، ومكحول الشامي وغيرهم.

وهؤلاء التابعون لم يتلقوا الحديث عن رسول الله ﷺ مباشرة، ولكنهم كانوا أحياناً يروون الحديث فيقولون: قال رسول الله ﷺ وقد أطلق علماء الحديث على هذا النوع من الحديث مصطلح المرسل، الذي يعني انقطاع الحديث بين التابعي وبين النبي ﷺ لفقدان حلقة أو أكثر من السند؛ فالصحابي الذي روى عنه التابعي لم يُذكر في السند، وقد يكون التابعي سمع هذا

(١) انظر عبد الحي الكوني، الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، ص ٣٤-٤٤

الحديث من صحابي ثم أغفل ذكره، وقد يكون سمعه من تابعي سمعه من صحابي فيكون المفقود حلقتين، وفي كلتا الحالتين فإن السند منقطع بين التابعي وبين النبي ﷺ.

مثال: أخرج أبو داود في كتاب المراسيل عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: ”إذا صلى أحدكم للقوم فليقدر الصلاة بأضعفهم، فإن وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة، والمريض والبعيد“<sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث يقول الحسن البصري - وهو تابعي: قال رسول الله ﷺ ولم يبين الحسن الذي حدثه بهذا الحديث عن النبي ﷺ فهذا حديث مرسل.

**حكم المرسل:** المرسل ضعيف عند علماء الحديث، وذلك لما فيه من انقطاع السند، فيكون قد تخلف شرط من شروط الصحة، وهو الاتصال، وهذا الانقطاع يعني جهالة حلقة من حلقات السند أو أكثر، والجهالة تجعل الراوي فاقداً لصفتي الضبط والعدالة، لأن ثبوتها شرط في الصحة.

وذهب الإمامان أبو حنيفة ومالك إلى أن المرسل من الثقة صحيح يحتج به، لأن الظاهر من أحوال التابعين أنهم لا يأخذون إلا عن الصحابة، والصحابة عدول، وأن هذه المراسيل رواها التابعون، وهم المشهود لهم بالخير، بتزكية النبي ﷺ.

### مذهب الإمام الشافعي في المرسل.

أمّا الإمام محمد بن إدريس الشافعي فقد ذهب إلى أن المرسل في نفسه ضعيف، ولكنه يتقوى بقريته من القرائن، إذا كان المرسل من كبار التابعين المشهود لهم بالفضل كسعید بن المسيب، وهذه القرائن هي:

١. أن يشهد له حديث آخر متصلاً كان أو مرسلًا مثله.
٢. أن يكون المرسل إذا سمى الحلقة المفقودة لا يسمى إلا ثقة، حتى أصبح من عادته أنه لا يرسل إلا عن ثقة.
٣. أو أن يشهد له قول أحد الصحابة، وهو الموقوف.
٤. أو أن يشهد له فتوى أهل العلم من التابعين، وهو المقطوع.

(١) الإمام أبو داود، المرسل: ٩١.

فإذا وجدت مثل هذه القرائن فإن المرسل ينهض إلى رتبة الاحتجاج.  
مرسل الصحابي.

قد يروي الصحابي حديثاً عن النبي ﷺ ويكون احتمال الإرسال قائماً؛ لأن الصحابي يروي حادثة لم يدركها، بسبب تأخر إسلامه عنها، أو بسبب صغره الذي لا يؤهله للرواية عند وقوع الحادثة، ومثال ذلك رواية حديث بدء الوحي، فهذا الحديث روته عائشة رضي الله عنها وهي لم تكن قد ولدت عند بدء الوحي، فقد تكون سمعته من صحابي أدرك هذه الحادثة، أو من النبي ﷺ الذي أخبرها عن هذا الأمر بعد وقوعه.

### حكم مرسل الصحابي.

مرسل الصحابي حجة، ولا يقدر فيه احتمال سقوط أحد الصحابة من السند؛ لأن جهالة الصحابي لا تضر، فالصحابه عدول، معلومهم ومجهولهم سواء من حيث العدالة، فإن الله زكاهم بالجملة كما سبق ذلك في مبحث الصحابي.

### إطلاق المرسل على المنقطع.

وقد يطلق المرسل على كل منقطع، سواء كان الانقطاع بعد التابعي أو دونه، وهذا اصطلاح المتقدمين كالبخاري ومسلم وغيرهما من الأئمة.

### ٢. المنقطع

تعريفه: «الحديث الذي فقد حلقة من السند بعد الصحابي».

الانقطاع صفة من صفات السند، فإذا كان هذا الانقطاع بعد الصحابي، أي باتجاه النبي ﷺ سواء أكان الانقطاع بسقوط الراوي أم بجهالته كأن يكون مبهماً لم يسم، وقد يكون الانقطاع في حلقات عديدة لكن لا على التوالي.

مثال: ”زرارة بن أوفى قاضي البصرة، روى عن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: وإن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها“.

قال الإمام أحمد: ما أحسب لقي زرارة تيمماً. تميم كان بالشام، وزرارة بصري<sup>(١)</sup>.

(١) العلامي، جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص ٢١٣.

إذا تأملت هذا السند وجدت انقطاعاً بين زرارة بن أوفى وتميم الداري، وكان الانقطاع فيما دون الصحابي، إذ أن تميماً من الصحابة.

ويدخل في المنقطع ما كان في إسناده راوٍ مبهم لم يسم، مثل، رجل أو شيخ. مثال: (روى الجريري، عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشخير، عن رجلين من بني حنظلة، عن شداد بن أوس، قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أحدنا أن يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد" (١). فقوله: (عن رجلين) لفظ مبهم، لا يُستفاد منه تعديل، فهما مجهولان. والحديث وإن كانت صورته صورة المتصل فإن حقيقته حقيقة المنقطع.

**حكم المنقطع: المنقطع ضعيف لا يصلح للاحتجاج.**

### ٣- المعضل

**تعريفه:** المعضل في اللغة مأخوذ من أعضله أي أعياه. وأما في اصطلاح المحدثين: فهو الحديث الذي سقط من إسناده اثنان فأكثر على التوالي في أول السند أو وسطه أو منتهاه. يكثر الإمام مالك بن أنس من هذه المعضلات في كتابه الموطأ - وقد عُرفت بالبلاغات - كقوله: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «استقيموا ولن تحصوا، واعملوا، وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» (٢). فهذا السند سقط منه راويان على الأقل: التابعي والصحابي، فهو مُعضل. وكذلك كان يفعل كثير من الفقهاء في القرن الثاني الهجري، فهم يعضلون الأحاديث اعتماداً على عدالة تلك الأجيال الفاضلة، ولكن علماء الحديث لم يقبلوا هذه الدعوى وحكموا بضعف المعضل حتى تسمى حلقاته المفقودة ويستوفي شروط الصحة.

**حكم المعضل:** المعضل ضعيف، وهو أشد ضعفاً من المنقطع، لأن المنقطع سقط منه راوٍ واحد أما المعضل فقد زاد ضعفه بسقوط راويين منه على التوالي فازداد جهالة على جهالة.

(١) الحاكم، علوم الحديث ٢٧-٢٨.

(٢) الإمام مالك، الموطأ.



## المبحث الثالث

### الدعوة: القاعدة الحادية عشرة

الدعوة فن وقيادة وهي تقوم على التخطيط والمتابعة.

يظن كثير من الدعاة أن الدعوة تقوم على قول الكلمة الخيرة في أي وقت وفي أي مكان، وأنها تسير بطريق عشوائي يستوي فيه الدعاة على اختلاف امكانياتهم، ومما لاشك فيه أن هناك دعاة آتاهم الله تعالى قدرة فائقة على التبليغ، وتراهم يألفون ويؤلفون، وقد وضع الله لهم القبول في قلوب الخلق، وهناك دعاة لا يحالفهم التوفيق في المنطق والأسلوب، وكلا الفريقين بحاجة إلى مبادئ الدعوة وأساليبها والتدرب عليها، وبذلك تكون الدعوة فناً يُتلقى، وقواعد وأساليب تطور، ووسائل تتأثر بالتحديث والمعاصرة.

والتخطيط الواعي هو الذي ينقل الدعوة إلى الإطار الفني المنتج، والتخطيط هو التصور النظري لسير الدعوة، وكلما اكتمل التخطيط واستوعب عناصره أدى إلى النتيجة المتوقعة بعون الله وبعد الاتكال عليه.

وكما عُرفت أنواع الخطط الاقتصادية والسياسية والتربوية فإن على الدعاة أن يتجهوا نحو التخطيط للدعوة.

والخطة الواعية رأسها الأهداف، وجسمها الوسائل، والربط بين الأهداف والوسائل عن طريق الأساليب، ومادتها الإمكانيات البشرية والمادية والمعنوية، وموجهها المتابعة والتقويم، وثمراتها ظهور الأهداف على شكل نتائج ملموسة. أما الأهداف: فهي الغايات من وراء الأعمال وتأتي عند الإجابة على السؤال الذي يوجهه الداعية لنفسه: لماذا أَدعو؟ وماذا أريد؟ والإجابة على هذا السؤال هي مبدأ كل عمل من الأعمال، وعلى ضوء الجواب يتحدد الجهد المطلوب والزمن الكافي والوسائل والأساليب والتوقعات.

والجدير بالذكر أن اختلاف الدعاة في الإجابة على هذا السؤال هو الذي يجعلهم يختلفون في النتائج والتوقعات.

وهناك نوعان من الأهداف:

الأول: الهدف الأكبر، الذي هو الثمرة الرئيسة.

الثاني: الأهداف المرتبطة بأزمة محددة أو أمكنة معينة أو أفراد معينين. أو تسعى لتحقيق الوسائل وتوفيرها، وهذه الأهداف بعضها يسلم للآخر، وبعضها أكبر من بعض، وكلها يستوعبها الهدف الكبير والغاية العظمى، ويحدث أحيانا خلط بين الأهداف الصغرى والأهداف الكبرى، وعندها تقل انتاجية العمل، ويستنفد الدعاة جهدهم بعيدا عن الهدف الأكبر؛ فبعض الدعاة يجيب على سؤال لماذا أدعو؟

فداعية يقول: أدعو إلى تزكية النفوس لقول الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) الشمس: ٩-١٠، وللوصول إلى هذا الهدف نجتمع المريدين، ونطبق عليهم نظاما يقوم على الأوامر السلوكية والأوراد والأذكار، وينبغي أن يصرف الاهتمام كله لهذا الهدف.

وداعية آخر يقول: الهدف إعانة الفقراء والمساكين والإحسان إليهم لقول الله تعالى: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ) المدثر: ٢٤-٤٤.

ولتحقيق هذا الهدف لابد من دعوة أهل الخير إلى الإحسان وبذل الصدقة وإيتاء الزكاة، وإنشاء الجمعيات الخيرية خير وسيلة لتحقيق هذا الهدف.

وداعية ثالث يقول: الهدف تحرير المسائل العلمية المختلف فيها، وجمع الأحاديث الصحيحة، وتحقيق هذا الهدف لابد من عقد حلقات العلم وإنشاء المدارس والمؤسسات المتخصصة وطباعة الكتب.

وداعية رابع يقول: الهدف هو الوصول بالمسلمين إلى درجة عالية من الوعي السياسي الذي يطلعهم على مخططات الأعداء وما يستخدمونه من الوسائل لتنفيذ هذه المخططات، وتحقيقا لهذا الهدف فلا بد من القيام بالدراسات المتخصصة العميقة، والاطلاع على ما يقال وينشر عن الإسلام.

إلى جانب هذه الأهداف نجد بعض الدعاة يرضى بأهداف أصغر من

ذلك، كأن يكون الهدف تشويه صورة جماعة ما باعتبارها حجر عثرة في طريق العمل الإسلامي، أو صرف الاهتمام نحو شخص معين يرى أنه السبب الرئيس في مشاكل المسلمين وقضاياهم!! وبالرغم من أهمية بعض هذه الأهداف إلا أن السؤال يبقى قائماً: هل هناك أهداف أكبر وأشمل؟ وإن نظرة سريعة إلى مستويات الأهداف تجعلنا نقول: الهدف الكلي مُقدّم على الهدف الجزئي. والهدف الذي يستغرق جميع قطاعات المجتمع مُقدّم على الهدف الذي يتناول فرداً أو فئة.

والهدف الدائم المستمر مُقدّم على الهدف المؤقت المنقطع. والهدف الممكن مُقدّم على الهدف غير الممكن. والهدف الأعلى مُقدّم على الهدف الأدنى.

وهكذا فإنه من الممكن أن يصاغ الهدف الأكبر على الشكل التالي: الهدف الكلي الأعلى الممكن المستمر الذي يستغرق جميع قطاعات المجتمع. عبادة الله أعظم الأهداف:

ولا يشك أحد من الدعاة في أن أعظم الأهداف وأشرفها هو ما جعله الله تعالى هدفاً للإنسان وغيره، وهو هدف العبادة، لقول الله سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات: ٥٦. وقد حمل المسلمون هذا الهدف، ومن أجله انطلقوا يعبرون الصحاري والقفار، ويقارعون الجبابرة، وقد عبّر عنه ربعي بن عامر أمام قائد الفرس: ”جننا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة“<sup>(١)</sup>.

### العبادة هدف للفرد والجماعة والدولة:

وبناء على هذا فإن هدف الجماعة المسلمة والفرد المسلم والدولة المسلمة هو تحقيق العبودية لله رب العالمين، وأما الأهداف الخاصة فهي جزئية مرحلية أو إقليمية محلية، أو خاصة محدودة، والعمل اليومي أو المبحثي أو الشهري أو

(١) البداية والنهاية ٣٩/٧.

السنوي له أهدافه الخاصة، والعمل في القرية أو المدينة أو العشيرة أو العمال أو الطلاب أو النساء له أهدافه الخاصة، وكل مكون من مكونات المجتمع إنما يتحقق وفق أهداف خاصة.

### الوسائل:

وأما الوسائل فمنها الوسائل المباشرة ومنها غير المباشرة، ولكل هدف جزئي ووسائله الخاصة، فإذا قلنا: إن العبادة تتحقق من خلال العابد القوي في عقله وروحه وجسده، فإن وسائل خاصة كثيرة تتوارد من أجل هذا الهدف، والإمكانيات والمعلومات تتدخل في استخدام الوسائل، ولست هنا بصدد تقديم خطة دعوة إنما المقصود إعطاء صورة عن عناصر الخطة ومكوناتها. والوسائل تُستخدم بأشكال مختلفة وأساليب عدة، والأسلوب الأفضل يُعطي من الوسيلة كفاءة أكبر، واختيار الأسلوب المناسب عامل كبير في نجاح العمل، ومن الأساليب: اللين والشدّة، والترغيب والترهيب، والكثرة والقلّة، والسر والجهر، والفردى والجماعى، والتاريخى والوصفى، والعقلى والعاطفى، والألم والأمل، والأخذ والعطاء.

### جمع المعلومات أساس الخطة:

ولما كانت الخطة تصورا واضحا عن عمل في مكان خاص وزمان محدد، وأناس محددين كان لابد من جمع المعلومات عن البيئة، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، أو مناخية، أو طبيعية أو فكرية، ولابد من معرفة مراكز القوة والضعف، ولابد من التعرف على العوائق والخوافز، وبذلك تكون الدعوة إلى الله على بصيرة: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) يوسف ١٠٨.

### الزمن عنصر فعّال في الخطة:

والزمن عنصر فعّال في الخطة يدل على مدى النجاح أو الفشل، فما يحتاج إلى يوم واحد لا ينبغي أن يُصرف فيه شهر، وما يحتاج شهرا من الزمن لا ينبغي الإسراع في إنجازه في يوم أو أسبوع.

والمراجعة والتقييم بعد انتهاء مدة الخطة تساعد على معرفة الممكن من غير الممكن، والسهل من الصعب، والمراجعة تقدّم هدفاً أو تؤخره، وتحكم على فعالية الوسائل أو عدم فعاليتها، وتكشف عن جدوى الأساليب أو عدم جدواها.

### العين الساهرة:

والمتابعة عين ساهرة وأذن صاغية ويد مؤيدة، والخطة القوية قد تفشل بلا متابعة، والخطة الضعيفة قد تنجح مع المتابعة المستمرة. فإذا توافرت هذه العناصر فقد وُجدت الخطة العلمية الواعية، ثم يُوكَل أمر تنفيذها إلى العناصر البشرية المدربة المنظمة؛ ولإعداد المنفذين فإن علومها كثيرة أصبحت اليوم على درجة من الأهمية للداعية، فالعلوم الإدارية، وعلوم الاتصال بالأفراد والجماعات، والعلوم اللغوية والبلاغية، والعلوم النفسية والتربوية، هذه وغيرها تُعدُّ الداعية المنفذ للخطة. والداعية الناجح صاحب مبادرة وبديهة حاضرة وقدرة على التصرف في أسوأ الظروف، وقبل أن يفاجأ بالمواقف الصعبة فإنه يفترضها، ويتصورها، ويلتمس لها الحلول، وهكذا فإنه يستعين بالموقف الوهمي الذي افترضه سابقاً لمواجهة الموقف الواقعي المفاجئ.





## الفصل الرابع

- القرآن: مراجعة سورة الحجرات حفظاً وتفسيراً
- المبحث الثاني / الدعوة: صفات الداعية
- المبحث الثالث / التاريخ: فتح القسطنطينية



## المبحث الأول

القرآن: مراجعة سورة الحجرات حفظًا وتفسيرًا

### المبحث الثاني

الدعوة: صفات الداعية

مرفق ملف صفات الداعية



### المبحث الثالث

التاريخ: فتح القسطنطينية

يمكن الرجوع إلى كتاب  
الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط  
للدكتور: علي محمد الصلابي



الكتاب







## الفصل الأول

- المبحث الأول: القرآن: سورة العنكبوت ٣-١
- المبحث الثاني: الحديث: التعريف بالإسلام
- المبحث الثالث: العقيدة: معنى الموالاة للكفار







## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ١-٣

#### سورة العنكبوت مكية وآياتها تسع وستون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ  
(٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ  
الكَاذِبِينَ﴾ (٣)

سورة العنكبوت مكية. وقد ذكرت بعض الروايات أن الإحدى عشرة آية الأولى مدنية. وذلك لذكر «الجهاد» فيها وذكر «المنافقين».. ولكننا نرجح أن السورة كلها مكية. وقد ورد في سبب نزول الآية الثامنة أنها نزلت في إسلام سعد بن أبي وقاص كما سيجيء. وإسلام سعد كان في مكة بلا جدال. وهذه الآية ضمن الآيات الإحدى عشرة التي قيل إنها مدنية. لذلك نرجح مكية الآيات كلها. أما تفسير ذكر الجهاد فيها فيسير. لأنها واردة بصدد الجهاد ضد الفتنة. أي جهاد النفس لتصبر ولا تفتن. وهذا واضح في السياق. وكذلك ذكر النفاق، فقد جاء بصدد تصوير حالة نموذج من الناس.

والسورة كلها متماسكة في خط واحد منذ البدء إلى الختام. إنها تبدأ بعد الحروف المقطعة بالحديث عن الإيمان والفتنة وعن تكاليف الإيمان الحق التي تكشف عن معدنه في النفوس. فليس الإيمان كلمة تقال باللسان، إنما هو الصبر على المكاره والتكاليف في طريق هذه الكلمة المحفوفة بالمكاه والتكاليف.

ويكاد هذا أن يكون محور السورة وموضوعها، فإن سياقها يمضي بعد ذلك

المطلع يستعرض قصص نوح وإبراهيم ولوط وشعيب، وقصص عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان، استعراضا سريعا يصور ألوانا من العقبات والفتن في طريق الدعوة إلى الإيمان. على امتداد الأجيال.

ثم يعقب على هذا القصص وما تكشف فيه من قوى مرصودة في وجه الحق والهدى، بالتصغير من قيمة هذه القوى والتهوين من شأنها، وقد أخذها الله جميعا:

«فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا»..  
ويضرب لهذه القوى كلها مثلا مصورا يجسم وهنها ونفاهتها:

«مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

ويربط بعد ذلك بين الحق الذي في تلك الدعوات والحق الذي في خلق السماوات والأرض ثم يوحد بين تلك الدعوات جميعا ودعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - فكلها من عند الله. وكلها دعوة واحدة إلى الله. ومن ثم يمضي في الحديث عن الكتاب الأخير وعن استقبال المشركين له وهم يطلبون الخوارق غير مكتفين بهذا الكتاب وما فيه من رحمة وذكرى لقوم يؤمنون. ويستعجلون بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين. ويتناقضون في منطقتهم: «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ... لَيَقُولُنَّ اللَّهُ!».. «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ تَرَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ!».. «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ».. ولكنهم مع هذا كله يشركون بالله ويفتنون المؤمنين.

وفي ثنايا هذا الجدل يدعو المؤمنين إلى الهجرة فرارا بدينهم من الفتنة، غير خائفين من الموت، إذ «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ».. غير خائفين من فوات الرزق: «وَكَايِّنُ مِنْ ذَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ»..

ويختتم السورة بتمجيد المجاهدين في الله وطمأنتهم على الهدى وتثبيتهم: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ».. فيلتئم الختام مع المطلع وتتضح حكمة السياق في السورة، وتماسك حلقاتها بين المطلع والختام، حول محورها الأول وموضوعها الأصيل.

ويعضي سياق السورة حول ذلك المحور الواحد في ثلاثة أشواط: الشوط الأول يتناول حقيقة الإيمان، وسنة الابتلاء والفتنة، ومصير المؤمنين والمنافقين والكافرين. ثم فردية التبعة، فلا يحمل أحد عن أحد شيئاً يوم القيامة: «وَأَلَيْسَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ».. والشوط الثاني يتناول القصص التي أشرنا إليها، وما تصوره من فتن وعقبات في طريق الدعوات والدعاة، والتهوين من شأنها في النهاية حين تقاس إلى قوة الله. ويتحدث عن الحق الكامن في دعوة الرسل، وهو ذاته الحق الكامن في خلق السماوات والأرض. وكله من عند الله.

والشوط الثالث يتناول النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى. إلا الذين ظلموا منهم. وعن وحدة الدين كله، واتحاده مع هذا الدين الأخير الذي يجحد به الكافرون، ويجادل فيه المشركون. ويختتم بالتثبيت والبشرى والطمأنينة للمجاهدين في الله المهديين إلى سبيل الله: «وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ».. ويتخلل السورة من المطلع إلى الختام إيقاعات قوية عميقة حول معنى الإيمان وحقيقته. تهب الوجدان هزا.

وتقفه أمام تكاليف الإيمان وقفة جد صارمة، فإما النهوض بها وإما النكوص عنها. وإلا فهو النفاق الذي يفضحه الله. وهي إيقاعات لا سبيل إلى تصويرها بغير النصوص القرآنية التي وردت فيها. فنكتفي بالإشارة إليها هنا حتى نستعرضها في موضعها مع السياق. «ألف. لام. ميم»..

الحروف المقطعة التي اخترنا في تفسيرها أنها للتبنيح إلى أنها مادة الكتاب الذي أنزله الله على رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مؤلفاً من مثل هذه الحروف،

المألوفة للقوم، الميسرة لهم ليؤلفوا منها ما يشاؤون من القول، ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها مثل هذا الكتاب. لأنه من صنع الله لا من صنع إنسان. وقد قلنا من قبل: إن السور التي صدرت بهذه الحروف تتضمن حديثنا عن القرآن، إما مباشرة بعد هذه الحروف، وإما في ثنايا السورة، كما هو الحال في هذه السورة. فقد ورد فيها: «أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ..» .. «وَكَذَلِكَ أَتْرُنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» .. «وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ» ..

«أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَتْرُنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ» .. مما يتمشى مع القاعدة التي اخترناها لتفسير هذه الأحرف في افتتاح السور. وبعد هذا الافتتاح يبدأ الحديث عن الإيمان، والفتنة التي يتعرض لها المؤمنون لتحقيق هذا الإيمان وكشف الصادقين والكاذبين بالفتنة والابتلاء: «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» ..

إنه الإيقاع الأول في هذا المقطع القوي من السورة. يساق في صورة استفهام استنكاري لمفهوم الناس للإيمان، وحسبانهم أنه كلمة تقال باللسان. «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» ..

إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا. وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم. كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به - وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالاته وظله وإبجاءه - وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب.

هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية، في ميزان الله سبحانه: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» .. والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن

على ما يقع من عملهم، لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم. وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره، وبما حققه فعله. فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه!.

ونعود إلى سنة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعريضهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين.

إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص. وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء. وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة، وهي أمانة ثقيلة، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء.

ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان. وهذه هي الصورة البارزة للفتنة، المعهودة في الذهن حين تذكر الفتنة. ولكنها ليست أعنف صور الفتنة. فهناك فتن كثيرة في صور شتى، ربما كانت أمرّ وأدهى.

هناك فتنة الأهل والأحياء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه، وهو لا يملك عنهم دفعا. وقد يهتفون به ليسالم أو ليستسلم، وينادونه باسم الحب والقرابة، واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى أو الهلاك. وقد أشير في هذه السورة إلى لون من هذه الفتنة مع الوالدين وهو شاق عسير.

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، تحتف لهم الدنيا، وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق، وتصاغ لهم الأجداد، وتصفو لهم الحياة. وهو مهمل منكر لا يحس به أحد، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئا.

وهناك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعميقة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقاً في تيار الضلالة وهو وحده موحش عريب طريد. وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام. فتنة أن يجد المؤمن أمماً ودولاً غارقة في الرذيلة، وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان.

ويجدها غنية قوية، وهي مشاقة لله! وهناك الفتنة الكبرى. أكبر من هذا كله وأعنف. فتنة النفس والشهوة. وجاذبية الأرض، وثقل اللحم والدم، والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان. وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس، وفي ملابس الحياة، وفي منطق البيئة، وفي تصورات أهل الزمان! فإذا طال الأمد، وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقسى. وكان الابتلاء أشد وأعنف. ولم يثبت إلا من عصم الله. وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان، ويؤمنون على تلك الأمانة الكبرى، أمانة السماء في الأرض، وأمانة الله في ضمير الإنسان.

وما بالله - حاشا لله - أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيههم بالفتنة. ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة.

فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء.

والنفس تصهرها الشدائد فتتفني عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المدخورة فتستيقظ وتتجمع. وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل. وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً وأقواها طبيعة، وأشدّها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسينين: النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية. مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار.

وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من غالي الثمن، وبما بذلوا لها من الصبر على المحن، وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات. والذي يبذل من دمه وأعصابه، ومن راحته واطمئنانه، ومن رغائبه ولذاته. ثم يصبر على الأذى والحرمان يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل، فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام.

فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمر تكفل به وعد الله. وما يشك مؤمن في وعد الله. فإن أبطأ فلحكمة مقدره، فيها الخير للإيمان وأهله. وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله. وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء، أن يكونوا هم المختارين من الله، ليكونوا أمناء على حق الله. وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة فهو يختارهم للابتلاء: جاء في الصحيح: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء».



## المبحث الثاني

### الحديث: التعريف بالإسلام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ». رواه مسلم (١٤٥).

#### المعنى الإجمالي للحديث

#### غربة الإسلام في أول الأمر

يتكلم هذا الحديث عن بداية أمر الدين عندما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد في قومه صدودا وإعراضا، فكان قوله غريبا عندهم، والدين الذي جاء به غريب كذلك، كان غريبا عندهم في عقائده، غريبا عندهم في أخلاقه، غريبا عندهم في شرائعه، غريبا عندهم في الكتاب الذي أنزل عليه، وفي الوحي الذي يأتيه، فكان الدين غريبا عندهم بالجملة، وكان المؤمنون به غرباء عند أقوامهم.

وقد صور القرآن غربة الدين عندهم فقال: «وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» [الأنعام: ٧]. وقال: «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ، أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» [ص: ٤-٥]

وكانت هذه الغربة مصحوبة بألوان الابتلاءات من القتل والتعذيب، والمقاطعة، والتشريد، والمكر، قال الله تعالى «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» [الأنفال: ٣٠].

#### اتباع الدين النزاع من القبائل

وفي بداية الأمر آمن أفراد من قبائل شتى، ولم يحدث أن آمنت قبيلة بكاملها، وإنما كانوا أحادا من قبائل شتى. وهو ما عناه النبي صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن صفة الغرباء - فيما رواه الإمام أحمد ٣٧٨٤ - فقال: «النزاع من

القبائل». والنزاع هم الذين انتزعوا أنفسهم من قبائلهم ومجتمعاتهم، والتحقوا بهذا الدين.

### زوال الغربة

ومع انتشار الإسلام وهجرة المسلمين إلى المدينة، ورسوخ أمر هذا الدين، بدأت هذه الغربة بالزوال، وحل مكانها معرفة الناس لهذا الدين والإقبال عليه، حتى رأينا أن كثيرا من القبائل آمنت ودخلت في هذا الدين بجملتها، كقبائل الأوس والخزرج، وبني عبد القيس، وقبيلة دوس، وغفار، وكثير غيرهم.

ثم توالى الناس بالدخول في هذا الدين أفواجا، قال تعالى «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا».

### عودة الغربة

وفي هذا الحديث إخبار من النبي بأن الإسلام سيعود غريبا كما بدأ، وليس المقصود بعودة هذه الغربة أن يزول الإسلام نهائيا عن هذه الأرض وأن يعود مستنكرا ومستغربا عند الناس، وإنما هي غربة مؤقتة محدودة تصيب أهل هذا الدين في أقوامهم، فتصبح عقائد هذا الدين وشرائعه غريبة على الناس، ويكثر أعداؤه ويقل أنصاره.

ولا تزول غربة الإسلام إلا بالعمل الجاد والجهاد والتضحية والدعوة إلى الله والثبات والتنظيم والحركة، كل ذلك في سبيل الإصلاح، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور. والعمل على استئناف الحياة الإسلامية، وإيصال الفكرة الإسلامية إلى كافة الناس في كافة أقطار الأرض.

### غربة الإسلام في هذا العصر وزوالها

وقد شهدنا في هذا العصر في بدايات القرن الماضي غربة للإسلام وأهله، في كافة مجالات الحياة في الشعائر والشرائع والأخلاق والعادات والتقاليد، بل وغربة في هوية المجتمع، حتى نهض ثلة من الدعاة المصلحين فأخذوا على عاتقهم تجديد أمر هذا الدين في قلوب الناس وعقولهم، وسائر أحوالهم.

فبدأت هذه الغربة تنزل، ورجع الناس إلى دينهم يتمثلون عقائده وشرائعه وأخلاقه، إلا أن الحكم بما أنزل الله ما زال في كثير من جوانبه في غربة عن هذه الأمة، وما زال الدعوة والمصلحون ينادون بالإصلاح السياسي والتشريعي في كافة الأقطار الإسلامية.

**أهم ما يرشد إليه الحديث:**

- ١ - في هذا الحديث بيان لأطوار الإسلام في الأرض بين الغربة والمعرفة.
- ٢ - الغربة مؤقتة ومرحلة يعقبها معرفة وإقبال على هذا الدين.
- ٣ - نزول الغربة بالعمل الجاد والدعوة والإصلاح.
- ٤ - يوجه هذا الحديث الدعوة والعلماء إلى أخذ دورهم في القيام بالإصلاح والتعريف بهذا الدين ونشره بين الناس لإزالة غربته.



## المبحث الثالث

### العقيدة: معنى الموالاة للكفار

عرفت تناقض موالاة الكفار مع الشهادتين. وليس لقائل أن يقول: إن معنى الموالاة غير محدد، إذ يدخل فيه أمور كثيرة، قاصداً بذلك أننا لا نستطيع أن نتخذه معياراً في معرفة من يكفر ومن لا يكفر، لأن الله سبحانه وتعالى لا ينهى عن شيء غير محدد وغير معروف، ولا يحكم بردة من دخل في أمر غير واضح وغير متميز، وإلا لكان أمره ونهيه في هذا الموضوع عبثاً لا يمكن تطبيقه، وهذا قول لا يقوله مؤمن بالله وصفاته.

### فإن قيل: فما معنى الموالاة؟

فاعلم أن هذا اللفظ مشتق من الولاء، وهو الدنو والتقرب والولاية ضد العداوة، والولي عكس العدو، والمؤمنون أولياء الرحمن، والكافرون أولياء الطاغوت والشيطان، لقرب الفريق الأول من الله بطاعته وعبادته، وقرب الفريق الثاني من الشيطان بطاعة أمره وبعدهم عن الله بعصيانه ومخالفته. ومن هنا يتبين أن موالاة الكفار تعني التقرب إليهم، وإظهار الودّ لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا، وقد أشارت النصوص إلى كثير من هذه الأمور التي تدخل الإنسان في الولاء للكفار، من ذلك: اتباع أهوائهم وقد نهى الله عن اتباعها، قال تعالى (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نصيرٍ)<sup>(١)</sup>.

وطاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)<sup>(٢)</sup>، وقال سبحانه (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا)<sup>(٣)</sup>، وقال أيضاً (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ

(١) البقرة الآية ١٢٠.

(٢) آل عمران الآية ١٤٩.

(٣) الكهف الآية ٢٨.

أُولِيَائِهِمْ لِيَجَادِلُوَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ<sup>(١)</sup> والركون إليهم، قال تعالى (وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)<sup>(٢)</sup>.

ومداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين، قال عز وجل (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)<sup>(٣)</sup> وإظهار الودّ لهم، قال تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)<sup>(٤)</sup>.

ويدخل في جملة ما تقدم إكرام الكفار وتقريبهم، خاصة من الحكام، ومشاورتهم في الأمور الهامة، واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين. ومعاونتهم على ظلمهم ونصرتهم والتشبه بأعمالهم وعاداتهم وتقاليدهم، وأخذ الأمة بوسائل الترغيب والترهيب والإعلام للتشبه بهم وتقليدهم في شئون الحياة، واستعارة قوانينهم ومناهجهم في حكم الأمة وتربية أبنائها.

ويدخل فيه معاونتهم، والتآمر والتخطيط معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في تنظيماتهم وأحلافهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرار الأمة إليهم والقتال في صفهم ويدخل فيه استئمانهم، وقد خونهم الله عز وجل وتوليتهم المراكز الهامة، وتنصيبهم في أهم الوظائف وأخطرها، وخاصة في الجيش والمرافق العامة.

كما يدخل فيه تحسين أفكارهم ومناهجهم وقيمهم وتصوراتهم، والدعوة إليها، وتفضيل علمائهم على علماء المسلمين.

فمن اجتمعت عندهم هذه الأمور، أو قدر منها، وكان ذلك له خلقا وعادة، فقد أقام الدليل على أنه راض بكفر الكافرين، فيكون مثلهم، بل منهم، ولا ينجيه من الكفر إلا إيمان جديد، وإقلاع عن موالاة الكفار. ما يقبل وما لا يقبل من الأعذار في هذا المقام:

هذا وقد يعتذر بعض الموالين للكفار بأنهم يخافون على ملكهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المخاوف التي لا تصح، ولا يعتبرها الله سبحانه، ولا يعذرهم من أجلها، وجميعها من تزيين الشيطان وتسويله، وحب الدنيا

(١) الأنعام الآية ١٢١.

(٢) هود الآية ١١٣.

(٣) القلم الآية ٩.

(٤) المجادلة الآية ٢٢.

والطمع في زينتها.

ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يقبل عذراً لأحد في إظهار مولاته للكفار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم، إلا عذراً واحداً، هو الإكراه، حيث قال عز وجل (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ<sup>(١)</sup>) وقال أيضاً: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)<sup>(٢)</sup>. على أن الإكراه لا ينفع أحداً فيما يتعلق بالرضى القلبي والميل الباطني إلى الكفار، فهذا غير مأذون فيه على أية حال، لقوله تعالى (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) ولأن الإكراه لا سلطان له على القلوب، ولكن محل العذر هو محل تأثير الإكراه، وهو النطق باللسان وفعل الجوارح، فمن وإلى الكفار بقلبه وميله إليهم فهو كافر على كل حال، فإن أظهر مولاته بلسانه أو بفعله وعومل في الدنيا بكفره، وفي الآخرة يخلد في النار، وإن لم يظهرها بفعل ولا قول وعمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله ودمه، وهو منافق في الدرك الأسفل من النار.

### حدود الإكراه المعتبر:

ولكن ما حدود الإكراه المقصود في هذا المقام؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى «تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكروه، فليس المعتبر في كلمات الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قيد، ولا يكون الكلام إكراها، وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه، فلها أن ترجع على أنها لا عيب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها،

(١) النحل الآيات ١٠٦، ١٠٧.

(٢) آل عمران الآية ٣٨.

فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراها، ومثل هذا لا يكون إكراها على الكفر، فإن الأسير إذا خشى الكفار أن لا يزوجه أو يحولوا بينه وبين امرأته لم يباح له التكلم بكلمة الكفر»<sup>(١)</sup>.

وهكذا يرى الإمام أحمد بن حنبل، ويوافقه ابن تيمية رحمهما الله تعالى، أن الإكراه في مقام التظاهر بالكفر، سواء أن نطقا بكلامه أو موالاته للكفار، لا يعتبر إلا إذا وصل إلى حد التعذيب من ضرب أو قتل ونحو ذلك، وأما ما دونه من طمع في رياسة أو في مركز يعين الكفار على توليه أو بقاءه، أو خوف على مال أو عيال أو وطن أو غير ذلك، فإنه لا ينفع ولا يقبل منه. وهذا الذي ذهب إليه تدل عليه النصوص السابقة التي نبهت عن موالات الكفار واعتبرته سببا من أسباب الكفر والردة، ففي الآية التالية للآية التي عذر فيها الله سبحانه وتعالى المكره فيما يتلفظ به من كلام الكفر، قرر سبحانه أن حب الدنيا والعمل من أجل حظوظها لا ينفع صاحبه، ولا يشفع له عند الله تعالى أن صدر عنه ما يستلزم الكفر، فقال سبحانه وتعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)<sup>(٢)</sup>.

وفي آية أخرى توعده سبحانه وتعالى من اتخذ أباه أو أخاه ولياً من دون الله فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ أَنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>(٣)</sup>. فانظر كيف نفى أن تكون صلة القرابة، مهما كانت قوية، عذرا في إظهار الموالاته للكفار، فإن لم يكن حب الأب والأخ والولد عذرا في ولاية الكفار، فكيف يمكن أن يكون كذلك حب الزعامة والأموال وزينة الحياة الدنيا، بل إن الله عز وجل رفض الاعتذار بثمانية أعذار كثيرا ما يعتذر الناس بها في ترك ما يحب الله ورسوله وهو قوله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

(١) انظر: مجموعة التوحيد ص ٢٩٧.

(٢) النحل الآية ١٠٧.

(٣) التوبة الآية ٢٣.

وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا  
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن موالاة الكفار فيها إظهار لحبهم ومودتهم، وتفضيلهم على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله، ومثل هذا قوله تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)<sup>(٢)</sup>. فلا عذر لإنسان في موالاة الكفار خوفا على الأموال والأبناء والأزواج والعشائر ونحو ذلك ما يتعذر به كثير من الناس. وانظر كيف رفض الباري عز وجل قبول عذر أناس كانوا يتولون اليهود والنصارى عندما قالوا: نخشى أن تصيبنا دائرة، فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ)<sup>(٣)</sup>.

وهذه هي حال كثير من المتدينين في الفتنة في هذه الأيام، وما أشبه أعدار كفار الأمس بأعدار كفار اليوم! فتجدهم يعتذرون بنفس الأعدار، ويخافون الدائرة التي خاف منها أولئك القوم، فيقولون لك، كيف لنا أن لا نوالي فلانا أو تلك الطائفة؟ وكيف لنا أن لا نظهر المودة لها ونجاملها، ولو كان على حساب الدين والعقيدة، وهي تتمتع بالعطف والحماية من دول عظمى لا نقدر الوقوف أمامها؟ أو يقولون لك: كيف نتجاهل رغبة تلك الدولة العظيمة، ولو كانت رغبتها قتل المسلمين وتشريدهم وإفساد أخلاقهم، وإبعادهم عن دينهم، والتنازل عن أراضيهم، كيف لنا ذلك؟

نعلم أنه لا يستطيع أمثالنا الثبات لحظة في مكانه الذي هو فيه إن لم ننفذ لها رغباتها، إننا لا نستطيع التضحية بمراكزنا ومكاسبنا!! وهذا لعمر الحق هو الخوف الذي لا يجوز أن يكون إلا لله عز وجل، وقد علمت أنه يكفر من يجعله غير الله، فهؤلاء قد كفروا مرتين: لموالاتهم للكفار، ولعبادتهم إياهم

(١) التوبة الآية ٢٤.

(٢) المجادلة الآية ٢٢.

(٣) المائدة الآيات ٥١، ٥٢.



بخشيتهم لهم خشية لا تصح إلا لله عز وجل.

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الله عز وجل لا يعذر أحدا في موالة الكفار إلا من كان حاله كحال عمار بن ياسر، رضى الله عن آل ياسر، الذي نزل في حقه تفضل الله تعالى على العباد بالأعذار بالإكراه، وهو قوله تعالى (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ).

وهذا يقتضي أن يكون المكره تحت سلطان الكفار، ويقدر على، وتكون الرخصة عندئذ في وقت الإكراه، ولا يجوز اللجوء إليه بعد زوال التعذيب، فإن عادوا إلى تعذيبه كان له العودة إلى الرخصة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمار بعد ما عرف حاله «فإن عادوا فعد».

قال ابن قدامة (فإذا ثبت أنه - أي المكره - لم يكفر، فمتى زال عنه الإكراه، أمر بإظهار إسلامه، فإن أظهره فهو باق على إسلامه، وإن أظهر الكفر حكم أنه كفر من حين نطق به، لأننا تبينا بذلك أنه كان منشراح الصدر بالكفر من حين نطق به مختارا له). على أن الأفضل لمن أكره على كلمة الكفر، أو على موالة الكفار والموافقة على دينهم أن يصبر ولا يمثل لهم، حتى ولو أن ذلك على نفسه لما روى خباب عن رسول الله ﷺ أنه قال (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصد ذلك عن دينه)<sup>(١)</sup>.

ويشهد لهذا أيضا ما ورد في الصحيح من قصة أصحاب الأخدود وما فعلوه بالمؤمنين، فصبر المؤمنون على التحريق في سبيل الله، ولم يصددهم الأخدود الموجع بالنيران عن دينهم، فثبتوا عليه وضحوا بأنفسهم في سبيله، وهو تفسير قوله تعالى (قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ)<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله (أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر

(١) رواه البخاري انظر رياض الصالحين ص ٢٢.

(٢) البروج: ٤-٧ وقصة أصحاب الأخدود، أخرجهما بتمامها مسلم في صحيحه، انظر هذه القصة بكاملها في رياض الصالحين ص ٢٧. وما بعدها.

فاختار القتل أنه أعظم أجرا عند الله ممن اختار الرخصة (١).

بعض مظاهر عدم الرضى بالإسلام:

ونذكر لك أيضا مظهرين من مظاهر كره الإسلام التي تؤول إلى الردة والكفر وإن شهد الشهادتين وسمى نفسه مسلما، وهما:

الأول: الاستهزاء بشيء معلوم من دين الإسلام، ويدخل في ذلك الاستهزاء بالله ورسوله وكتابه أو بالمؤمنين بسبب إيمانهم ونحو ذلك، وأصل هذا قوله تعالى (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْتَهُمْ كَانُوا مُحْرَمِينَ) (٢). ومناسبة نزول هذه الآيات أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا ولا أجبين عند اللقاء - يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء - فقال عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله ﷺ كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقا بنسعة ناقة سول الله ﷺ وأن الحجارة تنكب رجلية وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) ما يلتفت إليه، وما يزيد عليه .

وصور الاستهزاء كثيرة جداً لا تدخل تحت حصر، ويجمعها أنها جميعا تدل على الاستخفاف بالدين وعدم الرضا عنه أو عن شيء منه، وقد يكون كلاميا، وقد يكون فعليا بالحركة والإشارة كالرف بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة والغمز باليد، عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ عند ذكر عقيدة الإسلام أو شيء من مبادئه المعلومة بالضرورة ونحو ذلك.

الثاني: ظهور الكراهية والغضب عند ذكر الله أو رسوله أو تلاوة كتابه، أو ذكر شيء من أمور الدين المعروفة، أو الدعوة إليه فقد قال عز وجل

(١) تفسير القرطبي: ج ١ ص ١٨٨.

(٢) التوبة: ٦٥-٦٦.

(وَإِذَا تَمَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ  
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَُم النَّارِ وَعَدَهَا  
اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسِ الْمَصِيرُ) (١).

وقال أيضا (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَاهُمْ) (٢).



(١) الحج: الآية ٧٢.

(٢) محمد الآية ٩.



## الفصل الثاني

- المبحث الأول / القرآن: سورة العنكبوت ٤-٩
- المبحث الثاني / السيرة: غزوة فتح مكة (٨ هـ)
- المبحث الثالث / الفقه: مستجدات في المعاملات

المالية





## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ٤-٩

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾  
 مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾  
 وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ  
 الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ  
 لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ  
 فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ [العنكبوت: ٤ - ٩]

وأما الذين يفتنون المؤمنين، ويعملون السيئات، فما هم بمفلتين من عذاب الله ولا ناجين. مهما انتفخ باطلهم وانتفش، وبدا عليه الانتصار والفلاح. وعد الله كذلك وسنته في نهاية المطاف:

«أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»..

فلا يحسب مفسد أنه مفلت ولا سابق، ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه، وفسد تقديره، واختل تصوره.

فإن الله الذي جعل الابتلاء سنة ليمتحن إيمان المؤمن ويميز بين الصادقين والكاذبين، هو الذي جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد.

وهذا هو الإيقاع الثاني في مطلع السورة، الذي يوازن الإيقاع الأول ويعادله. فإذا كانت الفتنة سنة جارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف، فحياة المسيئين وأخذ المفسدين سنة جارية لا بد أن تجيء.

أما الإيقاع الثالث فيتمثل في تطمين الذين يرجون لقاء الله، ووصل قلوبهم

به في ثقة وفي يقين:

«مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»..  
فلتقر القلوب الراجية في لقاء الله ولتطمئن ولتنتظر ما وعدها الله إياه، انتظار  
الواثق المستيقن ولتطلع إلى يوم اللقاء في شوق ولكن في يقين.  
والتعبير يصور هذه القلوب المتطلعة إلى لقاء الله صورة موحية. صورة الراجي  
المشتاق، الموصول بما هناك.

ويجيب على التطلع بالتوكيد المريح. ويعقب عليه بالطمأنينة الندية، يدخلها  
في تلك القلوب. فإن الله يسمع لها، ويعلم تطلعها: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».  
والإيقاع الرابع يواجه القلوب التي تحمل تكاليف الإيمان، ومشاق الجهاد،  
بأنها إنما تجاهد لنفسها ولخيرها ولاستكمال فضائلها، وإصلاح أمرها  
وحياتها وإلا فما بالله من حاجة إلى أحد، وإنه لغني عن كل أحد:  
«وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»..

فإذا كتب الله على المؤمنين الفتنة وكلفهم أن يجاهدوا أنفسهم لتثبت على  
احتمال المشاق، فإنما ذلك لإصلاحهم، وتكميلهم، وتحقيق الخير لهم في  
الدنيا والآخرة. والجهاد يصلح من نفس المجاهد وقلبه ويرفع من تصوراته  
وآفاته ويستعلي به على الشح بالنفس والمال، ويستجيش أفضل ما في كيانه  
من مزايا واستعدادات. وذلك كله قبل أن يتجاوز به شخصه إلى الجماعة  
المؤمنة، وما يعود عليها من صلاح حالها، واستقرار الحق بينها، وغلبة الخير  
فيها على الشر، والصلاح فيها على الفساد.  
«وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ»..

فلا يقفن أحد في وسط الطريق، وقد أمضى في الجهاد شوطا يطلب من الله  
ثمن جهاده ويمن عليه وعلى دعوته، ويستبطن المكافأة على ما ناله! فإن الله  
لا يناله من جهاده شيء. وليس في حاجة إلى جهد بشر ضعيف هزيل:  
«إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ».. وإنما هو فضل من الله أن يعينه في جهاده،  
وأن يستخلفه في الأرض به، وأن يأجره في الآخرة بثوابه:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ

الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ».

فليطمئن المؤمنون العاملون على ما لهم عند الله، من تكفير للسيئات، وجزاء على الحسنات. وليصبروا على تكاليف الجهاد وليثبتوا على الفتنة والابتلاء، فالأمل المشرق والجزاء الطيب، ينتظرانهم في نهاية المطاف.

وإنه لحسب المؤمن حتى لو فاتته في الحياة الانتصاف.

ثم يجيء إلى لون من ألوان الفتنة أشرنا إليه في مطلع السورة: فتنة الأهل والأحباء. فيفصل في الموقف الدقيق بالقول الحازم الوسط، لا إفراط فيه ولا تفريط:

«وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا. وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا، إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ»..

إن الوالدين لأقرب الأقرباء، وإن لهما لفضلاً، وإن لهما لرحماً، وإن لهما لواجباً مفروضاً: واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة. ولكن ليس لهما من طاعة في حق الله. وهذا هو الصراط: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا»..

إن الصلة في الله هي الصلة الأولى، والرابطة في الله هي العروة الوثقى. فإن كان الوالدان مشركين فلهما الإحسان والرعاية، لا الطاعة ولا الاتباع. وإن هي إلا الحياة الدنيا ثم يعود الجميع إلى الله.

«إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»..

ويفصل ما بين المؤمنين والمشركين. فإذا المؤمنون أهل ورفاق، ولو لم يعقد بينهم نسب ولا صهر:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ»..

وهكذا يعود الموصولون بالله جماعة واحدة، كما هم في الحقيقة وتذهب روابط الدم والقرباة والنسب والصهر، وتنتهي بانتهاى الحياة الدنيا، فهي روابط عارضة لا أصيلة، لانقطاعها عن العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

روى الترمذي عند تفسير هذه الآية أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - وأمه حمنة بنت أبي سفيان، وكان بائرا بأمه. فقالت له: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا أكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت، ففتعير بذلك أبا الدهر، يقال: يا قاتل أمه. ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي. فلما أيست منه أكلت وشربت. فأنزل الله هذه الآية أمرا بالبر بالوالدين والإحسان إليهما، وعدم طاعتهما في الشرك. وهكذا انتصر الإيمان على فتنة القرابة والرحم واستبقي الإحسان والبر. وإن المؤمن لعرضة لمثل هذه الفتنة في كل آن، فليكن بيان الله وفعل سعد هما راية النجاة والأمان.



## المبحث الثاني

### السيرة: غزوة فتح مكة (٨ هـ)

أسبابها، والاستعداد للخروج والشروع فيه

أولاً: أسبابها:

١. ارتكبت قريش خطأ فادحاً عندما أعانت حلفاءها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين بالخييل، والسلاح، والرجال في هجوم بني بكر، وحلفائهم على قبيلة خزاعة عند ماء يقال له: الوتير، وقتلوا أكثر من عشرين من رجالها، عندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة، وأخبروه بما كان من بني بكر، وبمن أصيب منهم، وبمناصرة قريش بني بكر عليهم.

فقال النبي ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم!». البيهقي في الكبرى (٩/٢٣٣ - ٢٣٤)، وفي الدلائل (٦/٥ - ٧)، وابن هشام (٤/٣٦ - ٣٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/٢٧٨).

٢. أبو سفيان يحاول تلافي حماقة قريش:

بعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح، وإطالة أمده، وعندما وصل إلى المدينة، ودخل على رسول الله ﷺ يعرض حاجته؛ أعرض عنه النبي، ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي؛ حتى يتوسطوا بينه وبين رسول الله ﷺ، فأبوا جميعاً، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق، أو عهد<sup>(١)</sup>، ومما يذكر عند نزوله في المدينة أنه لما دخل على ابنته أم حبيبة - أم المؤمنين - وأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية! ما أدري، أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟

قالت: بل هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس! قال: والله! لقد

(١) انظر: التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص ٣٦٥.

أصابك بعدي شر<sup>(١)</sup>.

وهذا الموقف لا يستغرب من أم حبيبة، فهي ممن هاجر الهجرتين، وقد قطعت صلاتها بالجاهلية منذ أمد بعيد، إنها لم تر أباه منذ ست عشرة سنة، فلما رآته لم تر فيه الوالد الذي ينبغي أن يقدر، ويحترم، وإنما رأت فيه رأس الكفر الذي وقف في وجه الإسلام، وحارب رسوله ﷺ تلك السنوات الطويلة<sup>(٢)</sup>، وهذا ما كان يتصف به الصحابة <sup>+</sup> من تطبيق أحكام الإسلام في الولاء، والبراء، وإعزاز الإسلام، والمسلمين.

وفي مخاطبة أم حبيبة لأبيها بهذا الأسلوب - مع كونه أباه، ومع مكانته العالية في قومه، وعند العرب - دليل على قوة إيمانها، ورسوخ يقينها، لقد كان في سلوك أم حبيبة مظهر من اجتهاد الصحابة البالغ في إظهار أمر له أهميته البالغة في المحافظة على شخصية المسلم، ودفع معنويته إلى النماء، والحيوية.

وأمام نقض قريش للعهود والمواثيق مع المسلمين، فقد عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة، وتأديب كفارها، وقد ساعده على ذلك العزم بعد توفيق الله عدة أسباب؛ منها:

أ- قوة جبهة المسلمين الداخلية في المدينة، وتماسكها، فقد تخلصت الدولة الإسلامية من غدر اليهود، وتم القضاء على يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ويهود خيبر.

ب- ضعف جبهة الأعداء في الداخل؛ وفي مقدمة هؤلاء: المنافقون؛ الذين فقدوا الركن الركين لهم، وهو يهود المدينة، فهم أساتذتهم الذين يوجهونهم، ويشيرون عليهم.

ج- اهتم رسول الله ﷺ بتطوير القوة العسكرية، وإرسال السرايا في فترة الصلح، وبذلك أصبحت متفوقة على قوة مشركي قريش، حيث العدد والعدة، والروح المعنوية.

د- كانت الغزوة بعد أن ضعفت قريش اقتصاديا، وبعد أن قويت الدولة

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/٤٧٩)، والإصابة، لابن حجر، ومحمد (ص). لمحمد رضا (غزوة فتح مكة)

(٢) انظر: من معين السير، ص ٣٩٥.

الإسلامية اقتصادياً، فقد فتح المسلمون خيبر، وغنموا منها أموالاً كثيرة. هـ- انتشار الإسلام في القبائل المجاورة للمدينة، وهذا يطمئن القيادة حين تتخذ قرارها العسكري بنقل قواها، ومهاجمة أعدائها.

و- قيام السبب الجوهري والقانوني لغزو مكة، وهو نقض قريش للعهد<sup>(١)</sup>، ونلاحظ: أن النبي ﷺ لم يضيع قانون الفرصة، وتعامل معه بحكمة بالغة، فكان فتح خيبر، وذلك بعد صلح الحديبية، والآن تُتاح فرصة أخرى بعد أن نقضت قريش عهدها، وتغيرت موازين القوى في المنطقة، فكان لا بد من الاستفادة من المعطيات الجديدة، فأعد ﷺ جيشاً لم تشهد له الحجاز مثيلاً من قبل، فقد وصلت عدته إلى عشرة آلاف رجل<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الاستعداد للخروج:

إن حركة النبي ﷺ في بناء الدولة، وتربية المجتمع، وإرسال السرايا، وخروجه في الغزوات تعلمنا كيفية التعامل مع سنة الأخذ بالأسباب، سواء كانت تلك الأسباب مادية أو معنوية، ففي غزوة الفتح نلاحظ هذه السنة واضحة في هديه ﷺ، فعندما قرر ﷺ السير لفتح مكة؛ حرص على كتمان هذا الأمر حتى لا يصل الخبر إلى قريش، فتعد العدة مجاهته، وتصده قبل أن يبدأ في تنفيذ هدفه، وشرع في الأخذ بالأسباب الآتية لتحقيق مبدأ المباغته:

### ١ - أنه كنتم أمره حتى عن أقرب الناس إليه:

فقد أخذ النبي ﷺ بمبدأ السرية المطلقة، والكتمان الشديد حتى عن أقرب الناس إليه، وهو أبو بكر<sup>١</sup> + أقرب أصحابه إلى نفسه، وزوجته عائشة<sup>٢</sup> + أحب نسائه إليه، فلم يعرف أحد شيئاً عن أهدافه الحقيقية، ولا اتجاه حركته، ولا العدو الذي ينوي قتاله، بدليل أن أبا بكر الصديق<sup>٣</sup> + عندما سأل ابنته عائشة<sup>٤</sup> + عن مقصد الرسول ﷺ قالت له: ما سمى لنا شيئاً، وكانت أحياناً تصمت، وكلا الأمرين يدلان على أنها لم تعلم شيئاً عن مقاصده ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: السيرة، لأبي فارس، ص ٤٠١

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٢/٢٤٤) والتاريخ السياسي والعسكري، ص ٣٦٦.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٤/٢٨٢)، والرسول القائد ﷺ، محمود شيت خطاب، ص ٣٣٣، ٣٣٤.

ويستنبط من هذا المنهج النبوي الحكيم أنه ينبغي للقادة العسكريين أن يخفوا خططهم عن زوجاتهم؛ لأنهن ربما يدعن شيئاً من هذه الأسرار عن حسن نية، فتتناقلها الألسن حتى تصير سبباً في حدوث كارثة عظيمة<sup>(١)</sup>.

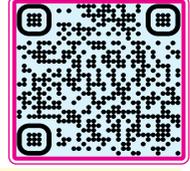
٢ - أنه بعث العيون لمنع وصول المعلومات إلى الأعداء.

٣ دعاؤه ﷺ بأخذ العيون والأخبار عن قريش:

وبعد أن أخذ رسول الله ﷺ بالأسباب البشرية التي في استطاعته؛ توجه إلى الله - عز وجل - بالدعاء والتضرع قائلاً: «اللهم خذ على أسماعهم، وأبصارهم فلا يروننا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة». البيهقي في الدلائل (١١/٥) (٢).

وهذا شأن النبي ﷺ في أموره يأخذ جميع الأسباب البشرية، ولا ينسى التضرع، والدعاء لربت البرية؛ ليستمد منه التوفيق والسداد.

(١) انظر؛ القيادة العسكرية في عهد الرسول (ص)، ص ٣٩٥، ٣٩٦.  
(٢) انظر: البداية والنهاية (٢٨٢/٤)، ومحمد (ص) (غزوة تح مكة)، محمد رضا.



## المبحث الثالث

### الفقه: مستجدات في المعاملات المالية (٢)

#### ١٠. البيع بالتقسيط:

العناوين المرادفة: البيع الآجل

التعريف بالمسألة:

أن تقوم شركة أو مؤسسة، بمبادلة سلعة تُسَلَّمها حالا للمشتري، بتمن مؤجل يسدده على دفعات معلومة في أوقات محددة، مع زيادة في الثمن. حكم المسألة:

للعلماء في هذه المسألة عدة أقوال:

القول الأول: أن يبيع التقسيط غير جائز شرعاً، وممن قال بذلك زين العابدين علي بن الحسين، وأبو بكر الرازي الجصاص الحنفي. أهم أدلة هذا القول:

١/ قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكِ بَأْنَهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥] فهي تفيد تحريم البيوع، التي يؤخذ فيها زيادة مقابل الأجل، لدخولها في عموم كلمة الربا، والمبيع بالتقسيط يزداد في ثمنه عن ثمن بيعه حالا.

٢/ ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفقتين في صفقة واحدة)<sup>(١)</sup> قال أسود: قال شريك: قال سماك: الرجل يبيع البيع فيقول: هو بنساء بكذا وكذا، وهو بنقد بكذا وكذا.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (رقم ١٠٥٣) وابن أبي شيبة (ورقم ٢٠٤٥) والطبراني في الأوسط (رقم ١٦١٠) وأحمد (٣٨٩/١) وقال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح. وصرحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٢٠/٥)

**القول الثاني:** أن بيع التقيسيط جائز شرعاً، وهو قول جماهير العلماء من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، وهيئة كبار العلماء في المملكة. **أهم أدلة هذا القول:**

١/ عموم الأدلة القاضية بالجواز كقوله سبحانه وتعالى: في نفس الآية السابقة [البقرة: ٢٧٥]. وهو نص عام يشمل جميع أنواع البيع، إلا الأنواع التي ورد نص بتحريمها، ولم يرد نص يقضي بتحريم بيع السلعة بثمن مؤجل أو مقسط، فيكون حلالاً.

٢/ ما روي أن رسول الله ﷺ أمر عبد الله بن عمرو بن العاص أن يجهز جيشاً، فكان يشتري البعير ببعيرين إلى أجل<sup>(١)</sup> وهو دليل واضح على جواز أخذ زيادة على الثمن، نظير الأجل.

**القول الثالث:** أنه مكروه، وشبهة الأولى اتقاؤها، وقال به بعض الباحثين. **أهم أدلة هذا القول:**

قوله ﷺ: (إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور متشابهاً، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام: كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه)<sup>(٢)</sup> **قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.** **أولاً: قرارات المجامع الفقهية:**

١/ قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠ هـ الموافق ١٤-٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م، وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع البيع بالتقيسيط، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

**أولاً:** تجوز الزيادة في الثمن المؤجل عن الثمن الحال، كما يجوز ذكر ثمن المبيع نقداً، وثنه بالأقساط لمدة معلومة، ولا يصح البيع إلا إذا جزم العاقدان

(١) أخرجه الحاكم (٢/٦٥٢ ح ٢٣٤٠) وأبو داود (ح ٢٣٥٧) والبيهقي في الكبرى (٥/٨٧٠ ح ١٠٣٠٩) والدارقطني (٣/٦٩ ح ٢٦١) وعبد الرزاق (٨/٢٢٢ ح ١٤١٤٤) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/٤١٩): أخرجه الدارقطني وغيره وإسناده قوي. وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٢) أخرجه البخاري (ح ٥٢) ومسلم (ح ١٥٩٩) وينظر: فتح الباري (١/١٢٧) (٤/٢٩٠-٢٩١) وشرح النووي (١١/٢٧).

بالنقد أو التأجيل. فإن وقع البيع مع التردد بين النقد والتأجيل، بأن لم يحصل الاتفاق الجازم على ثمن واحد محدد، فهو غير جائز شرعاً. ثانياً: لا يجوز شرعاً، في بيع الأجل، التنصيص في العقد على فوائد التقسيط، مفصولة عن الثمن الحال، بحيث ترتبط بالأجل، سواء اتفق العاقدان على نسبة الفائدة أم ربطها بالفائدة السائدة.

ثالثاً: إذا تأخر المشتري المدين في دفع الأقساط عن الموعد المحدد، فلا يجوز إلزامه بأي زيادة على الدين بشرط سابق أو دون شرط، لأن ذلك ربا محرم. رابعاً: يحرم على المدين المليء أن يماطل في أداء ما حل من الأقساط، ومع ذلك لا يجوز شرعاً اشتراط التعويض في حالة التأخر عن الأداء. خامساً: يجوز شرعاً أن يشترط البائع بالأجل حلول الأقساط قبل مواعيدها، عند تأخر المدين عن أداء بعضها، ما دام المدين قد رضي بهذا الشرط عند التعاقد.

سادساً: لا حق للبائع في الاحتفاظ بملكية المبيع بعد البيع، ولكن يجوز للبائع أن يشترط على المشتري رهن المبيع عنده لضمان حقه في استيفاء الأقساط المؤجلة.

٢/ قرر مجمع الفقه الإسلامي بالهند في ندوته الفقهية العاشرة في المدة: ٢١-٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ الموافق ٢٤-٢٧ أكتوبر ١٩٩٧م في حج هاؤس (بيت الحجاج) مومباي بولاية مهاراشترا (الهند): بشأن البيع بالتقسيط قرّرت الندوة ما يلي:

أولاً: تجوز زيادة ثمن السلعة في البيع نسيئة على ثمنه نقدًا، كما يصح مثل هذا البيع والشراء بشرط أن يكون الثمن والمدة معلومين عند إنجاز الصفقة. ثانياً: يدفع ثمن السلعة دفعة واحدة أو في أقساط، تجوز كلتا صورتين. ثالثاً: لا بد لصحة مثل هذا البيع والشراء أن يكون الثمن متعيناً عند إنجاز الصفقة، سواء كان المذكور في البداية الثمن المؤجل فقط، أو كلاً من الثمن المؤجل والمعجل.

رابعاً: لا تدخل زيادة الثمن في البيع نسيئة في حكم الربا، فكما يكون الثمن

المعين لسلعة في البيع الحالّ مقابل المبيع، كذلك يكون الثمن المعين في البيع نسيئةً مقابل المبيع.

**خامساً:** اشتراط زيادة شيء في صورة عدم أداء الثمن أو القسط في المدة المعينة، يأتي تحت حكم الربا، سواء كان ذلك مشروطاً عند إنجاز الصفقة، أو يطالب به فيما بعد....

**تاسعاً:** في صورة البيع بالتقسيط لو أمسك البائع المبيع عنده حتى يحصل على جميع الأقساط فهذا لا يصح، إلا إذا اتفق الطرفان على أن المبيع سيبقى عند البائع حتى تدفع إليه جميع الأقساط.

**عاشرًا:** بعد دفع بعض الأقساط في المدة المعينة لا يجوز للبائع في صورة عدم أداء الأقساط المتبقية أن يسترد السلعة المتباعة، ولا يرد الأقساط المدفوعة.

**حادي عشر:** لا يجوز اعتبار السلعة التي تم شراؤها رهنًا بعد تسليمها إلى المشتري، إلا أنه يجوز للبائع أن يأخذها من المشتري كرهن ثم يعيرها للمشتري..

**خامس عشر:** تجوز مطالبة أداء الدين قبل المدة المعينة في حالة عدم دفع الأقساط في الموعد المحدد، لأن أحد الطرفين قد خالف ما اتفقا عليه، فلا يجب الالتزام به على الطرف الآخر.

**سادس عشر:** تبقى الصفقة على حالها إن مات المدين (المشتري) قبل دفع جميع الأقساط، كما تبقى بوفاة الدائن، بشرط رضا البائع به.

**ثانيًا: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:**

١/ الهيئة الشرعية لمصرف الراجحي.

**عرض على الهيئة سؤال عن موضوع بيع التقسيط.**

فأجابت بما نصه: إن شراء الشركة لبضاعة وبيعها على عميل لها بيع أجل بالتقسيط جائز شرعًا.

٢/ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

عرض على اللجنة سؤال عن موضوع بيع التقسيط.

فأجابت بما نصه: البيع بالتقسيط جائز، ولا يلتفت إلى القول بعدم جوازه؛

لشذوذه، وعدم الدليل عليه.

### ١١. التسويق الشبكي

العناوين المرادفة: التسويق الهرمي.

#### التعريف بالمسألة:

يعتمد التسويق الشبكي على بيع المنتج من المصنع إلى المستهلك مباشرة، موفرًا بذلك مصروفات كثيرة للوسطاء، حيث تعتمد على مشاركة المستهلك لها في التسويق عن طريق ترويج المنتج لآخرين، وعليه يأخذ المستهلك من شركة التسويق عمولة مالية عن كل عدد تحدده الشركة بنظام معين.

#### حكم المسألة:

اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذا النوع من التسويق على اتجاهين: الرأي الأول: تحريم هذه المعاملة، وممن ذهب إلى ذلك اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ولجنة الإفتاء العام الأردنية، ومجمع الفقه الإسلامي بالسودان، ومركز الفتوى بموقع إسلام ويب. **أهم أدلة هذا الرأي:**

١/ أنها تضمنت الربا بنوعيه: ربا الفضل و ربا النسيئة، فالمشترك يدفع مبلغًا قليلاً من المال ليحصل على مبلغ كبير منه، فهي نقود بنقود مع التفاضل والتأخير، وهذا هو الربا المحرّم بالنص والإجماع، والمنتج الذي تبيعه الشركة للعميل ما هو إلا ستار للمبادلة، فهو غير مقصود للمشارك، فلا تأثير له في الحكم.

٢/ أنها من الغرر المحرّم شرعًا.

٣/ ما اشتملت عليه هذه المعاملة من أكل الشركات لأموال الناس بالباطل.

#### الرأي الثاني:

جواز التسويق الشبكي، وهو ما أفتت به دار الإفتاء المصرية وعدد من المعاصرين.

#### أهم أدلة هذا القول:

١/ الأصل في المعاملات المالية الحل، كما هو مقرر في قواعد الشريعة، قال

تعالى: في نفس الآية السابقة [البقرة: ٢٧٥]، ولا يعدو التسويق الشبكي أن يكون نوعاً من البيوع الجديدة، التي لم يأت نص من كتاب ولا سنة بالمنع منها، فترد إلى أصلها من الإباحة.

٢/ أنه من قبيل السمسرة المشروعة، فالشركة تعطي هذه العمولات مقابل الدلالة على منتجاتها وشرائها، شأنها شأن أصحاب العقار، الذين يخصصون جزءاً من مبلغ الأرض المباعة للوسيط، الذي قام بدلالة المشتري عليها.

٣/ أن العمولات في التسويق الشبكي يمكن جعلها أيضاً من باب الجعالة الجائزة، والتي يستحقها المشترك عند إتيانه بعملاء جدد للشركة.

قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

### أولاً: قرارات المجامع الفقهية:

أصدر مجمع الفقه الإسلامي السوداني فتوى حول التسويق الشبكي بالسودان:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِيُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]

بعد دراسة متأنية ومقابلات قامت بها دائرة الشؤون الاقتصادية والمالية بالمجمع مع المعنيين بالتسويق الشبكي والخبراء فيه من داخل وخارج السودان، سبق أن أصدر المجمع فتوى الحكم الشرعي في الاشتراك في شركة بزناس المحدودة، وما يشابهها من شركات التسويق الشبكي بتاريخ ٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ يوافق ٢٥ يونيو ٢٠٠٣ م. وقد تأكد للمجمع حينها أن مقصود الشركة هو بناء شبكة من الأفراد (في شكل متوالية هندسية أساسها اثنان)، تتسع قاعدتها في شكل هرم، صاحب الحظ فيه هو قمة الهرم، الذي تتكون تحته ثلاث طبقات، وتدفع فيه قاعدة الهرم مجموع عمولات الذين فوقهم. إن المنتج في شركات التسويق الشبكي ليس مقصوداً للمشاركين؛ وإنما المقصود الأول والدافع المباشر للاشتراك هو الدخل الذي يحصل عليه

المشترك من خلال هذا النظام. وعليه فإن التسويق الشبكي ليس سوى تجميع اشتراكات من أفراد تديرها شركة، ويدفع فيه الأشخاص الذين في أسفل الهرم حوافز من سبقهم في أعلى الهرم بالإضافة لعمولة الشركة، وقد اتضح أن الأغلبية الساحقة من المشتركين في أسفل الهرم مخاطرةً أبداً للدفع لمن فوقهم، وهم لا يدرون أتنكون تحتهم ثلاث طبقات، فيكسبون أم لا تتكون فيخسرون ما دفعوه للذين فوقهم. وهذا النوع من المخاطرة قمار لا شك فيه، فأصل القمار، كما يقول ابن تيمية (أن يؤخذ مال إنسان وهو على مخاطرة هل يحصل على عوضه أم لا).

ومال القمار في التسويق الشبكي مضمن في السلعة ومدسوس في ثمنها. وحلقات المقامرة في التسويق الشبكي متداخلة في حلقات قمار غير منتهية، الربح فيها هو السابق والمخاطر هو اللاحق في الشبكة.

### ولذلك أكدت فتوى المجمع على الآتي:

١/ أن الاشتراك في شركة بزناس وما يشابهها من شركات التسويق الشبكي، لا يجوز شرعاً، لأنه قمار.

٢/ أن نظام شركة بزناس وما يشابهها من شركات التسويق الشبكي لا صلة له بعقد السمسرة، كما تزعم الشركة، وكما حاولت أن توجي بذلك لأهل العلم من خارج السودان، الذين أفتوا بالجواز على أنه سمسرة من خلال الأسئلة التي وُجِّهت لهم، والتي صوّرت لهم الأمر على غير حقيقته.

بعد اجتماعات، وتقصي الدائرة الاقتصادية صدرت فتوى المجمع في نظام التسويق الشبكي، وأوصدت الجهات المختصة بالسودان الباب أمام شركات التسويق الشبكي ومقارماتها، التزمت بعض شركات التسويق الشبكي، ومنها شركة كويست نت بتعديل قوانينها بما يتماشى والشريعة الإسلامية للعمل بالسودان، وقد استجاب المجمع لذلك؛ ودخلت شركة كويست نت عبر وكيلها بالسودان، في حوارٍ طويلٍ مع المجمع، ممثلاً في دائرة الشؤون الاقتصادية والمالية، ومن ضمن اجتماعاتها التقت الدائرة بالسيد (تي جي) عضو مجلس إدارة شركة كويست نت، الذي حمل معه ملاحظات الدائرة

على خطة عمل الشركة، وبعد مكاتبات . عبر وكيلها بالسودان . أكدت من خلالها شركة كويست نت استعدادها لقبول التعديلات المطلوبة على خطة عملها، في السودان في مشروع يعرف بخطة السودان، أصدر المجمع الفتوى رقم ٦/د/٢/١٤٢٧هـ بتاريخ ٢١ شعبان ١٤٢٧هـ، التي أجاز فيها لشركة كويست نت للتسويق الشبكي العمل بالسودان، وفقاً للشروط الآتية:

١/ عدم اشتراط شراء المنتج لاعتماد مسوّقي منتجات الشركة.  
٢/ لا مانع من فرض رسوم لاعتماد مسوّقي الشركة، على ألا تتعدى التكلفة الحقيقية لأجرة الموقع بالشبكة الدولية، والخدمات الأخرى التي تتكفلها الشركة.

٣/ يحقّ لأي مسوّق الحصول على عمولة مباشرة عن كل مبيع تم بوساطته.  
٤/ لا مانع من أن تدفع الشركة للمسوّق بالإضافة للعمولات المباشرة، مكافأة النظام الشبكي، الذي يعتمد على النظام الثنائي وتحقيق التوازن في حساب العمولات.

٥/ تتعهد الشركة بعدم إجراء أي تعديل في النظام الخاص بالسودان، خاصةً قيمة الحافز (العمولة) إلاّ بعد الرجوع لمجمع الفقه الإسلامي بالسودان.

## ١٢ . التأمين الإلزامي

### التعريف بالمسألة:

أن تقوم الدولة بفرض تأمين على مواطنيها، لسياراتهم (مثلاً)، للسير في شوارع البلد، ومن لم يشترك فيه يكون عرضة للمسألة.

### حكم المسألة:

ذهبت لجنة الإفتاء العام الأردنية، إلى حرمة التأمين التجاري بجميع أنواعه، أما التأمين الإلزامي الذي لا مفرّ منه، فمعدور من أجبر على المشاركة فيه، وأما غير الإلزامي فلا تجوز المشاركة فيه، ما دام من نوع التأمين التجاري، وهو ميسر محرّم.

وذهب بعض الباحثين إلى أن التأمين الإجباري بأمر الدولة نوع من الضريبة، يدفع كما تدفع الضرائب الأخرى، ولم يعده تأميناً.

## القرارات والفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية والفتاوى العلمية: فتوى لجنة الإفتاء العام الأردنية.

سئلت اللجنة عن موضوع التأمين الإلزامي.  
فأجابت بما نصه:

التأمين التجاري محرم شرعاً، لما فيه من الربا والغرر والقمار، قال الله تعالى:  
نفس الآية السابقة [المائدة: ٩٠]. أما التأمين الإلزامي فترجو الله ألا ينال  
المشترك فيه إثم، لأنه مجبر عليه، ونصح الأخ السائل إن كان مضطراً للتأمين  
أن يلجأ إلى التأمين التكافلي، الذي يقوم وفق أحكام الشريعة الإسلامية،  
فلا بأس به. والله تعالى أعلم.

### ١٣. التأمين التجاري

العناوين المرادفة: التأمين ذو القسط الثابت.

#### التعريف بالمسألة:

عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي إلى المؤمن له (المستأمن) أو إلى المستفيد،  
الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغاً من المال، أو إيراداً مرتباً، أو أي عوض  
مالي آخر، في حالة وقوع الحادث، أو تحقق خطر مبين في العقد، وذلك في  
مقابل قسط، أو أي دفعة أخرى، يؤديها المؤمن له إلى المؤمن.

#### حكم المسألة:

اختلف المعاصرون في حكم التأمين التجاري على آراء، أهمها:  
الرأي الأول: تحريم التأمين التجاري مطلقاً، وممن قال بذلك من العلماء  
المعاصرين: مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، والمجمع الفقهي لرابطة العالم  
الإسلامي، واللجنة الدائمة للإفتاء، وهيئة كبار العلماء، وصدر به قرار  
المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي.

الرأي الثاني: إباحة التأمين التجاري مطلقاً، وقال به جمع من المعاصرين.  
الرأي الثالث: التفصيل، وممن فصل حرم بعض صورته، وأباح منه صوراً  
أخرى، وممن قال بذلك مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا.

## أهم أدلة القائلين بمنع التأمين التجاري مطلقاً:

١/ عقد التأمين من عقود المعاملات المالية الملزمة، على ما عرف من نظام التأمين، وهي مشتملة على الغرر، فكانت ممنوعة شرعاً.

٢/ عقد التأمين التجاري ضرب من ضروب المقامرة، لما فيه من المخاطرة في معاوضات مالية، ومن الغرم بلا جنائية أو تسبب فيها، ومن الغنم بلا مقابل أو مقابل غير مكافئ، فإن المستأمن قد يدفع قسطاً من التأمين، ثم يقع الحادث فيغرم المؤمن كل مبلغ التأمين، وقد لا يقع الخطر، ومع ذلك يغنم المؤمن أقساط التأمين بلا مقابل، وإذا استحكمت فيه الجهالة كان قماراً، ودخل في عموم النهي عن الميسر في قوله تعالى: نفس الآية السابقة [المائدة: ٩٠] والآية بعدها.

٣/ عقد التأمين التجاري يشتمل على ربا الفضل والنسيئة، فإن الشركة إذا دفعت للمستأمن أو لورثته أو للمستفيد أكثر مما دفعه من النقود لها فهو ربا فضل، والمؤمن يدفع للمستأمن بعد مدة فيكون ربا نسيئة، وإذا دفعت الشركة للمستأمن مثل ما دفعه لها يكون ربا نسيئة فقط، وكلاهما محرم بالنص والإجماع.

## أهم أدلة القائلين بجواز التأمين التجاري مطلقاً:

أ- استدلو بقياس عقود التأمين على عقد الموالاتة، وفسروه بأن يقول شخص مجهول النسب لآخر: أنت وليي، تعقل عني إذا جنيت، وترثني إذا أنا مت. أو أن يتفق شخص من غير العرب قد أسلم مع عربي مسلم على أن يلتزم العربي بالدية إذا جنى مولاه، ويلتزم غير العربي أن يرثه مولاه العربي إذا لم يكن له وارث سواه، ووجه الشبه بينه وبين التأمين أن العربي يتحمل جنائية غير العربي بعقد الموالاتة مقابل إرثه، والمؤمن يتحمل جنائيات المستأمن نظير ما يدفعه من أقساط التأمين، فالمؤمن نظير المسلم العربي في تحمل المسؤولية، والمستأمن نظير المولى المسلم من غير العرب فيما يبذل من أقساط أو إرث، وقد صحح الحنفية عقد ولاء الموالاتة، وأثبتوا به الميراث، وعقود التأمين وثيقة الصلة وقوية الشبه به، فتخرّج عليه، ويحكم لها بحكمه وهو الجواز.

ب- أن التأمين من ضرورات العصر الحاضر؛ لكثرة الأخطار والحوادث والكوارث، وقلة الموارد عند أغلب الناس، فيعجزون عن دفعها، والضرورات تبيح المحظورات، ومصلحة التأمين تغلب ما فيه من المفساد. دليل القائلين بالتفصيل بين أنواع التأمين، فمنهم من فرق بين التأمين على الحياة وما في معناها بقية أنواع التأمين التجاري، فحرم الأول ومنع من الثاني، واستدل لما منعه بأدلة المانعين للتأمين مطلقا، ولما أجازه بأدلة المجيزين له مطلقا.

### قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية:

#### أولا: قرارات المجامع الفقهية:

١/ قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من (١٠-١٦ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ / ٢٢-٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م) في قراره رقم ٩ (٢/٩)، قرر ما يلي: أولاً: إن عقد التأمين التجاري ذا القسط الثابت، الذي تتعامل به شركات التأمين التجاري، عقد فيه غرر كبير مفسد للعقد. ولذا فهو حرام شرعاً. ٢/ مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا في المدة من ١٣-١٧ مايو ٢٠٠٥م عقدت بحمد الله وتوفيقه الدورة التدريبية الثانية لأئمة المساجد والمراكز الإسلامية بالساحل الغربي للولايات المتحدة حول استثمار الأموال في الإسلام بمدينة سكرمنتو بولاية كاليفورنيا قرر ما يلي:

التأكيد على ما قرره المجامع الفقهية المعاصرة من حرمة التأمين التجاري بمختلف صورته، ومشروعية كل من التأمين التكافلي، الذي تقوم به شركات التأمين الإسلامية، والتأمين الاجتماعي الذي تقوم به الدول والمؤسسات العامة في واقعنا المعاصر إن المحرم من التأمين التجاري هو ما يكون مقصودا بالأصالة، أما ما كان منها تابعا لعقود أخرى فإنه لا يدخل في نطاق التحريم.

إن حرمة عقود التأمين ترجع في الأعم الأغلب إلى ما تنطوي عليه من الغرر،

وأنه يباح منها ما تقتضيه الحاجة الماسة إلى أن يتوافر البديل الإسلامي المنشود، لأن حرمة الغرر دون حرمة الربا، الذي لا يترخص فيه إلا عند الضرورات.

٣/ مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي الدورة الأولى، القرار الخامس: بعد الدراسة الوافية وتداول الرأي في ذلك قرر مجلس المجمع الفقهي بالإجماع عدا فضيلة الشيخ مصطفى الزرقا تحريم التأمين التجاري بجميع أنواعه، سواء كان على النفس أو البضائع التجارية أو غير ذلك للأدلة الآتية:

**الأول:** عقد التأمين التجاري من عقود المعاوضات المالية الاحتمالية، المشتملة على الغرر الفاحش، لأن المستأمن لا يستطيع أن يعرف وقت العقد مقدار ما يعطي أو يأخذ، فقد يدفع قسطاً أو قسطين، ثم تقع الكارثة فيستحق ما التزم به المؤمن، وقد لا تقع الكارثة أصلاً فيدفع جميع الأقساط ولا يأخذ شيئاً، وكذلك المؤمن لا يستطيع أن يحدد ما يعطي ويأخذ بالنسبة لكل عقد بمفرده، وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ النهي عن بيع الغرر. [أخرجه مسلم (١٥١٣)].

**الثاني:** عقد التأمين التجاري ضرب من ضروب المقامرة، لما فيه من المخاطرة في معاوضات مالية، ومن الغرم بلا جناية أو تسبب فيها، ومن الغنم بلا مقابل أو مقابل غير مكافئ، فإن المستأمن قد يدفع قسطاً من التأمين، ثم يقع الحادث فيغرم المؤمن كل مبلغ التأمين، وقد لا يقع الخطر، ومع ذلك يغمم المؤمن أقساط التأمين بلا مقابل، وإذا استحكمت فيه الجهالة كان قماراً، ودخل في عموم النهي عن الميسر في قوله تعالى: نفس الآية السابقة [المائدة: ٩٠]. والآية بعدها.

**الثالث:** عقد التأمين التجاري يشتمل على ربا الفضل والنسيئة، فإن الشركة إذا دفعت للمستأمن أو لورثته أو للمستفيد أكثر مما دفعه من النقود لها فهو ربا فضل، والمؤمن يدفع للمستأمن بعد مدة فيكون ربا نسيئة، وإذا دفعت الشركة للمستأمن مثل ما دفعه لها يكون ربا نسيئة فقط، وكلاهما محرم بالنص والإجماع.

**الرابع:** عقد التأمين التجاري من الرهان المحرم، لأن كلا منهما فيه جهالة وغرر ومقامرة، ولم يبح الشرع من الرهان إلا ما فيه نصرة للإسلام وظهوره، وقد حصر النبي ﷺ رخصة الرهان بعوض في ثلاثة بقوله: (لا سبق إلا في خوف أو حافر أو نصل)<sup>(١)</sup>، وليس التأمين من ذلك ولا شبيها به فكان محرماً.

**الخامس:** عقد التأمين التجاري فيه أخذ مال الغير بلا مقابل، والأخذ بلا مقابل في عقود المعاوضات التجارية محرم، لدخوله في عموم النهي في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النِّسَاء: ٢٩]

**السادس:** في عقد التأمين التجاري الإلزام بما لا يلزم شرعاً، فإن المؤمن لم يحدث الخطر منه، ولم يتسبب في حدوثه، وإنما كان منه مجرد التعاقد مع المستأمن على ضمان الخطر على تقدير وقوعه، مقابل مبلغ يدفعه المستأمن له، والمؤمن لم يبذل عملاً للمستأمن، فكان حراماً.

والراجح هو حرمة التأمين التجاري لقوة أدلة القائلين به، وإمكان الرد على أدلة الأقوال الأخرى.

## ١٤ . التأمين التعاوني

### التعريف بالمسألة:

التأمين التعاوني عقد جماعي يقوم بموجبه كل مشترك بدفع مبلغ من المال على سبيل التبرع؛ لتعويض الأضرار التي قد تصيب أيّاً منهم عند تحقق الخطر المؤمن عليه.

### حكم المسألة:

ذهب مجمع الفقه الإسلامي، والمجمع الفقهي الإسلامي، واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء إلى جواز التأمين التعاوني.

(١) أبو داود (رقم ٢٥٧٤) والترمذي (رقم ١٧٠٠) وقال: هذا حديث حسن

## أهم أدلة الجواز:

١/ أن قصد المشترك ثواب الله سبحانه وتعالى، بمساعدة المحتاج، ولم يقصد عائداً دنيوياً، وذلك داخل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَيْرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتِغُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة: ٢]

وفي قول النبي ﷺ: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) [أخرجه مسلم (٢٦٩٩)]، وهذا واضح لا إشكال فيه.

٢/ خلو التأمين التعاوني من المحاذير الموجودة في التأمين التجاري، وذلك لأنه تبرع وليس معاوضةً، وإنما يقصد منه التعاون على دفع الأضرار المحتملة. قرارات الجامع الفقهي والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

## أولاً: قرارات الجامع الفقهي:

١/ قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من (١٠-١٦ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ/ ٢٢-٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م) في قراره رقم ٩ (٢/٩)، قرر ما يلي: أن العقد البديل الذي يحترم أصول التعامل الإسلامي هو عقد التأمين التعاوني، القائم على أساس التبرع والتعاون، وكذلك الحال بالنسبة لإعادة التأمين القائم على أساس التأمين التعاوني.

٢/ مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الأولى: قرر مجلس المجمع بالإجماع الموافقة على قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من جواز التأمين التعاوني، بدلا عن التأمين التجاري المحرم، والمنوه عنه آنفاً، للأدلة الآتية:

الأول: أن التأمين التعاوني من عقود التبرع، التي يقصد بها أصالة التعاون

على تفتيت الأخطار، والاشتراك في تحمل المسؤولية عند نزول الكوارث، وذلك عن طريق إسهام أشخاص بمبالغ نقدية، تخصص لتعويض من يصيبه الضرر، فجماعة التأمين التعاوني لا يستهدفون تجارة ولا ربحاً من أموال غيرهم، وإنما يقصدون توزيع الأخطار، بينهم والتعاون على تحمل الضرر. **الثاني:** خلو التأمين التعاوني من الربا بنوعيه: ربا الفضل و ربا النسيئة، فليست عقود المساهمين ربوية، ولا يستغلون ما جمع من الأقساط في معاملات ربوية. **الثالث:** أنه لا يضر جهل المساهمين في التأمين التعاوني بتحديد ما يعود عليهم من النفع، لأنهم متبرعون، فلا مخاطرة، ولا غرر، ولا مقامرة، بخلاف التأمين التجاري، فإنه عقد معاوضة مالية تجارية.

**الرابع:** قيام جماعة من المساهمين أو من يمثلهم باستثمار ما جمع من الأقساط، لتحقيق الغرض الذي من أجله أنشئ هذا التعاون، سواء أكان القيام بذلك تبرعاً أم مقابل أجر معين.

ورأى المجلس أن يكون التأمين التعاوني على شكل شركة تأمين تعاونية مختلطة، للأمور الآتية:

**أولاً:** الالتزام بالفكر الاقتصادي الإسلامي، الذي يترك للأفراد مسؤولية القيام بمختلف المشروعات الاقتصادية، ولا يأتي دور الدولة إلا كعنصر مكمل لما عجز الأفراد عن القيام به، وكدور موجه ورقيب، لضمان نجاح هذه المشروعات وسلامة عملياتها.

**ثانياً:** الالتزام بالفكر التعاوني التأميني، الذي بمقتضاه يستقل المتعاونون بالمشروع كله من حيث تشغيله، ومن حيث الجهاز التنفيذي ومسئولية إدارة المشروع.

**ثالثاً:** تدريب الأهالي على مباشرة التأمين التعاوني، وإيجاد المبادرات الفردية، والاستفادة من البواعث الشخصية، فلا شك أن مشاركة الأهالي في الإدارة تجعلهم أكثر حرصاً ويقظة على تجنب وقوع الأخطار، التي يرفعون مجتمعين تكلفة تعويضها، مما يحقق ومن ثم مصلحة لهم في إنجاح التأمين التعاوني، إذ إن تجنب الأخطار يعود عليهم بأقساط أقل في المستقبل، كما أن وقوعها قد يحملهم أقساطاً أكبر في المستقبل.

**رابعاً:** إن صورة الشركة المختلطة لا تجعل التأمين كما لو كان هبة أو منحة من الدولة للمستفيدين منه بل بمشاركة منها معهم فقط، لحمايتهم ومساندتهم بوصفهم هم أصحاب المصلحة الفعلية، وهذا موقف أكثر إيجابية، ليشعر معه المتعاونون بدور الدولة، ولا يعفيهم في نفس الوقت من المسؤولية. ويرى المجلس أن يراعى في وضع المواد التفصيلية للعمل بالتأمين التعاوني على الأسس الآتية:

**الأول:** أن يكون لمنظمة التأمين التعاوني مركز له فروع في كافة المدن، وأن يكون بالمنظمة أقسام تتوزع بحسب الأخطار المراد تغطيتها، وبحسب مختلف فئات ومهن المتعاونين، كأن يكون هناك قسم للتأمين الصحي، وثان للتأمين ضد العجز والشيخوخة.. إلخ.

أو يكون هناك قسم لتأمين الباعة المتجولين، وآخر للتجار، وثالث للطلبة، ورابع لأصحاب المهن الحرة: كالمهندسين والأطباء والمحامين... إلخ

**الثاني:** أن تكون منظمة التأمين التعاوني على درجة كبيرة من المرونة والبعد عن الأساليب المعقدة.

**الثالث:** أن يكون للمنظمة مجلس أعلى، يقرر خطط العمل، ويقترح ما يلزمها من لوائح وقرارات تكون نافذة إذا اتفقت مع قواعد الشريعة.

**الرابع:** يمثل الحكومة في هذا المجلس من تختاره من الأعضاء، ويمثل المساهمين من يختارونه، ليكونوا أعضاء في المجلس، ليساعد ذلك على إشراف الحكومة عليها، واطمئنانها على سلامة سيرها، وحفظها من التلاعب والفسل.

**الخامس:** إذا تجاوزت الأخطار موارد الصندوق بما قد يستلزم زيادة الأقساط، فتقوم الدولة والمشترون بتحمل هذه الزيادة.

ويؤيد مجلس المجمع الفقهي ما اقترحه مجلس هيئة كبار العلماء في قراره المذكور بأن يتولى وضع المواد التفصيلية لهذه الشركة التعاونية جماعة من الخبراء المختصين في هذا الشأن.

## ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية: ١/ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

سئلت اللجنة عن موضوع التأمين التعاوني.

فأجابت بما نصه:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه..  
أما بعد:

صدر من هيئة كبار العلماء قرار بتحريم التأمين التجاري بجميع أنواعه؛ لما فيه من الضرر والأخطار العظيمة، وأكل أموال الناس بالباطل، وهي أمور يجرمها الشرع المطهر، وينهى عنها أشد النهي، كما صدر قرار من هيئة كبار العلماء بجواز التأمين التعاوني، وهو الذي يتكون من تبرعات من المحسنين، ويقصد به مساعدة المحتاج والمنكوب، ولا يعود منه شيء للمشاركين، لا رؤوس أموال، ولا أرباح، ولا أي عائد استثماري.

### ١٥. التأمين الصحي

التعريف بالمسألة:

اتفاق يلتزم بموجبه شخص أو مؤسسة تتعهد برعايته بدفع مبلغ محدد أو مقسط لجهة معينة، على أن تلتزم تلك الجهة بتغطية العلاج أو تغطية تكاليفه خلال مدة معينة.

حكم المسألة:

للمعاصرين في مسألة التأمين الصحي رأيان:

الرأي الأول: منع التأمين الصحي التجاري وإباحة التأمين الصحي التعاوني، وهو ما أفتت به اللجنة الدائمة للإفتاء، وهو ما ذهب إليه مجمع الفقه الإسلامي الدولي، وأضافوا كون التأمين الصحي مباشراً مع المؤسسة العلاجية بالضوابط، التي تجعل الغرر يسيراً مغتفرًا مع توافر الحاجة التي تُنزل منزلة الضرورة، لتعلق ذلك بحفظ النفس والعقل والنسل، وهي من



الضروريات التي جاءت الشريعة بصيانتها.

**الرأي الثاني:** منع التأمين الصحي التجاري إلا في حالات الضرورة، وهو ما ذهب إليه مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا والمجمع الفقهي الإسلامي بالهند. اختلف المعاصرون في حكم التأمين الصحي إلى رأيين: رأي بالجواز، ورأي بالحرمة.

**قرارات المجمع الفقهي والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.**  
**أولاً: قرارات المجمع الفقهي:**

**١/ قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته السادسة عشرة بدبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) ٣٠ صفر - ٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، الموافق ٩ - ١٤ نيسان (إبريل) ٢٠٠٥م.** بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع التأمين الصحي، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

**حكم التأمين الصحي:**

أ- إذا كان التأمين الصحي مباشرًا مع المؤسسة العلاجية فإنه جائز شرعًا بالضوابط التي تجعل الغرر يسيرًا مغتفرًا مع توافر الحاجة التي تُنزل منزلة الضرورة، لتعلق ذلك بحفظ النفس والعقل والنسل، وهي من الضروريات التي جاءت الشريعة بصيانتها.

**ومن الضوابط المشار إليها:**

- ١- وضع مواصفات دقيقة تحدد التزامات كل من الطرفين.
- ٢- دراسة الحالة الصحية للمستأمن، والاحتمالات التي يمكن التعرض لها.
- ب- إذا كان التأمين الصحي عن طريق شركة تأمين إسلامي (تعاوني أو تكافلي) تزاول نشاطها وفق الضوابط الشرعية، التي أقرها المجمع في قراره رقم ٩(٢/٩) بشأن التأمين وإعادة التأمين، فهو جائز.
- ج- إذا كان التأمين الصحي عن طريق شركة تأمين تجاري فهو غير جائز، كما نص على ذلك قرار المجمع المشار إليه أعلاه.

## ٤ - الإشراف والرقابة:

على الجهات المختصة القيام بالإشراف والرقابة على عمليات التأمين الصحي بما يحقق العدالة، ويرفع الغبن والاستغلال وحماية المستأمنين.

**التوصيات:**

**يوصي مجلس الجمع بما يلي:**

١ - دعوة الحكومات الإسلامية والجمعيات الخيرية ومؤسسات الأوقاف إلى توفير التأمين الصحي مجاناً أو بمقابل مناسب، لغير القادرين على الحصول على التأمين من القطاع الخاص.

٢ - عدم استخدام البطاقات الصحية إلا من أصحابها، لما في ذلك من مخالفة لمقتضيات العقود، وما تتضمنه من غش وتدليس.

٣ - التحذير من إساءة استخدام التأمين الصحي: كادعاء المرض أو كتمانها، أو تقديم بيانات مخالفة للواقع.

٤ - إدراج موضوع التأمين التعاوني (الإسلامي أو التكافلي) في دورات الجمع القادمة في ضوء ما توصلت إليه المؤتمرات والندوات الأخيرة والتطبيقات المتنوعة، التي ظهرت بعد إصدار الجمع قراره السابق.

**٢ / صدرت فتوى عن حكم التأمين الصحي من مجمع الفقه الإسلامي****بالهند بشأن التأمين الصحي:**

إن الشرع لا يقر القمار في أي صورة، والتأمين الصحي الرائج اليوم يدخل في القمار باعتبار مآله، وهو الذي حول العلاج فيه من خدمة إلى تجارة رابحة، وانطلاقاً من هذه الحقيقة قرر الجمع ما يلي:

١ - أن التأمين الصحي هو كأنواع التأمين الأخرى، يحتوي على المحرمات الشرعية، فلا يجوز في الظروف العادية، ولا فرق في الحكم بين مؤسسات التأمين الحكومية وغير الحكومية.

٢ - في حالات الإكراه القانوني يجوز التأمين الصحي، ولكنه يجب على المستطيع إذا استفاد في علاجه بأكثر من مبلغه أن يتصدق بقدره دون نية الثواب.

٣- يمكن توفير البديل الإسلامي للتأمين الصحي، فينبغي للمسلمين إنشاء مؤسسة كهذه، تهدف إلى علاج المحتاجين وإعانتهم.

### ٣/ مجمع فقهاء الشريعة أمريكا:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد: فإن الأصل في عقود التأمين التجاري سواء أكان تأميناً صحياً أو غيره أنها من العقود الفاسدة، نظراً لما يكتنفها من الغرر الفاحش، فإن كل طرف لا يعرف سلفاً ما الذي سيبيدله وما الذي سيأخذه، ولا يباح من ذلك إلا ما تلزم به القوانين، نظراً لجانب الإكراه، أو ما يكون من ذلك من العقود التابعة، لأنه يغتفر تبعاً ما لا يغتفر ابتداءً واستقلالاً، أو ما تمس الحاجة إليه عند انعدام البدائل. ولما كان التأمين الصحي من الحاجات العامة الماسة، وقد يرتقي في بعض الحالات إلى مستوى الضرورات، فإنه يترخص فيه إلى أن تتوافر البدائل المشروعة، وعلى هذا فأرجو ألا حرج في الاستفادة من هذا التأمين، لا سيما مع الظروف الصحية التي طرأت في حياة الزوج، نسأل الله جل وعلا أن يجمع له بين الأجر والعافية، وأن يسمح عليه بيمينه الشافية، والله تعالى أعلى وأعلم.

ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:

### ١/ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

سئلت اللجنة عن موضوع التأمين الصحي التجاري؛ فأجابت بما نصه:  
بالنظر في العقد المذكور، تبين أنه مشتمل على غرر ومقامرة، وأنه من أنواع التأمين الصحي التجاري، وعليه فيكون محرماً، فلا يجوز التعامل به.

### ١٦. التأمين على السيارات

التعريف بالمسألة:

أن يقوم صاحب السيارة، بدفع مبلغ من المال، لشركة التأمين، مقابل تأمين السيارة إما ضد الغير أو تأميناً شاملاً، ويكون ذلك إلزامياً في بعض الدول أو أغلبها.

## حكم المسألة:

اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذه المسألة على اتجاهين:  
**الرأي الأول:** التحريم، وإليه ذهب بعض العلماء المعاصرين، لما في التأمين التجاري من محاذير، أولها الغرر.

**الرأي الثاني:** الجواز للضرورة، وإليه ذهب الهيئة الشرعية ببيت التمويل، لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ [الأنعام: ١١٩]

**القرارات والفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية الفتاوى العلمية:**

١ / فتوى الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي.

عرض على الهيئة سؤال عن موضوع التأمين على السيارات.  
 فأجابت بما نصه:

إن القول بمنع التأمين مطلقاً أو بإباحته مطلقاً بعيد عن الحق، والذي يطمئن إليه قلبي أن عقد التأمين إذا كان في حدود الضرر الفعلي الواقع على المؤمن له من غير أن يكون هناك غرر أو تدليس، فإنه يكون جائزاً. أما التأمين الذي لا يراعي في تقدير التعويض الضرر الفعلي أو أن يكون هناك غرر فاحش، كالتأمين على الحياة وما في معناه فإنه يكون ممنوعاً، لأن مثل هذا التأمين لا يراعي فيه إلا مقدار القسط الذي يدفعه المؤمن، وأيضاً فإن الضرر الواقع على المؤمن له أو على ورثته غير منضبط فيكون فيه غرر فاحش بخلاف التأمين الشامل على السيارات فإن تقدير التعويض - كما أعلم - يراعي فيه مقدار الضرر، فالمؤمن له لا يستحق لدى شركة التأمين إلا أقل من قيمة الضرر، أو الحد الأعلى المنصوص عليه في عقد التأمين، وعليه فلا غرر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٢ / قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.  
 عرض على اللجنة أيضاً سؤال عن موضوع التأمين على العمال ضد

الحوادث والأخطار.  
فأجابت بما يلي:

يجوز التأمين على السيارات ضد الغير تأمينًا شاملاً، إذا كان التعويض في حدود الضرر الفعلي لا أكثر، وإذا جرى التأمين على السيارات أو غيرها في الممتلكات أو الأموال بالصورة المشروعة، فإن الأرباح تكون حلالاً، ما لم يداخلها شرط آخر غير مشروع. والله أعلم.

### ١٧. إبدال الذهب الرديء بالجيد مع إعطاء الفرق

التعريف بالمسألة:

أن يقوم شخص بإبدال مصوغات ذهبية قديمة، بمصوغات جديدة من محلات بيع الذهب، ويدفع فرق السعر بين القديم والجديد.  
حكم المسألة:

اختلفت الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية في حكم هذه المعاملة على قولين:

**القول الأول:** التحريم، وهو فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - والشيخ ابن عثيمين - رحمه الله.  
أهم أدلة هذا القول:

١/ قوله ﷺ: (الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدا بيد)<sup>(١)</sup>.  
٢/ وقوله ﷺ: (من زاد أو استزاد فقد أربى)<sup>(٢)</sup>.

٣/ وثبت عنه ﷺ (أنه أتى بتمر جيد فسأل عنه، فقالوا: كنا نأخذ الصاع بصاعين، والصاعين بثلاثة، فأمر النبي ﷺ برد البيع، وقال: هذا عين الربا) ثم أرشدهم أن يبيعوا التمر الرديء، ثم يشتروا بالدرهم تمراً جيداً<sup>(٣)</sup>.

٤/ مما يدل على أن الجودة والحداثة لا أثر لهما في الربويات، وكذلك

(١) رواه مسلم (ح ٥٥)

(٢) أخرجه مسلم (ح ١٥٨٤)

(٣) رواه البخاري (ح ٦٩١٨) ومسلم (ح ١٥٩٣)

الصياغة ما رواه مالك عن مجاهد قال: كنت مع عبد الله بن عمر، فجاءه صائغ، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إني أصوغ الذهب ثم أبيع الشيء من ذلك بأكثر من وزنه، فأستفضل من ذلك قدر عمل يدي. فنهاه عبد الله عن ذلك، فجعل الصائغ يردد عليه المسألة وعبد الله ينهاه حتى انتهى إلى باب المسجد أو إلى دابة يريد أن يركبها ثم قال عبد الله بن عمر: الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما، هذا عهد نبينا إلينا، وعهدنا إليكم. رواه مالك (ح ٢٣٣٤)، وكلام ابن عمر صريح الدلالة على الحكم، مع صحة السند والتصريح بالرفع إلى النبي ﷺ.

٥/ أن الخلاف في ذلك مسبق بإجماع، فقد قال ابن جزى: (تحرم النسيئة إجماعاً في بيع الذهب بالفضة، وهو الصرف، وفي بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة، سواء كان ذلك مبادلة في المسكوك أو مراطة في المسكوك أو المصوغ أو النقار، فلا يجوز التأخير في شيء من ذلك كله بل يجب أن يكون يدا بيد)، وقال أبو عبد الله الدمشقي: (وأجمع المسلمون على أنه لا يجوز بيع الذهب بالذهب منفرداً، والورق منفرداً، تبرها ومضروبها وحليها، إلا مثلاً بمثل وزناً بوزن يدا بيد، وأنه لا يباع شيء منها غائب بناجز) وما نسبه بعض المتأخرين لابن تيمية وغيره من إباحة بيع الذهب المصوغ بالمصوغ متفاضلاً غير صحيح، بل الخلاف في بيع المصوغ بجنسه غير المصوغ، كالحلي من الذهب بذهب دنانير، وجمهور العلماء من الأئمة الأربعة على اشتراط التماثل في هذا أيضاً وأنه لا أثر للصياغة، ونقل ابن رشد إجماع الجمهور عليه.

**القول الثاني:** جواز هذه المعاملة، وهو فتوى مجلس الإفتاء العام الأردني وفتوى دار الإفتاء المصرية، وجاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي عدم جواز مبادلة الذهب المصوغ بذهب مصوغ، أكثر مقداراً منه، لأنه لا عبرة في مبادلة الذهب بالذهب بالجودة، أو الصياغة، وجواز المبادلة بين مقدار من الذهب ومقدار آخر أقل منه، مضموم إليه جنس آخر، وذلك على وصف أن الزيادة في أحد العوضين مقابلة بالجنس الآخر في العوض الثاني.

## أهم أدلة هذا القول:

١/ أن الحلية من الذهب صارت بالصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان، فلا يجري فيها الربا، لأنها خرجت عن مقصود الأثمان، وأعدت للتجارة، فلا محذور في بيعها بجنسها بالتفاضل.

٢/ الذهب المصوغ يفضل الذهب غير المصوغ بالصنعة، لهذا جاز بيعه متفاضلاً، ويجعل الزائد في مقابل الصنعة.

## قرارات الجامع الفقهي والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية:

## أولاً: قرارات الجامع الفقهي:

قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره التاسعة (أبوظبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة من ١-٦ ذي القعدة ١٤١٥ هـ، الموافق ١-٦ نيسان (إبريل) ١٩٩٥ م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: «تجارة الذهب، الحلول الشرعية لاجتماع الصرف والحوالة»، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

## أولاً: بشأن تجارة الذهب:

أ/ يجوز شراء الذهب والفضة بالشيكات المصدقة، على أن يتم التقابض بالمجلس.

ب/ أكد ما ذهب إليه عامة الفقهاء، من عدم جواز مبادلة الذهب المصوغ بذهب مصوغ، أكثر مقداراً منه، لأنه لا عبرة في مبادلة الذهب بالذهب بالجودة، أو الصياغة، لذا يرى المجمع عدم الحاجة للنظر في هذه المسألة، مراعاة لكون هذه المسألة لم يبق لها مجال في التطبيق العملي، لعدم التعامل بالعملات الذهبية، بعد حلول العملات الورقية محلها، وهي إذا قوبلت بالذهب تعد جنساً آخر.

ج/ تجوز المبادلة بين مقدار من الذهب ومقدار آخر أقل منه، مضموم إليه جنس آخر، وذلك على وصف أن الزيادة في أحد العوضين مقابلة بالجنس الآخر في العوض الثاني...

ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:

١/ قرار مجلس الإفتاء العام الأردني.

ورد إلى مجلس الإفتاء العام الأردني، سؤال يتعلق بموضوع إبدال الذهب الرديء بالجيد مع إعطاء الفرق. فأجاب بما نصه:

رأى المجلس جواز بيع المصوغ من الذهب بجنسه متفاضلاً، ويجعل الزائد في مقابل الصنعة، سواء كان البيع حالاً أو مؤجلاً ما لم يقصد به الأثمان، وإلى هذا ذهب الإمامان ابن تيمية وابن القيم، وبه قال الحسن وإبراهيم والشعبي ومعاوية بن أبي سفيان.

ومن الأدلة على ذلك:

١/ أن الحلية المباحة من الذهب صارت بالصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع، لا من جنس الأثمان، فلا يجري فيها الربا، لأنها خرجت عن مقصود الأثمان، وأعدت للتجارة، فلا محذور في بيعها بجنسها بالتفاضل. ٢/ الذهب المصوغ يفضل الذهب غير المصوغ بالصنعة، لهذا جاز بيعه متفاضلاً، ويجعل الزائد في مقابل الصنعة.

٣/ القول بمنع هذا النوع من البيع فيه تعطيل لمصالح العباد، لأن هذا يعني أن يتوقف الذين يصوغون الذهب عن عملهم، لكونهم لا يستفيدون شيئاً مقابل جهدهم في الصنعة إذا كانوا سيبيعون الذهب بمثله دون أي تفاضل.

٤/ تحمل أحاديث النهي عن بيع الذهب ببعضه متفاضلاً في حالة ما إذا قصد به الأثمان، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الذهب بالذهب وزناً بوزن مثلاً بمثل، فمن زاد أو استزاد فهو ربا)؛ وذلك لأن علة تحريم الربا في الذهب والفضة الثمنية، فإذا خرجا عن كونهما أثماناً جاز بيع بعضها ببعض متفاضلين.

كما تحمل أحاديث النهي أيضاً على ما حرم استعماله من الذهب والفضة، كالأنية، ولبس الذهب للرجال، لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الأكل في آنية الذهب



والفضة<sup>(١)</sup> ونهيه عن لبس الذهب للرجال<sup>(٢)</sup>.  
وتحمل أحاديث النهي أيضاً على ما لم تدخل فيه صنعة الإنسان، كالتمر،  
فإن رديء التمر وجيده من صنع الله عز وجل، ولا أثر لصنعة الإنسان فيه،  
لذا حرم بيع بعضه ببعض متفاضلاً.

ويدل على هذا حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
استعمل رجلاً - اسمه سواد بن غزية - على خيبر، فجاء بتمر جنيب . أي  
طيب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكل تمر خيبر هكذا؟ فقال: لا والله يا رسول  
الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال النبي  
صلى الله عليه وسلم: (لا تفعل، بع الجمع . أي التمر الرديء . بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم  
جنيباً)<sup>(٣)</sup>.

ومع قولنا بالجواز في هذا الموضوع إلا أنه ينبغي الأخذ بالأحوط، وذلك  
بعدم التعامل في هذا النوع من المعاملة إلا عند الضرورة، ويقدر ما تدعو  
إليه الحاجة؛ والله تعالى أعلم.

## ٢ / فتاوى دار الإفتاء المصرية.

وقد ورد سؤال إلى دار الإفتاء المصرية، عن موضوع إبدال الذهب الرديء  
بالجيد مع إعطاء الفرق. فأجابت بما نصه:

ورد النهي النبوي عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة نسيئة، أو  
متفاضلاً، في عدة أحاديث، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وغيره أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا الفضة  
بالفضة إلا مثلاً بمثل، ولا تفضّلوا بعضهما على بعض، ولا تبيعوا منها غائباً  
بناجز)<sup>(٤)</sup>، وذلك لعلة النقدية، وكوئهما أثماناً - وسيطاً للتبادل.

أما الذهب والفضة المصوغان، فإنهما خرجا بذلك عن كوئهما أثماناً  
- وسيطاً للتبادل - وانتفت عنهما علة النقدية، التي توجب فيهما شرط  
التماثل، وشرط الحلول والتقابض، ويترتب عليها تحريم التفاضل، وتحريم البيع

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٤٢٦) ومسلم (رقم ٢٠٦٨).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٤٣٦/٥) رقم ٩٤٤٦ وأبو داود (رقم ٤٠٥٧) والترمذي (رقم ١٧٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٨٩) ومسلم (١٥٩٣).

(٤) البخاري (٢٠٦٨) ومسلم (١٥٨٤).

الآجل، فصارا كأبي سلعة من السلع التي يجري فيها اعتبار قيمة الصنعة، وهي هنا «الصياغة»؛ إذ من المعلوم أن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، وهذا مذهب الحافظ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما، وهو منقول عن معاوية رضي الله عنه وأهل الشام، وتُقل أيضًا عن الإمام مالك، وذكره ابن قدامة عن الحنابلة، حيث جَوَّزُوا إعطاء الأجر على الصياغة، وعمل الناس عليه، كما في «الإنصاف» للمرداوي، وهذا كله بشرط ألا تكون الصياغة محرمة كالمشغولات الذهبية، التي من شأنها ألا يلبسها إلا الذكور، من غير أن تكون لهم رخصة فيها.

قال ابن القيم في «إعلام الموقعين»: «الحلية المباحة صارت بالصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع، لا من جنس الأثمان، ولهذا لم تجب فيها الزكاة، فلا يجري الربا بينها وبين الأثمان، كما لا يجري بين الأثمان، وبين سائر السلع، وإن كانت من غير جنسها، فإن هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان، وأعدت للتجارة، فلا محذور في بيعها بجنسها».

وبناءً على ما سبق: فإنه لا مانع شرعًا من مبادلة الذهب القديم، أو الكسر بالذهب الجديد، أو المصوغ، مع الاقتصار على دفع الفرق بينهما، دون اشتراط أخذ ثمن القديم أولًا، ثم دفع ثمن الجديد بعد ذلك؛ حيث ارتفعت عنه علة النقدية وتحقق فيه معنى الصنعة والصياغة، التي تجعله كأبي سلعة من السلع، التي لا يحرم فيها التفاضل ولا البيع الآجل. والله سبحانه وتعالى أعلم.

## ١٨. اقتراض الذهب

### التعريف بالمسألة:

أن يقدم البنك، أو التاجر إلى عميله قرضًا بالذهب محسوبًا بالوزن، فيقترض مثلاً مئة كيلو غرام من الذهب أو أكثر أو أقل قرضًا محدد الأجل ودون فائدة ربوية، وعندما يحل الأجل فما على هذا العميل إلا أن يرد للبنك، أو التاجر مثل ذلك الذهب لا عينه، أو قيمته.

**حكم المسألة:**

ذهبت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ودار الإفتاء المصرية، إلى جواز إقراض الذهب، لما فيه من التعاون بين المسلمين، وقد حث الله على ذلك، وليس للدائن إلا الذهب الذي أقرضه فقط، سواء ارتفع سعره أو انخفض.

**القرارات والفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:****١ / فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.**

ورد للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء سؤال عن موضوع اقتراض الذهب. فأجابت بما نصه:

يجوز لكم أن تقرضوا الذهب بالكيلو أو بالنقد، ويعيده لكم الجنيهات عدداً، وغيرها من القطع الذهبية وزناً، على ما استلمه منكم عليه، ولا شيء في ذلك إن شاء الله، فالتعاون مطلوب بين المسلمين، وليس لكم إلا الذهب الذي أقرضتم فقط، سواء ارتفع سعره أو انخفض. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

**٢ / فتاوى دار الإفتاء المصرية (أمانة الفتوى).**

ورد للدار سؤال عن موضوع اقتراض الذهب. فأجابت بما نصه:

الأصل أن يكون سدادُ الذهبِ المقرضِ ذهباً بنفس وزنه، فإذا قَبِلَ المقرضُ أداءَ القرضِ بالقيمة، فيكون بقيمته وقت الأداء لا وقت الاقتراض؛ لأن الأصل هو أدائه ذهباً؛ والله سبحانه وتعالى أعلم.

**١٩ . بيع الخواتم الذهبية للرجال****التعريف بالمسألة:**

أن تقوم محلات الذهب ببيع الذهب المخصص بلبس الرجال، إذا تيقن التاجر أن المشتري سيلبسها، أو غلب على ظنه ذلك.

## حكم المسألة:

ذهبت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ولجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية، إلى منع بيع خواتيم الذهب للرجال؛ لأن خاتم الذهب محرم على الرجال؛ وللنهى عن التعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى لا تعاونوا على الإثم والعدوان) [المائدة: ٢].

القرارات والفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية والفتاوى العلمية:

### قرارات الهيئات الشرعية:

#### ١/ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

سئلت اللجنة عن موضوع بيع الخواتيم الذهبية للرجال. فأجابت بما نصه: لا يجوز بيع خواتم الذهب المخصصة للرجال إذا كانوا يلبسونها، وقول أصحاب المحلات: إنهم لا يبيعونها على المسلمين. لا يبرر عملهم، فهم في ديار الإسلام، وعلى من كان فيها ألا يتعامل إلا بما تجيزه شريعته المطهرة، وهذه الحجة نظير حجة من يبيع الخمر، ويقول: لا أبيعها إلا على الكفار؛ لأن خاتم الذهب محرم على الرجال. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

#### ٢/ فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية.

سئلت اللجنة عن موضوع بيع الخواتيم الذهبية للرجال. فأجابت بما نصه:

إنه يجوز لبس الساعة المطلية بالذهب، إذا كان يسيراً، بحيث لا يمكن استخلاصه منها، أما إذا كانت في الساعة أجزاء من الذهب الخالص، فإنه لا يجوز للرجال لبسها مطلقاً، ويجوز لبسها للنساء دون الرجال، وينطبق على البيع ما ينطبق على اللبس من أحكام.

## ٢٠. بيع الذهب بالتقسيط

## التعريف بالمسألة:

أن يباع الذهب المصوغ بعملة أخرى بأقساط شهرية أو سنوية على حسب الاتفاق.

## حكم المسألة:

اختلف العلماء رحمهم الله في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: الجواز، وقال به شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم؛ لأن الذهب المصوغ، خرج من الثمنية إلى كونه سلعة، فلا تجري الربا بينه وبين الأثمان، وهو الذي أفتت به دار الإفتاء المصرية: إن الذهب المصوغ يجوز بيعه بالأقساط، لأنها بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان، وأعدت للتجارة، فلا محذور في بيعها بجنسها.

## أدلة هذا القول:

الدليل الأول: حاجة الناس إلى بيع الذهب والفضة بعد الصياغة، ولا وسيلة إلى ذلك إلا بالزيادة في مقابل الصنعة.

الدليل الثاني: القياس على العرايا، وهي بيع الرطب بالتمر في حدود خمسة أوسق؛ لتفكه بالرطب، والحاجة في المصوغ أكبر.

القول الثاني: التحريم، وهو مذهب الفقهاء في المذاهب الأربعة، وحكي الإجماع عليه.

## أدلة هذا القول:

الدليل الأول: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الذهب بالذهب تبرها وعينها، والفضة بالفضة تبرها وعينها، والبر بالبر مدي بمدي، والشعير بالشعير مدي بمدي، والتمر بالتمر مدي بمدي، والملح بالملح مدي بمدي، فمن زاد أو ازداد فقد أربى، ولا بأس ببيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب، فممن يدا بيد، وأما نسيئة فلا، ولا بأس ببيع البر بالشعير، والشعير أكثرهما يدا بيد، وأما نسيئة فلا<sup>(١)</sup>.» دل الحديث على تحريم ربا النسيئة في بيع الربوي

(١) رواه أبو داود (ح ٣٣٤٩)

بجنسه ولو كان مضروبا أو مصوغا، ومن تبويبات البيهقي: (باب: لا يباع المصوغ من الذهب والفضة بجنسه بأكثر من وزنه استدلالا بما مضى من الأحاديث الثابتة في الربا) السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٤٧٧).

الدليل الثاني: عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: اشترت يوم خيبر قلادة باثني عشر دينارا، فيها ذهب وخرز، ففصلتها، فوجدت فيها أكثر من اثني عشر دينارا، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «لا تباع حتى تفصل»<sup>(١)</sup>.

الدليل الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدينار بالدينار، والدرهم بالدرهم، لا فضل بينهما»<sup>(٢)</sup>.

الدليل الرابع: عن مجاهد، أن صائغا سأل ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني أصوغ، ثم أبيع الشيء بأكثر من وزنه، وأستفضل من ذلك قدر عملي، أو قال عمالتي، فنهاه عن ذلك، فجعل الصائغ يرد عليه المسألة، ويأبى ابن عمر حتى انتهى إلى بابه، أو قال: باب المسجد، فقال ابن عمر: «الدينار بالدينار، والدرهم بالدرهم، لا فضل بينهما، هذا عهد نبينا صلى الله عليه وسلم إلينا وعهدنا إليكم»<sup>(٣)</sup>.

## ٢١. التخلص من مال الربا إذا اختلط بالمال الحلال

العناوين المرادفة: تطهير المال المختلط.

### التعريف بالمسألة:

أن يكون لشخص مال حلال، فيختلط معه مال حرام، ويريد التخلص من النسبة الموجود فيه من الحرام، بعد أن تاب إلى الله عز وجل، سواء كان هذا المال في بنك، أو غيره.

### حكم المسألة:

ذهب قطاع الإفتاء بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية إلى أنه يخرج ما يوازي المال الحرام تخلصا منه، يدفعه إلى قريب من أقاربه، أو يصرفه في مجال من مجالات الخير، لا على نية التصديق به، وإنما بهدف التخلص منه.

(١) [رواه مسلم (ح ١٥٩١)]

(٢) [ذكره مالك في باب بيع الذهب بالفضة تبرا وعينا ح ٢٣٣٢]

(٣) [رواه مالك كما سبق وهذا لفظ عبد الرزاق (ح ١٤٥٧٤)]

### الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:

سئلت لجنة الاستفتاء بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية عن موضوع التخلص من مال الربا إذا اختلط بالمال الحلال.

### فأجابت بما يلي:

تنفق تلك المرأة في سبيل الخير مبلغاً من المال يغلب على ظنّها أنه يقابل ما تحصل من الربا، ولها أن تحتسب من ذلك ما أنفقته سابقاً في جهات الخير، ومن ذلك ما وضعته سابقاً في بناء المساجد، وليس لها أن تضع من الآن فصاعداً شيئاً من هذه المبالغ في بناء المساجد ولا طبع المصاحف. والله أعلم.





## الفصل الثالث

- المبحث الأول: القرآن: سورة العنكبوت ١٠-١٣
- المبحث الثاني: علوم الحديث/المُدلس، المضطرب، الشاذ، المنكر
- المبحث الثالث: الدعوة/ القاعدة الثانية عشرة





## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ١٠-١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِّنْ خَطَايَهُمْ مِّن شَيْءٍ ؕ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ؕ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴿

[العنكبوت: ١٠ - ١٣]

ثم يرسم صورة كاملة لنموذج من النفوس في استقبال فتنة الإيذاء بالاستخذاء، ثم الادعاء العريض عند الرخاء. يرسمها في كلمات معدودات، صورة واضحة الملامح بارزة السمات:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ»..

ذلك النموذج من الناس، يعلن كلمة الإيمان في الرخاء يحسبها خفيفة الحمل، هينة المئونة، لا تكلف إلا نطقها باللسان، «فإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ» بسبب الكلمة التي قالها وهو آمن معاني «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» فاستقبلها في جزع، واختلت في نفسه القيم، واهتزت في ضميره العقيدة وتصور أن لا عذاب بعد هذا الأذى الذي يلقاه، حتى عذاب الله وقال في نفسه: ها هو ذا عذاب شديد أليم ليس وراءه شيء، فعلام أصبر على الإيمان، وعذاب الله لا يزيد على ما أنا فيه من عذاب؟ وإن هو إلا الخلط

بين أذى يقدر على مثله البشر، وعذاب الله الذي لا يعرف أحد مداه. هذا موقف ذلك النموذج من الناس في استقبال الفتنة في ساعة الشدة. «وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ»! إنا كنا معكم.. وذلك كان موقفهم في ساعة العسرة من التخاذل والتهافت والتهراوي، وسوء التصوير وخطأ التقدير. ولكن حين يجيء الرخاء تنبث الدعوى العريضة، وينتفش المنزورون المتخاذلون، ويستأسد الضعفاء المهزومون، فيقولون: «إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ»! «أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ؟»..

أو ليس يعلم ما تنطوي عليه تلك الصدور من صبر أو جزع، ومن إيمان أو نفاق؟ فمن الذي يخدعه هؤلاء وعلى من يموهون؟

«وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ»..

وليكشفنهم فيعرفون فما كانت الفتنة إلا ليتبين الذين آمنوا ويتبين المنافقون. ونقف لحظة أمام التعبير القرآني الدقيق وهو يكشف عن موضع الخطأ في هذا النموذج من الناس حين يقول: «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ».. فليست الغلطة أن صبرهم قد ضعف عن احتمال العذاب، فمثل هذا يقع للمؤمنين الصادقين في بعض اللحظات - وللطاقة البشرية حدود - ولكنهم يظنون يفرقون تفرقة واضحة في تصورهم وشعورهم بين كل ما يملكه البشر لهم من أذى وتنكيل، وبين عذاب الله العظيم فلا يختلط في حسهم أبداً عالم الفناء الصغير وعالم الخلود الكبير، حتى في اللحظة التي يتجاوز عذاب الناس لهم مدى الطاقة وجهد الاحتمال.. إن الله في حس المؤمن لا يقوم له شيء، مهما تجاوز الأذى طاقته واحتماله.. وهذا هو مفرق الطريق بين الإيمان في القلوب والنفاق.

وأخيرا يعرض فتنة الإغواء والإغراء ويعرض معها تصور الذين كفروا للتبعية والجزاء ويقرر فردية التبعية وشخصية الجزاء. وهو المبدأ الإسلامي الكبير، الذي يحقق العدل في أجلى مظاهره، وأفضل أوضاعه:

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ

أَثْقَالِهِمْ، وَلَيَسْتَأْتُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ»..

وقد كان الذين كفروا يقولون هذا تمشياً مع تصورهم القبلي في احتمال العشيرة للديات المشتركة والتبعات المشتركة. يحسبون أنهم قادرون على احتمال جريرة الشرك بالله عن سواهم وإعفائهم منها. ذلك إلى التهكم على قصة الجزاء في الآخرة إطلاقاً: «اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ».. ومن ثم يرد عليهم الرد الحاسم، فيرد كل إنسان إلى ربه فرداً، يؤاخذه بعمله، لا يحمل أحد عنه شيئاً: «وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ»..

ويجبههم بما في قولتهم هذه من كذب وادعاء: «إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ»..

ويحملهم وزر ضلالهم وشركهم وافتراءهم، ووزر إضلالهم للآخرين. دون أن يعفي هؤلاء من تبعة الضلال:

(وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَأْتُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ).

ويغلق هذا الباب من أبواب الفتنة فيعلم الناس أن الله لا يحاسبهم جماعات. إنما يحاسبهم أفراداً، وأن كل امرئ بما كسب رهين..



## المبحث الثالث

### علوم الحديث: المدلس-المضطرب-الشاذ-المنكر

#### ٤ - المدلس

تعريفه: التدليس في اللغة إخفاء العيب عن المشتري.

والتدليس في الاصطلاح: أن يروي المحدث عن لقيه ولم يسمع منه، أو من سمع منه ما لم يسمعه منه، أو يسمي شيخه أو يكنيه أو يلقبه بما لا يعرف به، وإن كان هذا الاسم أو اللقب أو الكنية له في الحقيقة. فالتدليس قائم على الإيهام الذي يجعل صورة الحديث صورة الحديث المتصل، وقد يكون منقطعاً. أو صورة الحديث الصحيح وهو في الحقيقة ضعيف.

وهو نوعان اشتمل عليهما التعريف:

#### النوع الأول: تدليس الإسناد:

وسمي بذلك لأنه يعيب الإسناد بعيب الانقطاع. وذلك عندما يروي المحدث عن شيخ لقيه مجرد لقاء لا سماع فيه، ثم يقول: عن فلان، فهذا يوهم بأن الراوي الحديث مباشرة، وفي الحقيقة لم يسمعه، وإنما أخذه بواسطة آخر عن هذا الشيخ. والسبب في هذا الإيهام استخدام عبارة (عن) التي تستعمل للسمع المباشر وغير المباشر. وكذلك إذا ثبت اللقاء وسمع التلميذ من شيخه حديثاً في الصلاة مثلاً، ولكنه روى عنه حديثاً في الزكاة بعبارة (عن) مما يوهم أنه سمعه، ولكنه لم يسمه.

مثال: روى الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث رواه الأعمش - وهو الإمام الكبير واسمه سليمان بن مهران وكان يلقب بالمصحف لضبطه وإتقانه. عن شيخه أبي صالح. ولكن الأعمش

(١) العلاءي، جامع التحصيل، ص ٢٣٠.

دلسه، لأنه لم يسمعه من أبي صالح، وإنما أخذه عن رجل سمعه من أبي صالح. وقد سمع الأعمش أحاديث أخرى غير هذا الحديث عن أبي صالح مباشرة. فيكون هذا الحديث مدلسا.

التدليس ليس جرحا: لم يجرح العلماء المدلس بسبب تدليسه، لأن المدلس يستخدم هذا الأسلوب العربي ل(عن) وهي في أصل اللغة تعني المجاوزة. وقد طالب العلماء من يستمع إلى المدلس أن يسأله إن كان سمع أو لم يسمع من الشيخ المسمى، والجدير بالذكر أن أكثر المدلسين من كبار الثقات، وقد حملهم على التدليس أحوال كانوا عليها، منها:

١. الأوضاع السياسية التي كانت تمنعهم أحيانا من الرواية عن أناس مخصوصين.

٢. أن يكون الراوي الساقط من السند ضعيفا عند غيره، فيخشى المدلس إذا ذكره أن يرد الحديث من أجله.

لا يقبل خبر المدلس إلا إذا صرح بالسماع:

وخروجا من هذا الإيهام والانقطاع المحتمل اشترط العلماء أن يصرح راوي الحديث بالسماع من شيخه بأن يقول: حدثني، أو سمعت، أو أخبرني. فإذا صرح بالسماع، وتوافرت شروط الصحة الأخرى فإن الحديث يقبل، وإلا فيرد.

### النوع الثاني: تدليس الشيوخ:

وليس في هذا النوع انقطاع في السند، ولكن الراوي يغير اسم الشيخ باسم أو لقب، أو كنية لا يعرف بها بين العلماء. وقد يلتبس حاله بحال غيره، فقد يقول: حدثني البخاري، ويعني غير البخاري صاحب الصحيح، فيظن السامع أنه يروي عن الإمام المعروف، وإنما يروي عن بخاري آخر. وقد يقول: حدثنا محمد بن إسماعيل، فيظن أنه محمد بن إسماعيل البخاري، وليس كذلك. وفي جميع الأحوال لا يكون الراوي كاذبا فيما قال، وإنما يوهم الآخرين بذكر الاسم غير المشهور.

مثال: (روى الحارث بن أبي أسامة عن الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد

بن عبيد بن سفيان، الشهير بابن أبي الدنيا؛ فسماه مرة: عبد الله بن عبيد، ومرة أخرى: عبد الله بن سفيان، ومرة ثالثة: أبو بكر بن سفيان، ومرة رابعة: أبو بكر الأموي<sup>(١)</sup>.  
فهذه الأسماء الأربعة حقيقية لابن أبي الدنيا، ولكنه لا يعرف بها عند العلماء.

## ٥ - المضطرب

تعريفه: المضطرب في اللغة: من اضطرب، يقال اضطرب الموج: ضرب بعضه.

وفي الاصطلاح: الاختلاف في رواية الحديث متنا أو سندا على أوجه لا مرجح لأحدها، ولا يمكن الجمع بينها.  
قد يختلف الرواة في روايتهم لحديث واحد في السند أو المتن، ولا يمكن ترجيح واحدة من الروايات على الأخرى، لتساويها في القوة، وهذا التعارض يسمى الاضطراب في الحديث.

مثال على الاضطراب في السند: روى إسماعيل بن أمية عن أبي عمرو بن محمد بن عمرو بن حريث عن جده حريث بن سليم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ حديث السترة للمصلي، إذا لم يجد عصا ينصبها بين يديه فليخط خطأ.

واضطرب الإسناد بعد إسماعيل بن أمية، فقيل: عن أبي عمرو بن حريث، وقيل عن أبي محمد بن عمرو بن حريث عن جده حريث، عن رجل من بني عذرة هن أبي هريرة. وقيل عن أبي محمد عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عن أبي هريرة، وقيل عن محمد بن عمرو بن حريث عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وقيل عن أبي عمرو بن حريث هن جده حريث هن أبي هريرة. وقد حكم الحفاظ باضطراب سنده كالنووي وابن عبد الهادي وغيرهما من المتأخرين<sup>(٢)</sup>.

(١) السخاوي، فتح المغيب، ج١، ص ١٧٩

(٢) السخاوي، فتح المغيب، ج١، ص ٢٢٢

### مثال على الاضطراب في المتن:

ما رواه الوليد بن مسلم: حدثنا الأوزاعي عن قتادة، أنه كتب إليه يخبره عن أنس بن مالك أنه حدثه قال: «صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها»<sup>(١)</sup>.

(قال ابن عبد البر: اختلف في الفاظ هذا الحديث اختلافا كثيرا متدافعا، مضطربا، منهم من يقول: صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، ومنهم من يذكر عثمان، ومنهم من يقتصر على أبي بكر وعثمان، ومنهم من لا يذكر فكانوا لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم، ومنهم من قال: فكانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم، ومنهم من قال: فكانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين، ومنهم من قال: فكانوا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: وهذا اضطراب لا تقوم معه حجة لأحد)<sup>(٢)</sup>.  
حكم المضطرب: الحديث المضطرب ضعيف لا يحتج بجميع رواياته.

### ٧. الشاذ

تعريفه: الشاذ في اللغة، من شذ إذا انفرد عن الجماعة.

وفي الاصطلاح: مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه في حديث يرويانه عن شيخ لهما.

إذا روى اثنان من الرواة حديثا عن شيخ لهما ثم اختلفا في السند أو في المتن، وأمكن ترجيح أحدهما لأنه أحفظ أو أوثق من الثاني فإن الرواية المرجوحة يحكم عليها بالشذوذ، ويسمى الحديث من تلك الرواية حديثا شاذًا.

فالحديث الشاذ إسناده لكنه مخالف لما هو أصح منه.

حكم الشاذ: الحديث الشاذ مردود لا يقبل، وإن كان إسناده صحيحا؛ لأن المخالفة تدل على أن الراوي لم يضبط الحديث.

(١) الإمام مسلم، الصحيح، حديث رقم ٣٩٩ ص ٢٩٩/١.

(٢) السيوطي، تدريب الراوي ج١، ص ٢٥٦.

الحديث الذي يقابل الشاذ يسمى المحفوظ. ويلاحظ هنا أن التعارض بين الروایتين أمكن التغلب عليه بالترجيح، وأما إذا كان الترجيح متعذرا فالحديث عندئذ مضطرب.

### ٧. المنكر

تعريفه: «المنكر مخالفة الضعيف للثقة في حديث يرويانه عن شيخ لهما». إذا روى اثنان من الرواة حديثا عن شيخ لهما ثم اختلفا في السند أو المتن، وأمکن الترجيح بينهما بأن أحدهما ثقة، والآخر ضعيف، فإننا نرد رواية الضعيف وتوصف بأنها حديث منكر، «فالمنكر ما خالف فيه الضعيف الثقة أو المقبول». ونلاحظ هنا أن الفرق بين الشاذ والمنكر أن الأول صحيح والثاني ضعيف.



## المبحث الثالث

### الدعوة: القاعدة الثانية عشرة

الدعوة صورة أكيدة من صور الجهاد وتشارك مع القتال في الهدف والنتيجة لم تعد كلمة الجهاد تعطي المدلولات التي فهمها الصحابة والتابعون، والتي جاء بها القرآن الكريم والسنة الشريفة، إذا أنها تعني في عرف بعض الدعاة القتال، وأنه لا جهاد بلا قتال. ونتيجة لهذا الفهم فقد ظهر في العالم الإسلامي أناس يريدون القتال ولو لم يكن وقته وتستكمل عدته، شعورًا منهم بأن الإثم يطاردهم وهم لا يقاتلون.

وتصويماً لهذا الفهم فإن علينا الرجوع إلى لسان الشرع في كلمة الجهاد، إذ أن مراجعة المعاني الشرعية ضرورة تعصم من الزلل والانحراف؛ قال في اللسان: «الجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل»<sup>(١)</sup>. وقال أيضاً: «والجهاد المبالغة واستفراغ ما في الوسع في الحرب، أو اللسان، أو ما أطاق من شيء»<sup>(٢)</sup>.

ولبيان هذا المعنى العام للجهاد من سنة رسول الله ﷺ نسوق قول ابن قيم الجوزية: «كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه فاستولى على أنواعه كلها، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان»<sup>(٣)</sup>. ثم يقول: «أمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه وقال: (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) (٥١) فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) الفرقان ٥١-٥٢.

فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ

(١) لسان العرب ٤/١٠٩.

(٢) لسان العرب ٤/١١٠.

(٣) زاد المعاد ٢/٣٨.

وَمَا أَوْأَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (التوبة ٧٣). فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل. والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقل عددا فهم الأعظم عند الله قدرًا. ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض، مثل أن تتكلم عند من تخاف سطوته وأذاه كان للرسول صلوات الله عليهم من ذلك الحظ الأوفر. وكان لنبينا صلوات الله وسلامه عليه من ذلك أكمل الجهاد وأتمه. ولما كان جهاد العبد في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج»<sup>(١)</sup>.

### هدف الجهاد:

ونخلص من هذا إلى أن الجهاد استفراغ الوسع في محاربة الأعداء في الداخل والخارج، وليس الهدف منه هو القضاء على العدو، وإنما هو القضاء على أسباب العداوة والخصومة، فالكفر سبب العداوة بين المؤمن والكافر، فإذا زال السبب ودخل الكفار في الإسلام فقد زالت العداوة. والنفاق سبب العداوة بين المؤمن والمنافق، وإذا زال النفاق زالت العداوة.

### ومآل الحرب في الإسلام إلى أحد أمور:

- أن يدخل الكافر المحارب في الإسلام.
- أن يدفع الجزية، ويدخل في دار الإسلام خاضعا لثقافتها ونظامها.
- أن يُقتل فيقضى على كفره باستئصاله وهدر دمه.

### الدعوة هي الوسيلة الأولى لكسب الأنصار:

وهذا ترتيب توقيفي لا بد من مراعاته. ومن خلاله نرى أن الدعوة مقدمة على غيرها، وهي الوسيلة الأولى لكسب الأنصار ولتحويل الكفار إلى مؤمنين، وهدف الدعوة باللسان واليد واحد. والأصل في تكوين المجتمع المسلم دعوة الأفراد للدخول في الإسلام فيلتزمون عقيدته وشريعته.

(١) زاد المعاد ٢/٣٨.

والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة تجلب كل يوم أنصارًا للإسلام. وكلما أقبل فرد على هذه الدعوة سقط مكون من مكونات الجاهلية، وهكذا فإن الجاهلية في مكة كان لها في كل يوم حديث عن تحول رجل أو امرأة من ساحة الشرك إلى ساحة الإيمان، ومن جند الشيطان إلى جند الرحمن.

### ما فقدناه بسبب الغزو الفكري نسترده عن طريق الدعوة

إن الغزو الفكري الذي داهم بلاد المسلمين قد استحوذ على جمهرة كبيرة من أبنائها، وسقط هؤلاء الأبناء صرعى في معركة فكرية كانت غير متكافئة في غيبة الدعاة، وما خسرناه عن طريق الفكر أكثر مما خسرناه عن طريق معارك المواجهة، وما نسترده عن طريق الفكر بعد هذه الصحوه واليقظة أكثر مما نسترده عن طريق المواجهة.

وفي حين أن القتال يكون بين مجتمعين: مجتمع الإيمان ومجتمع الكفر بسبب العوائق التي يضعها الكافرون في وجه الدعوة، فإن الدعوة بالحوار والموعظة تبقى قائمة في المجتمع نفسه، لاستقطاب الأفراد من هذا المجتمع أو من المجتمعات الأخرى. وأما انقسام المجتمع إلى فرقتين متصارعتين فإنه يلغى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وينتهي دور الكلمة الهادئة الودود، وعندها لا يكون أمام الدعاة من سبيل إلا الفرار من المجتمع والرضا بشواهد الجبال أو عميق الكهوف، وبذلك تتآكل الدعوة وتذوى يومًا بعد يوم.

إن الفرار من المجتمع أو العزلة عنه أسلوب يدل على ضيق الأفق ويكشف عن جهل بأولويات الدعوة. ويدل أيضا على اليأس من المجتمع، وعلى فشل الداعية في الإصلاح، وإن أعداء الفكرة الإسلامية يطمعون في إيصال الداعية إلى مثل هذه القناعات، وإن خطر هذه الأفكار أعظم على الدعوة من خطر أعدائها عليها.

### موقف النبي ﷺ من العزلة:

لقد كان رسول الله ﷺ وهو في شعب أبي طالب يتشوق إلى اليوم الذي تُمزق فيه صحيفة المقاطعة ليعود هو وأصحابه إلى المجتمع المكي يقارعونه

بالحجة والموعظة والكلمة. وبذلك يكون رسول الله ﷺ قد رفض العزل عن المجتمع، ولم يعد وجوده وأصحابه في الشعب استقلالاً مباركاً للحركة الإسلامية عن المجتمع، وذلك لأن الإسلام يقرر أن للدعوة طريقين:

الطريق الأول: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، عندما يكون المسلمون محتلطين بغيرهم، وهم قلة في المجتمع.

الطريق الثاني: الدعوة بكل وسائلها بما فيها القتال وذلك عندما يكون للمسلمين مجتمع كتب له أسباب الحياة من حيث الموقع الاستراتيجي والسكان والاقتصادي.

### فهمُ المفسرين لهذه الفكرة:

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) (النساء ٧٧). يقول: «كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة، وكانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين. وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليتشفوا من أعدائهم. ولم يكن إذ ذاك القتال مناسباً لأسباب كثيرة، منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام»<sup>(١)</sup>.

### تحليل:

فابن كثير رحمه الله يستبعد استعمال القوة عند قلة العدد، الذي هو مظنة عدم الغلبة، وهذا مخالف للفهم الخطأ، الذي خلاصته أنه لا عبرة بالعدد والعدد على الإطلاق، وأن مائة صابرة تغلب ألفاً، علماً بأن القرآن الكريم جاء يفصل هذه القضية، وفي سورة الأنفال يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٢٩.

يَعْلَبُوا مَائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال ٦٥-٦٦).

قال ابن كثير: عن ابن عباس رضي الله عنه: لما نزلت (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ) شق ذلك على المسلمين، حين فرض الله عليهم ألا يفرّ واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف فقال تعالى: (الآنَ حَقَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ) قال: خفف الله عنكم من العدة، ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.. روى البخاري عن ابن عباس، رضي الله عنه: «لما نزلت هذه الآية ثقل على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفاً، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية الأخرى، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفرّوا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم»<sup>(١)</sup>.

قال الرازي: الذي استقر حكم التكليف عليه بمقتضى هذه الآية كل مسلم بالغ مكلف وقف بإزاء مشركين، فالهزيمة محرمة عليه ما دام معه سلاح يقاتل به. فإن لم يبق معه سلاح فله أن ينهزم، وإن قاتله ثلاثة حلت له الهزيمة والصبر أحسن<sup>(٢)</sup>.

وهذا النمط من التربية يفتقر إليه كثير من الناس الذين يظنون أن التهور قريبة إلى الله تعالى، ويظنون أن رمي الألوף المؤلفة بالآحاد أسلوب مبدع من أساليب العمل الإسلامي، والآيتان السابقتان تبطلان هذا الفهم. علماً بأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الذؤابة في طلب الفضل والسبق والتماس رضا الله سبحانه وتعالى.

وهناك فرق كبير بين الرغبة في تسجيل المواقف البطولية والرغبة في تحقيق الأهداف، والوصول بالمسلمين إلى شاطئ السلامة، والخروج بهم من المعاناة. وأما قول ابن كثير: «ومنها كونهم كانوا في بلدهم» فيدل على فطنته وحكمته، فقد التفت إلى أن المسلمين في مكة إنما يعيشون في بلدهم، وعندما يلجأون إلى القوة فإن آثارها ستصيب بلدهم أولاً. والمسلم عُرف

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣٤٤.

(٢) تفسير الرازي ١٥/١٩٦.

بالإصلاح والإحسان والتنمية والتركية وصلة الرحم رغم ما يكون عليه أعداؤه من قومه من القطيعة والإساءة.

### سورة الفتح تؤكد هذا المعنى:

وقد جاءت سورة الفتح تذكر أن وجود بعض المؤمنين الذين يكتمون إيمانهم في المجتمع المكسي كان من الأسباب التي صرف من أجلها القتال، فقال تعالى: (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الفتح ٢٥).

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ): يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة وسط الكفار، (لَمْ تَعْلَمُوهُمْ) أنهم مؤمنون، (أَنْ تَطَّوَّهُمْ) بالقتل والإيقاع (فُتْصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ) أي: يقول المشركون: قد قتلوا أهل دينهم (لَوْ تَزَيَّلُوا) لو زال المؤمنون من بين أظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف، ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكافرين<sup>(١)</sup>.. وفي ذلك يقول ابن كثير: «ولولا أن بين أظهرهم من يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم، لكننا سلطناكم عليهم، فقتلتموهم، وأبدتم خضراءهم، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتال»<sup>(٢)</sup>. نخلص من هذا إلى أنه لا مناص من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في حالة اختلاط الصالحين بغيرهم، والمسلمين بغيرهم، وأن استخدام القوة مؤداه خطر على الدعوة والدعاة للأسباب الآتية:

١. ستعرض فئات المجتمع لألوان البطش والإرهاب وسيذهب البريء مع غيره.
٢. ستُعَيَّب الدعوة بالحكمة والموعظة والكلمة، ولن يعود هناك وسيلة للتفاهم سوى القوة.
٣. سيترك الدعاة أماكن التأثير في المجتمع إلى المغاور والكهوف والأماكن النائية.

(١) تفسير القرطبي ٦/٣٤٥

(٢) تفسير ابن كثير ١٦/٢٨٥، ٢٨٦.

- ٤ . ستنفرد الأفكار المعادية بتربية المجتمع وتوجيهه.
- ٥ . سيواجه الإسلام بالدعاية المضادة، واتهام رجاله بأنهم لا يفهمون سوى لغة القوة والبطش.
- ٦ . ستخسر الدعوة من رجالها من يصعب تعويضه وسد العجز الناشئ عن فقده.
- ٧ . سيقف هذا الأمر مانعا من لحاق كثير من الناس بركب الدعوة، لأن الناس يفهمون عندها أن الدعوة ليس لها هدف عميق صبور طموح يعمل، بإذن الله، على إيصال المجتمع إلى قبول الإسلام، وإنما يسود التصور القائل بأن المسلم يريد أن يموت في سبيل الله، وليست لديه خطة واعية ناشطة للوقوف في وجه الفتن التي ستبقى تلاحق أبناءه وأقرباءه وجيرانه. وعندما لا يضع المسلم في حسبانها مقارنة قوته بقوة أعدائه فإنه يحوّل العمل للإسلام إلى ضرب من الانتحار، ولكنه في سبيل الله!!.

### وقفة:

وهناك خلط كبير بين طبيعة الجماعة وطبيعة المجتمع، والذين يطالبون الجماعة بما يطالبون به المجتمع، إنما يفعلون ذلك لظنهم بأن الجماعة مجتمع. والصواب أن الجماعة أفراد من الناس التقوا على فكر معين وولاء معين وخطة معينة ولهم تنظيم وقيادة، وهؤلاء الأفراد متناثرون بين فئات المجتمع، لا يشكلون أكثرية عددية، ولا يملكون القوة الفاعلة في أجهزة المجتمع ومؤسساته، وصورة المسلمين في مكة قبل الهجرة تمثل حالة الجماعة. وأما المجتمع فهو قطاع عريض من الناس، يحكمهم نظام ويخضعون لسلطان، وهذا القطاع له مؤسساته وأجهزته، ويسيطر على هذه المؤسسات والأجهزة، ويضع لها السياسات، ويقوم هذا المجتمع على أرض لا ينزاعه فيها أحد، وهذا القطاع العريض يعمل على صياغة الأفراد وفق قيمه وتطلعاته، والمجتمع في المدينة بعد الهجرة يمثل هذه الصورة.

### نتيجة:

إذا اتضح هذا فينبغي أن نفرق بين مواجهة مجتمع لمجتمع آخر، وبين مواجهة

جماعة لمجتمع، والجماعة لا تستطيع أن تواجه المجتمع، وذلك لأن المجتمع نسيج كامل، وأجهزة فاعلة ناشطة لا تتوقف عن العطاء والتنمية والتكاثر، ففي المجتمع تبقى المؤسسات التعليمية تعمل، وتبقى المؤسسات الاقتصادية تنتج، وتبقى الدوائر التربوية تربي، في حين أن الجماعة إذا دخلت في محنة القتال فإن دوائرها التربوية والاقتصادية والعملية وسائر وسائلها ستتوقف عن العمل، وفي النهاية فإنها ستضمحل وتندوى، وإلى جانب ذلك فإن المجتمع لا يهتز بخسارته فردا من أفرادها.

### النبي ﷺ بين الجماعة والمجتمع:

وتطبيقا لهذا المبدأ فإن الرسول لم يوافق بعض الأنصار في بيعة العقبة عندما استأذنه في أن يميلوا على أهل منى بأسيا فيهم، وذلك بعد أن فهموا أن البيعة كانت على حرب الأحمر والأسود.

قال في إمتاع الأسماع: «وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود، فلما تمت بيعتهم استأذنوا رسول الله ﷺ أن يميلوا على أهل منى بأسيا فيهم، فقال: «لم نؤمر بذلك»، فرجعوا وعادوا إلى المدينة»<sup>(١)</sup>.

ولو كان الهدف من الدعوة مجرد الانتقام من رؤوس الشرك لأمر رسول الله ﷺ أتباعه بقتلهم، ولو كان الهدف من الدعوة أن يصل المؤمنون إلى مرتبة الشهادة لقاموا بذلك في بداية أمرهم عند البيعة وهم في طور الجماعة، وهذا عمل لا ينسجم مع الأهداف والمصالح الكبيرة التي رعاها هذا الدين.

وكذلك الحال في المدينة؛ فإن أهل المدينة لم يدخلوا في الإسلام دفعة واحدة، بل بقيت طوائف النفاق تعيث فسادا وتتآمر على المسلمين، إلا أن رسول الله ﷺ استعاض عن حرب التصفية الجسدية بحرب الدعوة والجدل والإحسان للخصوم.

### اختلال الموازين أمام ضغط الواقع:

لا شك أن للواقع الذي يعيشه المسلمون تأثيرا كبيرا على فكرهم وممارستهم، وأحيانا يصل ضغط هذا الواقع إلى درجة يفقد المسلم معها قدرته على

(١) إمتاع الأسماع ٣٧.

تصور الخط المنهجي، ويتساءل: إلى متى نبقى تحت وطأة المعاناة؟ فيقول: ليس هناك شيء غير الصبر والمصابرة؟ وعندما يجب المتحمسون على هذا السؤال بطلب المواجهة والانتقام ولو على حساب الدعوة. والقرآن الكريم يحذرنا من هذا التفكير الغر، ويبين أن أكثر الناس حماساً وتهوراً واستعجالاً هم الذين يصابون بخور العزيمة.

ومن هنا فإن الشجاعة في مكة كانت بكف الأيدي وضبط النفس، ولم يكن هذا جنباً أو خوفاً، والشجاعة في المدينة كانت بالقتال وجهاد الأعداء. ومن لم يمتلك الشجاعة في مكة بكف يديه وضبط نفسه نجده تخور نفسه وتنهار عزيمته عندما طلب منه مواجهة الكفار في ساحة المعركة. فالتعالي على الأذى والجراح مع شدة الدواعي الباعثة على الانتقام هو قمة الشجاعة. إذ أن النفس مجبولة على كره الظلم وحب الانتقام، وإرغامها على الصبر حرصاً على مصلحة الجماعة الناشئة يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، فقمة المجاهدة الانتصار على النفس لا الانتصار لها: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا) (النساء ٧٧).

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: «يعجب الله سبحانه من أمر هؤلاء الذين كانوا يتدافعون حماسة إلى القتال، ويستعجلونه، وهم في مكة يتلقون الأذى والاضطهاد والفتنة من المشركين، حين لم يكن مأذونا لهم بالقتال للحكمة التي يريدتها الله، فلما أن جاء الوقت المناسب الذي قدره الله، وهيأت الظروف وكتب عليهم القتال، إذا فريق منهم شديد الجزع شديد»<sup>(١)</sup>. ويقول أيضاً: «إن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً، قد يكونون هم أشد الناس جزعاً وانهيأراً وهزيمة عندما يجد الجد وتقع الواقعة، بل إن هذه قد تكون القاعدة! وذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما

(١) في ظلال القرآن ٧١٢/٢.

تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف، لا عن شجاعة واحتمال وإصرار، كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال، قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة، فتدفعهم قلة الاحتمال إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل، دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار، حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدرها وأشق مما تصوروا، فكانوا أول الصف جزعا ونكولا وانهارا. على حين يثبت أولئك الذين كانوا يمسكون أنفسهم ويحتملون الضيق والأذى بعض الوقت، ويعدون للأمر عُدته»<sup>(١)</sup>.

### واجب الموجهين والمفكرين:

قد يبلغ تيار الحماس من الشدة إلى درجة ينساق المرء والموجه والمفكر في هذا التيار، ويفقد هؤلاء قدرتهم على السيطرة والقيادة. وهذه مجازاة خطيرة، وكما تكون مجازاة أهل المعاصي في معصيتهم فإن مجازاة المتعجلين والتنازل عن خط الدعوة المثمر كبيرة من الكبائر، بالرغم مما قد يوصف به الموجه من العجز والضعف. وإن الموجه الذي آتاه الله بصيرة ومعرفة مسؤول عن نتائج التعجل أكثر من المتعجلين.

### الحل الصحيح:

إن ضغط الواقع ينبغي أن لا يسوق إلى الحل الخطأ، ومهما طال انتظار الحل الصحيح فإن هذا هو الصواب، وطول الزمن لا يفقد الحق أحقيته، وقصر الزمن لا يضيء على الخطأ صفة الصواب.

### عود على بدء:

إن الحل الصحيح هو الدعوة مع المعاناة، والصبر على طول الطريق، والتمركز في المجتمع والتماس أسباب القوة، والبحث عن هذه الأسباب في كل مجتمعات الأرض، وحشد الطاقات في أكثرها توقعا لقبول الدعوة، وهو جهد لا يعرف الكلل ولا الملل، وعندئذ تقوم القاعدة الصلبة، التي يبدأ منها طريق الحل الشامل.

(١) في ظلال القرآن ٢/٧١٢.

وقبل ذلك: وإلى أن يصل المسلمون إلى تلك المرحلة، فإنهم سيدفعون الثمن غالباً من الضحايا والدماء والأشلاء، ولكن سيجدون بعون الله تعالى ثمرة جهادهم وجهدهم. وبغير هذا الطريق سيدفعون الثمن مضاعفاً مع البعد عن الهدف. وعندما يقبل المجتمع أن يكون الإسلام نظامه وشريعته، وذلك من خلال مراكز القوة فيه، فإن المجتمع يصبح إسلامياً، وعندئذ تتكون القاعدة القادرة على القيام بأعباء الجهاد، ويكون المجتمع عندئذ قادراً على استغلال طاقاته، عاملاً على تعويض كل نقص ينشأ من جراء القتال، ويصبح القتال وسيلة ممهدة للدعوة تعمل على إزالة العقبات المانعة من وصول الدعوة إلى الناس. فالهدف من الدعوة والقتال واحد، وهو إيصال الخير إلى الناس. والفارق بينهما أن الدعوة تكون مع احتمال الأذى، والقتال يكون دعوة مع إزالة الأذى. إن أعداء الإسلام يطمعون في أن تخرج الجماعة المؤمنة عن خطها فتستعجل النصر، وتحاول قطف الثمرة قبل أوانها. والشواهد كثيرة على عمليات الاستدراج التي تنتهي بالبطش والتنكيل بالعاملين للإسلام، إلى جانب النتائج السلبية التي يتركها التعجل على الجماعة وأنصارها وخطتها ومستقبلها. لقد آن الأوان أن يفعل المسلم ما يريد لا ما يراد له وأن يتصرف وفق ما خطط له، ولا ينبغي أن يشغل المسلم عن هدفه مؤثراً حظ النفس في العاجلة، على تحقيق الأهداف الآجلة. إن الجماعة الإسلامية لتسجل كل يوم نتائج إيجابية تقربها من الهدف، وإن المراقب المنصف ليرى التحولات الجذرية في فكر كثير من الناس وسلوكهم، ويلاحظ أن الأمة بدأت تستجيب لنداء الإيمان، وبدأت تألف ما كانت بالأمس تنكره، وإن العمل الحثيث يصل بالأمة إلى إحداث تغيير كبير في جميع شؤون حياتها. وإن العديد من المؤسسات أخذ في الاتجاه نحو الإسلام. وهكذا فإن الدعوة إلى الله تعالى هي الوسيلة إلى تكوين مجتمع الإسلام وقاعدته، وإن القتال حركة اجتماعية تنبثق عن المجتمع وترتكز على القاعدة الصلبة، وعندها ماذا سيقول المتعجلون؟ هل يقولون: (وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ) (النساء ٧٧).



## الفصل الرابع

- المبحث الأول / القرآن: مراجعة سورة العنكبوت ١-١٣ حفظاً وتفسيراً.
- المبحث الثاني / الدعوة: رسالة المؤتمر الخامس (١)
- المبحث الثالث / التاريخ: الدولة العثمانية: أهم الإنجازات الحضارية.



## المبحث الأول

### القرآن: مراجعة سورة العنكبوت ١-١٣ حفظاً وتفسيراً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا  
 ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ  
 الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ  
 كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾  
 وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾  
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
 وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ  
 بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ  
 فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾  
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾  
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ  
 فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ  
 إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾  
 وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا  
 هُمْ بِحٰمِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكٰذِبُونَ ﴿١٢﴾  
 وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
 عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ [العنكبوت: ١ - ١٣]



## المبحث الثاني

### الدعوة: رسالة المؤتمر الخامس (١)

هذه محاولة تحليلية لرسالة المؤتمر الخامس لعلها تعين على استيعاب ما جاء فيها من أفكار بشكل أفضل، فهي الأسس الاستراتيجية للعمل الإسلامي المعاصر.

#### فإلى الحلقة الأولى

#### من رسالة المؤتمر الخامس

«أجتمعت نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة. ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد». إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل ثوبته ورضوانه، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين. ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال، ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون فلنا أجر الفائزين المصيبين.

« قد وجب عليكم أن تبيينوا للناس غايتكم ووسيلتكم وحدود فكرتكم ومنهاج أعمالكم، وأن تعلنوا هذه الأعمال على الناس لا للمباهاة بها ولكن للإرشاد إلى ما فيها من نفع للأمة وخير لأبنائها فاكتبوا إلى النذير وهي لسانكم، واكتبوا إلى الصحف اليومية وأظنها لا تقف في سبيلكم، واحرصوا على أن تكونوا صادقين لا تتجاوزون الحقيقة، وأن تكون دعايتكم في حدود الأدب الكامل والخلق الفاضل والحرص التام على جمع القلوب وتأليف الأرواح، واستشعروا كلما ظهرت دعوتكم أن الفضل في ذلك كله لله: (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)».

إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده. ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها. إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال.

### مقدمة

#### (١) بين القول والعمل

كنت أود أن نظل دائماً نعمل ولا نتكلم، وأن نكل للأعمال وحدها الحديث عن الدعاة وخطواتهم، وكنت أحب أن تتصل خطواتكم اللاحقة بخطواتكم السابقة في هدوء وسكون من غير هذا الفاصل الذي نحدد به جهاد عشر سنوات مضت لنستأنف مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الدائب في سبيل تحقيق فكرتنا السامية.

#### (٢) أهداف المؤتمر

ولكنكم أردتم هذا، وأحببتهم أن تسعدونا بهذا الاجتماع الشامل فشكرا لكم، ولا بأس أن ننتهز هذه الفرصة الكريمة

أ- فنستعرض نتائجننا

ب- ونراجع فهرس أعمالنا

ج- ونستوثق من مراحل طريقنا

د- ونحدد الغاية والوسيلة بهدف:

أولاً: أن تتضح الفكرة المبهمة

ثانياً: أن تصحح النظرة الخاطئة

ثالثاً: أن تعلم الخطوة المجهولة

رابعاً: أن تتم الحلقة المفقودة

خامساً: أن يعرف الناس الدعاة على حقيقة دعوتهم، من غير لبس ولا

غموض.

## (٣) الرأي الآخر والنصيحة

لا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرأ هذا البيان، برأيه في غايتنا ووسيلتنا وخطواتنا فنأخذ الصالح من رأيه، وننزل على الحق من مشورته، فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم

## (٤) عاطفة الأخوة والمحبة

أجدني في غنى عن تحيتكم وشكركم، وعن وصف ما يغمري من السعادة بموقفي هذا بينكم، ومن السرور والفرح بلقائكم ومن الأمل العظيم بمؤازرتكم وتوفيق الله إياكم.

أجدني في غنى عن بيان هذا كله بهذا الفيض من العواطف النبيلة الذي يغمر هذا الاجتماع، فكل ما فيه ينطق:

أ- بالحب العميق

ب- الارتباط الوثيق

ج - الأخوة الصادقة

د- التعاون المكين

ووفقكم الله لخير ما يحب ويرضى.

القسم الأول: الطلائع الأولى

## (٥) بذور الفكرة الدعوية

## أ- خبرة ونتيجة حول مفهوم السعادة

طالعت كثيرا وجربت كثيرا وخالطت أوساطا كثيرة وشهدت حوادث عدة، فخرجت من هذه السياحة القصيرة المدى الطويلة المراحل بعقيدة ثابتة لا تتزلزل، هي أن:

السعادة التي ينشدها الناس جميعا إنما تفيض عليهم من نفوسهم وقلوبهم، ولا تأتيهم من خارج هذه القلوب أبدا، وأن الشقاء الذي يحيط بهم ويهربون منه إنما يصيبهم بهذه النفوس والقلوب كذلك، وإن القرآن الكريم يؤيد هذا

المعنى ويوضحه، ذلك قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد: ١١).

وما رأيت كلاماً أعمق في فلسفة الاجتماع من قول ذلك القائل:

**لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ❖❖❖ ولكن أخلاق الرجال تضيق**

### ب- الإسلام سر السعادة البشرية

واعتقدت أنه ليست هناك نظم ولا تعاليم تكفل سعادة هذه النفوس البشرية وتهدى الناس إلى الطرق لهذه السعادة كتعاليم الإسلام الحنيف الفطرية الواضحة، وليس هنا مجال تفصيل هذه التعاليم، ولا مجال التدليل على أنها تتضمن هذه النتيجة، وتكفل سعادة البشرية جميعاً فلذلك مجال آخر، فضلاً عن أننا كلنا فيما أعتقد شركاء في التسليم بصحة هذه النظرية، على أن كثيراً من غير المسلمين يقر بها ويعترف بما في الإسلام من جمال وكمال.

### ج - الغاية السامية

ولهذا وقفت نفسي منذ نشأت على غاية واحدة هي إرشاد الناس إلى الإسلام حقيقة وعملاً، ولهذا كانت الفكرة الإسلامية بحثة في غايتها وفي وسائلها، لا تتصل بغير الإسلام في شيء.

### د- بذور الفكر والعمل

ظلت هذه الخواطر حديثاً نفسانياً ومناجاةً روحيةً بما في نفسي لنفسي، وقد أفضي بها إلى كثير ممن حولي، وقد تظهر في شكل:

**أولاً: دعوة فردية.**

**ثانياً: أو خطابة وعظية.**

**ثالثاً: أو درس في المساجد إذا سنحت فرصة التدريس.**

**رابعاً: أو حث لبعض الأصدقاء والعلماء على بذل المهمة ومضاعفة الجهود، في إنقاذ الناس وإرشادهم إلى ما في الإسلام من خير.**

## هـ - أثر الحوادث في الانطلاق نحو العمل

ثم كانت في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي حوادث عدة ألهمت نفسي وأهاجت كوامن في قلبي، ولفتت نظري إلى وجوب الجد والعمل، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه، والتأسيس بعد التدريس.

## (٦) البذور الأولى للدعوة في البيئة المحيطة

### أ- مواقف متباينة في النظر إلى الفكرة

ولقد أخذت أفاتح كثيرا من كبار القوم في وجوب النهوض والعمل وسلوك طريق الجد والتكوين، فكنت أجد التثبيط أحيانا والتشجيع أحيانا والتريث أحيانا، ولكني لم أجد ما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية.

### ب- أحمد باشا تيمور مثال للهمة العالية

ومن الوفاء أذكر في هذا المقام المرحوم أحمد باشا تيمور أفسح الله له في جنته، فما رأيت إلا مثالا للهمة المتوثبة والغيرة المتوقدة، وما تحدثت إليه في شأن من شؤون الأمة العامة إلا وجدت العقل الكامل والاستعداد التام والإلمام الشامل وترقب ساعة العمل، فرحمه الله وأجزل مثوبته.

### ج - نواة الدعوة الأولى

وليت وجهي شطر الأصدقاء ممن جمعني وإياهم عهد الطلب وصدق الود والشعور بالواجب، فوجدت استعدادا حسنا، وكان أسرعهم إلى مشاركتي عبء التفكير وأكثرهم اقتناعا بوجوب العمل في إسراع وهمة، الأحبة الفضلاء: \* أحمد أفندي السكري.

\* والأخ المفضل المرحوم الشيخ حامد عسكرية أسكنه الله فسيح جناته.

\* والأخ الشيخ أحمد عبد الحميد وكثير غيرهم.

وكان عهد وكان موثق أن يعمل كل منا لهذه الغاية، حتى يتحول العرف العام في الأمة إلى وجهة إسلامية صالحة.

### د- هموم الأمة عبء الدعوة

ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة، وما وصلت إليه في مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء.

### هـ - حال مجموع الأمة

وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا في مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة والخليون هاجعون يتسكعون بين المقاهي ويترددون على أندية الفساد والإتلاف، فإذا سألت أحدهم عما يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة، قال لك: أقتل الوقت، وما درى هذا المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه، فإنما الوقت هو الحياة.

كنا نعجب لهؤلاء الناس وكثير منهم من المثقفين، ومن هم أولى منا بحمل هذا العبء، ثم يقول بعضنا لبعض: أليس هذا داء من أدواء الأمة ولعله أخطرها، ألا تفكر في مرضها وألا تعمل لعلاج نفسها. ولهذا وأمثاله نعمل. ولإصلاح هذا الفساد، وقفنا أنفسنا فنتعزى ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه.

### و- أول نواة تكوينية للدعوة

وعمل الزمن عمله فتفرقنا نحن الأربعة، فكان أحمد أفندي السكري بالحمودية، وكان المرحوم الشيخ حامد عسكرية بالزقازيق، وكان الشيخ أحمد عبد الحميد بكفر الدوار، وكنت بالإسماعيلية أذكر قول الشاعر:

بالشام أهلي وبغداد الهوى ❖❖❖ وأنا بالرقميتين وبالفسطاط جيرانني

وفي الإسماعيلية وضعت أول نواة تكوينية للفكرة، وظهرت أول هيئة متواضعة، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ.



### المبحث الثالث

## التاريخ: أهم الإنجازات الحضارية

يمكن الرجوع إلى كتاب  
الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط  
للدكتور: علي محمد الصلابي



الكتاب











## الفصل الأول

- المبحث الأول / القرآن: سورة العنكبوت ١٤-١٨
- المبحث الثاني: الحديث: النهوض بالامة
- المبحث الثالث: العقيدة: نصوص بعض العلماء فيما يكون سبباً للردّة.







## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ١٤-١٨

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت: ١٤ - ١٨]

انتهى الشوط الأول بالحديث عن سنة الله في ابتلاء الذين يختارون كلمة الإيمان، وفتنتهم حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين وقد أشار إلى الفتنة بالأذى، والفتنة بالقرابة، والفتنة بالإغواء، والإغراء.

وفي هذا الشوط يعرض نماذج من الفتن التي اعترضت دعوة الإيمان في تاريخ البشرية الطويل من لدن نوح عليه السلام يعرضها ممثلة فيما لقيه الرُّسل حملة دعوة الله منذ فجر البشرية، مفصلاً بعض الشيء في قصة إبراهيم ولوط، مجملاً فيما عداها.

وفي هذا القصص تتمثل ألوان من الفتن، ومن الصعاب والعقبات في طريق الدعوة.

ففي قصة نوح عليه السلام تتبدى ضخامة الجهد وضآلة الحصيطة فقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم لم يؤمن له إلا القليل ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

وفي قصة إبراهيم مع قومه يتبدى سوء الجزاء وطغيان الضلال فقد حاول

هدايتهم ما استطاع، وجادلهم بالحجة والمنطق ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾.

وفي قصة لوط يتبدى تبجح الرذيلة واستعلائها، وسفورها بلا حياء ولا تحرج، وانحدار البشرية إلى الدرك الأسفل من الانحراف والشذوذ، مع الاستهتار بالندير ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وفي قصة شعيب مع مدين يتبدى الفساد والتمرد على الحق والعدل، والتكذيب ﴿فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثمين﴾. وتذكر الإشارة إلى عاد وثمود بالاعتزاز بالقوة والبطر بالنعمة. كما تذكر الإشارة إلى قارون وفرعون وهامان بطغيان المال، واستبداد الحكم، وتمرد النفاق.

ويُعقب على هذا القصص بمثلٍ يضربه لهُوان القوى المرصودة في طريق دعوة الله، وهي مهما علت واستطالت ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِئْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وينتهي هذا الشوط بدعوة الرسول (ﷺ) أن يتلو الكتاب، وأن يقيم الصلاة، وأن يدع الأمر بعد ذلك لله ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٥﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

والراجح أنّ فترة رسالته التي دعا فيها قومه كانت ألف سنة إلا خمسين عاماً، وقد سبقتها فترة قبل الرسالة غير محددة، وأعقبها فترة كذلك بعد النجاة من الطوفان غير محددة، وهو عمر طويل مديد، يبدو لنا الآن غير طبيعي ولا مألوف في أعمار الأفراد، ولكننا نتلقاه من أصدق مصدر في هذا الوجود وهذا وحده برهان صدقه فإذا أردنا له تفسيراً فإننا نستطيع أن نقول: إنّ عدد البشرية يومذاك كان قليلاً ومحدوداً، فليس ببعيد أن يعوض

الله هذه الأجيال عن كثرة العدد طول العمر، لعمارة الأرض وامتداد الحياة. حتى إذا تكاثر الناس وعمرت الأرض لم يعد هناك داع لطول الأعمار، وهذه الظاهرة ملحوظة في أعمار كثير من الأحياء؛ فكلما قل العدد وقل النسل طالت الأعمار، كما في النسور وبعض الزواحف كالسلحفاة حتى ليبلغ عمر بعضها مئات الأعوام، بينما الذباب الذي يتوالد بالملايين لا تعيش الواحدة منه أكثر من أسبوعين، والشاعر يعبر عن هذه الظاهرة بقوله:

**بغات الطير أكثرها فراخا ❖❖❖ وأم الصقر مقلدة نزور**

ومن ثم يطول عمر الصقر، وتقل أعمار بغاث الطير، والله الحكمة البالغة، وكل شيء عنده بمقدار، ولم تثمر ألف سنة إلا خمسين عاماً غير العدد القليل الذين آمنوا لنوح، وجرف الطوفان الكثرة العظمى وهم ظالمون بكفرهم وجحودهم وإعراضهم عن الدعوة المديدة، ونجا العدد القليل من المؤمنين، وهم أصحاب السفينة، ومضت قصة الطوفان والسفينة ❖ آية للعالمين ❖ تحدثهم عن عاقبة الكفر والظلم على مدار القرون. وبعد قصة نوح يطوي السياق القرون حتى يصل إلى الرسالة الكبرى رسالة إبراهيم.

﴿وإبراهيمَ إذ قال لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾.

لقد دعاهم دعوة بسيطة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض؛ وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً يحسن أن يتملاه أصحاب الدعوات.

لقد بدأ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها.

﴿اعبدوا الله واتقوه﴾.

ثم ثنى بتحييب هذه الحقيقة إليهم، وما تتضمنه من الخير لهم، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير.

﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

وفي هذا التعقيب ما يحفزهم إلى نفي الجهل عنهم، واختيار الخير لأنفسهم، وهو في الوقت ذاته حقيقة عميقة لا مجرد تهيج خطابي!

وفي الخطوة الثالثة بين لهم فساد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه. أولها: أنهم يعبدون من دون الله أوثاناً والوثن: التمثال من الخشب وهي عبادة سخيفة، وبخاصة إذا كانوا يعدلون بها عن عبادة الله. وثانيها: أنهم بهذه العبادة لا يستندون إلى برهان أو دليل، وإنما يخلقون إفكاً وينشئون باطلاً، يخلقونه خلقاً بلا سابقة أو مقدمة، وينشئونه إنشاءً من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة.

وثالثها: أنّ هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً، ولا ترزقهم شيئاً ﴿إنّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾.

وفي الخطوة الرابعة: يوجههم إلى الله ليطلبوا منه الرزق، الأمر الذي يهمهم ويمس حاجتهم.

﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾.

والرزق مشغلة النفوس، وبخاصة تلك التي لم يستغرقها الإيمان؛ ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استتارة للميول الكامنة في النفوس.

وفي النهاية يهتف بهم إلى واهب الأرزاق المتفضل بالنعمة؛ ليعبدوه ويشكروه ﴿واعبدوه واشكروا له﴾.

وأخيراً، يكشف لهم أنّه لا مفر من الله، فمن الخير أن يثوبوا إليه مؤمنين عابدين شاكرين ﴿إليه ترجعون﴾.

فإن كذبوا بعد ذلك كله فما أهون ذلك! فلن يضر الله شيئاً، ولن يخسر رسوله شيئاً، فقد كذب الكثيرون من قبل، وما على الرسول إلا واجب التبليغ ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم، وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾.

وهكذا يأخذهم خطوة خطوة، ويدخل إلى قلوبهم من مداخلها، ويوقع على

أوتارها في دقة عميقة، وهذه الخطوات تُعدّ نموذجاً لطريقة الدعوة جديراً بأن يتملاه أصحاب كل دعوة؛ لينسجوا على منواله في مخاطبة النفوس والقلوب. وقبل أن يمضي السياق إلى نهاية القصة، يقف وقفة يخاطب بها كل مُنكر لدعوة الإيمان بالله على الإطلاق؛ المكذبين بالرجعة إلى الله والبعث والمآب.





## المبحث الثاني

### الحديث: النهوض بالامة

عن ثوبان رضي الله عنه، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفُقٍ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةِ بَنِي يَوْمَعَدٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَعَدٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ عُثَاءً كُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». رواه الإمام أحمد ٣٧ (٢٢٣٩٧).

#### التعريف بالصحابي راوي الحديث:

ثوبان بن يحدد، ويقال: ابن جحدر القرشي الهاشمي، أبو عبد الله، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أهل الشراة. والشراة: موضع بين مكة واليمن. لزم النبي وصحبه، وحفظ عنه كثيراً من العلم، ولم يزل معه في الحضر والسفر حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج إلى الشام، فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص، ولم يزل بها إلى أن مات. وطال عمره، واشتهر ذكره، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين للهجرة<sup>(١)</sup>.

#### بعض المعاني:

تداعى عليكم الأمم: أي: دعا بعضهم بعضاً ليجتمعوا عليكم.  
أكلة: جمع أكل.

#### المعنى الإجمالي للحديث:

#### ١ - تحذير الأمة من مطامع الأمم فيها.

هذا الحديث من أعلام النبوة، فيه نذارة بليغة لهذه الأمة، أنه سيأتي عليها زمان تكون فيها كثيرة الخيرات والكنوز، فهي كالقصة المليئة بالطعام، ولكن هذه الكنوز وهذا الطعام حرام على أهله، حلال للغرباء والأعداء،

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ١/٦٣. «وتحذيب الكمال» ٤/٤١٣.

يدعو بعضهم بعضا إليه، ويحيطون به من كل جانب، ويكون هذا التداعي من الأمم، وليس من أفراد يأتون مهاجرين أو وافدين، كما أنهم يأتون من كل أفق، كناية عن تباعد بلادهم.

## ٢- سبب مطامع الأمم في هذه الأمة.

أما قول الصحابة: أمن قلة بنا يومئذ؟ لما فهموا أنّ هذا عدوان على الأمة، ولا يكون ذلك إذا كانت كثيرة العدد مرهوبة الجانب، فأخبرهم النبي (ﷺ) أنهم كثيرون في العدد، لكن لا وزن لهم بين الأمم، ولا مهابة لهم في قلوبها، وأنهم غثاء، والغثاء الفتات والقش والرغوة التي يحملها السيل، حجمها كبير بسبب خفة الوزن ونزع المهابة من قلوب الأعداء، ووزنها خفيف، أما الوهن، فقد بين النبي (ﷺ) معنى الوهن، وهو حب الدنيا وكرهية الموت.

## ٣- أطماع الأمم بها في هذا العصر.

منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي دخل الاستعمار الغربي إلى بلاد، وخضعت بلاد المسلمين في آسيا وإفريقيا إلى إدارة مباشرة من الدول المستعمرة، حتى الهند ذات مئات الملايين من البشر كانت تحكمها شركة إنكليزية، وفي هذه الفترة بدأت تتفجر آبار البترول والغاز والمعادن إلى جانب الثروات الهائلة من جميع الأصناف والأنواع، ولكن هذه الثروات الباطنة والظاهرة كانت غنيمة باردة للدول المستعمرة، وكانت بلادنا كالجثة الهامدة، والمستعمر يفعل فيها ما يشاء نهباً للمسلمين وشعوبهم، وتقطيعاً وبيعاً وشراءً، وهيمن على العالم الإسلامي الجوع والجهل والمرض وعجز الإرادة، ومثله كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

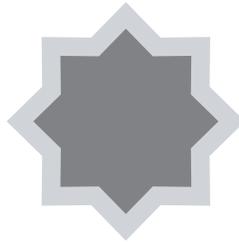
## ٤- النهوض بالأمة.

وبعد التآمر على الخلافة الإسلامية وإسقاطها، في مطلع القرن العشرين، قامت الجماعات الإسلامية في شرق البلاد وغربها بالدعوة إلى رص الصفوف، ونفض الوهن عن كواهل الأمة بالعلم والمعرفة والعمل الجاد والجهاد في سبيل الله، من

أجل استئناف الحياة الإسلامية، واستعادة دور الأمة الإسلامية بين الأمم. واليوم - وبعد مئة عام من الدعوة والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - يشاء الله تعالى أن تكون الإفاقة من هذا الوهن، وأن تبدأ الأمة بالتعافي مع ظهور هذه الصحوة الإسلامية، وعودة الوعي، وبقظة الروح الجهادية، وطلب الشهادة، وكانت نكبة فلسطين من أهم العوامل في ذلك، حيث اصطفت على منصتها قوافل الاستشهاديين في ظاهرة أعادت إلى الأذهان صورة الأمة في أزهى عصور جهادها، حتى صار الموت في سبيل الله عند هؤلاء أسمى الأماني.

ما يرشد إليه الحديث.

- ١ - يحذر الحديث هذه الأمة أن تكون نهباً للأمم من حولها.
- ٢ - الوهن والضعف الذي يصيب الأمة هو الإعراض عن الآخرة وحب الدنيا وكرهية الموت.
- ٣ - الحفاظ على هيبة الأمة وكيانها وثرواتها يكون بالقوة والجهاد وحب الشهادة.
- ٤ - العبرة بالإيمان القوي، وطلب الآخرة، وليس بكثرة أعداد المسلمين.
- ٥ - على الدعاة والعلماء أن يوقظوا في الأمة أنفة الإيمان وعزة المؤمنين والمحافظة على حقوق الأمة، والحرص على ثرواتها.





### المبحث الثالث

#### العقيدة: نصوص بعض العلماء فيما يكون سبباً للردة.

ومن المفيد في ختام هذا البحث أن نذكر لك بعض النصوص لبعض العلماء ما نصوا عليه من الأفعال والأقوال، والاعتقادات التي تتؤول بصاحبها إلى الخروج من دين الإسلام ليكون الأخ القارئ على بينة منها، فلا يقع فيما؛ وليحذر إخوانه منها ومن الوقوع فيها، فإن معظم ما ذكره متفق عليه، وما اختلف فيه لا يقل عن أن يكون كبيرة من الكبائر:

١. نفى كتاب الزواجر عن ارتكاب الكبائر قال الإمام ابن حجر الهيتمي: (فمن أنواع الكفر والشرك أن يعزم الإنسان عليه في زمن بعيد أو قريب، أو يعلقه باللسان أو القلب على شيء، ولو كان محالاً عقلياً فيما يظهر فيكفر حالاً، أو عناداً أو استهزاءً كأن ينفي ما هو ثابت لله بالإجماع المعلوم من الدين بالضرورة كإنكار علم الله أو قدرته، أو كونه يعلم الجزئيات، أو إثبات ما هو منفي عنه سبحانه كاللون).

ثم شرع في بيان تفصيلات كثيرة لهذه القاعدة التي ذكرها فقال (وفي معنى ذلك كل من فعل فعلاً أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان مصرحاً بالإسلام، كالمشي إلى الكنائس مع أهلها أو يلقي ورقة فيها شيء من القرآن، أو فيها اسم الله تعالى في نجاسة أو يشك في نبوة نبي أجمع عليها، أو في إنزال كتاب كالتوراة أو الإنجيل أو زبور داود أو صحف إبراهيم عليه السلام أو في آية من القرآن مجمع عليها، أو في تكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة أو استحلال محرماً كذلك، كالصلاة بغير وضوء أو استحلال إيذاء مسلم أو كافر ذمى بلا مسوغ شرعي بالنسبة لاعتقاده، أو حرم حلالاً كالبيع والنكاح أو يقول عن نبينا ﷺ أنه ليس بقرشي أو عربي أو أنسي، لأن وصفه بغير صفته تكذيب له، ويؤخذ منه أن كل صفة أجمعوا على ثبوتها له يكون إنكارها كفرًا، كما لو جوز بعثة

نبي بعده، وقال: لا أدري أهو الذي بعث بمكة ومات بالمدينة أو غيره، أو قال إنّ النبوة مكتسبة، أو إن رتبها يوصل إليها بصفاء القلب، أو يقول: الولي أفضل من النبي وأنه يوحى إليه وإن لم يدع نبوة، أو يدخل الجنة قبل موته، أو يعيب نبينا محمداً (ﷺ) ومثله غيره من الأنبياء بل والملائكة، أو يلعنه أو يسبه، أو يستخف أو يستهزئ به أو يلحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله أو يعرض بذلك، أو يسبه بشيء على سبيل الازدراء أو التصغير لشأنه، أو النيل منه، أو تمنى له معرة، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه عن طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو عير بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمضه ببعض العوارض البشرية الجائرة والمعهودة لديه، فيكفر بواحد بما ذكر إجماعاً، فيقتل ولا تقبل توبته عند أكثر العلماء وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قال له (عند صاحبكم) وعدّ هذه الكلمة تنقيصاً للرسول (ﷺ).

مّمّ قال ابن حجر (أو يرضى بالكفر ولو ضمناً كأن أشار على كافر بأن لا يسلم وإن لم يستشره... أو سؤال الكفر لغيره لأنه رضى به، أو يقول لمسلم يا كافر بلا تأويل لأنه سمي الإسلام كفراً، أو يسخر باسم الله تعالى أو نبيه بأن يصغره، أو يسخر بأمر الله أو نبيه أو وعده أو وعيده كأن يقول: لو أمرني بكذا لم أفعله، أو لو جعل القبلة هنا ما صليت إليها، أو لو أعطاني الجنة ما دخلتها استخفافاً أو عنادا، أو يقول لو أخذني بترك الصلاة مع ما فيّ من الشدة والمرض ظلمي، أو قال أنا أفعل بغير تقدير الله أو قال: لو شهد عندي ملك أو نبي ما صدقته أو لو كان فلانا نبيا ما آمنت به، أو قال: إن كان ما قاله النبي صدقاً نجونا... أو قيل له قلّم أظافرك فإنه سنة فقال لا أفعل وإن كان سنة استهزاء، أو قال: لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع، ومثلها في ذلك سائر الأذكار كما هو ظاهر، أو قال: المؤذن يكذب، أو شبه صوته بناقوس الكفر، أو استخف بالأذان، أو سمي الله على محرم استهزاء، أو قال: لا أخاف القيامة استهزاء، أو قال عن الله:

أنه لا يتبع السارق ناسبا العجز إليه ... أو نسب الله تعالى إلى جور في التحريم، أو لبس زي كافر ميلا إلى دينه أو قال: اليهود خير من المسلمين ... أو قيل له: ما الإيمان؟ فقال: لا أدري استخفافا أو أنكر صحبة أبي بكر أو قذف عائشة رضى الله عنها، لأنه مُكذّب للقرآن بخلاف غيرها أو قال: أنا الله ولو مازحا، أو قال لا أدري حقه جحدا للواجبات ... أو قال: استخفافا: شبت من القرآن أو الصلاة أو الذكر أو نحو ذلك، أو قال: لعنة الله على كل عالم إذا قصد الاستغراق لشموله الأنبياء والملائكة أو قال: عن أي شيء هذا الشرع وقصد الاستخفاف أو قال: إذا ظهرت الربوبية زالت العبودية وعني بذلك رفع الأحكام، أو أنه فني من صفاته الناسوتية إلى اللاهوتية، أو أنه يرى الله عياناً في الدنيا أو يكلمة شفاهة، أو أنه يحل في صورة حسنة، أو أنه أُسقط عنه التكليف، أو قال: العبد يصل الى الله تعالى من غير طريق العبودية أو قال: الروح من نور الله فإذا اتصل النور بالنور اتحد»

وأنقل هنا كلاماً لابن تيمية، رحمه الله تعالى، حول معنى قوله تعالى (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)<sup>(١)</sup>.

حيث قال (ولا ريب أنّ من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهى تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابره، بل كثير منهم من المنتسبين إلى الإسلام، يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله، كسوايف البادية، ويرون أنّ هذا هو الذى ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيراً من الناس أسلموا، ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار)<sup>(٢)</sup>.

وفي نفس الموضوع يقول شارح العقيدة الطحاوية: (وهنا أمر يجب أن يتفطن

(١) المائدة: الآية ٤٤.

(٢) من منهاج السنة النبوية - انظر: مجموعة التوحيد ص ١٩٣.

له هو أنّ الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة، وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد أنّ الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه أو استبان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر<sup>(١)</sup>. ويقول الحافظ ابن كثير عند تفسير قوله تعالى (أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) (٢) (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال، بلا مستند من شريعة الله، وكما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، بما يعضونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام، أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير<sup>(٣)</sup>).

ويقول الشيخ أحمد شاكر تعليقا على كلام ابن كثير السابق (أقول: أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة؟ بل تشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة، يغيرونه ويبدلونه كما يشاءون، لا يبالي واضعه أوافق شريعة الإسلام أم خالفها؟

إنّ المسلمين لم يباليوا بهذا قط فيما نعلم من تاريخهم إلا في ذلك العهد عهد التتار، وكان من أسوأ عهود الظلم والظلام، ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له، بل غلب الإسلام التتار، ثم مزجهم، فأدخلهم في شرعته، وزال أثر ما صنعوا، بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم، و بما أن هذا الحكم السيء

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٣، ٣٦٤.

(٢) المائدة: الآية ٥٠.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٧.

الجائر كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك، لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية، الحكومة، ولم يتعلموه، ولم يعلموه أبناءهم، فما أسرع ما زال أثره أفرأيتم هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير في القرن الثامن لذلك القانون الوضعي، الذي وضعه عدو الإسلام جنكزخان؟ أليست ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر، في القرن الرابع عشر؟ إلا في فرق واحد، أشرنا إليه آنفا.

إنّ ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام، أتى عليها الزمن سريعا، فاندجحت في الأمة الإسلامية وزال أثر ما صنعت.

ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالا، وأشدّ ظلما وظلاما منهم، لأنّ أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة، والتي هي أشبه شيء بذاك (الياسق) الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر، هذه القوانين التي يصنعها ناس ينتسبون للإسلام، ثم يتعلمها أبناء المسلمين، ويفخرون بذلك آباء وأبناء، ثم يجعلون مرد أمرهم إلى معتنقي هذا (الياسق العصري) ويقرون من يخالفهم في ذلك، ويسمون من يدعوهم إلى الاستمساك بدينهم وشريعتهم (رجعيا) و (جامدا) إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة.

بل إنهم أدخلوا أيديهم فيما بقي في الحكم من التشريع الإسلامي، يمهدون تحويله إلى (ياسقهم) الجديد بالهويينا واللين تارة، وبالمر والخذعة تارة، وبما ملكت أيديهم من السلطات تارات، ويصرحون، ولا يستحيون، بأنهم يعملون على فصل الدولة من الدين! أفيجوز إذن - مع هذا - لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد أعنى التشريع الجديد؟

أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا (الياسق العصري) وأن يعمل به ويعرض عن شريعته البيّنة؟ ما أظن أن رجلا مسلما يعرف دينه، ويؤمن به جملة وتفصيلا، ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتابا محكما لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وبأن طاعته وطاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعياً الوجوب في كل حال - ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول، بأن ولاية القضاء في هذه الحال باطلة



بطلانا أصلياً، لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة؟ إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح، لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لاحد ممن ينتسب للإسلام كائنا من كان في العمل بها، أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر كل امرؤ لنفسه، وكل امرئ حسيب نفسه (١).

ويقول الشيخ أحمد شاکر أيضاً فيمن ينكرون حد السفه (هذا حكم الله في السارق والسارقة، قاطع صريح اللفظ والمعنى، لا يحتمل أي شك في الثبوت ولا في الدلالة، وهذا حكم رسول الله تنفيذاً لحكم الله وطاعة أمره، في الرجال والنساء، قطع اليد، لا شك فيه، حتى ليقول (ﷺ) «لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

فانظروا إلى ما فعل بنا أعداؤنا المبشرين المستعمرون!! لعبوا بديننا وضربوا علينا قوانين وثنية ملعونة، نسخوا بها حكم الله وحكم رسوله، ثم ربّوا فينا ناساً ينتسبون إلينا، أشربوهم في قلوبهم بغض هذا الحكم، ووضعوا على ألسنتهم كلمة الكفر، أنّ هذا حكم قاس لا يناسب هذا العصر الماجن عصر المدنية المتهتكة، وجعلوا هذا الحكم موضع سخريتهم وتندرهم فكان عن هذا أن امتلأت السجون في بلادنا وحدها بمئات الألوف من اللصوص، بما وضعوا في القوانين من عقوبات للسرقة، ليست برادعة، ولن تكون أبداً رادعة ولن تكون أبداً علاجاً لهذا الداء المستشري.

ثم أدخلوا في عقول الطبقة المثقفة، وخاصة القائمين على هذه القوانين الوثنية ما يسمونه (علم من العلوم) وهو ليس بعلم ولا شبيه به، بل هو أهواء متناقضة متباينة، لكل إمام من أئمة الكفر في هذا العلم رأى ينقض رأى مخالفه، ممّ جاءوا في التطبيق يلتمسون الأعذار من علم النفس لكل لص بحسبه، ثم زاد الأمر شراً أن يكتب اللصوص أنفسهم كلاماً يلتمسون به الأعذار لجرمهم، وقام المدافعون عنهم المقامات التي توردهم النار، يعلمون أنّ الجهة ثابتة، فلا يحاولون إنكارها، بل يحاولون التهوين من شأنها، بدراسة نفسية المجرم وظروفه!!

(١) عمدة التفسير - اختبار وتحقيق أحمد محمد شاکر، طبعة دار المعارف سنة ١٣٧٧، ١٩٥٧ م ج ٤، ص ١٧١-١٧٢.



لقد جادلت منهم رجالاً أكثر من أساطينهم، فليس عندهم إلا أن حكم القرآن في هذا لا يناسب العصر!! وإن المجرم إن هو إلا مريض يجب علاجه لا عقابه، ثم ينسون قول الله سبحانه في هذا الحكم (جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ) <sup>(١)</sup>. فالله سبحانه وهو خالق الخلق، وهو أعلم بهم، وهو العزيز الحكيم، يجعل هذه العقوبة للتنكيل بالسارقين، نصاً قاطعاً صريحاً، فأين يذهب هؤلاء الناس؟ المسألة عندنا - نحن المسلمين - هي من صميم العقيدة، ومن صميم الإيمان، فهؤلاء المنتسبون إلى الإسلام، المنكرون حد القطع أو الراغبون عنه، سنسألهم: أتؤمنون بالله؟ وبأنه خالق هذا الخلق؟ فسيقولون: نعم، أتؤمنون بأنه يعلم ما كان وما يكون، وبأنه أعلم بخلقه من أنفسهم، وبما يصلحهم وبما يضرهم؟ فسيقولون نعم، أتؤمنون بأنه أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه هذا القرآن من لدنه هدى للناس واصلاحاً لهم في دينهم ودينهم؟ فسيقولون: نعم، أتؤمنون بأن هذه الآية بعينها (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) <sup>(٢)</sup> من القرآن؟ فسيقولون: نعم . إذن فأني تصفون؟

وعلي أي شرع تقومون؟ أما من أجب - ممن ينتسب للإسلام - على أي سؤال من هذه التساؤلات بأن: لا، فقد فرغنا منه وعرفنا مصيره، وقد أيقن كل مسلم من عالم أو جاهل، مثقف أو أمي، أن من يهول في شيء من هذا: لا فقد خرج من الإسلام وتردى في حمأة الردة، وأما من عدا المسلمين، ومن عدا المنتسبين للإسلام، فلن نجادلهم في هذا، ولن نسايرهم في الحديث عنه، إذ لم يؤمنوا بمثل ما آمننا، ولن يرضوا عنا أبداً إلا أن نقول مثل قولهم وعياداً بالله من ذلك.

ولو عقل هؤلاء الناس الذين ينتسبون للإسلام - لعلوا أنّ بضعة أيد من أيدي السارقين، لو قطعت كل عام؛ لنجت البلاد من سبة اللصوص؛ ولما وقع كل عام إلا بضعة سرقات، كالشيء النادر، ولخلت السجون من مئات الألوف التي نجعل السجون مدارس حقيقية للتفنن في الجرائم، لو

(١) المادة الآية ٣٨

(٢) المادة الآية ٣٨

عقلوا لفعلوا، ولكنهم يسرون على باطلهم؛ ليرضى عنهم سادتهم ومعلموهم وهيئات<sup>(١)</sup>.

ومن فتاوى العلماء المسلمين حول بعض الطوائف المرتدة عن دين الإسلام أنقل لك جواب ابن تيمية رحمه الله تعالى على سؤال عن طائفة من هذه الطوائف تسمى (النصيرية) فقال: (الحمد لله رب العالمين هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ) أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والإفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاته أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ) ولا بملة من الملل السالفة، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها، يدعون أنها علم الباطن وليس لهم حد محدود فيما يدعون من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه... إلى أن قال: (ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيادهم إذا استولى - والعياذ بالله تعالى - النصارى على ثغور المسلمين... فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره، فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك، ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد، وصلاح الدين، وأتباعهما وفتحوا السواحل من النصارى، وممن كان بها منهم، وفتحوا أيضا أرض مصر، فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة، واتفقوا هم والنصارى، فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد.

(١) عمدة التفسير ج ٤ ص ١٤٦، ١٤٧.

ثم إنَّ التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم.

وهم ألقاب معروفة عند المسلمين، تارة يسمون (الملاحدة) وتارة يسمون (القرامطة) وتارة يسمون (الباطنية) وتارة يسمون (الإسماعيلية) وتارة يسمون (الخرمية) وتارة يسمون (الحمرة) وهذه الأسماء منها ما يعمهم، ومنها ما يخص بعض أصنافهم ... ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المتدين، والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب ... وأيضا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك ... ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتف ما يعرفه عن أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله... والمعاون على كفّ شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله تعالى<sup>(١)</sup>.

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية - المجلد ٢٥ ص ١٤٩ وما بعدها.





## الفصل الثاني

- المبحث الأول / القرآن: سورة العنكبوت ١٩-٢٢
- المبحث الثاني / السيرة / ثانيا: الاستعداد للخروج
- المبحث الثالث / أصول الفقه: الفُتيا والتقليد





## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ١٩-٢٢

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِّنْ خَطَايَهُمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [العنكبوت: ٩ - ١٢]

إنه خطاب لكل منكر لله ولقائه، خطاب دليله هذا الكون؛ ومجاله السماء والأرض؛ على طريقة القرآن في اتخاذ الكون كله معرضاً لآيات الإيمان ودلائله؛ وصفحة مفتوحة للحواس والقلوب، تبحث فيها عن آيات الله، وترى دلائل وجوده ووحدانيته، وصدق وعده ووعيده، ومشاهد الكون وظواهره حاضرة أبداً لا تغيب عن إنسان، ولكنها تفقد جدتها في نفوس الناس بطول الألفة، ويضعف إيقاعها على قلوب البشر بطول التكرار؛ فيردهم القرآن الكريم إلى تلك الروعة الغامرة، وإلى تلك الآيات الباهرة بتوجيهه المحيي للمشاهد والظواهر في القلوب والضمائر، ويثير تطلعهم وانتباههم إلى أسرارها وآثارها، ويجعل منها دلائله وبراهينه التي تراها الأبصار وتتأثر بها المشاعر، ولا يتخذ طرائق الجدل الذهني البارد والقضايا المنطقية التي لا حياة فيها ولا حركة، تلك التي وفدت على التفكير الإسلامي من خارجه فظلت غريبة عليه، وفي القرآن المثل والمنهج والطريق.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

وإنهم ليرون كيف بيدئ الله الخلق، يرونه في النبتة النامية، وفي البيضة والجنين، وفي كل ما لم يكن ثم يكون؛ مما لا تملك قدرة البشر مجتمعين ومنفردين أن يخلقوه أو يدعوا أنهم خالقوه! وإنَّ سرَّ الحياة وحده لمعجز، كان وما يزال؛ معجز في معرفة منشئه وكيف جاء ودع عنك أن يحاوله أحد أو يدعيه ولا تفسير له إلا أنه من صنع الله الذي بيدئ الخلق في كل لحظة تحت أعين الناس وإدراكهم، وهم يرون ولا يملكون الإنكار! فإذا كانوا يرون إنشاء الخلق بأعينهم؛ فالذي أنشأه يعيده.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وليس في خلق الله شيء عسير عليه تعالى، ولكنه يقيس البشر بمقاييسهم، فالإعادة أيسر من البدء في تقديرهم، وإلا فالبدء كالإعادة، والإعادة كالبدء بالقياس إلى قدرة الله سبحانه، وإنما هو توجه الإرادة وكلمة كن فيكون. ثم يدعوهم إلى السير في الأرض، وتتبع صنع الله وآياته في الخلق والإنشاء، في الجامد والحي سواء، ليدركوا أن الذي أنشأ يعيد بلا عناء.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠)

والسير في الأرض يفتح العين والقلب على المشاهد الجديدة التي لم تألفها العين ولم يملها القلب، وهي لفحة عميقة إلى حقيقة دقيقة، وإنَّ الإنسان ليعيش في المكان الذي ألفه فلا يكاد ينتبه إلى شيء من مشاهدته أو عجائبه؛ حتى إذا سافر وتنقل وساح استيقظ حسه وقلبه إلى كل مشهد، وإلى كل مظهر في الأرض الجديدة، مما كان يمر على مثله أو أروع منه في موطنه دون التفات ولا انتباه، وربما عاد إلى موطنه بحس جديد وروح جديد ليبحث ويتأمل ويعجب بما لم يكن يهتم به قبل سفره وغيبته، وعادت مشاهد موطنه وعجائبها تنطق له بعد ما كان غافلاً عن حديثها؛ أو كانت لا تفصح له بشيء ولا تناجيه!

فسبحان منزل هذا القرآن، الخبير بمدخل القلوب وأسرار النفوس

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

إنَّ التعبير هنا بلفظ الماضي ﴿كيف بدأ الخلق﴾ بعد الأمر بالسير في الأرض لينظروا كيف بدأ الخلق يثير في النفس خاطراً معيناً، ترى هنالك في الأرض ما يدل على نشأة الحياة الأولى، وكيفية بدء الخليقة فيها، كالحفريات التي يتتبعها بعض العلماء اليوم ليعرفوا منها خط الحياة؛ كيف نشأت؟ وكيف انتشرت؟ وكيف ارتقت؟ وإن كانوا لم يصلوا إلى شيء في معرفة سر الحياة: ما هي؟ ومن أين جاءت إلى الأرض؟ وكيف وجد فيها أول كائن حي؟ ويكون ذلك توجيهاً من الله للبحث عن نشأة الحياة الأولى والاستدلال به عند معرفتها على النشأة الآخرة.

ويقوم بجانب هذا الخاطر خاطر آخر، ذلك أن المخاطبين بهذه الآية أول مرة لم يكونوا مؤهلين لمثل هذا البحث العلمي الذي نشأ حديثاً؛ فلم يكونوا بمستطيعين يومئذ أن يصلوا من ورائه إلى الحقيقة المقصودة به لو كان ذلك هو المقصود فلا بد أنّ القرآن كان يطلب منهم أمراً آخر داخلاً في مقدورهم، يحصلون منه على ما ييسر لهم تصور النشأة الآخرة.

ويكون المطلوب حينئذ أن ينظروا كيف تبدأ الحياة في النبات والحيوان والإنسان في كل مكان، ويكون السير في الأرض كما أسلفنا لتنبه الحواس والمشاعر برؤية المشاهد الجديدة، ودعوتها إلى التأمل والتدبر في آثار قدرة الله على إنشاء الحياة التي تبرز في كل لحظة من لحظات الليل والنهار.

وهناك احتمال أهم يتمشى مع طبيعة هذا القرآن؛ وهو أنه يوجه توجيهاته التي تناسب حياة الناس في أجيالهم جميعاً، ومستوياتهم جميعاً، وملابسات حياتهم جميعاً، ووسائلهم جميعاً؛ ليأخذ كل منها بما تؤهله له ظروف حياته ومقدراته، ويبقى فيها امتداد يصلح لقيادة الحياة ونموها أبداً، ومن ثم لا يكون هناك تعارض بين الخاطرين.

هذا أقرب وأولى.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يبدأ الحياة ويعيدها بهذه القدرة المطلقة التي لا تتقيد بتصورات البشر القاصرة، وما يحسبونه قوانين يقيسون عليها الممكن وغير الممكن، بما يعرفونه من

تجارهم المحدودة!

ومن قدرة الله على كل شيء، تعذيبه لمن يشاء ورحمته لمن يشاء، وإليه وحده المآب لا يعجزه أحد، ولا يمتنع عليه أحد.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)﴾ والعذاب والرحمة يتبعان مشيئة الله؛ من حيث إنه بين طريق الهدى وطريق الضلال؛ وخلق للإنسان من الاستعداد ما يختار به هذا أو ذاك، ويسر له الطريقين سواء، وهو بعد ذلك، وما يختار غير أن اتجاهه إلى الله ورغبته في هداة، ينتهيان به إلى عون الله له كما كتب على نفسه وإعراضه عن دلائل الهدى وصدده عنها يؤديان به إلى الانقطاع والضلال، ومن ثم تكون الرحمة ويكون العذاب.

﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾. تعبير عن المآب فيه عنف، يناسب المعنى بعده.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ فليس لكم من قوة في هذا الوجود تمتنعون بها من الانقلاب إلى الله، لا من قوتكم في الأرض، ولا من قوة ما تعبدونه أحياناً من الملائكة والجن وتحسبون له قوة في السماء.

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

وأين من دون الله الولي والنصير؟ أين الولي والنصير من الناس؟ أو من الملائكة والجن؟ وكلهم عباد من خلق الله لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فوق أن يملكوا لسواهم شيئاً؟



## المبحث الثاني

### السيرة / ثانيا: الاستعداد للخروج

إن حركة النبي (ﷺ) في بناء الدولة، وتربية المجتمع، وإرسال السرايا، وخروجه في الغزوات تعلمنا كيفية التعامل مع سنة الأخذ بالأسباب، سواء كانت تلك الأسباب مادية أو معنوية، ففي غزوة الفتح نلاحظ هذه السنة واضحة في هديه (ﷺ)، فعندما قرر (ﷺ) السير لفتح مكة؛ حرص على كتمان هذا الأمر حتى لا يصل الخبر إلى قريش، فُتعدَّ العدة لمجاботته، وتصده قبل أن يبدأ في تنفيذ هدفه، وشرع في الأخذ بالأسباب الآتية لتحقيق مبدأ المباغطة.

١ - أنه كنتم أمره حتى على أقرب الناس إليه.

فقد أخذ النبي (ﷺ) بمبدأ السرية المطلقة، والكتمان الشديد حتى عن أقرب الناس إليه، وهو أبو بكر (رضي الله عنه) أقرب أصحابه إلى نفسه، وزوجته عائشة (رضي الله عنها) أحب نساءه إليه، فلم يعرف أحد شيئا عن أهدافه الحقيقية، ولا اتجاه حركته، ولا العدو الذي ينوي قتاله، بدليل أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) عندما سأل ابنته عائشة (رضي الله عنها) عن مقصد الرسول (ﷺ) قالت له: ما سمى لنا شيئا، وكانت أحيانا تصمت، وكلا الأمرين يدلان على أنها لم تعلم شيئا عن مقاصده (ﷺ)<sup>(١)</sup>.

ويستنبط من هذا المنهج النبوي الحكيم أنه ينبغي للقادة العسكريين أن يخفوا خططهم عن زوجاتهم؛ لأنه ربما يُدعَنَ شيئا من هذه الأسرار عن حسن نية، فتتناقلها الألسن حتى تصير سببا في حدوث كارثة عظيمة<sup>(٢)</sup>.

### ٢ - دعاؤه (ﷺ) بأخذ العيون والأخبار عن قريش.

وبعد أن أخذ رسول الله (ﷺ) بالأسباب البشرية التي في استطاعته؛ توجه إلى الله - عز وجل - بالدعاء والتضرع قائلا: « اللهم خذ على أسمعهم،

(١) انظر: البداية والنهاية (٢٨٢/٤)، والرسول القائد ﷺ، محمود شيت خطاب، ص ٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول (ص)، ص ٣٩٥، ٣٩٦.

وأبصارهم فلا يروننا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة»<sup>(١)</sup>. وهذا شأن النبي (ﷺ) في أموره يأخذ جميع الأسباب البشرية، ولا ينسى التضرع، والدعاء لرب البرية؛ ليستمد منه التوفيق والسداد.

### ٣ - إحباط محاولة تجسس حاطب لصالح قريش.

عندما أكمل النبي (ﷺ) استعدادة للسير إلى فتح مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى أهل مكة يخبرهم فيه نبأ تحرك النبي (ﷺ) إليهم، ولكن الله - سبحانه وتعالى - أطلع نبيه (ﷺ) عن طريق الوحي على هذه الرسالة، ففضى (ﷺ) على هذه المحاولة وهي في مهدها، فأرسل النبي (ﷺ) عليا، والزبير، والمقداد فأمسكوا بالمرأة في روضة خاخ على بعد اثني عشر ميلا من المدينة، وهددوها أن يفتشوها إن لم تُخرج الكتاب؛ فسلمته لهم، ثم استدعى حاطبا (رضي الله عنه) للتحقيق، فقال: يا رسول الله! لا تعجل علي، إنني كنت امرأ ملصقا في قريش - يقول: كنت حليفا - ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم، وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله (ﷺ): «أما إنّه قد صدقكم».

فقال عمر (رضي الله عنه): يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال (ﷺ): «إنّه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم»<sup>(٢)</sup>. أحمد (١/٧٩ - ٨٠)، والبخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿الممتحنة ١﴾

(١) البيهقي في الدلائل (١١/٥)

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥٢/١٨).

يقول محمد بن بكر آل عابد: هذه الآية الكريمة نجدها تمهيدا بين يدي فتح مكة حيث حثَّ الله المسلمين على عدم موالاة الكفار، حتى لا يتأثر المهاجرون بروابط الرحم، والقربى، والمصلحة المادية التي كانت تربط كثيرا منهم بأهل مكة<sup>(١)</sup>.

وهذا منهج نبوي حكيم، فلم ينظر النبي (ﷺ) إلى حاطب من زاوية مخالفته تلك فحسب، وإن كانت كبيرة، وإنما راجع رصيده الماضي في الجهاد في سبيل الله تعالى، وإعزاز دينه، فوجد أنه قد شهد بدرا، وفي هذا توجيه للمسلمين إلى أن ينظروا إلى أصحاب الأخطاء، وذلك بأن ينظروا فيما قدموه لأمتهم من أعمال صالحة في مجال الدعوة، والجهاد، والعلم، والتربية، فإن الذي يساهم في إسقاط فروض الكفاية عن الأمة يستحق التقدير، وإن بدرت منه بعض الأخطاء، هذا فيما إذا كان ما صدر من هؤلاء خطأ محضا وزلة، فكيف إذا كان ما صدر منهم رأيا علميا ناتجا عن الاجتهاد، وهم أهل لذلك؟!!

وبما يجدر التنويه له أنه لا سابقة يقتدى بها في عمل حاطب؛ ذهب هذا الرأي الدكتور عبد الكريم زيدان؛ حيث قال: لا يجوز الاقتداء بعمل حاطب في العفو عمن يعمل عمله؛ لأن العفو عنه كان لعله لم يعد يمكن تحقيقها في غيره بعد عصر الصحابة وهو كونه شهد بدرا، فعلى الجماعة أن تفقه ذلك، وهذا ما فقّهه الإمام مالك؛ إذ قال: يقتل الجاسوس المسلم؛ مما يدل على أنّ إسلام الجاسوس لا يعصمه من عقوبة القتل لخطورة جرمه؛ فإذا فعل أحد أعضاء الجماعة ما فعله حاطب، أو بمستواه من الخطورة عوقب بما يستحقه<sup>(٢)</sup>.

### ثالثا: الشروع في الخروج، وأحداث في الطريق.

١. خرج رسول الله (ﷺ) قاصدا مكة في العاشر من رمضان من العام الثامن للهجرة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: حديث القرآن الكريم (٥٦٨/٢)، ٥٦٩.

(٢) المستفاد من قصص القرآن (٤٠٢/٢).

(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٥٦٠، ٥٦١.

وفي الجحفة لقيه العباس بن عبد المطلب عمه وقد خرج مهاجرا بعياله، فسُرَّ<sup>(١)</sup>، وفي خروج العباس بأهله، وأولاده من مكة وكان بها بمثابة المراسل العسكري، أو مدير الاستخبارات هناك يشير إلى أن مهمته فيها قد انتهت، وخاصة إذا لاحظنا أن بقاءه في مكة كان بأمر الرسول (ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

٢ - النزول بمر الظهران وإسلام أي سفيان بن حرب سيد قريش.  
وتابع رسول الله (ﷺ) سيره حتى أتى مر الظهران<sup>(٣)</sup>، فنزل فيه عشاء، فأمر الجيش، فأوقدوا النيران، فأوقدت عشرة الاف نار، وجعل رسول الله (ﷺ) على الحرس عمر بن الخطاب.

قال العباس: فقلت: واصباح قريش! والله! لئن دخل رسول الله (ﷺ) مكة عنوة قبل أن يأتوه، فيستأمنوه: إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر! وركب بغلة رسول الله (ﷺ)، وخرج يلتمس من يوصل الخبر إلى مكة؛ فلقي أبا سفيان قد خرج من مكة ومعه نفر يلتمسون الأخبار فجاء به إلى رسول الله (ﷺ) فلما رآه رسول الله (ﷺ)، قال: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟!» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك، وأوصلك؛ والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني بعد. قال: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أبي رسول الله؟!».

قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك! أما هذه والله! فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئا. فقال له العباس: ويحك! أسلم قبل أن تُضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم.

قال العباس: قلت: يا رسول الله! إنّ أبا سفيان رجّال يحب الفخر، فاجعل له شيئا، قال: «نعم! من دخل دار أي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» فلما ذهب لينصرف قال رسول الله (ﷺ): «يا عباس! احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمر به جنود الله، فيراها».

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/٢٨٦)، والسيرة النبوية، لأي فارس، ص ٤٠٦

(٢) انظر: تأملات في السيرة النبوية، محمد السيد الوكيل، ص ٢٥٤.

(٣) مر الظهران: واد من أودية الحجاز شمال مكة ب ٢٢ كم.

قال: فخرجت حتى حبسته حيث أمرني رسول الله (ﷺ) ومَرَّت القبائل على راياتها، كلما قبيلة؛ قال: يا عباس! من هذه؟ فأقول: سليم. فيقول: مالي، ولسليم! ثم تمر به القبيلة،

فيقول: يا عباس! من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة!... حتى مر به رسول الله (ﷺ) في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون، والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله يا عباس! من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله (ﷺ) في المهاجرين، والأنصار.

قال: ما لأحد بهؤلاء قبيل، ولا طاقة! ثم قال: والله يا أبا الفضل! لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان! إنها النبوة. قال: فنعلم إذا، قال: قلت: النجاة إلى قومك. البخاري (٤٢٨٠) وعبد الرزاق في المصنف (٣٧٤/٥ - ٣٧٨)، وابن سعد (١٣٤/٢ - ١٣٧)، والبيهقي في الدلائل (٣٢/٥ - ٣٥)، والمطالب العالية (٢٤٤/٤ - ٢٤٦)، ومجمع الزوائد (١٦٤/٦ - ١٦٧)، وابن هشام (٤٤/٤ - ٤٧)<sup>(١)</sup>.

إن في هذه القصة دروساً، وعبراً، وحكماً في كيفية معاملة رسول الله (ﷺ) للنفوس البشرية، ومن أهم هذه الدروس:

١. كان هذا الأسلوب النبوي الكريم في التعامل مع أبي سفيان بالحلم ودعوته للإسلام عاملاً على امتصاص الحقد من قلب أي سفيان، وبرهن له بأن المكانة التي كانت له عند قريش لن تنتقص شيئاً في الإسلام؛ إن هو أخلص له، وبذل في سبيله<sup>(٢)</sup>، وهذا منهج نبوي كريم على العلماء، والدعاة إلى الله أن يستوعبوه، ويعملوا به في تعاملهم مع الناس.

٢. وفي قول رسول الله (ﷺ) لعمه العباس عن أبي سفيان: «أحبسه بمضيق الوادي، حتى مر به جنود الله، فيراها<sup>(٣)</sup>» ففعل العباس، وكان (ﷺ) يريد أن يشن حرباً نفسية للتأثير على معنويات قريش، حتى يتسنى له القضاء على روح المقاومة عند زعيم مكة.

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠.

(٢) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد رواس، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٥٢/٤).

لقد تعمد النبي (ﷺ) شنَّ الحرب النفسية على أعدائه أثناء سيره لفتح مكة، حيث أمر رسول الله (ﷺ) بإيقاد النيران، فأوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق، فكان لمعسكرهم منظر مهيب، كادت تنخلع قلوب القرشيين من شدة هولهِ (١)، وقد قصد النبي (ﷺ) من ذلك تحطيم نفسيات أعدائه، والقضاء على معنوياتهم حتى لا يفكروا في أية مقاومة، وإجبارهم على الاستسلام؛ لكي يتم له تحقيق هدفه دون إراقة دماء، وبتطبيق هذا الأسلوب تم له (ﷺ) ما أراد، ولقد كان اهتمام النبي (ﷺ) بمعنويات المقاتل ونفسيته سبقاً عسكرياً، بدليل أنّ المدارس العسكرية التي جاءت فيما بعد جعلت هذا الأمر موضع العناية، والاهتمام من الناحية العسكرية (٢).

(١) انظر: الطبقات ، لابن سعد (١٣٥/٢).

(٢) انظر: العبقرية العسكرية ، وغزوات الرسول ﷺ ، تأليف اللواء محمد فوج ، ص ٥٦٥.



## المبحث الثالث

### أصول الفقه: الفتيا والتقليد

من كان من غير أهل الاجتهاد، ووقعت له المسألة، فاحتاج إلى معرفة حكمها، فالفرض عليه أن يسأل عنها من يعلم، أو من يستطيع أن يعلم، لقول الله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١). فإذا أعلمه بالحكم، واطمأن قلبه إلى صحة ما يقول، فعليه أن يعمل به، إتباعاً لقوله وتقليداً له.

وهذه المقدمة تتضمن أمرين، نعقد لكل منهما مبحثاً:

**الأول:** تبليغ المجتهد الحكم إلى السائل وهذا الإبلاغ هو الإفتاء.

**والثاني:** عمل السائل بالحكم، لمجرد قول العالم، وذلك هو التقليد.

#### المبحث الأول: الفتيا

تعريف الإفتاء: الإفتاء هو الإخبار بحكم الله تعالى عن دليل، لمن سأل عنه، في أمر نازل (٢).

#### حكم الإفتاء:

من علم الحكم، فاستفتى فيه، وجب عليه بيانه، لقول الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ وقال النبي (ﷺ): «من سئل عن علم فكتمه، أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (٣).

#### ولا يجب عليه الإفتاء إلا بشروط:

**الأول:** أن يكون عالماً بالحكم، أو متمكناً من تحصيل العلم به.

**الثاني:** أن تكون المسألة قد وقعت، فإن لم تكن وقعت لم يلزمه الجواب إلا إن كان في المسألة نص معلوم.

**الثالث:** ألا يخاف من ترتب شر على الفتيا أعظم من عدم الإفتاء.

(١) سورة النحل/ ٤٣.

(٢) هذا هو التعريف الذي اخترناه، كما ذكرناه في رسالتنا في الافتاء المسماة «الفتيا ومناهج الإفتاء» وابتناها هناك الأدلة، فليرجع إليها.

(٣) حديث «من سئل عن علم فكتمه.» رواه أحمد والأربعة.

**الرابع:** ألا يكون المستفتي يريد اتخاذ الفتيا حجة له على باطل. هذا وإن ملاحظة الأمرين الأخيرين أمر زائد على الاجتهاد، لكن ملاحظتهما لا بد منها لوقوع الإفتاء موقعه.

**حقيقة عمل المفتي.**

**عمل المفتي يتألف من عنصرين:**

**الأول: الوصول إلى معرفة الحكم المجرد.**

ويصل إلى ذلك بمعرفة توثيق المنقول وفهم دلالتها، وبالاجتهاد القياسي أو الاستدلالي، أو غيرها، كما تقدم في الأبواب السابقة.

**الثاني: التطبيق على الواقعة.**

فإذا علم المفتي الحكم المجرد، نزله على حال السائل وظروف مسألته، ويكون ذلك بأن يعلم الحالة المسؤول عنها، ويحيط بها بالاستفسار عنها من السائل نفسه، ومن غيره إن لزم، ويستوضح من القرائن الواضحة، فإذا حصلت لديه الصورة الكاملة للواقعة عرف من التفاصيل ما له تأثير في الحكم، وما لا تأثير له، ثم يتأمل أبواب الشريعة وتفصيلاتها؛ ليعلم أي حكم منها وأي تفصيل توجد علته في تلك الواقعة فيعلم انطباق الحكم عليها، فيحكم عليها بذلك الحكم وهذا ما يسميه الأصوليون (تحقيق المناط) أي تحقيق علّة الحكم في المسألة المسؤول عنها.

**وبذلك تكون الفتيا هي تطبيق الشريعة على واقع الحياة.**

وهذا النوع لا تثبته الأدلة، بل هو عمل اجتهادي صرف، ولا غني عنه في كل الوقائع وهو مزلة أقدام لمن لم يثبت ولم يمارس.

**مؤهلات المفتي.**

من شروط المفتي أن يكون مجتهداً ولذا لا بد أن تتوفر فيه شرائط الاجتهاد وقد تقدم إيضاها.

**ويضاف إليها ثلاثة شروط أخرى.**

**الأول:** أن يكون عدلاً؛ لأنه مخبر وخبر الفاسق لا يقبل بخلاف اجتهاده، فقد يجتهد لنفسه، وهو يعلم صدق نفسه.

**الثاني:** جودة القرحة واليقظة وكثرة الاصابة، فلا تصح فتيا الغبي والمغل؛ لأنه تخفي عليه أحوال المستفتين، ولا ينتبه إلى تأثير القرائن، والأمارات الغامضة.

**الثالث:** أن تكون له نية صالحة؛ ليكون لكلامه نور، ويكون له قبول لدى المستفتي، وليصدق قوله فعلة ولا يكذبه.

ومن اشتراط الاجتهاد في المفتي يعلم أن من يخبر بما في كتب الفقه، لمجرد ذكره فيها، فليس عمله ذلك إفتاء، وإنما هو مجرد نقل لا غير، إلا أنه في التطبيق على الوقائع لا يكون إلا مجتهدا.

هذا وقد تكلمنا في شأن الإفتاء وآدابه ومسائله في رسالتنا في (الإفتاء) بما فيه بيان ومقنع إن شاء الله، فليرجع إليها من شاء.

### المبحث الثاني: التقليد

التقليد قبول قول الغير من غير معرفة بدليله، فليس عمل الإنسان بناء على ما فهمه من آية من كتاب الله تقليدا، ولا العمل بالحديث كذلك تقليدا، ولا بالإجماع (على القول به).

وقد اختلف الأئمة في حكم التقليد على ثلاثة أقوال:

١. فبعضهم حرمه.
٢. وبعضهم أوجبه.
٣. وبعضهم أوجب الاجتهاد عند إمكانه، وأجاز التقليد عند تعذر الاجتهاد أو تعسره، فقالوا إنَّ العامي الذي لا قدرة له على الاجتهاد فرضه التقليد، والذي عنده طرفا من العلم ولم تحصل له شروط الاجتهاد يقلد وله أن يسأل عن الدليل ووجه الاستدلال، والذي تحصلت له آلة الاجتهاد وشروطه، وضاق وقته عن الاجتهاد، يجوز له التقليد، والذي حصل له بعض الشروط دون بعض كمن حصل آلة الفهم، ولم يحصل معرفة طرق ثبوت الحديث، يقلد في الثبوت ويجتهد في الدلالة.

والشوكاني ممن حرم التقليد، ولكنه أثبت واسطة بين الاجتهاد والتقليد، سماها (الاتباع) ومعناها أن من لا يعلم، ولا يستطيع الوصول إلى العلم

بنفسه يسأل العالم، ولكنه لا ينبغي أن يسأله عن رأيه واجتهاده، وإنما يسأله عن الأدلة التي يعرفها من الكتاب والسنة ليدكرها لغير العالم فيعمل بها. قال: «الحاصل أنه لم يأت من جوز التقليد، فضلا عن أوجهه، بحجة ينبغي الاشتغال بجوابها قط» ثم قال: «وأما ما ذكروه من استبعاد أن يفهم المقصرون نصوص الشرع، وجعلوا ذلك مسوغا للتقليد، فليس الأمر كما ذكروه فهما هنا واسطة بين الاجتهاد والتقليد وهي سؤال الجاهل العالم عن الشرع فيما يعرض له، لا عن رأيه البحث واجتهاده المحض.

وعندي أن القول بعدم جواز التقليد غلو وإفراط وإنكار للبدهييات فأين يجد كل المسلمين الوقت الكافي والقدرة التامة لإثبات الأدلة الشرعية بالنقول الموثقة، ثم الاجتهاد في دلالاتها وخاصة عند التعارض أو خفاء الدلالات، ومن قال إن بإمكانهم ذلك فإن قوله دعوى يكذبها الواقع. ومن جهة أخرى لا نرى حجة مع موجبي التقليد على كل أحد، حتى على العلماء، وقفل باب الاجتهاد، والالزام بالتعصب المذهبي.

**وأولى الأقوال عندي بالصواب هو القول الثالث الذي ذكرناه آنفا، مع الاسترشاد بما ذكره الشوكاني في مسألة (الاتباع)**

فعلى المفتي والمجتهد إذا بين الأحكام أن بينها مقرونة بالنقول القريبة من أفهام العامة مع الإشارة إلى وجه استخراج الحكم منها مع العلم أن ذلك لا يخرجهم عن حيز التقليد، ولكن هو أهل أن يفتح لهم باب فهم الكتاب والسنة شيئا فشيئا، ويدلهم على كيفية الوصول إلى النقول، وكيفية الفهم فيها، لتتربى فيهم القدرة على الإدراك السليم لأحكامها ومراميها.

وما نقل عن الأئمة الأربعة وكثير غيرهم من علماء الأمة من مثل قولهم «لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي وخذ من حيث أخذوا» محمله على أنهم قالوا ذلك لتلاميذهم المؤهلين، يحثوهم بذلك على عمل هم عليه قادرون، وليس قولهم ذلك موجهها إلى العوام العجزة عنه، ولكن يستفاد من فحواه إرشاد العوام إلى سلوك طريق التفهم للكتاب والسنة شيئا فشيئا، وإن كانوا لا يستقلون بإدراك الأحكام الاجتهادية في حال عجزهم والله أعلم.

– ما على المقلد أن يفعله.

إذا وقعت للمقلد واقعة، فعليه أن يتجه إلى أهل العلم المعروفين بالدين والعدالة، فيسألهم عن العلماء بالكتاب والسنة العارفين بما فيهما، المستكملين لأدلة الاجتهاد فإذا دل على هؤلاء سألم عما عندهم من الأدلة الواردة في مسألته، فإن كان فيها نصوص صريحة غير محتملة تنطبق على مسألته انطباقاً واضحاً، أخبروه بها وكانت هي جوابه، وإن كان فيها احتمال، أو تعارض ظاهر، أو لم يكن في المسألة نقول، طلب منهم أن يخبروه باجتهدهم فيها، فإذا أخبروه واطمان قلبه إلى عملهم وصدقهم ونصحهم، فعليه أن يعمل بذلك.

وإن اختلفت عليه أقوال المجتهدين وجب عليه اتباع أوثقهم في نفسه إذا اطمأن قلبه إلى قولهم، وليس هو بالخيار يأخذ بما شاء ويترك ما شاء، فإن ذلك مدخل إلى اتباع الهوى.



## الفصل الثالث

- المبحث الأول / القرآن: سورة العنكبوت ٢٤-٣٥
- المبحث الثاني / علوم الحديث: المدرج - المقلوب
- المبحث الثالث / الدعوة: القاعدة الثالثة عشرة





## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ٢٤-٣٥

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ \* فَأَمَنَ لَهُ وُلُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا هُوَ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي لَأَتَأْتُونَ الْفُلْجِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُم لَأَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤ - ٣٥]

وبعد هذا الخطاب المعترض في ثنايا القصة، الذي جاء خطاباً لكل منكر لدعوة الإيمان ولقوم إبراهيم ضمناً، بعد هذا الخطاب يعود لبيان جواب

قوم إبراهيم، فيبدو هذا الجواب غريباً عجبياً، ويكشف عن تبجح الكفر والطغيان، بما يملك من قوة ومن سلطان.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

اقتلوه أو حرقوه رداً على تلك الدعوة الواضحة البسيطة المرتبة التي خاطب بها قلوبهم وعقولهم على النحو الذي بينا قيمته في عرض الدعوات.

وإذ إن الطغيان أسفر عن وجهه الكالح؛ ولم يكن إبراهيم عليه السلام يملك له دعماً، ولا يستطيع منه وقاية، وهو فرد أعزل لا حول له ولا طول، فهنا تتدخل القدرة سافرة كذلك، تتدخل بالمعجزة الخارقة لمألوف البشر.

﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾

وكان في نجاته من النار على النحو الخارق الذي تمت به آية لمن تهيأ قلبه للإيمان، ولكن القوم لم يؤمنوا على الرغم من هذه الآية الخارقة، فدل هذا على أن الخوارق لا تهدي القلوب، إنما هو الاستعداد للهدى والإيمان

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

الآية الأولى هي تلك النجاة من النار، والآية الثانية هي عجز الطغيان عن إيذاء رجل واحد يريد الله له النجاة، والآية الثالثة هي أن الخارقة لا تهدي القلوب الجاحدة، ذلك لمن يريد أن يتدبر تاريخ الدعوات، وتصريف القلوب، وعوامل الهدى والضلال.

ويعضي في القصة بعد نجاة إبراهيم من النار، فلقد يئس من إيمان القوم الذين لم تلن قلوبهم للمعجزة الواضحة، فإذا هو يجبههم بحقيقة أمرهم قبل أن يعتزلهم جميعاً.

﴿وقال: إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ومأواكم النار، وما لكم من ناصرين﴾

إنه يقول لهم: إنكم اتخذتم الأوثان من دون الله، لا اعتقاداً واقتناعاً بأحقية هذه العبادة؛ إنما يجامل بعضكم بعضاً، ويوافق بعضكم بعضاً، على هذه

العبادة؛ ولا يريد الصاحب أن يترك عبادة صاحبه حين يظهر الحق له استبقاء لما بينكم من مودة على حساب الحق والعقيدة! وإن هذا ليقع في الجماعات التي لا تأخذ العقيدة مأخذ الجد، فيسترضي الصاحب صاحبه على حساب العقيدة؛ ويرى أمرها أهون من أن يخالف عليه صديقه! وهي الجد كل الجد. الجد الذي لا يقبل تهاوناً ولا استرخاءً ولا استرضاءً.

ثم يكشف لهم عن صفحتهم في الآخرة، فإذا المودة التي يخشون أن يمسوها بالخلاف على العقيدة، والتي ييقون على عبادة الأوثان محافظة عليها، إذا هي يوم القيامة عداء ولعن وانفصام.

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾  
يوم يتنكر التابعون للمتبوعين، ويكفر الأولياء بالأولياء، ويتهم كل فريق صاحبه أنه أضله، ويلعن كل غويّ صاحبه الذي أغواه!  
ثم لا يجدي ذلك الكفر والتلاعن شيئاً، ولا يدفع عن أحد عذاباً.

﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾  
النار التي أرادوا أن يحرقوه بها، فنصره الله منها ونجاه، فأما هم فلا نصرة لهم ولا نجاة!

وانتهت دعوة إبراهيم لقومه، والمعجزة التي لا شك فيها انتهت هذه وتلك بإيمان فرد واحد غير امرأته هو لوط ابن أخيه فيما تذكر بعض الروايات، وهاجر معه من أور الكلدانيين في العراق، إلى ما وراء الأردن حيث استقر بهما المقام.

﴿فآمن له لوط، وقال: إني مهاجر إلى ربي، إنه هو العزيز الحكيم﴾  
ونقف أمام قولة لوط: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ لنرى فيم هاجر، إنه لم يهاجر للنجاة، ولم يهاجر إلى أرض أو كسب أو تجارة؛ إنما هاجر إلى ربه، هاجر متقرباً له ملتجئاً إلى حماه، هاجر إليه بقلبه وعقيدته قبل أن يهاجر بلحمه ودمه؛ هاجر إليه ليخلص له عبادته ويخلص له قلبه ويخلص له كيانه كله في مهجره، بعيداً عن موطن الكفر والضلال، بعد أن لم يبق رجاء في أن يفيء القوم إلى الهدى والإيمان بحال.

وعوض الله إبراهيم عن وطنه وعن قومه وعن أهله عوضه عن هذا كله ذرية تمضي فيها رسالة الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكل الأنبياء وكل الدعوات بعده كانت في ذريته، وهو عوض ضخم في الدنيا وفي الآخرة. ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب، وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب، وآتيناه أجره في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾

وهو فيض من العطاء جزيل، يتجلى فيه رضوان الله سبحانه على الرجل الذي يتمثل فيه الخلوص لله بكليته، والذي أجمع الطغيان على حرقه بالنار، فكان كل شيء من حوله برداً وسلاماً، وعظفاً وإنعاماً، جزاءً وفاقاً. ثم تأتي قصة لوط عقب قصة إبراهيم، بعد ما هاجر إلى ربه مع إبراهيم، فنزلاً بوادي الأردن؛ ثم عاش لوط وحده في إحدى القبائل على ضفاف البحر الميت أو بحيرة لوط كما سميت فيما بعد، وكانت تسكن مدينة سدوم، وصار لوط منهم بالصهر والمعيشة.

ثم حدث أن فشا في القوم شدوذ عجيب، يذكر القرآن أنه يقع لأول مرة في تاريخ البشرية، ذلك هو الميل الجنسي المنحرف إلى الذكور بدلاً من الإناث اللاتي خلقهن الله للرجال، لتتكون من الجنسين وحدات طبيعية منتجة تكفل امتداد الحياة بالنسل وفق الفطرة المطردة في جميع الأحياء، إذ خلقها الله أزواجاً، ذكراً وإناً، فلم يقع الشذوذ والانحراف إلى الجنس المماثل قبل قوم لوط هؤلاء.

﴿ولوطاً إذ قال لقومه: إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، أننكم لتأتون الرجال، وتقطعون السبيل، وتأتون في ناديكم المنكر. فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين.

قال: رب انصربي على القوم المفسدين﴾ ومن خطاب لوط لقومه يظهر أن الفساد قد استشرى فيهم بكل ألوانه، فهم يأتون الفاحشة الشاذة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين. يأتون الرجال، وهي فاحشة شاذة قدرة تدل على انحراف الفطرة وفسادها من أعماقها، فالفطرة قد تفسد بتجاوز حد الاعتدال والطمهارة مع المرأة،

فتكون هذه جريمة فاحشة، ولكنها داخلة في نطاق الفطرة ومنطقها، فأما ذلك الشذوذ الآخر فهو انحلاع من فطرة الأحياء جميعاً، وفساد في التركيب النفسي والتركيب العضوي سواء، فقد جعل الله لذة المباشرة الجنسية بين الزوجين متناسقة مع خط الحياة الأكبر، وامتداده بالنسل الذي ينشأ عن هذه المباشرة، وجهاز كيان كل من الزوجين بالاستعداد للتذاذ بهذه المباشرة، نفسياً وعضوياً، وفقاً لذلك التناسق، فأما المباشرة الشاذة فلا هدف لها، ولم يجهز الله الفطرة بالتذاذها تبعاً لانعدام الهدف منها، فإذا وجد فيها أحد لذة فمعنى هذا أنه انسلخ نهائياً من خط الفطرة، وعاد مسخاً لا يرتبط بخط الحياة!

ويقطعون السبيل، فينهبون المال، ويروعون المارة، ويعتدون على الرجال بالفاحشة كرهاً، وهي خطوة أبعد في الفاحشة الأولى، إلى جانب السلب والنهب والإفساد في الأرض.

ويأتون في ناديهم المنكر، يأتونه جهاراً وفي شكل جماعي متفق عليه، لا يخجل بعضهم من بعض، وهي درجة أبعد في الفحش، وفساد الفطرة، والتبجح بالرديلة إلى حد لا يرجى معه صلاح!

والقصة هنا مختصرة، والظاهر أنّ لوطاً أمرهم في أول الأمر ونهاهم بالحسنى؛ وأنهم أصروا على ما هم فيه، فخوفهم عذاب الله، وجبههم بشناعة جرائمهم الكبرى.

﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ فهو التبجح في وجه الإنذار، والتحدي المصحوب بالتكذيب، والشroud الذي لا تنتظر منه أوبة، وقد أعذر إليهم رسولهم فلم يبق إلا أن يتوجه إلى ربه طالباً نصره الأخير.

﴿قال: رب انصربي على القوم المفسدين﴾

وهنا يسدل الستار على دعاء لوط، ليرفع عن الاستجابة، وفي الطريق يلم الملائكة المكلفون بالتنفيذ بإبراهيم، يبشرونه بولد صالح من زوجه التي كانت من قبل عقيماً.

﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا: إنا مهلكو أهل هذه القرية، إن أهلها كانوا ظالمين. قال: إن فيها لوطاً. قالوا: نحن أعلم بمن فيها، لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾

وهذا المشهد، مشهد الملائكة مع إبراهيم مختصر في هذا الموضع؛ لأنه ليس مقصوداً قد سبق في قصة إبراهيم أن الله وهب له إسحاق ويعقوب؛ وولادة إسحاق هي موضوع البشرى، ومن ثم لم يفصل قصتها هنا لأن الغرض هو إتمام قصة لوط، فذكر أن مرور الملائكة بإبراهيم كان للبشرى، ثم أخبروه بمهمتهم الأولى.

﴿إنا مهلكو أهل هذه القرية. إن أهلها كانوا ظالمين﴾ وأدركت إبراهيم رفته ورأفته، فراح يذكر الملائكة أنّ في هذه القرية لوطاً؛ وهو صالح وليس بظالم!

وأجابه الرسل بما يطمئنه من ناحيته، ويكشف له عن معرفتهم بمهمتهم وأنهم أولى بهذه المعرفة!

﴿قالوا: نحن أعلم بمن فيها؛ لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ وقد كان هواها مع القوم، تفر جرائمهم وانحرافهم، وهو أمر عجيب، وينتقل إلى مشهد ثالث، مشهد لوط وقد جاء إليه الملائكة في هيئة فتية صباح ملاح؛ وهو يعلم شنشنة قومه، وما ينتظر ضيوفه هؤلاء منهم من سوء لا يملك له دفعاً. فضاقت صدره وساء حضورهم إليه، في هذا الظرف العصيب.

﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾ ويختصر هنا هجوم القوم على الضيوف، ومحاوره لوط لهم، وهم في سعار الشذوذ المريض، وبمضي إلى النهاية الأخيرة. إذ يكشف له الرسل عن حقيقتهم، ويخبرونه بمهمتهم، وهو في هذا الكرب وذلك الضيق. ﴿وقالوا: لا تخف ولا تحزن. إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين.

إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ وترسم هذه الآية مشهد التدمير الذي أصاب القرية وأهلها جميعاً إلا لوطاً

وأهله المؤمنين وقد كان هذا التدمير بأمطار وأحجار ملوثة بالطين، ويغلب  
أنها ظاهرة بركانية قلبت المدينة وابتلعته، وأمطرت عليها هذا المطر الذي  
يصاحب البراكين.

وما تزال آثار هذا التدمير باقية تحدث عن آيات الله لمن يعقلها ويتدبرها  
من القرون.

﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾

وكان هذا هو المصير الطبيعي لهذه الشجرة الخبيثة التي فسدت وأنتنت، فلم  
تعد صالحة للإثمار ولا للحياة، ولم تعد تصلح إلا للاجتثاث والتحطيم.



## المبحث الثاني

### علوم الحديث / المدرج - المقلوب

**تعريفه: الإدراج في اللغة: لفّ الشيء في الشيء.**

**وفي الاصطلاح:** زيادة تتصل بالحديث سنداً أو متناً، وهي ليست منه. الأصل أن يُروى الحديث بسنده ومنتنه وأن لا يُضاف عليه كلام ليس منه سواء في السند أو في المتن، ولكنه قد يدخل على الحديث كلام من أحد الرواة أو يُزاد في سنده راو فيُظن أنّ الزيادة من أصل الحديث، حتى يأتي من يستطيع تمييز هذه الزيادة فينبه الناس إلى أنّها إضافة على الحديث أو إدراج فيه، وقد تكون الزيادة من حديث آخر.

مثال: روى أبو داود قال: حدثنا عبيد الله بن محمد النفيليّ، حدثنا زهير، حدثنا الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمرة، قال: أخذ علقمة بيدي فحدثني أن عبد الله بن مسعود أخذ بيده، وأنّ رسول الله (ﷺ) أخذ بيد عبد الله بن مسعود: فعلمنا التشهد في الصلاة، وفيه: إذا قلت هذا، فقد قضيت صلاتك، إن شئت أن تقوم فقم، وإن شئت أن تقعد فاقعد»<sup>(١)</sup>. فهذه العبارة دخلت على أصل الحديث في رواية زهير بن معاوية، ورويت كأنها من لفظ النبي (ﷺ).

وهي في الحقيقة من كلام ابن مسعود (رضي الله عنه) بعد أن فرغ من روايته لحديث التشهد عقب بهذا القول، ليدل على اكتمال الصلاة بالتشهد، وقد فصل بعض الرواة، فميزوا حديث النبي (ﷺ) من كلام ابن مسعود فتبين الإدراج في الحديث.

وقد يأتي الإدراج في بداية الحديث، وقد يأتي في وسطه، وقد يأتي في آخر الحديث، وقد يأتي في السند بإضافة اسم راو ليس من السند.

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٩٧٠).

## كيف يدرك الإدراج؟

يدرك الإدراج بأحد الأمور التالية<sup>(١)</sup>:

١. إذا ورد منفصلاً في رواية أخرى.
  ٢. إذا نص على ذلك الراوي، أو أحد الأئمة المطلعين.
  ٣. أو باستحالة صدوره عن النبي (ﷺ) كما أدرج أبو هريرة في حديث «للعبد المملوك أجران، والذي نفسي بيده لولا الجهاد والحج وبر أمي أحببت أن أموت وأنا مملوك»<sup>(٢)</sup>.
- من يتأمل هذا الحديث يتساءل: هل كانت أم النبي (ﷺ) حية حتى يبرها؛ وهل يتمنى النبي (ﷺ) حياة الأرقاء؟ إذ إن مثل هذه الزيادة لا تصدر عن النبي (ﷺ) ثم تبين أن الحديث يقتصر على قوله «للعبد المملوك أجران» وما زاد على ذلك إدراج في الحديث.

## حكم المدرج

المدرج يخرج من الحديث، وهو نوع من أنواع الضعيف، فإذا فصل الجزء إلى قائله، فإنه لا يضر الحديث ولا يوصف الجزء المدرج عن الحديث ونسب المدرج عندئذ بالضعف، إلا من حيث ثبوت نسبه إلى قائله أو عدم ثبوتها.

## المقلوب

### تعريفه:

«الحديث الذي أدخل عليه بعض رواته إبدالا في السند أو المتن». مثال: ما رواه الإمام أحمد وغيره، من حديث ابن عمر وعائشة، عن النبي (ﷺ) قال: «إِنَّ بِلَالاً يُوْذَنُ بِلَيْلٍ فَكَلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُوْذَنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ». فقلب الحديث كما يلي: «إِنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ يُوْذَنُ بِلَيْلٍ، فَكَلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُوْذَنَ بِلَالٌ».

وأما في الإسناد فمثاله أن يقال: كعب بن مرة بدل مرة بن كعب.

(١) السيوطي، تدريب الراوي (ج١، ص ٢٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٥٤٨).

وقد يكون القلب بتبديل الإسناد كله لمتن آخر ليس له، وقد يعمد إلى مثل هذا من باب اختبار قدرة المحدث على تمييز الأسانيد وردها إلى متونها. كما فعل محدثو بغداد مع الإمام البخاري، حيث قلبوا له أسانيد مئة حديث فأعاد تركيبها على الوجه الصحيح.

### حكم المقلوب.

إذا أدى القلب في الحديث إلى اختلاف بين الروایتين دون معرفة الراجح منها، فإنه يحكم على الحديث بالضعف، وإذا كان القلب في سند الحديث والتبس الأمر بين ثقة وضعيف فإنه يحكم على السند بالضعف، وإذا دار القلب بين ثقتين فلا يقدح في الحديث.



## المبحث الثالث

### الدعوة: القاعدة الثالثة عشرة

الدعوة سلعة شريفة لا تباع بالأعراض الدنيوية، والأجر الدنيوي يفسد المرءة، ولا يُصلح الدعوة.

الداعية يعمل بمقتضى تكليف الله تعالى، ووظيفة الدعوة ليست من جنس الوظائف الدنيوية، فهي أسمى وأشق، وما من وظيفة تحتمل كل صور الهلاك والإنهاك كوظيفة الدعوة، ففيها توقع هلاك النفس والمال، وفيها احتمال البعد عن الأهل والولد والأوطان، ووظيفة فيها مثل هذا الجهد لا تعادلها الدنيا كلها.

ولقد كان كل نبيٍّ من أنبياء الله الكرام يؤكد هذا المبدأ قائلاً: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الأنعام ٩٠. وقد أمر رسول الله (ﷺ) بالترام هذا النهج، وعندما أعرض أهل مكة عن الإيمان جاءت الآية تسألهم عن سبب إعراضهم، وتقول: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُتَقَلَّبُونَ﴾ الطور ٤٠. علما بأن طلاب الدنيا لا يفعلون شيئاً إلا بأجر دنيوي. وإن قصة السحرة مع موسى - عليه السلام - تثبت هذا عندما قالوا لفرعون: ﴿قَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ﴾ الشعراء ٤١. فأكد لهم فرعون، وقال: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الشعراء ٤٢. وبعد دخول الإيمان إلى قلوبهم لم يتركوا الأجر فقط، بل قالوا له: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ طه ٧٢.

أنواع الأجر الذي ينتزه عنه الداعية.

والأجر الذي ينبغي أن ينتزه عنه الداعية لا يقتصر على المال، وإنما يشمل كل منفعة سببها الدعوة، وينبغي أن لا ينتظر من الناس كلمة الشكر ولا إسداء المعروف. وكل الذي يريده من المعروف أن تصل الدعوة إلى قلوب الخلق.

## والتأكيد على عدم طلب الأجر له فوائد وحكم:

**الأولى:** قد يظن المدعوون أنّ الداعية إنما شرع في الدعوة كي يتوصل بالدعوة إلى الرزق والاكتساب، فرب صاحب دعوة يريد صرف وجوه الناس إليه لينتفع من دعوته، لاسيما وأن معظم الدعاة إلى الله فقراء، وعلى رأسهم الأنبياء الكرام، صلوات الله عليهم، يقول الرازي في تفسير قوله تعالى: (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) هود ٢٩. كأنه عليه الصلاة والسلام قال لهم: إنكم لما نظرتم إلى ظواهر الأمور وجدتموني فقيراً، وظننتم أنني إنما اشتغلت بهذه الدعوة لأتوسل بها إلى أخذ أموالكم، وهذا الظن منكم خطأ، فإي لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً<sup>(١)</sup>.

**الثانية:** تعودت الشعوب أن تتعامل مع المشعوذين والدجالين من الكهنة الذين يتوصلون بالدين إلى الدنيا وملذاتها، فجاء التأكيد على أن هذه الدعوة نقية أصيلة لا يتبغي أهلها عرضاً من أعراض الدنيا يتوصلون إليه بسببها.

**الثالثة:** كل عمل مأجور قد يعتريه النقص والخلل؛ وصاحبه يسير به حسب مقدار الأجر، ودين الله أكرم من أن يربط بمتاع الدنيا وتقلبه، ومن هنا فالعمل للدعوة مرتبط بالإخلاص.

**الرابعة:** والعمل المأجور يتأثر بمن يدفع الأجر، وإرادته تتدخل في العمل، وقد عرفت الدعوات نمطا من الناس غيروا وبدلوا تحت ضغط الأجر الدنيوي، وأما الأنبياء الكرام والصالحون من الدعاة إلى الله فقد ثبتوا على معالم دعوتهم قاطعين طمع كل طامع في أن يغيروا ما جاءوا به أو يبدلوه.

**الخامسة:** وإذا عرف الناس أن الداعية لا يلتمس منفعة دنيوية فإنهم يتبينون صدق الداعية في دعوته، وينجذبون إلى الدعوة، ومن هنا فقد كانت دعوة رسول الله (ﷺ) أكثر الدعوات تأثيراً، وأعمقها أثراً في نفوس الأتباع. قال الحسن البصري: لا تزال كريماً على الناس ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك.

(١) تفسير الرازي ٢١٥/١٧.

ومن لوازم غنى الداعية عن الناس أن يكون ذا كسب من تجارة أو زراعة أو عمل أو وحرفة، كان أيوب السخيتاني يقول لأصحابه: الزموا السوق فإن العافية في الغنى<sup>(١)</sup>، وقد عُرف أصحاب رسول الله (ﷺ) والسلف الصالح بغناهم عن الناس، وذلك لما كانوا عليه من الكسب، وما اتصفوا به من القناعة، ولكن ينبغي أن لا يقود الكسب، كحاجة إلى الحرص، ولا إلى تضييع العمر في جمع المال.

وقد يجد الداعية قبولا عند الناس فيعبرون عن محبتهم له بالهبات والصلوات والخدمات والدعوات، وقبول الداعية لمثل هذه الأمور يحط من دعوته في أنظار الناس فيهون عليهم، ويصبح الداعية مرذول الطريقة مذموم السيرة، والصادقون من الدعاة يعطون ولا يأخذون، وهم أصحاب الأيدي العالية والنفوس الكبيرة، ويدخل هذا تحت المروءة التي هي عنصر من عناصر الشخصية المسلمة، ومكون من مكونات الثقة، يقول الماوردي والمروءة هي حلية النفوس وزينة الهمم<sup>(٢)</sup>، ولا تكون المروءة إلا في العفة والنزاهة والصيانة، والعفة البعد عن المحارم والمآثم، والنزاهة البعد عن المطامع الذاتية والمواقف المريية، وأما الصيانة فتكون بصيانة النفس عن تحمل المنن والاسترسال في الاستعانة بالخلق<sup>(٣)</sup>.

يقول الماوردي: والمحتاج إلى الناس كل مهتضم وذليل مستثقل<sup>(٤)</sup>. ومما يجب أن يُلْتَفَت إليه أن الوظائف التي يجس عليها صاحبها كالتعليم والإمامة والخطابة إنما يأخذ الأجر لكونه مشغولا بها عن الاحتراف والاكْتِسَاب، وهذا جائز شرعا، ويدخل في ذلك أيضا مسؤولية الإمامة العامة وولاية القضاء، وكل ما كان من جنس هذه الأعمال وكان محبوسا عليها، وكذلك أخذ الأجر على المهمات الدعوية التي يكلف الداعية بها، ويتفرغ لها.

(١) حلبة الأولياء ١٠/٣.

(٢) أدب الدنيا والدين ٣٠٦.

(٣) أدب الدنيا والدين بتصرف ٣٠٦/٣١٦.

(٤) أدب الدنيا والدين ٣١٦.



## الفصل الرابع

- المبحث الأول / مراجعة سورة العنكبوت ١٣-٣٥ حفظاً وتفسيراً
- المبحث الثاني / رسالة المؤتمر الخامس (٢)
- المبحث الثالث / التاريخ / الدولة العثمانية: دورهم في حماية المسلمين في أكناف الأرض.



## المبحث الأول

القرآن: سورة العنكبوت (مراجعة وتوسع)

مراجعة سورة العنكبوت ١٣-٣٥ حفظاً وتفسيراً





## المبحث الثاني

### الدعوة: رسالة المؤتمر الخامس (٢)

القسم الثاني: الفهم الصحيح للإسلام.

(٧) نظرة الناس إلى الإسلام.

أ- إنّ كثيرا من المسلمين في كثير من العصور خلعوا عن الإسلام نعوته وأوصافا ورسوما من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخداما ضارا مع أنّها لم تكن إلا للحكمة السامية، فاختلفوا في معنى الإسلام اختلافا، وانطبعت للإسلام في نفس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذي مثله رسول الله وأصحابه خير تمثيل.

ب- النظرات المختلفة للإسلام:

أولا: المعنى الشائع عند عامة المسلمين.

من الناس من لا يرى الإسلام شيئا غير حدود العبادة الظاهرة فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضي به وحسبه قد وصل إلى لب الإسلام، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين.

ثانيا: من الناس من لا يرى في الإسلام إلا الخلق الفاضل والروحانية الفياضة، والغذاء الفلسفي الشهي للعقل والروح، والبعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة.

ثالثا: منهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعاني الحيوية العملية في الإسلام فلا يتطلب النظر إلى غيرها ولا يعجبه التفكير في سواها.

رابعا: معنى الإسلام عند المثقفين ثقافة أجنبية.

منهم من يرى الإسلام نوعا من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التي لا غناء فيها ولا تقدم معها، فهو متبرم بالإسلام وبكل ما يتصل بالإسلام، وتجذ هذا المعنى واضحا في نفوس كثير من الذين ثقفوا ثقافة أجنبية ولم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئا

أصلا، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين. ج - تحت هذه الأقسام جميعا تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها إلى الإسلام عن نظر الآخر قليلا أو كثيرا، وقليل من الناس أدرك الإسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعاني جميعا.

### (٨) نظرة الناس إلى الدعوة.

أ- هذه الصور المتعددة للإسلام الواحد في نفوس الناس جعلتهم يختلفون اختلافا بينا في فهم الدعوة وتصور فكرتهم. ب- نظرات مختلفة إلى الدعوة.

#### أولا: النظرة الأولى.

فمن الناس من يتصور أنهم جماعة وعظيمة إرشادية كل همها أن تقدم للناس العظات فتزهدهم في الدنيا وتذكرهم بالآخرة.

#### ثانيا: النظرة الثانية.

ومنهم من يتصورهم طريقة صوفية تعني بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة

#### ثالثا: النظرة الثالثة.

ومنهم من يظنهم نظرية فقهية كل نظرهم أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضل عنها، وتحمل الناس عليها وتخاصم أو تسالم من لم يسلم بها معها.

#### رابعا: النظرة الرابعة.

قليل من الناس خالطوا الدعوة وامتزجوا بهم ولم يقفوا عند حدود السماع ولم يخلعوا عليهم إسلاما يتصورونه هم، فعرفوا حقيقتهم وأدركوا كل شيء عن دعوتهم علما وعملا.

### (٩) صورة الإسلام الماثلة في نفوس الدعوة.

ولهذا أحببت أن أتحدث لحضراتكم عن معنى الإسلام وصورته الماثلة في نفوس الدعوة حتى يكون الأساس الذي ندعو إليه ونعتر بالانتساب له والاستمداد منه واضحا جليا.

## أ- الإسلام نظام شامل.

نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة، وأن الذين يظنون أنّ هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف.

أولاً: الأدلة من القرآن.

١- والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ويوصي بالإحسان فيه جميعه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧)

٢- وإنك لتقرأ في القرآن في الصلاة إن شئت قول الله تبارك وتعالى في العقيدة و العبادة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة: ٥) .

٣- وتقرأ قوله تعالى في الحكم والقضاء والسياسة: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يَوْمُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)

٤- وتقرأ قوله تعالى في الدين والتجارة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢)

٥- وتقرأ قوله تعالى في الجهاد و القتال و الغزو ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ

لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ﴿النساء: ١٠٢﴾

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة في هذه الأغراض نفسها وفي غيرها من الآداب العامة وشؤون الاجتماع.

**ثانياً: الأمة بين الأخذ بهذا الشمول أو التقليد.**

وهكذا اتصل الدعوة بكل بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل، وأنه يجب أن يهيمن على كل شؤون الحياة وأن تصطبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه، وأن تسائر قواعده وتعاليمه وتستمد منها ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً، أما إذا أسلمت في عباداتها وقلدت غير المسلمين في بقية شؤونها، فهي أمة ناقصة الإسلام تضاهي الذين قال تعالى فيهم: (أَقْتَرُمُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة: ٨٥)

**ب- مصادر الفهم الشامل.**

يعتقد الدعوة المسلمون أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، اللذان إن تمسكت بهما فلن تضل أبداً.

**ج- الموقف من الفقه الاجتهادي.**

إن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها والشعوب التي عاصرتها، ولهذا يجب أن تستقي النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي معين السهولة الأولى، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن تقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما قيدنا الله به، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معنا.



### د- الموقف من القواعد الكلية والجزئيات.

نعتقد أنّ الإسلام كدين عام انتظم كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، وجاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصا في الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها.

### هـ - صياغة النفس الإنسانية هو أساس الإصلاح.

ولضمان حق الصواب في التطبيق، عني الإسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية وهي مصدر النظم ومادة التفكير والتصوير والتشكل، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى ويغسلها من أضرار الغرض والغاية ويهدها إلى الكمال والفضيلة، ويزجرها عن الجور والتهور والعدوان، وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبحت كل ما يصدر عنها صالحا جميلا.

و- مثال من الواقع: يقولون إن العدل ليس في نص القانون، ولكنه في نفس القاضي، وقد تأتي بالقانون الكامل العادل إلى القاضي ذي الهوى والغاية فيطبقه تطبيقا جائرا لا عدل معه، وقد تأتي بالقانون الناقص والجائر إلى القاضي الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقا فاضلا عادلا فيه كل الخير والبر والرحمة والإنصاف.

### ز- النفس الإنسانية وكتاب الله.

النفس الإنسانية محل عناية كبرى في كتاب الله، والنفوس الأولى التي صاغها هذا الإسلام مثال الكمال الإنساني.

### ح- طبيعة الإسلام.

طبيعة الإسلام تسائر العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، ولهذا أيضا كان الإسلام لا يأبى أبدا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة.



## المبحث الثالث

التاريخ: دورهم في حماية المسلمين في أكناف الأرض.

يمكن الرجوع إلى كتاب  
الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط  
للدكتور: علي محمد الصلابي



الكتاب









## الفصل الأول

- المبحث الأول / القرآن: سورة العنكبوت ٣٦ - ٤٥
- المبحث الثاني / الحديث: نجات الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- المبحث الثالث: العقيدة: الاحتياط في تكفير المعينين







## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ٣٦ - ٤٥

قال تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ  
وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ  
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثُمُودًا وَقَدْ  
تَّيَّيَنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ  
السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ  
مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا  
أَخَذْنَا بَذَنِيهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ  
الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ  
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ  
دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ  
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ  
مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا  
يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ  
الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت: ٣٦ - ٤٥]

إشارة إلى قصة شعيب ومدين:

«وإلى مدين أخاهم شعيبا، فقال: يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر،  
ولا تعثوا في الأرض مفسدين. فكذبوه فأخذتهم الرجفة، فأصبحوا في  
دارهم جاثمين»..

وهي إشارة تبين وحدة الدعوة، ولباب العقيدة: (اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر).. وعبادة الله الواحد هي قاعدة العقيدة. ورجاء اليوم الآخر كفيل بتحويلهم عما كانوا يرجونه في هذه الحياة الدنيا من الكسب المادي الحرام بالتطيف في الكيل والميزان، وغصب المارين بطريقهم للتجارة، وبخس الناس أشياءهم، والإفساد في الأرض، والاستطالة على الخلق. وفي اختصار يذكر انتهاء أمرهم إلى تكذيب رسولهم؛ وأخذهم بالهلاك والتدمير، على سنة الله في أخذ المكذبين. (فأخذتم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين)..

وقد تقدم بيان الرجفة التي زلزلت عليهم بلادهم ورجتها بعد الصيحة المدوية التي أسقطت قلوبهم وتركتهم مصعوقين حيث كانوا في دارهم لا يتحركون. فأصبحوا فيها جاثمين. جزاء ما كانوا يروعون الناس وهم يخرجون عليهم مغيرين صائحين!

**وإشارة كذلك إلى مصرع عاد وثمود:**

(وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم؛ وزين لهم الشيطان أعمالهم، فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين).

وعاد كانت تسكن بالأحقاف في جنوب الجزيرة بالقرب من حضرموت، وثمود كانت تسكن بالحجر في شمال الجزيرة بالقرب من وادي القرى. وقد هلكت عاد بريح صرصر عاتية، وهلكت ثمود بالصيحة المزلزلة. وبقيت مساكنها معروفة للعرب يمرون عليها في رحلتى الشتاء والصيف، ويشهدون آثار التدمير، بعد العز والتمكين.

وهذه الإشارة المجملة تكشف عن سر ضلالهم، وهو سر ضلال الآخرين. (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين)..

فقد كانت لهم عقول، وكانت أمامهم دلائل الهدى؛ ولكن الشيطان استهوهم وزين لهم أعمالهم. وأتاهم من هذه الثغرة المكشوفة، وهي غرورهم بأنفسهم، وإعجابهم بما يأتونه من الأعمال، وانخداعهم بما هم فيه من قوة ومال ومتاع. (فصدهم عن السبيل) سبيل الهدى الواحد المؤدي

إلى الإيمان. وضيع عليهم الفرصة (وكانوا مستبصرين) يملكون التبصر، وفيهم مدارك ولهم عقول.

وإشارة إلى قارون وفرعون وهامان. (ولقد جاءهم موسى بالبينات، فاستكبروا في الأرض، وما كانوا سابقين)..

وقارون كان من قوم موسى فبغى عليهم بثروته وعلمه، ولم يستمع نصح الناصحين بالإحسان والاعتدال والتواضع وعدم البغي والفساد. وفرعون كان طاغية غشوماً، يرتكب أبشع الجرائم وأغلظها، ويسخر الناس ويجعلهم شيعاً، ويقتل ذكور بني إسرائيل ويستحيي نساءهم عتواً وظلماً. وهامان كان وزيره المدبر لمكائده، المعين له على ظلمه وبطشه.

(ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض)..

فلم يعصمهم الثراء والقوة والدهاء. لم تعصمهم من أخذ الله، ولم تجعلهم ناجين ولا مفلتين من عذاب الله، بل أدركهم وأخذهم كما سيأتي.

(وما كانوا سابقين)..

هؤلاء الذين ملكوا القوة والمال وأسباب البقاء والغلبة، قد أخذهم الله جميعاً. بعد ما فتنوا الناس وآذوهم طويلاً:

(فكلاً أخذنا بذنبه، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا. وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

فعاد أخذهم حاصب وهو الريح الصرصر التي تتطاير معها حصباء الأرض فتضربهم وتقتلهم، وثمود أخذتهم الصيحة. وقارون خسف به وبداره الأرض، وفرعون وهامان غرقا في اليم وذهبوا جميعاً مأخوذين بظلمهم. (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)..

والآن. وبعد الحديث في مطالع السورة عن الفتنة والابتلاء والإغراء..

الآن يضرب المثل لحقيقة القوى المتصارعة في هذا المجال.. إن هنالك قوة واحدة هي قوة الله. وما عداها من قوة الخلق فهو هزيل واهن، من تعلق به أو احتمى، فهو كالعنكبوت الضعيفة تحتمي بيت من خيوط واهية.

فهي وما تحتمي به سواء:

«مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون».

«إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم. وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون»..

إنه تصوير عجيب صادق لحقيقة القوى في هذا الوجود. الحقيقة التي يغفل عنها الناس أحياناً، فیسوء تقديرهم لجميع القيم، ويفسد تصورهم لجميع الارتباطات، وتحتل في أيديهم جميع الموازين. ولا يعرفون إلى أين يتوجهون. ماذا يأخذون وماذا يدعون؟

وعندئذ تخدعهم قوة الحكم والسلطان يحسبونها القوة القادرة التي تعمل في هذه الأرض، فيتوجهون إليها بمخاوفهم ورغائبهم، ويخشونها ويفزعون منها، ويترضونها ليكفوا عن أنفسهم أذاها، أو يضمنوا لأنفسهم حماها! وتخدعهم قوة المال، يحسبونها القوة المسيطرة على أقدار الناس وأقدار الحياة. ويتقدمون إليها في رغب وفي رهب؛ ويسعون للحصول عليها ليستطيروا بها ويتسلطوا على الرقاب كما يحسبون!

وتخدعهم قوة العلم يحسبونها أصل القوة وأصل المال، وأصل سائر القوى التي يصل بها من يملكها ويجول، ويتقدمون إليها خاشعين كأنهم عباد في المحاريب!

وتخدعهم هذه القوى الظاهرة. تخدعهم في أيدي الأفراد وفي أيدي الجماعات وفي أيدي الدول، فيدورون حولها، ويتهافتون عليها، كما يدور القراش على المصباح، وكما يتهافت القراش على النار! وينسون القوة الوحيدة التي تخلق سائر القوى الصغيرة، وتملكها، وتمنحها، وتوجهها، وتسخرها كما تريد، حيثما تريد.

وينسون أن الالتجاء إلى تلك القوى سواء كانت في أيدي الأفراد، أو الجماعات، أو الدول.. كالتجاء العنكبوت إلى بيت العنكبوت.. حشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو، ولا وقاية لها من بيتها الواهن.

وليس هنالك إلا حماية الله، وإلى حماه، وإلى ركنه القوي الركين. هذه الحقيقة الضخمة هي التي عُني القرآن بتقريرها في نفوس الفئة المؤمنة، فكانت بما أقوى من جميع القوى التي وقفت في طريقها؛ وداست بها على كبرياء الجبارة في الأرض ودكت بها المعازل والحصون. لقد استقرت هذه الحقيقة الضخمة في كل نفس، وعمرت كل قلب، واختلطت بالدم، وجرت معه في العروق، ولم تعد كلمة تقال باللسان، ولا قضية تحتاج إلى جدل. بل بديهية مستقرة في النفس، لا يجول غيرها في حس ولا خيال.

قوة الله وحدها هي القوة. وولاية الله وحدها هي الولاية. وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل؛ مهما علا واستطال، ومهما تجر وطغى، ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل.

إنها العنكبوت: وما تملك من القوى ليست سوى خيوط العنكبوت: (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون).

وإن أصحاب الدعوات الذين يتعرضون للفتنة والأذى، وللإغراء والإغواء. لجديرون أن يقفوا أمام هذه الحقيقة الضخمة ولا ينسوها لحظة، وهم يواجهون القوى المختلفة. هذه تضر بهم وتحاول أن تسحقهم. وهذه تستهويهم وتحاول أن تشتريهم.. وكلها خيوط العنكبوت في حساب الله، وفي حساب العقيدة حين تصح العقيدة، وحين تعرف حقيقة القوى وتحسن التقويم والتقدير.

هذا هو الشوط الأخير في سورة العنكبوت. وقد مضى منها شيطان في الجزء العشرين. ومحور السورة كما أسلفنا هو الحديث عن الفتنة والابتلاء لمن يقول كلمة الإيمان، لتمحيص القلوب وتمييز الصادقين والمنافقين بمقياس الصبر على الفتنة والابتلاء.. وذلك مع التهوين من شأن القوى الأرضية التي تقف في وجه الإيمان والمؤمنين؛ وتفتنهم بالأذى وتصدهم عن السبيل، وتوكيد أخذ الله للمسيئين ونصره للمؤمنين الذين يصبرون على الفتنة، ويثبتون للابتلاء. سنة الله التي مضت في الدعوات من لدن نوح عليه السلام.

وهي السنة التي لا تتبدل، والتي ترتبط بالحق الكبير المتلبس بطبيعة هذا الكون، والذي يتمثل كذلك في دعوة الله الواحدة التي لا تتبدل طبيعتها. وقد انتهى الشوط الثاني في نهاية الجزء السابق بدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين به إلى تلاوة ما أوحى إليه من الكتاب، وإقامة الصلاة لذكر الله، ومراقبة الله العليم بما يصنعون.

وفي الشوط الأخير يستطرد في الحديث عن هذا الكتاب، والعلاقة بينه وبين الكتب قبله. ويأمر المسلمين ألا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فبدلوا في كتابهم، وانحرفوا إلى الشرك، والشرك ظلم عظيم وأن يعلنوا إيمانهم بالدعوات كلها وبالكتب جميعها. فهي حق من عند الله مصدق لما معهم.

ثم يتحدث عن إيمان بعض أهل الكتاب بهذا الكتاب الأخير على حين يكفر به المشركون الذين أنزل الله الكتاب على نبيهم، غير مقدرين لهذه المنة الضخمة، ولا مكتفين بهذا الفضل المتمثل في تنزيل الكتاب على رسول منهم، يخاطبهم به، ويحدثهم بكلام الله. ولم يكن يتلو من قبله كتاباً ولا يخطه بيمينه، فتكون هناك أدنى شبهة في أنه من عمله ومن تأليفه! ويحذر المشركين استعجالهم بعذاب الله، ويهددهم بمجيئه بغتة، ويصور لهم قربه منهم، وإحاطة جهنم بهم، وحالهم يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

ثم يلتفت إلى المؤمنين الذين يتلقون الفتنة والإيذاء في مكة؛ يحضهم على الهجرة بدينهم إلى الله ليعبدوه وحده. يلتفت إليهم في أسلوب عجيب، يعالج كل هاجسة تخطر في ضمائرهم، وكل معوق يقعد بهم، ويقلب قلوبهم بين أصابع الرحمن في لمسات تشهد بأن مُنزل هذا القرآن هو خالق هذه القلوب؛ فما يعرف مساربها ومداخلها الخفية، ويلمسها هكذا إلا خالقها اللطيف الخبير.

وينتقل من هذا إلى التعجب من حال أولئك المشركين، وهم يتخبطون في

تصوراتهم فيقرون لله سبحانه بخلق السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر، وتنزيل الماء من السماء، وإحياء الأرض الموات؛ وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله وحده مخلصين له الدين.. ثم هم بعد ذلك يشركون بالله، ويكفرون بكتابه، ويؤذون رسوله، ويفتنون المؤمنين به. ويذكر المشركين بنعمة الله عليهم بهذا الحرم الآمن الذي يعيشون فيه، والناس من حولهم في خوف وقلق. وهم يفترون على الله الكذب ويشركون به آلهة مفتراة. ويعددهم على هذا جهنم وفيها مثوى للكافرين. وتختتم السورة بوعد من الله أكيد بهداية المجاهدين في الله، يريدون أن يخلصوا إليه، مجتازين العوائق والفتن والمشاق وطول الطريق، وكثرة المعوقين.





## المبحث الثاني

### الحديث: نجات الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا حَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا». رواه البخاري (٢٤٩٣).

### التعريف بالصحابي راوي الحديث

النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، أبو عبد الله. الأمير، العالم، الخطيب. صاحب رسول الله لي وابن صاحبه. وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة سنة اثنتين للهجرة؛ وسمع من النبي، ويعد من الصحابة الصبيان باتفاق. نزل الشام. وولي القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد سنة ٥٣ هـ، وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات، سنة ٦٥ للهجرة. وكان من أخطب العرب. وله شعر مطبوع في ديوان، وهو الذي تنسب إليه «معرفة النعمان»<sup>(١)</sup>.

### معاني الغريب

استهموا: اقترعوا.

(١) - انظر «سير أعلام النبلاء» ٤١١/٣، و«الأعلام» للزركلي ٣٦/٨.



## المعنى الإجمالي للحديث

المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكهما والمعروف هو كل ما أمر به شرعا، والمنكر كل ما نهي عنه شرعا. سواء كان ذلك بصريح القرآن والسنة، أو ما يستفاد من كليات الشريعة ومقاصدها العامة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين المحكمة، التي ميز الله بها هذه الأمة على غيرها من الأمم، فقال تعالى: « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » [آل عمران: ١١٠].

## مثل المصلحين والمفسدين في المجتمع

في هذا الحديث ضرب النبي ﷺ مثلا للمجتمع المسلم بالسفينة التي تمخر البحر، والأصل في هذه السفينة أن تصل بركابها إلى شاطئ السلامة، وتؤمنهم من الغرق، وقد قسم النبي ﷺ في هذا المثل ركاب السفينة إلى قسمين: الأول: قسم حريص على هذه السفينة وسلامتها، وهو قائم عليها بالحفظ والرعاية، يمنع العابثين مها. والقسم الثاني يسعى وراء مصلحة الخاصة، أو مصلحة عامة متوهمة، ولا يراعي ما يتهدد السفينة من أخطار، بل هو يسعى بنفسه إلى إحداث ضرر في هذه السفينة يودي بها وبركابها جميعا إلى الهلاك.

وكان لكل منهما نصيب في هذه السفينة ودور، أما الساعون وراء مصلحة خاصة، أو عامة متوهمة، فقد عزموا على خرق نصيبهم في السفينة للحصول على الماء من أسفلها؛ كي لا يؤذوا من فوقهم إذا مروا عليهم، وهي حجة ظاهرها المصلحة العامة، وأن لهم حقا في هذا الجزء. دون النظر إلى الضرر العام الذي يحدثه هذا الخرق. وأما القسم الآخر وهم الذين يسعون وراء المصلحة العامة الحقيقية، ويحرصون على سلامة السفينة حتى تصل إلى الشاطئ، وينجو جميع أهلها، فقد بادروا إلى إيقاف هؤلاء عن

خرق السفينة، وإهلاك أهلها، فأخذوا على أيديهم، ومنعواهم من هذا الفعل المنكر، فكان في ذلك نجاة الجميع وسلامة السفينة.

### فرض مدافعة الباطل

وهكذا الناس في المجتمع المسلم، فهم قسمان: أما القسم الأول فهم العلماء والدعاة والمصلحون والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، منطلقاتهم من ثوابت الدين والشريعة ومكارم الأخلاق، وهؤلاء هم حراس المجتمع القائمون على خيره، ودفع الأذى والشر عنه. والقسم الثاني هم أهل المنكر والبغي والعدوان، الذين لا يكفون شرهم عن المجتمع، فيسعون في الأرض فسادا، مرجعيتهم الأهواء والمصالح الشخصية والأنظمة الفاسدة، بما لا يمت إلى عقيدة الأمة وشريعته بصله، فيقطعونها عن أصل قوتها ومجدها، وإن كانوا أحيانا يُغلفون إفسادهم هذا بذرائع واهية، أو مصالح متوهمة، ظاهرها المصلحة العامة وباطنها الهلاك والدمار للمجتمع. وبالمدافعة بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أهل المعروف وبين أهل المنكر، تتحقق مصلحة المجتمع بالسلامة من آثار المنكرات الهدامة.

« وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ » [البقرة: ٢٥٢].  
وتلك هي معركة الإصلاح الحقيقية على مدار التاريخ البشري، وفي زماننا هذا قام أعداء الإسلام بإحداث أكبر خرق في تاريخ المجتمع الإسلامي، فنشروا الفساد والظلم والاستبداد وأهلكوا الحرث والنسل، وجعلوا من أبناء المسلمين أعوانا على ذلك، فقامت دعوة الإسلام تقيم على حدود الله من يرعاهها، وتنشع للمجتمع قوامين بالقسط من العلماء والدعاة الربانيين الذين أخذوا على عاتقهم إصلاح ما أفسد هؤلاء، ولقد بدأت آثار هذا الإصلاح بارزة للعيان، حتى صار الأعداء يستهدفون هؤلاء المصلحين «بأنواع شتى من الابتلاءات، من الاعتقال والتشريد والقتل والتضييق في الرزق والتهم والافتراءات والحملات الظالمة، كل ذلك للقضاء على دورهم في الإصلاح.

### أهم ما يرشد إليه الحديث

- ١ - الإصلاح منجاة للمجتمع من الهلاك.
- ٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية التي لا يستقر المجتمع إلا بأدائها على الوجه الأكمل
- ٣ - قد يغلف الفساد بذرائع واهية ومصالح متوهمة فلا يغتر بها المصلحون.
- ٤ - على العلماء والدعاة والمصلحين القيام بواجبهم تجاه المجتمع في الإصلاح ومحاربة الفساد.



## المبحث الثالث

### العقيدة: الاحتياط في تكفير المعينين

يقول صاحب العقيدة الطحاوية:

(إن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرفة المتضمنة نفى ما أثبتته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهي عنه، أو النهي عما أمر به، يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، وقال: من قالها فهو كافر ونحو ذلك .. وأما الشخص المعين إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل ويخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت<sup>(١)</sup> ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال ( إذا مت فاسحقوني ثم ذروني ثم غفر الله له لحشيتة<sup>(٢)</sup>).

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتبيه، فإن تاب والاقتلناه، ثم إذا كان القول في نفسه كفر: قيل أنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع<sup>(٣)</sup>.

يتضح لك من هذا الكلام أنه ينبغي الاحتياط في تكفير الأشخاص المعينين، وهنا أمور هامة ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند الكلام عن نواقض الإسلام:

**الأول:** أن هنالك أمور كثيرة تتناقض مع الشهادتين، أما لمنافاتها للإيمان بالله وأما لمنافقتها للإيمان برسول الله ﷺ وما جاء به، فيجب على كل

(١) يقصد أن ذلك من اختصاص الله سبحانه وليس من اختصاص العباد.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ، ص ٧٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ص ٣٥٧ ، ٣٥٨.

من يعلمها ويعلم ما يدل عليها من النصوص أن ينبه عليها، ويحذر منها، ويفصل أنواعها، وضوابطها بقدر ما أوتي من العلم، ويبين أدلتها من القرآن والسنة، فهذا من بيان الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفاعل ذلك له أجره عند ربه إن أخلص النية.

**الأمر الثاني:** أن هذه الأمور المكفرة تختلف في قوة دلالتها على الكفر، فمنها ما يدل عليه بصريح العبارة لا بما يلزم منه، ومنها ما يدل على الكفر ما يلزم منه لا بصريح العبارة، وهذا النوع الثاني منه ما يكون لازمة قريباً ومفهوماً بأدنى تأمل، ومنه ما يكون أبعد من ذلك.

فمن وقع في النوع الأول أمكن الشهادة عليه بالكفر، ولا يعذر فيه أحد إلا المكره بالمعنى المتقدم، وفي حدود التلفظ به باللسان دون الاعتقاد به، وكذلك ما يقترب منه من النوع الثاني، كمن يدعى انه اله فإنه يستلزم الشريك لله تعالى، وان لم ينف الألوهية عن الله تعالى، ومثله من يدعى إحدى خصائص الألوهية كحق التحليل والتحریم للعباد .

وكمن يقول بقدوم العالم، فإنه يلزم منه القول بأن الله لم يخلق، ولا تأويل له غير ذلك، فهو في قوته كالكفر الصريح، ولا يعذر قائله، وكمن يصدر عنه الرضا الصريح بالكفر كمن يقول لمن أنكر وجود الله: صدقت، أو أنك على حق، فهذا لا يقل في دلالاته على الكفر من قول المنكر نفسه، وقد يكون سبب القوة كثرة صدور أفعال الكفر وأقواله من شخص معين وإقامته عليها، ومن هذا إقامة الشخص على موالاته الكفار وكثرة حصول أفعالها منه، فإن من المستحيل عرفاً قيام عذر لشخص يقيم طوال حياته أو معظمها على أفعال وأقوال تستلزم الكفر أو الرضا به.

ومن وقع فيما يؤدي إلى الكفر عن طريق النظر إلى ما يلزم منه، فهذا الذي ينبغي الاحتياط فيه عند تطبيقه على شخص معين، وتزداد الحاجة إلى الاحتياط كلما كان اللازم بعيداً عن الأمر الذي صدر من ذلك الشخص المعين وذلك بأن ينظر إلى الظروف والقرائن الظاهرة القوية

الدلالة<sup>(١)</sup>.

وهذا الأمر لا يتأتى في الواقع لعامة الناس وإنما يقدر عليه من ملك وسائل الحكم والقضاء في الدولة الإسلامية .

ونضرب لذلك مثلاً: لو أن شخصاً ألقى شيئاً من القرآن في نجاسة فهذا العمل في حد ذاته وبغض النظر عن الفاعل أجمع الفقهاء على التكفير بسببه لأنه يلزم من هذا الفعل تحقير كلام الله والاستخفاف به، فلو رآه شخص آخر، فله أن يقول عن هذا العمل أنه كفر . ولكن لا يستطيع تكفير الشخص المعين الذي فعله حتى يعرف أمرين اثنين على الأقل: أن هذا الشخص يعرف أن ما ألقاه هو القرآن، ويعرف أن الملقى فيه هو النجاسة، فإذا علم ذلك كأن أقر بذلك كان له الحكم بالكفر، ولكن قد يكون الشخص أمياً لا يدرى ما ألقاه، وقد يكون غير مبصر لا يدرى ما ألقاه ولا يدرى ما ألقى فيه وعندئذ تكون هذه قرينة ظاهرة على عدم ارادة التحقير، ويعذر ذلك الشخص المعين.

ومن هنا وجب الاحتياط في تكفير فلان أو فلان إلا أن يصدر منه الكفر الصريح الذي ليس له تأويل معقول سوى الكفر، مع وجوب التنبيه على جميع الأقوال والأعمال التي يلزم منها الكفر إذا تحققت شروط وانتفت موانع .

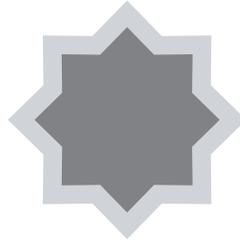
**الأمر الثالث: أن هنالك حكمين يترتبان على كفر العبد:**

**الأول دينوي**، وهو استحقاق المرتد في الدنيا جميع ما دلت عليه النصوص الشرعية من الأحكام التي يجب تنفيذها عليه في هذه الحياة الدنيا، والتي مبناها على ما يصدر عن الإنسان في الظاهر دون النظر إلى مكونات القلوب، وذلك كاستحقاق المرتد القتل إن لم يتب والتفريق بينه وبين زوجته وعدم حل ذبيحته ولا انكاحه وغير ذلك، فهذا من هذه الأحكام يختص بالإمام اختصاص العباد في هذه الدنيا، ويطبقونه على الشخص المعين، وبعض كالأستتابة والقتل .

(١) أشار إلى هذا المعنى ابن حجر الميمني في كتابه الزواج عن اقتراف الكبائر ج ١ ص ٣٨ .

**والحكم الثاني هو الحكم الأخرى:** وهو استحقاق المرتد للخلود في النار، فهذا الحكم يختص بإصداره وتنفيذه على فلان وفلان وفلان، ممن يستحقونه، أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى، ونحن لا نقدر عليه في الحياة الدنيا، ولا نعلمه بخصوص شخص معين، وليس من اختصاص العباد أصلاً، فليس لأحد في هذه الدنيا أن يدعى أنه يعرف مقعد شخص معين في الجنة أو النار، اللهم إلا من أعلمهم الله بذلك من الرسل عليهم الصلاة والسلام، كمن بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، وهم العشرة من الصحابة، الذين شهد لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة، وكمن أخبر عنهم الله في كتابه، أو شهد الرسول أنهم من أهل النار، كأبي لهب الذي نزل فيه قرآن يدل على ذلك .

نعم لنا أن نحكم بصورة اجمالية، فنقول: من كفر بالله أو ارتد عن دينه خلد في النار، وحرمت عليه الجنة، وهذا هو الحد الذي يجب على المسلم أن يقف عنده، وإلا كان باغياً ومعتدياً، قال شارح العقيدة الطحاوية فيما تقدم، وكما قال الطحاوي رحمه الله « ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نار»<sup>(١)</sup>.



(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها: ص ٤٢٦.





## الفصل الثاني

- المبحث الأول / القرآن: سورة العنكبوت ٤٦ - ٥٥
- المبحث الثاني / السيرة / السيرة: خطة النبي ﷺ لدخول مكة وفتحها
- المبحث الثالث / الفقه: مستجدات في المعاملات المالية (٢)





## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ٤٦ - ٥٥

قال تعالى: ﴿ \* وَلَا تَجِدُ لَوْأَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦ - ٥٥]

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون)..

إن دعوة الله التي حملها نوح عليه السلام والرسول بعده حتى وصلت إلى خاتم النبيين محمد - صلى الله عليه وسلم - هي دعوة واحدة من عند

إله واحد، ذات هدف واحد، هو رد البشرية الضالة إلى ربها، وهدايتها إلى طريقه، وتربيتها بمنهاجه. وإن المؤمنين بكل رسالة لإخوة للمؤمنين بسائر الرسالات: كلها أمة واحدة، تعبد إلهاً واحداً. وإن البشرية في جميع أجيالها لصنفان اثنان: صنف المؤمنين وهم حزب الله. وصنف المشاقين لله وهم حزب الشيطان، بغض النظر عن تطاول الزمان وتباعد المكان. وكل جيل من أجيال المؤمنين هو حلقة في تلك السلسلة الطويلة الممتدة على مدار القرون.

هذه هي الحقيقة الضخمة العظيمة الرفيعة التي يقوم عليها الإسلام؛ والتي تقررها هذه الآية من القرآن؛ هذه الحقيقة التي ترفع العلاقات بين البشر عن أن تكون مجرد علاقة دم أو نسب، أو جنس، أو وطن. أو تبادل أو تجارة. ترفعها عن هذا كله لتصلها بالله، ممثلة في عقيدة واحدة تذوب فيها الأجناس والألوان؛ وتختفي فيها القوميات والأوطان؛ ويتلاشى فيها الزمان والمكان. ولا تبقى إلا العروة الوثقى في الخالق الديان.

ومن ثم يكشف المسلمين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى؛ لبيان حكمة مجيء الرسالة الجديدة، والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة، والإقناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله، الموافقة لما قبلها من الدعوات، المكمل لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر.. (إلا الذين ظلموا منهم) فأنحرفوا عن التوحيد الذي هو قاعدة العقيدة الباقية؛ وأشركوا بالله وأخلوا بمنهجه في الحياة. فهؤلاء لا جدال معهم ولا محاسبة. وهؤلاء هم الذين حاربهم الإسلام عندما قامت له دولة في المدينة.

وإن بعضهم ليفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حاسن أهل الكتاب وهو في مكة مطارد من المشركين. فلما أن صارت له قوة في المدينة حاربهم، مخالفاً كل ما قاله فيهم وهو في مكة! وهو افتراء ظاهر يشهد هذا النص المكي عليه. فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى مقصورة على من لم يظلم منهم، ولم ينحرف عن دين الله.

وعن التوحيد الخالص الذي جاءت به جميع الرسالات. (وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون)..

وإذن فلا حاجة إلى الشقاق والنزاع، والجدل والنقاش. وكلهم يؤمنون بإله واحد، والمسلمون يؤمنون بما أنزل إليهم وما أنزل إلى من قبلهم، وهو في صميمه واحد، والمنهج الإلهي متصل الحلقات. (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب. فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به، ومن هؤلاء من يؤمن به، وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون)..

كذلك. على النهج الواحد المتصل. وعلى السنة الواحدة التي لا تتبدل. وعلى الطريقة التي يوحى بها الله لرسوله (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب).. فوقف الناس بإزائه في صفين: صف يؤمن به من أهل الكتاب ومن قريش، وصف يجحده ويكفر به مع إيمان أهل الكتاب وشهادتهم بصدقه، وتصديقه لما بين أيديهم.. (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون).. فهذه الآيات من الوضوح والاستقامة بحيث لا ينكرها إلا الذي يغطي روحه عنها ويستترها، فلا يراها ولا يتملاها! والكفر هو التغطية والحجاب في أصل معناه اللغوي، وهو ملحوظ في مثل هذا التعبير.

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك. إذن لارتاب المبطلون)..

وهكذا يتتبع القرآن الكريم مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولي منها. فرسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بينهم فترة طويلة من حياته، لا يقرأ ولا يكتب؛ ثم جاءهم بهذا الكتاب العجيب الذي يعجز القارئ الكاتبين. ولربما كانت تكون لهم شبهة لو أنه كان من قبل قارئاً كاتباً. فما شبهتهم وهذا ماضيه بينهم؟

ونقول: إنه يتتبع مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولي منها. فحتى على فرض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قارئاً كاتباً، ما جاز لهم أن يرتابوا. فهذا القرآن يشهد بذاته على أنه ليس من صنع البشر. فهو أكبر

جداً من طاقة البشر ومعرفة البشر، وآفاق البشر. والحق الذي فيه ذو طبيعة مطلقة كالحق الذي في هذا الكون. وكل وقفة أمام نصوصه توحى للقلب بأن وراءه قوة، وبأن في عباراته سلطاناً، لا يصدران عن بشر! (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون)..

فهو دلائل واضحة في صدور الذين وهبهم الله العلم، لا لبس فيها ولا غموض، ولا شبهة فيها ولا ارتياب. دلائل يجدونها بينة في صدورهم، تطمئن إليها قلوبهم، فلا تطلب عليها دليلاً وهي الدليل. والعلم الذي يستحق هذا الاسم، وهو الذي تجده الصدور في قرارتها، مستقراً فيها، منبعثاً منها؛ يكشف لها الطريق، ويصلها بالخيط الواصل إلى هناك! (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون).. الذين لا يعدلون في تقدير الحقائق وتقويم الأمور، والذين يتجاوزون الحق والصرط المستقيم. (وقالوا: لولا أنزل عليه آيات من ربه. قل: إنما الآيات عند الله، وإنما أنا نذير مبين).

يعنون بذلك الخوارق المادية التي صاحبت الرسالات من قبل في طفولة البشرية. والتي لا تقوم حجة إلا على الجليل الذي يشاهدها. بينما هذه هي الرسالة الأخيرة التي تقوم حجتها على كل من بلغته دعوتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن ثم جاءت آياتها الخوارق آيات متلوة من القرآن الكريم المعجز الذي لا تنفذ عجائبه، والذي تفتتح كنوزه لجميع الأجيال؛ والذي هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، يحسونها خوارق معجزة كلما تدبروها، وأحسوا مصدرها الذي تستمد منه سلطانها العجيب!

(قل: إنما الآيات عند الله).. يظهرها عند الحاجة إليها، وفق تقديره وتدبيره. وليس لي أن أقترح على الله شيئاً. ليس هذا من شأني ولا من أدبي (وإنما أنا نذير مبين). أنذر وأحذر وأكشف وأبين؛ فأؤدي ما كلفته. والله الأمر بعد ذلك والتدبير.

إنه تجريد العقيدة من كل وهم وكل شبهة. وإيضاح حدود الرسول وهو بشر مختار. فلا تتلبس بصفات الله الواحد القهار. ولا تغيم حولها الشبهات التي غامت على الرسالات حين برزت فيها الخوارق المادية، حتى اختلطت في حس الناس والتبست بالأوهام والخرافات. ونشأت عنها الانحرافات.

**وهؤلاء الذين يطلبون الخوارق يغفلون عن تقدير فضل الله عليهم بتنزيل هذا القرآن:**

(أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم؛ إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)..

وإنه للبطر بنعمة الله ورعايته التي تجل عن الشكر والتقدير. أو لم يكفهم أن يعيشوا مع السماء بهذا القرآن؟ وهو يتنزل عليهم، يحدثهم بما في نفوسهم، ويكشف لهم عما حولهم؛ ويشعرهم أن عين الله عليهم؛ وأنه معنيٌّ بهم حتى يحدثهم بأمرهم. ويقص عليهم القصص ويعلمهم. وهم هذا الخلق الصغير الضئيل التائه في ملكوت الله الكبير. وهم وأرضهم وشمسهم التي تدور عليها أرضهم.. ذرات تائهة في هذا الفضاء الهائل لا يمسكهن إلا الله. والله بعد ذلك يكرمهم حتى لينزل عليهم كلماته تتلى عليهم. ثم هم لا يكتفون!

(إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)..

فالذين يؤمنون هم الذين يجدون مس هذه الرحمة في نفوسهم، وهم الذين يتذكرون فضل الله وعظيم منته على البشرية بهذا التنزيل؛ ويستشعرون كرمه وهو يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته وهو العلي الكبير. وهم الذين ينفعهم هذا القرآن، لأنه يحيا في قلوبهم، ويفتح لهم عن كنوزه ويمنحهم ذخائره، ويشرق في أرواحهم بالمعرفة والنور.

فأما الذين لا يشعرون بهذا كله، فيطلبون آية يصدقون بها هذا القرآن! هؤلاء المطموسون الذين لا تتفتح قلوبهم للنور. هؤلاء لا جدوى من المحاولة معهم؛ وليترك أمر الفصل بينه وبينهم إلى الله!

(قل: كفى بالله بيني وبينكم شهيداً، يعلم ما في السموات والأرض. والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون). وشهادة من يعلم ما في السموات والأرض أعظم شهادة. وهو الذي يعلم أنهم على الباطل:

(والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون).. الخاسرون على الإطلاق. الخاسرون لكل شيء. الخاسرون للدنيا والآخرة. الخاسرون لأنفسهم وللهدى والاستقامة والطمأنينة والحق والنور. إن الإيمان بالله كسب. كسب في ذاته. والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله. إنه طمأنينة في القلب واستقامة على الطريق، وثبات على الأحداث؛ وثقة بالسند، واطمئنان للحمى، ويقين بالعاقبة. وإن هذا في ذاته هو الكسب؛ وهو الذي يخسره الكافرون. (وأولئك هم الخاسرون).. ثم يمضي في الحديث عن أولئك المشركين. عن استعجالهم بالعذاب. وجهنم منهم قريب:

(ويستعجلونك بالعذاب، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب، وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون. يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين. يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويقول: ذوقوا ما كنتم تعملون)..

ولقد كان المشركون يسمعون النذير، ولا يدركون حكمة الله في إمهالهم إلى حين؛ فيستعجلون الرسول صلى الله عليه وسلم بالعذاب على سبيل التحدي. وكثيراً ما يكون إمهال الله استدراجاً للظالمين ليزدادوا عتواً وفساداً. أو امتحاناً للمؤمنين ليزدادوا إيماناً وثباتاً؛ وليتخلف عن صفوفهم من لا يطيق الصبر والثبات. أو استبقاء لمن يعلم سبحانه أن فيهم خيراً من أولئك المنحرفين حتى يتبين لهم الرشد من الغي فيثوبوا إلى الهدى. أو استخراجاً لذرية صالحة من ظهورهم تعبد الله وتحتاز إلى حزيه ولو كان آباؤهم من الضالين.. أو لغير هذا وذاك من تدبير الله المستور..

ولكن المشركين لم يكونوا يدركون شيئاً من حكمة الله وتدبيره، فكانوا

يستعجلون بالعذاب على سبيل التحدي.. (ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب).. وهنا يوعدهم الله بمجيء العذاب الذي يستعجلونه. مجيئه في حينه. ولكن حيث لا ينتظرونه ولا يتوقعونه. وحيث يبهتون له ويفاجأون به: (وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون)..

ولقد جاءهم هذا العذاب من بعد في بدر. وصدق الله. ورأوا بأعينهم كيف يحق وعد الله. ولم يأخذهم الله بالهلاك الكامل كأخذ المكذبين قبلهم؛ كما أنه لم يستجب لهم في إظهار خارقة مادية كي لا يحق عليهم وعده بهلاك من يكذبون بعد الخارقة المادية. لأنه قدر للكثيرين منهم أن يؤمنوا فيما بعد، وأن يكونوا من خيرة جند الإسلام؛ وأخرج من ظهورهم من حملوا الراية جيلاً بعد جيل، إلى أمد طويل. وكان ذلك كله وفق تدبير الله الذي لا يعلمه إلا الله.

وبعد الوعيد بعذاب الدنيا الذي يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون، جعل يكرر استنكاره لاستعجالهم بالعذاب، وجهنم لهم بالمرصاد: (يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)..

وعلى طريقة القرآن في التصوير، وفي استحضار المستقبل كأنه مشهود، صور لهم جهنم محيطة بالكافرين. وذلك بالقياس إليهم مستقبل مستور؛ ولكنه بالقياس إلى الواقع المكشوف لعلم الله حاضر مشهود.

وتصويره على حقيقته المستورة يوقع في الحس رهبة، ويزيد استعجالهم بالعذاب إنكاراً. فأنى يستعجل من تحيط به جهنم، وتهم أن تطبق عليه وهو غافل مخدوع؟!

ويرسم لهم صورتهم في جهنم هذه المحيطة بهم؛ وهم يستعجلون بالعذاب: (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويقول: ذوقوا ما كنتم تعملون)..

وهو مشهد مفرع في ذاته، يصاحبه التقريع المخزي والتأنيب المرير: (ذوقوا ما كنتم تعملون).. فهذه نهاية الاستعجال بالعذاب؛ والاستخفاف بالندير.



## المبحث الثاني

### السيرة: خطة النبي ﷺ لدخول مكة وفتحها

أولاً: توزيع المهام بين قادة الصحابة:

قسّم الرسول عليه السلام الجيش الى أربع فرق بقيادته وكان الزبير بن العوام على المهاجرين وخالد بن الوليد في قبائل قضاة، وسليم، وغيرهم و سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار، وأمرهم أن يكفوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم<sup>(١)</sup>، وبهذا كانت المسؤوليات واضحة، وكل قد عرف ما أسند إليه من مهام، والطريق الذي ينبغي أن يسير فيه<sup>(٢)</sup>.

ودخلت قوّات المسلمين مكة من جهاتها الأربع في ان واحد، ولم تلق تلك القوات مقاومة، إلا ما كان من المنطقة التي توجه إليها خالد<sup>(٣)</sup>، فقد لقي مقاومة ضعيفة استطاع ان يقضي عليها ويشتت شمل أفرادها. لقد دخل أبو سفيان إلى مكة مسرعاً، ونادى بأعلى صوته: يا معشر قريش! هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. وتفرق الناس إلى دورهم، وإلى المسجد<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: دخول خاشع متواضع، لا دخول فاتح متعال:

دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام<sup>(٥)</sup>، وهو واضع رأسه تواضعاً لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن ذقنه ليكاد يمسُّ واسطة الرحل. ودخل وهو يقرأ سورة الفتح. مستشعراً

(١) انظر: من معين السيرة، ص ٣٩٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص ٣٩٧.

(٤) انظر: البداية والنهاية (٤/٢٩٠).

(٥) أحمد (٣٦٣/١) ومسلم (١٣٥٨)، وأبو داود (٤٠٧٦)، والترمذي (١٧٣٥)، والنسائي (٢٠١/٥)، وابن ماجه (٢٨٢٢)

نعمة الفتح، وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز<sup>(١)</sup>، وعندما دخل مكة فاتحاً -وهي قلب جزيرة العرب، ومركزها الروحي، والسياسي - رفع شعار من شعائر العدل والمساواة، والتواضع، والخضوع، فأردف أسامة بن زيد، وهو ابن مولى رسول الله ﷺ، ولم يردف أحداً من أبناء بني هاشم، وأبناء أشراف قريش، وهم كثير، وكان ذلك صباح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة ثمان من الهجرة<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد حرص النبي ﷺ على تأمين الجبهة الداخلية في مكة عند دخوله يوم الفتح، ولذلك عندما بلغه مقولة سعد بن عبادَةَ لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الكعبة، قال ﷺ: «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة». وأخذ الراية من سعد بن عبادَةَ، وسلمها لابنه قيس بن سعد، وهذا التصرف الحكيم حال دون أي احتمال لمعركة جانبية هو في غني عنها، وفي الوقت نفسه لم يُؤثره، ولا آثار الأنصار، فهو لم يأخذ الراية من أنصاري ويسلمها لمهاجر؛ بل أخذها من أنصاري وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر ألا يرضى الإنسان بأن يكون أحد أفضل منه إلا ابنه<sup>(٣)</sup>.

ولما نزل رسول الله ﷺ بمكة، واطمان الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به، وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما بالقوس، ويقول: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) الإسراء (٨١)، (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) سبأ (٤٩)، والأصنام تتساقط على وجوهها<sup>(٤)</sup>، وإنه لمظهر رائع لنصر الله، وعظيم تأييده لرسوله ﷺ؛ إذ كان يطعن تلك الالهة الزائفة المنثورة حول الكعبة بعضاً معه، فما يكاد يطعن الواحد منها بعصاه، حتى ينكفي على وجهه، أو ينقلب على ظهره جُذاذ<sup>(٥)</sup>، ورأى في الكعبة الصور،

(١) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص ٣٩٦.

(٢) انظر: السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، ص ٣٣٧.

(٣) انظر: قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، ص ١٩٦.

(٤) انظر: السيرة النبوية، المنذوي، ص ٣٣٩.

(٥) انظر: فقه السيرة، للبوطن، ص ٢٨٢.

والتماثيل؛ فأمر بالصور، وبالتماثيل فكسرت<sup>(١)</sup>، وأبى أن يدخل جوف الكعبة حتى أخرجت الصور، وكان فيها صورة يزعمون: أنها صورة إبراهيم، وإسماعيل، وفي أيديهما من الأزام، فقال النبي ﷺ: «قاتلهم الله! لقد علموا ما استقسما بهما قط». أحمد (٣٦٥/١)، والبخاري (٤٢٨٨). وكان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة، قبل أن يسلم، فأراد علي رضي الله عنه أن يكون المفتاح له مع السقاية، لكن النبي ﷺ دفعه إلى عثمان بعد أن خرج من الكعبة، ورده إليه قائلاً: «اليوم يوم بر ووفاء» وكان ﷺ قد طلب من عثمان بن طلحة المفتاح قبل أن يهاجر إلى المدينة، فأغلظ له القول، ونال منه، فحلم عنه، وقال: «يا عثمان! لعلك ترى هذا المفتاح يوماً بيدي، اضعه حيث شئت». فقال: لقد هلكت قريش يومئذ، وذلت، فقال: «بل عمرت، وعزت يومئذ» ووقعت كلمته من عثمان بن طلحة موقعا، وظن: أن الأمر سيصير إلى ما قال<sup>(٢)</sup>، ولقد أعطى له رسول الله ﷺ مفاتيح الكعبة قائلاً له: «هاك مفتاحك يا عثمان! اليوم يوم بر ووفاء» (سبق تخرجه)<sup>(٣)</sup>، «خذوها خالدة، تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم<sup>(٤)</sup>».

هذا وقد أمر النبي ﷺ بلالاً رضي الله عنه أن يصعد فوق ظهر الكعبة، فيؤذن بالصلاة، فصعد بلال، وأذن بالصلاة، وأنصت أهل مكة للنداء الجديد على آذانهم كأنهم في حلم، إن هذه الكلمات تقصف في الجو فتقذف بالرعب في أفئدة الشياطين، فلا يملكون أمام دويها إلا أن يولوا هارين، أو يعودوا مؤمنين: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر<sup>(٥)</sup>.

ذلك الصوت الذي كان يهمس يوماً ما تحت أسواط العذاب: أحد! أحد! ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى قائلاً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله!؛ والكل خاشع منصت خاضع.

(١) انظر: السيرة النبوية، للندوي، ص ٣٣٩.

(٢) انظر: المغازي (٨٣٨/٢).

(٣) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (٦٢/٤).

(٤) انظر: المغازي (٨٣٨/٢).

(٥) انظر: فقه السيرة للجزالي، ص ٣٨٣.

### ثالثا: إعلان العفو العام:

١ - نال أهل مكة عفووا عاما برغم أنواع الأذى التي أحقوها بالرسول ﷺ ودعوته، ورغم قدرة الجيش الإسلامي على إبادةهم، وقد جاء إعلان العفو عنهم؛ وهم مجتمعون قرب الكعبة، ينتظرون حكم الرسول ﷺ فيهم، فقال: «ما تظنون أي فاعل بكم؟!» فقالوا: خيرا، أخ كرم، وابن أخ كرم، فقال: «لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم!».

### ٢ - إهدار النبي ﷺ لبعض الدماء:

إلى جانب ذلك الصفح الجميل كان هناك الحزم الأصيل الذي لا بد أن تتصف به القيادة الحكيمة؛ ولذلك استثنى قرار العفو الشامل بضعة عشر رجلا أمر بقتلهم - وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة؛ لأنه عظمت جرائمهم في حق الله ورسوله، وحق الإسلام، ولما كان يخشاه منهم من إثارة الفتنة بين الناس بعد الفتح<sup>(١)</sup>.

ومن هؤلاء من قُتل، ومنهم من جاء مسلما تائبًا، فعفا عنه الرسول ﷺ، وحسُن إسلامه<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - خطبه النبي ﷺ غداة الفتح، وإسلام أهل مكة:

وفي غداة الفتح بلغ النبي ﷺ: أن خزاعة حلفاءه عدت على رجل من هذيل، فقتلوه، وهو مشرك برجل قتل في الجاهلية، فغضب، وقام بين الناس خطيبا، فقال: «يا أيها الناس! إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات، والأرض، فهي حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما، ولا يعضد - يقطع - فيها شجرا، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحال لأحد يكون بعدي، ولم تجاع لي إلا هذه الساعة غضبا على أهلها، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله ﷺ قد قاتل فيها، فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله، ولم يحلها لكم».

كان من أثر عفو النبي ﷺ الشامل عن أهل مكة، والعفو عن بعض من

(١) انظر: السيرة النبوية، لأي شهية (٢/٤٥١)، تأملات في السيرة، ص ٢٦٢.

(٢) انظر: السيرة النبوية، لأي شهية (٢/٤٥١).

أهدر دماءهم أن دخل أهل مكة رجالاً، ونساءً، وأحراراً، وموالي في دين الله طواعية، واختياراً، وبدخول مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجا، وتمت النعمة ووجب الشكر<sup>(١)</sup>، وبايع رسول الله ﷺ الناس جميعاً، الرجال، والنساء، والكبار، والصغار.

#### رابعاً: هدم بيوت الأوثان:

بعد أن طهر البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لا بد من هدم البيوت التي أقيمت للأوثان، فكانت معالم للجاهلية ردحا طويلا من الزمن<sup>(٢)</sup>.

#### دروس وعبر وفوائد

##### ١. تواضع النبي ﷺ :

لقد تجلّى تواضع النبي عليه السلام بأبهى صورته عند دخوله مكة خاشعاً متواضعاً متسامحاً مع أهلها كما تجلّى في صور كثيرة نذكر منها على سبيل المثال قصة إسلام والد أبي بكر: قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها: لما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد؛ أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما راه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا اتيه فيه؟» قال أبو بكر: يا رسول الله! هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم»، فأسلم، قالت: فدخل به أبو بكر، وكان رأسه ثغامة، فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا من شعره». ويروى: أن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلام أبيه<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا الخبر منهج نبوي كرم، سنه النبي ﷺ في توقير كبار السن واحترامهم، ويؤكد ذلك قوله ﷺ: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا» (أحمد (٢٥٧/١)، والترمذي (١٩٢١)، وابن حبان (٤٥٩)). وقوله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبية المسلم» أبو داود

(١) المصدر السابق نفسه (٤٥٦/٢).

(٢) انظر: من معين السيرة، ص ٣٩٤.

(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٥٧٧.

(٤٨٤٣)، كما أنه ﷺ سنَّ إكرام أقارب ذوي البلاء، والبذل، والعطاء، والسبق في الإسلام؛ تقديراً لهم على ما بذلوه من خدمة للإسلام والمسلمين، ونصر دعوة الله تعالى (١).

## ٢- عفو النبي ﷺ وحلمه.

### ٣- تعظيم حدود الله:

قال عروة بن الزبير: إن امرأة سُرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعون، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها؛ تلون وجه رسول الله ﷺ، فلما كان العشي؛ قام رسول الله ﷺ خطيباً فأتى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف؛ تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده! لو أن فاطمة بنت محمد سُرقت؛ لقطعتم يدها»، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت. قالت عائشة رضي الله عنها: فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

وهكذا يستمر البناء التربوي للأمة، ونرى العدل في إقامة شرع الله على القريب والبعيد على حد سواء، ووجدت قريش نفسها أمام تشريع رباني لا يفرق بين الناس.

### نتائج فتح مكة

#### كان لفتح مكة نتائج كثيرة؛ منها:

١ - دخلت مكة تحت نفوذ المسلمين، وزالت دولة الكفر منها، وحانت الفرصة للقضاء على جيوب الشرك في حنين، والطائف، ومن ثم في العالم أجمع.

٢ - أصبح المسلمون قوة عظمى في جزيرة العرب، وبعد فتح مكة تحققت أمنية الرسول ﷺ بدخول قريش في الإسلام، وبرزت قوه كبرى في الجزيرة العربية لا يستطيع أي تجمع قبلي الوقوف في وجهها، وهي مؤهلة

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، للحميدي (١٩٥/٧).

لتوحيد العرب تحت راية الإسلام، ثم الانطلاق إلى الأقطار المجاورة؛ لإزالة حكومات الظلم، وتأمين الحرية لخلق الله؛ لعبادة الله وحده<sup>(١)</sup>.

٣- كان هذا الفتح اثار عظيمة دينية، وسياسية، واجتماعية، وقد بدأت هذه الاثار بصورة يلمسها كل من يُمعن النظر في هذا الفتح المبارك.

فأما الاثار الاجتماعية؛ فتمثلت في رفقه ﷺ بالناس، وحرصه على الأخذ بأيديهم ليعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم، وبالوضع الجديد الذي سيطر على بلدهم، وتعيين من يعلمهم، ويفقههم في دينهم فقد أبقى معاذ بن جبل رضي الله عنه في مكة بعد انصرافه عنها ليصلي بالناس، ويفقههم في دينهم.

وأما الاثار السياسية، فقد عين عتاب بن أسيد أميراً على مكة، يحكم بين الناس بكتاب الله، فيأخذ لضعيفهم، وينتصر للمظلوم من الظالم<sup>(٢)</sup>.

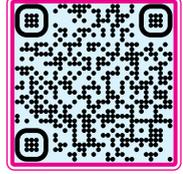
وأما الاثار الدينية؛ فإن فتح مكة، وخضوعها لسلطان الإسلام قد أقنع العرب جميعاً بأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، فدخلوا فيه أفواجا<sup>(٣)</sup>.

٤ - تحقق وعد الله بالتمكين للمؤمنين الصادقين، بعدما ضحوا بالغالي، والنفيس، وحققوا شروط التمكين، وأخذوا بأسبابه، وقطعوا مراحل، وتعاملوا مع سننه، كسنة الابتلاء، والتدافع، والتدرج، وتغيير النفوس، والأخذ بالأسباب.

(١) انظر: قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، لأحمد عزموش، ص ١٢٩

(٢) انظر: تأملات في سيرة الرسول ﷺ، ص ٢٦٦

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٦٧.



## المبحث الثالث

### الفقه: مستجدات في المعاملات المالية (٣)

#### • التعامل مع صاحب المال المشبوه التعريف بالمسألة:

أن يقوم شخص بعقد صفقة بيع مع شخص، يشك أن في ماله شبهة، أي: اكتسبه من طريق حرام.

#### حكم المسألة:

اختلف العلماء في حكم هذه المعاملة على قولين:

**القول الأول:** جواز ذلك، مستدلين بأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب دعوة يهودي، وأكل من طعامه، فعن أنس رضي الله عنه أن يهودي دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى خبز شعير وإهالة سنخة، فأجابه<sup>(١)</sup>. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهودي طعاماً بنسيئة، ورهنه درعه<sup>(٢)</sup>. واليهود وصفهم الله بأنهم أكالون للسهة.

**القول الثاني:** كراهة ذلك، ذهب له الإمام الشافعي والإمام أحمد، وذلك اتقاءً للشبهة، لأمر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير المتفق على صحته، قال: (إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبها، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام: كالراعي حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه)<sup>(٣)</sup> هذا لفظ رواية مسلم، وفي لفظ للبخاري: ((فمن ترك ما شُبه عليه كان لما استبان أترك، ومن اجتراً على ما يشك فيه من المأثم أو شك أن يواقع ما

(١) أخرجه أحمد (٢١٠/٣) والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (رقم ٢٤٩٤) وصححه محققها الدكتور عبدالمملك بن دهب.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٩٩٠) ومسلم (رقم ١٦٠٣)

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥٢) ومسلم (رقم ١٥٩٩).

استبان<sup>(١)</sup> ولقوله صلى الله عليه وسلم: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)<sup>(٢)</sup> القرارات والفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:  
 ١ / فتوى الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف بالإمارات.  
 سئلت الهيئة عن موضوع التعامل مع صاحب المال المشبوه .  
**فأجابت بما نصه:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..  
 فلا بأس بالتعامل مع قريبك هذا، بشرط أن تتجنب معه الوقوع في الربا، كأن تقوم معه بشركة مباحة، وتستفيد من خبرته، ويستفيد من المال الذي مجوزتك، فالعلماء ذكروا أنه يجوز التعامل مع المرابي أو صاحب المال المشبوه في غير الربا: كشراء سلعة منه مثلاً، ومشاركته في غير نشاطه الربوي، إذا كان أكثر ماله حلالاً، ومجرد قرض ربوي واحد لا يجعل المال كله محرماً، قال العلامة ابن الحاجب رحمه الله تعالى: (وإذا اكتسب مالاً عن ربا أو غلول أو غصب أو خمر، وكان الغالب على ماله الحلال، فالمشهور جواز معاملته واستقراضه، وقبض الدين منه، وقبول هديته وهبته، وأكل طعامه)، بالإضافة إلى أن تعاملك معه بالحلال يمكن أن يكون سبباً في توبته، وإقلاعه عن التعامل بالحرام، والله أعلم.

### • تنفيذ العمارات مقابلة لصالح البنوك الربوية التعريف بالمسألة:

أن تقوم مؤسسة مقاولات بتنفيذ مشاريع لصالح بنك ربوي.  
**حكم المسألة:**

يجوز التعامل مع البنك الربوي في بناء عقارات استثمارية، إذا كان بناؤها أو تشييدها لم تدخل فيه معاملات ربوية، لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تعامل مع اليهود، وهم قوم يتعاملون بالربا بصورة فاحشة، وذهب لذلك أعضاء الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي.

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٩٤٦).

(٢) صححه الألباني في صحيح الترمذي.

## الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية: الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي.

سئلت الهيئة عن موضوع تنفيذ العمارات مقاوله لصالح البنوك الربوية.  
فأجابت بما نصه:

يجوز للشخص أن يقوم ببناء العمارة للبنك، إذا لم يتعامل مع البنك على أساس الربا، لأنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تعامل مع اليهود، وهم قوم يتعاملون بالربا بصورة فاحشة، وتعامل معهم الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة صحيحة وسليمة، ولم يتدخل فيها عامل الربا، فنخلص إلى القول: إنه يجوز التعامل مع البنك الربوي في بناء عقارات استثمارية إذا كان بناؤها أو تشييدها لم تدخل فيه معاملات ربوية.

### • شراء آلات لجهة خيرية من الفوائد الربوية التعريف بالمسألة:

أن يتبرع شخص بمبلغ من المال إلى جمعية خيرية، وهذا المبلغ عبارة عن فوائد بنك، ثم تقوم الجمعية بالتصرف في المبلغ بشراء ملتزماتها، من ثلاجة ومكيف وماكينة تصوير، ونحو ذلك.

### حكم المسألة:

يجوز صرف هذه الأموال في وجوه الخيرات، لأن هذه الأموال سبيلها الصرف في وجوه الخيرات، هذا ما ذهب إليه قطاع الإفتاء بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالكويت، ويكون ذلك بنية التخلص من ذلك المال، كما سبق.

### الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية.

سئلت لجنة الإفتاء عن موضوع شراء آلات لجهة خيرية من الفوائد الربوية؛ فأجابت بما يلي:

بما أن هذه الأموال سبيلها الصرف في وجوه الخيرات، فلا مانع من شراء

الأدوات التي تسهل عمل اللجنة، مع التنبيه إلى أنها ليست زكاة ولا تجزئ عن الزكاة الواجبة في أصل المال. والله أعلم.

• فتح حساب في بنك ربوي على أن يسحب الراتب منه مباشرة  
التعريف بالمسألة:

أن يقوم شخص بفتح حساب في بنك ربوي يُحوّل إليه راتبه على أن يسحب المال مباشرة ولا يتركه في حساب البنك الربوي الذي قد يستثمره في الربا لصالحه، سواء كانت هنالك بنوك إسلامية أو لا.

حكم المسألة:

ذهبت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء إلى أن الأصل منع الإيداع في البنك الربوي، ولو كان الإيداع في الحساب الجاري؛ لأن البنك يستعين بالمال على إنجاز معاملاته الجائزة والمحرمة. إلا أنه يستثنى عند الحاجة للإيداع لحفظ المال، كأن إذا خيف عليها من الضياع، بسرقة أو غصب أو نحوهما أو غير ذلك من الحاجات، مع عدم وجود بنك إسلامي، فيجوز والحالة هذه، لما في ذلك من ارتكاب أخف المحظورين، وذهبت كذلك لجنة الإفتاء العام الأردنية إليه، إلا أنها أضافت شرطاً وهو: أن يسارع باستلام راتبه أو المال المحول إليه، فور نزوله في البنك دون أي تأخير.

الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:

١/ لجنة الإفتاء العام الأردنية.

سئلت لجنة الإفتاء عن موضوع فتح حساب في بنك ربوي للضرورة على أن يسحب الراتب منه مباشرة.

فأجابت بما يلي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله؛  
الأصل بالمسلم أن يتعامل مع البنوك الإسلامية، ولكن لم يجد بنكاً إسلامياً،  
أو أي طريقة أخرى لتحويل حوالة مالية أو استلام الراتب: فلا حرج

في فتح حساب جار في بنك ربوي للضرورة والحاجة الماسة، بشرط أن يسارع باستلام راتبه أو المال المحول إليه فور نزوله في البنك، دون أي تأخير، ويحرم تعمد تأخير استلامه؛ لأن البنك سيستفيد من ذلك، فيكون عوناً له على الإثم والعدوان، والله تعالى يقول: (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: ٢).

وإذا حصلت فوائد ربوية على هذا المال وجب التخلص منها بإنفاقها على الفقراء والمساكين وفي مصالح المسلمين. والله تعالى أعلم.

## ٢/ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

سئلت لجنة الإفتاء عن موضوع فتح حساب في بنك ربوي للضرورة على أن يسحب الراتب منه مباشرة.

**فأجابت بما يلي:**

لا يجوز إيداع النقود ونحوها في البنوك الربوية ونحوها من المصارف والمؤسسات الربوية، سواء كان إيداعها بفوائد أو دون فوائد؛ لما في ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، وقد قال تعالى: ((وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ))، إلا إذا خيف عليها من الضياع، بسرقة أو غصب أو نحوهما، ولم يجد طريقاً لحفظها إلا إيداعها في بنوك ربوية مثلاً، فيرخص له في إيداعها في البنوك ونحوها من المصارف الربوية دون فوائد محافظة عليها؛ لما في ذلك من ارتكاب أخف المحظورين. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

### • ضم الفوائد الربوية لركة المتوفى

**التعريف بالمسألة:**

أن يترك شخص لوارثه مالاً، قد اكتسبه بطرق غير مشروعة، كالفوائد الربوية ونحوها.

**حكم المسألة:**

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في جواز ملكية المال الحرام بالإرث، بين

الجواز وعدمه إذا كان الوارث يعلم أن مورثه قد اكتسبه بطريق حرام، وسبب اختلافهم هو هل للوارث أن يحوز هذا المال مع علمه بجرمة كسبه، وعدم إقرار الشارع للوسيلة التي جاء بواسطتها؟  
وممن قال بعدم الجواز اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ولجنة الافتاء العام الاردنية لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِنَّ رُؤُوسَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) البقرة/٢٧٨-٢٧٩.  
وذهب بعض الباحثين إلى جواز ضمها للتركة، والله أعلم.

### الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:

#### ١ / لجنة الإفتاء العام الأردنية.

سئلت لجنة الفتوى عن موضوع الفوائد الربوية و ضمها لتركة المتوفى ( ).  
فأجابت بما يلي:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن مجلس الإفتاء والبحوث والدراسات الإسلامية في جلسته التاسعة المنعقدة يوم الخميس الواقع في: (٢/٩/٤٣١ هـ) الموافق (١٢/٨/٢٠١٠م)، قد اطلع على السؤال الآتي:

والذي توفي وترك لنا مالاً، غير أن والدتي لم توزع المال، بل أبقت في البنوك الربوية لمدة ثلاثين عاماً، فهل يجوز لي أخذ هذا المال، وما حكم الزكاة فيه؟

وبعد الدراسة والبحث ومداولة الرأي؛ قرر المجلس ما يأتي:

إن ما قامت به الأم حرام شرعاً؛ وذلك لأن المال انتقل بعد وفاة الزوج إلى ملك الورثة جميعهم، كل حسب حصته، ولا يجوز بحال أن يمنع الورثة من حقهم الشرعي، وتشتد الحرمة على الأم لتعاملها بالربا؛ لذا يجب عليها التوبة والاستغفار، وسحب المال كاملاً من البنك الربوي، وتوزيعه على مستحقيه. ويجب على الورثة بعد استلام حصصهم إخراج ما زاد

على رأس المال بسبب الربا، والتخلص منه في أوجه الخير، ولهم أجر التخلص من هذا الكسب الحرام؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِمَّ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَّا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (البقرة ٢٧٨-٢٧٩).

وعلى الورثة أيضاً إخراج زكاة نصيبهم لسنة واحدة، إن بلغ نصيب كل واحد نصاب الزكاة. والله تعالى أعلم.

### • فوائد القروض المصرفية

#### التعريف بالمسألة:

أن يقوم البنك بإقراض الأشخاص أو المؤسسات أو الشركات، ويأخذ البنك على ذلك فائدة قلت أو كثرت.

#### حكم المسألة:

ذهب مجمع الفقه الإسلامي الدولي، والمؤتمر الإسلامي الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة إلى تحريمها، وقد استدلوا لذلك بما يلي:  
قوله تعالى: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا.....)

قال الجصاص: « والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله، إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل، بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به » ثم قال: « ولم يكن تعاملهم بالربا إلا على الوجه الذي ذكرنا، من قرض دراهم أو دنانير إلى أجل مع شرط الزيادة ». وقال أيضاً: « معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضاً مؤجلاً بزيادة مشروطة، فكانت الزيادة بدلاً من الأجل ».

وقال الفخر الرازي: « أما ربا النسيئة فهو الأمر الذي كان مشهوراً متعارفاً في الجاهلية، وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدرًا معينًا، ويكون رأس المال باقياً، ثم إذا حل الدين طالبوا المديون

برأس المال، فإذا تعذر عليه الأداء، زادوا في الحق والأجل». **القرارات والفتاوى الصادرة عن المجمع والهيئات الشرعية:**

١/ أقر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الرابعة عشرة بالدوحة (دولة قطر) ٨ - ١٣ ذو القعدة ١٤٢٣ الموافق ١١-١٦ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣ م، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع مشكلة المتأخرات في المؤسسات المالية الإسلامية، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله قرر ما يلي:

### ج/ فوائد البنوك التقليدية من الربا المحرم شرعاً:

إن فوائد البنوك على الودائع من الربا المحرم شرعاً في الكتاب والسنة، وهو ما تضافرت عليه القرارات والفتاوى منذ المؤتمر الإسلامي الثاني لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة في المحرم سنة ١٣٨٥، وحضره خمسة وثمانون فقيهاً من كبار علماء الأمة، وضم ممثلين لحمس وثلاثين دولة إسلامية، ونصّ في بنده الأول على أن: الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم. وتعاقبت بعد ذلك قرارات وتوصيات مؤتمرات عدة منها:

١- المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٦-١٩٧٦م، الذي حضره أكثر من ثلاثمائة من علماء وفقهاء وخبراء في الاقتصاد والبنوك، وقد أكد على حرمة فوائد البنوك.

٢- المؤتمر الثاني للمصارف الإسلامية المنعقد في الكويت ١٤٠٣-١٩٨٣م، وقد أكد على المعنى نفسه مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة مؤتمره الثاني بجدة في ربيع الآخر ١٤٠٦ - ديسمبر ١٩٨٥م في قراره رقم ١٠ (٢/١٠)، الذي نص على أن: كل زيادة أو فائدة على الدين الذي حل أجله وعجز المدين عن الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة أو الفائدة على القرض منذ بداية العقد، هاتان صورتان ربا محرم شرعاً.

٣- المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة،

الذي أكد في دورته التاسعة المنعقدة عام ١٤٠٦-١٩٨٦م: على أن كل ما جاء عن طريق الفوائد الربوية هو مال حرام شرعاً.

٤- لجنة الإفتاء بالأزهر التي أكدت على حرمة عوائد شهادات الاستثمار (أ، ب)، لأنه من باب القرض بفائدة، والقرض بفائدة ربا، والربا حرام.  
٥- فتوى فضيلة المفتي - آنذاك - الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي في رجب ١٤٠٩ - فبراير ١٩٨٩م، تنص على أن: إيداع الأموال في البنوك أو إقراضها أو الاقتراض منها بأي صورة من الصور مقابل فائدة محددة مقدماً حرام.

يضاف إلى كل ما سبق ذكره فتاوى العديد من الهيئات العلمية: كالجامع الفقهية في البلدان الإسلامية، ولجان الفتوى، والندوات والمؤتمرات العلمية، وفتاوى أهل العلم والمختصين في شؤون الاقتصاد وأعمال البنوك في العالم الإسلامي، كلها أكدت على هذا المعنى، بحيث تشكل في مجموعها إجماعاً معاصراً، لا تجوز مخالفته على تحريم فوائد البنوك.

**د/تحديد عائد الاستثمار بمبلغ مقطوع، أو بنسبة من رأس المال مقدماً:**  
من المقرر أن عقد القرض بفائدة يختلف عن عقد المضاربة الشرعية، حيث إن الربح للمقترض والخسارة عليه في القرض، أما المضاربة فهي مشاركة في الربح وتحمل للخسارة إن وقعت، لقوله صلى الله عليه وسلم: «الخراج بالضمان»<sup>(١)</sup>. أي ما يتحصل من عوائد ونماء وزيادات، إنما يحل لمن يتحمل تبعه التلف والهلاك والتعيب، وقد استخلص الفقهاء من هذا الحديث القاعدة الفقهية المشهورة «العُثم بالْعُرم» «كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد «نهى عن ربح ما لم يُضمن»<sup>(٢)</sup>.

وقد وقع الإجماع من الفقهاء على مدى القرون وفي جميع المذاهب بأنه لا يجوز تحديد ربح الاستثمار في المضاربة وسائر الشركات بمبلغ مقطوع... لأن في ذلك ضمناً للأصل، وهو مخالف للأدلة الشرعية الصحيحة، ويؤدي إلى قطع المشاركة في الربح والخسارة، التي هي مقتضى الشركة والمضاربة.

(١) رواه أحمد (رقم ٢٤٢٢٤) وأبو داود (رقم ٣٥٠٨) والترمذي (رقم ١٢٨٥) والنسائي (رقم ٤٤٩٠) وابن ماجه (رقم ٢٢٤٣) بسند صحيح

(٢) أخرجه الدارمي (رقم ٢٥٦٠) والنسائي في الكبرى (رقم ٦٢٢٥) والترمذي (رقم ١٢٣٤) وقال: حسن

وهذا الإجماع ثابت مقرر، إذ لم تُنقل أي مخالفة له، وفي ذلك يقول ابن قدامة في المغني: أجمع من يُحفظ عنه من أهل العلم على إبطال القراض (المضاربة) إذا شرط أحدهما أو كلاهما لنفسه دراهم معلومة «. والإجماع دليل قائم بنفسه.

وإن الجمع وهو يقرر ذلك بالإجماع يوصي المسلمين بالكسب الحلال، وأن يجتنبوا الكسب الحرام، طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ.

ثانياً: الديون المتأخر سدادها:

أ/ بخصوص الشرط الجزائي في العقود: يؤكد المجلس قراراته السابقة بالنسبة للشرط الجزائي الواردة في قراره في السلم رقم ٨٥ (٩/٢) ونصه: «لا يجوز الشرط الجزائي عن التأخير في تسليم المسلم فيه؛ لأنه عبارة عن دين، ولا يجوز اشتراط الزيادة في الديون عند التأخير»، وقراره في الشرط الجزائي رقم ١٠٩ (١٢/٤) ونصه: «يجوز أن يكون الشرط الجزائي في جميع العقود المالية ما عدا العقود التي يكون الالتزام الأصلي فيها ديناً، فإن هذا من الربا الصريح، وبناء على هذا لا يجوز الشرط الجزائي - مثلاً - في البيع بالتقسيط بسبب تأخر المدين عن سداد الأقساط المتبقية سواء كان بسبب الإعسار، أو المماطلة، ولا يجوز في عقد الاستصناع بالنسبة للمستصنع إذا تأخر في أداء ما عليه»

ب/ يؤكد الجمع على قراره السابق في موضوع البيع بالتقسيط رقم ٥١ (٦/٢) في فقراته الآتية:

ثالثاً: إذا تأخر المشتري المدين في دفع الأقساط عن الموعد المحدد فلا يجوز إلزامه أي زيادة على الدين بشرط سابق، أو دون شرط، لأن ذلك ربا محرم.

رابعاً: يحرم على المدين المليئ أن يماطل في أداء ما حل من الأقساط، ومع ذلك لا يجوز شرعاً اشتراط التعويض في حالة التأخر عن الأداء.

خامساً: يجوز شرعاً أن يشترط البائع بالأجل حلول الأقساط قبل مواعيدها

عند تأخر المدين عن أداء بعضها، ما دام المدين قد رضي بهذا الشرط عند التعاقد.

**سادساً:** لا يحق للبائع الاحتفاظ بملكية المبيع بعد البيع، ولكن يجوز للبائع أن يشترط على المشتري رهن المبيع عنده لضمان حقه في استيفاء الأقساط المؤجلة .

ج/ ضرورة اعتناء المصارف الإسلامية بمعالجة أسباب تأخير سداد الديون: كإهتمام بالمراجعات والعقود الآجلة، ومن عدم الأخذ بالوسائل الفنية للتمويل (كدراسة الجدوى) وعدم الأخذ بالضمانات الكافية.

**ثالثاً: يوصي المجلس بما يأتي:**

أ/ أن تلتزم المصارف الإسلامية في مسيرتها بالمنهج الاقتصادي الإسلامي وضوابطه، وأن تقوم بالإصلاحات الفنية والإدارية اللازمة، لتحقيق المزيد من التقدم من خلال الاستثمارات المباشرة والمشاركات، لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهي من أهم غايات وأهداف المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية.

ب/ أن يتم البحث عن آليات بديلة لمشكلة المتأخرات في المؤسسات المالية الإسلامية، وتقديم دراسة فيها عرضها على المجلس في دورة لاحقة.

٢/ قرار المؤتمر الإسلامي الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، عام ١٣٨٥ الموافق ١٩٦٥م قرر ما يلي:

١/ الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي، وما يسمى بالقرض الإنتاجي، لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.

• إجراء العقود بالوسائل الحديثة

**التعريف بالمسألة:**

أن يقوم المشتري بعقد بيع مع البائع عن طريق التلفاز أو الهاتف أو البرقية أو التلكس أو الفاكس أو عن طريق الإنترنت، أو غيرها من الوسائل

الحديثة المختلفة، دون اللقاء بين البائع والمشتري، على أن يتم الدفع بواسطة البنك أو أي طريقة أخرى.

### حكم المسألة:

العقود التي يتم إجراؤها عبر الهاتف والإنترنت والفاكس صحيحة، يصح الإيجاب والقبول في البيع عن طريق الهاتف والفيديو، وإذا كان العاقدان على الإنترنت في وقت واحد، ويظهر الطرف الآخر قبوله بعد الإيجاب بالفور فينعدد البيع، ويعد مجلس العاقدين في هذه الصورة متحدًا، هذا ما قرره مجمع الفقه الإسلامي الدولي والهيئة الشرعية لبيت التمويل الكويتي، ومجمع الفقه في الهند، الذي يضيف: إذا أجاز أحد في البيع على الإنترنت، ولم يكن الطرف الآخر متواجدًا على الإنترنت في وقت الإيجاب، وبعد وقت استلم الإيجاب، فهذه إحدى صور البيع بالكتابة. وعندما يقرأ الإيجاب يلزمه إظهار القبول في حينه. وقد ذكر فقهاء الشافعية مسألة قريبة الشبه من هذه الصورة، وهي أن المتعاقدين لا يشترط فيهما قرب المكان ولا رؤية بعضهما، لصحة العقد وانعقاده، ويسري ثبوت الخيار. ففي كتاب المجموع للإمام النووي: لو تناديا وهما متباعدا وتبايعا صح البيع بلا خلاف.

### قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

#### أولاً: قرارات المجامع الفقهية: .

١/ قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠ الموافق ١٤-٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م، وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة، ونظرًا إلى التطور الكبير الذي حصل في وسائل الاتصال وجريان العمل بها في إبرام العقود لسرعة إنجاز المعاملات المالية والتصرفات، وباستحضار ما تعرّض له الفقهاء بشأن إبرام العقود بالخطاب وبالكتابة وبالإشارة وبالرسول،

وما تقرر من أن التعاقد بين الحاضرين يشترط له اتحاد المجلس - عدا الوصية والإيصاء والوكالة - وتطابق الإيجاب والقبول، وعدم صدور ما يدل على إعراض أحد العاقدين عن التعاقد، والموالاتة بين الإيجاب والقبول بحسب العرف.

أولاً: إذا تم التعاقد بين غائبين لا يجمعهما مكان واحد، ولا يرى أحدهما الآخر معاينة ولا يسمع كلامه، وكانت وسيلة الاتصال بينهما الكتابة أو الرسالة أو السفارة (الرسول)، وينطبق ذلك على البرق والتللكس والفاكس وشاشات الحاسب الآلي (الكمبيوتر)، ففي هذه الحالة انعقد العقد عند وصول الإيجاب إلى الموجه إليه وقبوله.

ثانياً: إذا تم التعاقد بين طرفين في وقت واحد، وهما في مكانين متباعدين، وينطبق هذا على الهاتف واللاسلكي، فإن التعاقد بينهما يعد تعاقداً بين حاضرين، وتنطبق على هذه الحالة الأحكام الأصلية المقررة لدى الفقهاء، المشار إليها في الديباجة.

ثالثاً: إذا أصدر العارض بهذه الوسائل إيجاباً محدد المدة يكون ملزماً بالبقاء على إيجابه خلال تلك المدة، وليس له الرجوع عنه.

رابعاً: إن القواعد السابقة لا تشمل النكاح لاشتراط الشهود فيه، ولا الصرف لاشتراط التقابض، ولا السلم لاشتراط تعجيل رأس المال.

خامساً: ما يتعلق باحتمال التزوير أو الغلط يرجع فيه إلى القواعد العامة للإثبات.

**ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:**

٢/ فتوى الهيئة الشرعية لبيت التمويل الكويتي.

سئلت الهيئة عن موضوع يتعلق بإجراء العقود بالوسائل الحديثة.

**فأجابت بما نصه:**

إعطاء شيك واجب الدفع وغير مؤجل، والمراد بالدفع غير المؤجل عن طريق التليفون والتسجيل في دفتر المديونية والدائنية، كل ذلك يعد قبضاً،

و لا بأس من تخلل العطل المتعارف عليها، وذلك تيسيراً على المتعاملين في عصرنا الحاضر، الذي يتعسر بل يتعذر فيه التسليم والتسلم الفعليان بمجلس العقد، وبخاصة المبالغ الطائلة.

### • طرح مشروع عقار استثماري على الجمهور قبل اكتماله التعريف بالمسألة:

أن تقوم مؤسسة أو شركة، أو غيرها بطرح مشروع عقار استثماري على الجمهور قبل بنائه، بحيث إن الأرض موجودة والمخططات والتصاميم موجودة، والقيمة النهائية لرأس المال المشروع محددة، وبإمكان الجمهور الاطلاع عليها.

### حكم المسألة:

لا مانع شرعا من طرح مشروع عقار استثماري على سبيل المشاركة للجمهور، وهذا ما ذهبت إليه الهيئة الشرعية لبيت التمويل الكويتي. الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:

الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي.

سئلت الهيئة عن موضوع طرح مشروع عقار استثماري على الجمهور قبل بنائه.

### فأجابت بما يلي:

لا مانع شرعا من طرح مشروع عقار استثماري على سبيل المشاركة، ويكون بيت التمويل شريكاً ومديراً، وفي حالة زيادة المبالغ المقدمة من الشركاء عن التكلفة، يعاد الفرق إلى الشركاء ويكون ذلك بمثابة تخفيض رأس المال. وفي حالة النقص يطلب من الشركاء سداد الفرق حسب حصصهم في المشاركة.

## • العمل في المصارف الربوية

### التعريف بالمسألة:

أن يوظف شخص في مصرف يتعامل بالربا في أي وظيفة: كالمحاسبة والأمور الإدارية الاستشارية وغيرها، فما حكم هذا التوظيف، وما حكم المال الذي يكتسبه جراء هذا العمل؟.

### حكم المسألة:

#### فيه قولان:

**القول الأول:** الأصل أنه لا يجوز العمل في المصارف الربوية إلا في حال الضرورة، أو الأعمال التي لا تتعلق بالربا من كتابة وغيرها، وممن قال به مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، واللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة ولجنة الفتوى بالكويت، ودار الإفتاء المصرية (فتوى الشيخ عبدالمجيد سليم) وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

**القول الثاني:** جواز العمل في المصارف الربوية، وقال بذلك: الدكتور يوسف القرضاوي.

#### من أدلة المجيزين:

١/ عموم قول الله تعالى: « فمن اضطر غير باغ و لا عاد فلا إثم عليه » البقرة (١٧٣).

٢/ إنها من قبيل الضرورات التي يجوز للمسلم عند الاضطرار إليها أن يفعلها بناء على قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » وقاعدة « الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة كانت أو خاصة ».

#### أدلة المانعين:

١/ عموم الأدلة في تحريم الربا، وعدم التعاون على الإثم.

٢/ إن هذا العمل ليس من باب الضرورة؛ إذ الضرورة تعرف شرعاً بأنها: ما لم يتناولها الإنسان هلك أو قارب على الهلاك.

قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.

**أولاً: قرارات الجامع الفقهيّة:**

يرى مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا في البيان الختامي للمؤتمر الخامس المنعقد بالمنامة - مملكة البحرين في المدة من ١٤ - ١٧ من شهر ذي القعدة ١٤٢٨ الموافق ٢٤ - ٢٧ من شهر نوفمبر ٢٠٠٧ حكم العمل في المصارف الربوية، وهذا نصه:

الأصل في العمل في المصارف الربوية أنه غير مشروع، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لعن آكل الربا وموكله و كاتبه وشاهديه، وقال: (وهم فيه سواء) [أخرجه البخاري مختصراً (رقم ٥٦١٧) ومسلم (رقم ١٥٩٨)]. إلا في المجالات التي لا تتعلق بمباشرة الربا كتابة أو إسهادا أو الإعانة على شيء من ذلك، وقد فصل قرار المجمع هذه المجالات، مع اعتبار الضرورات الملجئة أو الحاجات التي تنزل منزلتها، على أن تقدر بقدرها، ويسعى في إزالتها.

**ثانياً: قرارات وفتاوى الهيئات الشرعية:****١/ فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:**

أولاً: صدر منا فتوى في حكم العمل في البنوك الربوية برقم (٤٩٦١) هذا نصها: إذا كان البنك غير ربوي فما يأخذه الموظف به من مرتب أو مكافأة أجرا على عمله من الكسب الحلال لاستحقاقه إياه مقابل عمل جائز، وإذا كان البنك ربويا فما يأخذه الموظف من مرتب أو مكافأة أجرا على عمله به حرام؛ لتعاونه مع أصحاب البنك الربوي على الإثم والعدوان، وقد قال الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّونَ) (١) ولأن النبي صلى الله عليه وسلم: «لعن آكل الربا وموكله و كاتبه وشاهديه وقال هم سواء (٢)» رواه مسلم.

**٢/ قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بالكويت.**

سئلت لجنة الإفتاء عن موضوع العمل في المصارف الربوية.

فأجابت بما يلي:

العمل في المصارف الربوية إذا كان في الوظائف التي يقوم عليها الربا من الإقراض والاقتراض، وكتابة عقود، ووثائقه، والشهادة عليه، وكفالته فإنه حرام، وكذلك حسابه وتحصيله إذا علموا أنهم يسهمون بجهودهم في تحصيل الفائدة الربوية.

**أما الأعمال الأخرى التي لا علاقة لها بالربا مباشرة كالحساب الجاري والشيكات والحوالات فإنها جائزة.**

أما الوظائف التي يكون أصل العمل فيها مشروعاً، وليس لها صلة مباشرة بالربا: كالحراسة والمراسلة والسكرتارية، فنرجو ألا يكون بها بأس؛ لأنها مما عمت به البلوى، ويتعذر على القائم التحري في تفاصيل ما يقوم به من الأعمال.

### ٣/ دار الإفتاء المصرية.

سئلت لجنة الإفتاء عن موضوع العمل في المصارف الربوية.

فأجابت بما يلي:

مباشرة الأعمال التي تتعلق بالربا من كتابة وغيرها إعانة على ارتكاب المحرم، وكل ما كان كذلك فهو محرماً شرعاً.

### • التضخم و تغير سعر العملة

#### العناوين المرادفة:

تبدل سعر العملات، وتغير سعر الأوراق النقدية، وتغير قيمة العملات.

#### التعريف بالمسألة:

أن ترتفع جميع السلع والخدمات، وليس واحدة منها أو بعضها، ويعبر عنه بشيئين: الارتفاع العام للأسعار (أسعار كل شيء)، أو انخفاض قيمة العملة بالنسبة لجميع هذه الأسعار.

#### حكم المسألة:

صدر عن مجمع الفقه الإسلامي الدولي قرار في شأن التضخم وتغير سعر العملة، وجاء فيه في حالة التضخم: أن العبرة في وفاء الديون الثابتة بعملة ما، هي بالمثل وليس بالقيمة، لأن الديون تُقضى بأمثالها، فلا يجوز ربط

الديون الثابتة في الذمة، أيًا كان مصدرها بمستوى الأسعار. يمكن في حالة توقع التضخم التحوط عند التعاقد بإجراء الدين بغير العملة المتوقع هبوطها، وذلك بأن يعقد الدين بما يلي: الذهب أو الفضة، وسلعة مثلية، سلة من السلع المثلية، عملة أخرى أكثر ثباتًا، سلة عملات. ويجب أن يكون بدل الدين في الصور السابقة يمثل ما وقع به الدين، لأنه لا يثبت في ذمة المقترض إلا ما قبضه فعلاً.

وتختلف هذه الحالات عن الحالة الممنوعة، التي يحدد فيها العاقدان الدين الآجل بعملة ما، مع اشتراط الوفاء بعملة أخرى (الربط بتلك العملة) أو بسلة عملات، وقد صدر في منع هذه الصورة قرار المجمع رقم ٧٥ (٨/٦).

### القرارات والفتاوى الصادرة عن المجمع والهيئات الشرعية:

قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ - ١ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠م. بعد اطلاعه على البيان الختامي للندوة الفقهية الاقتصادية لدراسة قضايا التضخم (بمحلقاتها الثلاثة بجدة، وكوالالمبور، والمنامة) وتوصياتها، ومقترحاتها، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حول الموضوع بمشاركة أعضاء المجمع وخبرائه وعدد من الفقهاء.

### قرر ما يلي:

أولاً: تأكيد العمل بالقرار السابق رقم ٤٢ (٥/٤) ونصه:

«العبرة في وفاء الديون الثابتة بعملة ما، هي بالمثل وليس بالقيمة، لأن الديون تقضى بأمثالها، فلا يجوز ربط الديون الثابتة في الذمة، أيًا كان مصدرها بمستوى الأسعار».

ثانيًا: يمكن في حالة توقع التضخم التحوط عند التعاقد بإجراء الدين بغير العملة المتوقع هبوطها، وذلك بأن يعقد الدين بما يلي:

أ/ الذهب أو الفضة.

ب/ سلعة مثلية.

ج/ سلة من السلع المثلية.

د/ عملة أخرى أكثر ثباتاً.

هـ/ سلة عملات.

ويجب أن يكون بدل الدين في الصور السابقة بمثل ما وقع به الدين، لأنه لا يثبت في ذمة المقترض إلا ما قبضه فعلاً.

وتختلف هذه الحالات عن الحالة الممنوعة، التي يحدد فيها العاقدان الدين الآجل بعملة ما مع اشتراط الوفاء بعملة أخرى، (الربط بتلك العملة) أو بسلة عملات، وقد صدر في منع هذه الصورة قرار المجمع رقم ٧٥ (٨/٦).

**ثالثاً:** لا يجوز شرعاً الاتفاق عند إبرام العقد على ربط الديون الآجلة بشيء مما يلي:

أ/ الربط بعملة حسابية.

ب/ الربط بمؤشر تكاليف المعيشة، أو غيره من المؤشرات.

ج/ الربط بالذهب أو الفضة.

د/ الربط بسعر سلعة معينة.

هـ/ الربط بمعدل نمو الناتج القومي.

و/ الربط بعملة أخرى.

ز/ الربط بسعر الفائدة.

ح/ الربط بمعدل أسعار سلة من السلع.

وذلك لما يترتب على هذا الربط من غرر كثير وجهالة فاحشة، بحيث لا يعرف كل طرف ما له وما عليه، فيختل شرط المعلوماتية المطلوب لصحة العقود. وإذا كانت هذه الأشياء المربوط بها تنحو منحى التصاعد، فإنه يترتب على ذلك عدم التماثل بين ما في الذمة وما يطلب أدائه، وذلك مشروط في العقد فهو ربا.



### رابعاً: الربط القياسي للأجور والإجازات:

أ/ تأكيد العمل بقرار مجلس الجمع رقم ٧٥ (٨/٦) وجاء فيه: جواز الربط القياسي للأجور، تبعاً للتغير في مستوى الأسعار.

ب/ يجوز في الإجازات الطويلة للأعيان تحديد مقدار الأجرة عن المدة الأولى، والاتفاق في عقد الإجارة على ربط أجرة المدد اللاحقة بمؤشر معين شريطة أن تصير الأجرة معلومة المقدار عند بدء كل مدة.

### ويوصي الجمع بما يلي:

١/ بما أن أهم أسباب التضخم هو الزيادة في كمية النقود، التي تصدرها الجهات النقدية المختصة لأسباب متعددة معروفة، ندعو تلك الجهات للعمل الجاد على إزالة هذا السبب من أسباب التضخم، الذي يضر المجتمع ضرراً كبيراً، وتجنب التمويل بالتضخم سواء، أكان ذلك لعجز الميزانية أم لمشروعات التنمية. وفي الوقت نفسه ننصح الشعوب الإسلامية بالالتزام الكامل بالقيم الإسلامية في الاستهلاك، لتبتعد مجتمعاتنا الإسلامية عن أشكال التبذير والترف والإسراف، التي هي من النماذج السلوكية المولدة للتضخم.

٢/ زيادة التعاون الاقتصادي بين البلدان الإسلامية، وبخاصة في ميدان التجارة الخارجية، والعمل على إحلال مصنوعات تلك البلاد محل مستورداتها من البلدان الصناعية، والعمل على تقوية مركزها التفاوضي والتنافسي تجاه البلدان الصناعية.

٣/ إجراء دراسات على مستوى البنوك الإسلامية، لتحديد آثار التضخم على موجوداتها، واقتراح الوسائل المناسبة لحمايتها وحماية المودعين والمستثمرين لديها من آثار التضخم، وكذلك دراسة واستحداث المعايير المحاسبية، لظاهرة التضخم على مستوى المؤسسات المالية الإسلامية.

٤/ إجراء دراسة حول التوسع في استعمال أدوات التمويل والاستثمار الإسلامي على التضخم، وما له من تأثيرات ممكنة على الحكم الشرعي.

٥/ دراسة مدى جدوى العودة إلى شكل من أشكال ارتباط العملة بالذهب، كأسلوب لتجنب التضخم.

٦/ إدراكًا لكون تنمية الإنتاج وزيادة الطاقة الإنتاجية المستعملة فعلا من أهم العوامل، التي تؤدي إلى محاربة التضخم في الأجل المتوسط والطويل، فإنه ينبغي العمل على زيادة الإنتاج وتحسينه في البلاد الإسلامية، وذلك عن طريق وضع الخطط واتخاذ الإجراءات التي تشجع على الارتفاع بمستوى كل من الادخار والاستثمار، حتى يمكن تحقيق تنمية مستمرة.

٧/ دعوة حكومات الدول الإسلامية، للعمل على توازن ميزانيتها العامة، (بما فيها جميع الميزانيات العادية والإنمائية والمستقلة التي تعتمد على الموارد المالية العامة في تمويلها)، وذلك بالالتزام بتقليل النفقات وترشيدها، وفق الإطار الإسلامي.

وإذا احتاجت الميزانيات إلى التمويل فالحل المشروع هو الالتزام بأدوات التمويل الإسلامية القائمة على المشاركات والمبيعات والإيجارات. ويجب الامتناع عن الاقتراض الربوي، سواء من المصارف والمؤسسات المالية، أم عن طريق إصدار سندات الدين.

٨/ مراعاة الضوابط الشرعية عند استخدام أدوات السياسة المالية، سواء منها ما يتعلق بالتغيير في الإيرادات العامة، أم بالتغيير في الإنفاق العام، وذلك بتأسيس تلك السياسات على مبادئ العدالة والمصلحة العامة للمجتمع، ورعاية الفقراء، وتحميل عبء الإيراد العام للأفراد حسب قدراتهم المالية المتمثلة في الدخل والثروة معاً.

٩/ ضرورة استخدام جميع الأدوات المقبولة شرعاً للسياستين المالية والنقدية ووسائل الإقناع والسياسات الاقتصادية والإدارية الأخرى، للعمل على تخليص المجتمعات الإسلامية من أضرار التضخم، بحيث تهدف تلك السياسات لتخفيض معدل التضخم إلى أدنى حد ممكن.

١٠/ وضع الضمانات اللازمة لاستقلال قرار المصرف المركزي في إدارة الشؤون النقدية، والتزامه بتحقيق هدف الاستقرار النقدي ومحاربة التضخم، ومراعاة التنسيق المستمر بين المصرف المركزي والسلطات الاقتصادية والمالية، من أجل تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاستقرار



الاقتصادي والنقدي، والقضاء على البطالة.

١١/دراسة وتمحيص المشروعات والمؤسسات العامة إذا لم تتحقق الجدوى الاقتصادية المستهدفة منها، والنظر في إمكانية تحويلها إلى القطاع الخاص، وإخضاعها لعوامل السوق وفق المنهج الإسلامي، لما لذلك من أثر في تحسين الكفاءة الإنتاجية وتقليل الأعباء المالية عن الميزانية، مما يسهم في تخفيف التضخم.

١٢/دعوة المسلمين أفرادًا وحكومات إلى التزام نظام الشرع الإسلامي، ومبادئه الاقتصادية والتربوية والأخلاقية والاجتماعية.

### • المسابقات المعاصرة بعوض

#### التعريف بالمسألة:

المسابقة لها صور كثيرة، والقديم منها معروف كالمسابقة على الإبل أو بالرمي بالسهم، ومن صورها المعاصرة المسابقة بالدراجات والسيارات والمراكب البحرية والملاكمة وحمل الأثقال وكرة القدم والألعاب الالكترونية، وكل الصور لا تخلو من أن تكون بعوض أو بغير عوض.

#### حكم المسألة:

هذه المسألة مما اختلف العلماء المعاصرون فيها على اتجاهين:

الرأي الأول: أن المسابقة بلا عوض جائزة في كل أمر لم يرد في تحريمه نص، ولم يترتب عليه ترك واجب أو فعل محرم، وممن قال بذلك مجمع الفقه الإسلامي الدولي ومجمع فقهاء الشريعة بأمريكا.

#### أهم أدلة هذا الرأي:

١/ قوله ﷺ: (لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر)<sup>(١)</sup>.

فالسبق هو المال الذي يرصد للمتسابقين، والنصل يقصد به المسابقة في السهام، ويقاس عليها كل أنواع الرمي المعاصرة؛ والمسابقة بين الخيل والإبل، يمكن أن يقاس عليها المسابقة بين الدراجات أو المراكب البحرية أو السيارات وغير ذلك، مما يستخدم للقتال في واقعنا المعاصر.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (رقم ٤٤٢) والترمذي (رقم ١٧٠٠) وقال: هذا حديث حسن

٢/ قال تعالى: (وجاهدكم به جهادًا كبيرًا) سورة الفرقان آية (٥٢) وقوله تعالى: (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) سورة التحريم آية (٩).  
يقاس على ذلك المسابقات العلمية، فإن الجهاد في الإسلام كما يكون بالسيف والسنان، فإنه يكون كذلك بالعلم والبيان.

**الرأي الثاني:** عدم الجواز، إلا إذا كانت على وفق ما حدده الرسول صلى الله عليه وسلم، بأن تكون على الرماية أو ركوب الخيل أو الإبل، ويلحق بها المسابقات في المسائل العلمية؛ وممن قال بذلك اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

**أهم أدلة هذا الرأي:**

قوله صلى الله عليه وسلم: (لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر)؛ لأن هذه من وسائل الجهاد في سبيل الله، ويلحق بها المسابقات في المسائل العلمية، التي هي من الأحكام الشرعية؛ لأن طلب العلم من الجهاد في سبيل الله.

**قرارات المجامع الفقهية والهيئات الشرعية والفتاوى العلمية.**

**١/ قرارات المجامع الفقهية:**

قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الرابعة عشرة بالدوحة (دولة قطر) ٨ - ١٣ ذو القعدة ١٤٢٣م، الموافق ١١ - ١٦ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣م بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع بطاقات المسابقات، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

**أولاً: تعريف المسابقة:**

المسابقة هي المعاملة التي تقوم على المنافسة بين شخصين فأكثر في تحقيق أمر أو القيام به بعوض (جائزة)، أو بغير عوض (جائزة).

**ثانياً: مشروعية المسابقة:**

١. المسابقة بلا عوض (جائزة) مشروعة في كل أمر لم يرد في تحريمه نص، ولم يترتب عليه ترك واجب أو فعل محرم.

٢. المسابقة بعوض جائزة إذا توافرت فيها الضوابط الآتية:  
 أ- أن تكون أهداف المسابقة ووسائلها ومجالاتها مشروعة.  
 ب- ألا يكون العوض (الجائزة) فيها من جميع المتسابقين.  
 ج- أن تحقق المسابقة مقصدًا من المقاصد المعتبرة شرعًا.  
 د ألا يترتب عليها ترك واجب أو فعل محرم.

**ثالثًا:** بطاقات (كوبونات) المسابقات التي تدخل قيمتها أو جزء منها في مجموع الجوائز لا تجوز شرعًا؛ لأنها ضربٌ من ضروب الميسر.  
**رابعًا:** المراهنة بين طرفين فأكثر على نتيجة فعلٍ لغيرهم في أمورٍ مادية أو معنوية حرام؛ لعموم الآيات والأحاديث الواردة في تحريم الميسر.  
**خامسًا:** دفع مبلغ على المكالمات الهاتفية للدخول في المسابقات غير جائز شرعًا إذا كان ذلك المبلغ أو جزء منه يدخل في قيمة الجوائز منعًا لأكل أموال الناس بالباطل.

**سادسًا:** لا مانع من استفادة مقدمي الجوائز من ترويج سلعهم فقط - دون الاستفادة المالية - عن طريق المسابقات المشروعة، شريطة ألا تكون قيمة الجوائز أو جزء منها من المتسابقين، وألا يكون في الترويج غشٌّ أو خداعٌ أو خيانةٌ للمستهلكين.

**سابعًا:** تصاعد مقدار الجائزة وانخفاضها بالخسارة اللاحقة للفوز غير جائز شرعًا.

**ثامنًا:** بطاقات الفنادق وشركات الطيران والمؤسسات التي تمنح نقاطًا تجلبُ منافع مباحة جائزة إذا كانت مجانية (بغير عوض)، وأما إذا كانت بعوضٍ فإنها غير جائزة لما فيها من الغرر.

## ٢/ لجنة الفتوى بجمع فقهاء الشريعة بأمريكا:

المسابقات إن كانت بغير مال فلا حرج في ذلك ما دام موضوعها مشروعًا، سواء أكانت لرياضة الذهن أم لرياضة البدن، أما إن كانت على مال فإنها تشرع إذا كانت هذه الأموال ترصد من جهة ثالثة، ولا ترصد من قبل المتسابقين أنفسهم، أما إن كانت ترصد من قبل المتسابقين

فلا تشرع، إلا إذا وجد من يشترك في المسابقة دون أن يغرم مألًا، بحيث يكون إما أن يفوز بالسبق، أو لا يخسر شيئًا، وكان في أحد هذه المجالات الثلاثة المنصوص عليها في الحديث، وهي: المسابقة في الرمي، أو في مسابقة الخيل، أو الإبل، ويجمع بين هذه جميعًا: أنها من جنس الإعداد للقتال وإعداد العدة للجهاد في سبيل الله، ويمكن أن يقاس عليها ما كان من هذا القبيل لحديث: «لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر»، والسبق هو المال الذي يرصد للمتسابقين، والنصل يقصد به المسابقة في السهام، ويقاس عليها كل أنواع الرمي المعاصرة، والمسابقة بين الخيل والإبل يمكن أن يقاس عليها المسابقة بين الدراجات أو المراكب البحرية أو السيارات وغير ذلك مما يستخدم للقتال في واقعنا المعاصر. ويمكن أن يقاس عليها أيضًا المسابقات العلمية، فإن الجهاد في الإسلام كما يكون بالسيف والسنان، فإنه يكون كذلك بالعلم والبيان، كما قال تعالى: «وجاهدكم به جهادًا كبيرًا» وقال: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين»، ومن المعلوم أن جهاد المنافقين يكون بالعلم وكشف الشبهة، وعلى هذا فلا مانع من وضع الجعل بين المتسابقين في المسابقات العلمية إذا كانت تلك المسابقة نافعة ومفيدة. والله تعالى أعلى وأعلم.

### • الهدايا التي تحمل دعاية لمؤسسات ربوية

#### التعريف بالمسألة:

أن تقدم البنوك الربوية، أو المؤسسات، أو الشركات التي تتعامل بالربا، بعض الهدايا التي تحمل شعار البنك، أو المؤسسة، أو الشركة

#### حكم المسألة:

ذهبت الهيئة الشرعية ببيت التمويل الكويتي إلى أنه إذا كانت هذه الهدايا تحمل أسماء ترويجية، ودعائية، لمؤسسات غير مشروعة، فلا يجوز قبولها، لما في ذلك من ترويج المنكر وإشاعته لدى العامة والخاصة. أما إذا كانت لا تحمل دعاية أو اسمًا لهذه المؤسسات، فلا بأس من قبولها،

ويتملكها البنك وليس الفرد، لأنها أهديت إليه بصفته موظفاً في البنك.  
 الفتاوى الصادرة عن الهيئات الشرعية:  
 الهيئة الشرعية بيت التمويل الكويتي.  
 سئلت الهيئة عن موضوع الهدايا التي تحمل دعاية لمؤسسات ربوية.  
**فأجابت بما يلي:**

ترى الهيئة أنه إذا كانت هذه الهدايا تحمل أسماء ترويجية، ودعائية، لمؤسسات غير مشروعة، فلا يجوز قبولها، لما في ذلك من ترويج المنكر وإشاعته لدى العامة والخاصة.  
 أما إذا كانت لا تحمل دعاية أو اسماً لهذه المؤسسات، فلا بأس من قبولها، ويتملكها البنك وليس الفرد، لأنها أهديت إليه بصفته موظفاً في البنك.

### التقويم:

- هل تصح الإجارة المنتهية بالتمليك؟ وما صورها؟  
 إذا تأخر المستأجر في السداد هل يخول ذلك للمؤجر الزيادة على الأجرة؟  
 عرف التايم شير (المهاياة) وبين حكمه؟  
 هل بدل الخلو جائز؟  
 لديه مال ويخشى ضياعه فهل يجوز الإيداع لدى المصارف الربوية؟  
 ما حكم بطاقات الائتمان، وما أنواعها؟  
 هل الاقتراض بفائدة ربوية لضرورة ملحة يجوز؟  
 بين حكم البيوع والمعاملات التالية:
- بيع التأشيرات .
  - البيع بالتقسيط .
  - التسويق الشبكي .
  - التأمين التجاري .
  - التأمين التعاوني .
  - التأمين على السيارات .

ما الضوابط الفقهية لبيع واستبدال الذهب بالذهب، وهل يجوز بيع الذهب بالتقسيط؟

هل يؤجر من أراد التخلص من المال الحرام؟

هل يجوز أكل مال الذي اختلط ماله الحلال بالحرام؟

ما حكم ضم الفوائد الربوية لتركبة المتوفى؟

هل يجوز إجراء العقود بالوسائل الحديثة؟

كثير من الشركات تطرح المشروع لبيع وحداته قبل بنائه، فما حكم ذلك؟

ما ضوابط العمل في المصارف الربوية؟

التضخم وتغير العملة من الأمور التي أرقت الكثيرين فهل حكم سداد الدين عند التضخم؟

هل المسابقات المعاصرة بعوض من الأمور الجائزة أم المحرمة؟

ما حكم هدايا المؤسسات الدعائية؟



## الفصل الثالث

- المبحث الأول / القرآن: سورة العنكبوت ٥٦-٦٩
- المبحث الثاني / علوم الحديث: المعلّ
- المبحث الثالث / الدعوة: مراجعة القواعد ٩-١٣





## المبحث الأول

### القرآن: سورة العنكبوت ٥٦-٦٩

قال تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لُتُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦ - ٦٩]

في هذا المقطع يدع الله سبحانه الجاحدين المكذبين المستهترين في مشهد العذاب يغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ليلتفت إلى المؤمنين، الذين

يفتنهم أولئك المكذبون عن دينهم، ويمنعونهم من عبادة ربهم.. يلتفت إليهم يدعوهم إلى الفرار بدينهم، والنجاة بعقيدتهم. في نداء حبيب وفي رعاية سابعة، وفي أسلوب يمس كل أوتار القلوب:

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة، فيأيي فاعبدون. كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون. وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم، وهو السميع العليم)..

إن خالق هذه القلوب، الخبير بمداخلها، العليم بخفاياها، العارف بما يهجس فيها، وما يستكن في حناياها.. إن خالق هذه القلوب ليناديها هذا النداء الحبيب: يا عبادي الذين آمنوا: يناديها هكذا وهو يدعوها إلى الهجرة بدينها. لتحس منذ اللحظة الأولى بحقيقتها. بنسبتها إلى ربها وإضافتها إلى مولاه: (يا عبادي)..

هذه هي اللمسة الأولى. واللمسة الثانية: (إن أرضي واسعة)..

أنتم عبادي. وهذه أرضي. وهي واسعة. فسيحة تسعكم. فما الذي يمسكم في مقامكم الضيق، الذي تفتنون فيه عن دينكم، ولا تملكون أن تعبدوا الله مولاكم؟ غادروا هذا الضيق يا عبادي إلى أرضي الواسعة، ناجين بدينكم، أحراراً في عبادتكم (فيأيي فاعبدون).

إن هاجس الأسي لمفارقة الوطن هو الهاجس الأول الذي يتحرك في النفس التي تدعى للهجرة. ومن هنا يمس قلوبهم بهاتين اللمستين: بالنداء الحبيب القريب: (يا عبادي) وبالسعة في الأرض: (إن أرضي واسعة) وما دامت كلها أرض الله، فأحب بقعة منها إذن هي التي يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه.

ثم يمضي يتتبع هواجس القلوب وخواطرها. فإذا الخاطر الثاني هو الخوف من خطر الهجرة. خطر الموت الكامن في محاولة الخروج وقد كان المشركون يمسكون بالمؤمنين في مكة، ولا يسمحون لهم بالهجرة عندما

أحسوا بخطرهم بعد خروج المهاجرين الأولين ثم خطر الطريق لو قدر لهم أن يخرجوا من مكة. ومن هنا تجيء اللمسة الثانية: (كل نفس ذائقة الموت. ثم إلينا ترجعون)..

فالموت حتم في كل مكان، فلا داعي أن يحسبوا حسابه، وهم لا يعلمون أسبابه. وإلى الله المرجع والمآب. فهم مهاجرون إليه، في أرضه الواسعة، وهم عائدون إليه في نهاية المطاف.

وهم عباده الذين يؤويهم إليه في الدنيا والآخرة. فمن ذا يساوره الخوف، أو يهجس في ضميره القلق، بعد هذه اللمسات؟

ومع هذا فإنه لا يدعهم إلى هذا الإيواء وحده؛ بل يكشف عما أعده لهم هناك. وإنهم ليفارقون وطناً فلهم في الأرض عنه سعة. ويفارقون بيوتاً فلهم في الجنة منها عوض. عوض من نوعها وأعظم منها:

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئتهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها).

وهنا يهتف لهم بالعمل والصبر والتوكل على الله:

(نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)..

وهي لمسة التثبيت والتشجيع لهذه القلوب، في موقف القلقللة والخوف والحاجة إلى التثبيت والتشجيع. ثم يهجس في النفس خاطر القلق على الرزق، بعد مغادرة الوطن والمال ومجال العمل والنشاط المألوف، وأسباب الرزق المألوفة. فلا يدع هذا الخاطر دون لمسة تقر لها القلوب:

(وكأني من دابة لا تحمل رزقها، الله يرزقها وإياكم)..

لمسة توقظ قلوبهم إلى الواقع المشهود في حياتهم. فكم من دابة لا تحصل رزقها ولا تجمعها ولا تحملها ولا تهتم به، ولا تعرف كيف توفره لنفسها، ولا كيف تحتفظ به معها. ومع هذا فإن الله يرزقها ولا يدعها تموت جوعاً.

وكذلك يرزق الناس. ولو خيل إليهم أنهم يخلقون رزقهم وينشئونه. إنما يهبهم الله وسيلة الرزق وأسبابه. وهذه الهبة في ذاتها رزق من الله، لا سبيل لهم إليه إلا بتوفيق الله. فلا مجال للقلق على الرزق عند الهجرة. فهم عباد

الله يهاجرون إلى أرض الله يرزقهم الله حيث كانوا. كما يرزق الدابة لا تحمل رزقها، ولكن الله يرزقها ولا يدعها. ويختم هذه اللمسات الرفيعة العميقة بوصلهم بالله، وإشعارهم برعايته وعنايته، فهو يسمع لهم ويعلم حالهم، ولا يدعهم وحدهم: (وهو السميع العليم)..

وتنتهي هذه الجولة القصيرة؛ وقد لمست كل حنية في تلك القلوب؛ ولبت كل خاطر هجس فيها في لحظة الخروج. وقد تركت مكان كل مخافة طمأنينة، ومكان كل قلق ثقة، ومكان كل تعب راحة. وقد هدهدت تلك القلوب وغمرتها بشعور القربى والرعاية والأمان في كنف الله الرحيم المنان.

ألا إنه لا يدرك هواجس القلوب هكذا إلا خالق القلوب. ولا يداوي القلوب هكذا إلا الذي يعلم ما في القلوب.

وبعد هذه الجولة مع المؤمنين يترد السياق إلى التناقض في موقف المشركين وتصوراتهم. فهم يقرون بخلق الله للسموات والأرض وتسخيره للشمس والقمر وإنزاله الماء من السماء وإحيائه الأرض بعد موتها. وما يتضمنه هذا من بسط الرزق لهم أو تضييقه عليهم. وهم يتوجهون لله وحده بالدعاء عند الخوف.. ثم هم بعد ذلك كله يشركون بالله، ويؤذون من يعبدونه وحده، ويفتنونهم عن عقيدتهم التي لا تناقض فيها ولا اضطراب، وينسون نعمة الله عليهم في تأمينهم في البيت الحرام، وهم يروعون عباده في بيته الحرام:

(ولئن سألتهم: من خلق السماوات والأرض، وسخر الشمس والقمر ليقولن: الله، فأنى يؤفكون؟ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، إن الله بكل شيء عليم. ولئن سألتهم: من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن: الله. قل: الحمد لله، بل أكثرهم لا يعقلون. وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان، لو كانوا يعلمون. فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين. فلما نجاهم

إلى البر إذا هم يشركون، ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون. أو لم يروا أنا جعلنا حراماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم؟ أفالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون؟ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه؟ أليس في جهنم مثوى للكافرين؟..

وهذه الآيات ترسم صورة لعقيدة العرب إذ ذاك؛ وتوحي بأنه كان لها أصل من التوحيد؛ ثم وقع فيها الانحراف. ولا عجب في هذا فهم من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وقد كانوا بالفعل يعتقدون أنهم على دين إبراهيم، وكانوا يعتزون بعقيدتهم على هذا الأساس؛ ولم يكونوا يحفلون كثيراً بالديانة الموسوية أو المسيحية وهما معهم في الجزيرة العربية، اعتزازاً منهم بأنهم على دين إبراهيم. غير منتبهين إلى ما صارت إليه عقيدتهم من التناقض والانحراف.

كانوا إذا سئلوا عن خالق السماوات والأرض، ومسخر الشمس والقمر، ومنزل الماء من السماء، ومحبي الأرض بعد موتها بهذا الماء.. يقرون أن صانع هذا كله هو الله. ولكنهم مع هذا يعبدون أصنامهم، أو يعبدون الجن، أو يعبدون الملائكة؛ ويجعلون شركاء لله في العبادة، وإن لم يجعلوهم شركاء له في الخلق.. هو تناقض عجيب. تناقض يُعجب الله منه في هذه الآيات: (فأني يؤفكون)؟ أي كيف يصرفون عن الحق إلى هذا التخليط العجيب؟ (بل أكثرهم لا يعقلون) فليس يعقل من يقبل عقله هذا التخليط! وبين السؤال عن خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر؛ والسؤال عن منزل الماء من السماء ومحبي الأرض بعد موتها. يقرر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فيربط سنة الرزق بخلق السماوات والأرض وسائر آثار القدرة والخلق، ويكل هذا إلى علم الله بكل شيء: (إن الله بكل شيء عليم)..

والرزق ظاهر الارتباط بدورة الأفلاك، وعلاقتها بالحياة والماء والزرع والنبات. وبسط الرزق وتضييقه بيد الله؛ وفق الأوضاع والظواهر العامة المذكورة في الآيات. فموارد الرزق من ماء ينزل، وأنهار تجري، وزروع

تثبت، وحيوان يتكاثر. ومن معادن وفلزات في جوف الأرض، وصيد في البر والبحر.. إلى نهاية موارد الرزق العامة، تتبع كلها نواميس السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر تبعية مباشرة ظاهرة. ولو تغيرت تلك النواميس عما هي عليه أدنى تغيير لظهر أثر هذا في الحياة كلها على سطح الأرض؛ وفي المخبوء فيها من الثروات الطبيعية الأخرى سواء بسواء. فحتى هذا المخبوء في جوف الأرض؛ إنما يتم تكوينه وتخزينه واختلافه من مكان إلى مكان وفق أسباب من طبيعة الأرض ومن مجموعة تأثيراتها بالشمس والقمر!

والقرآن يجعل الكون الكبير ومشاهده العظيمة هي برهانه وحجته، وهي مجال النظر والتدبر للحق الذي جاء به. ويقف القلب أمام هذا الكون وقفة المتفكر المتدبر، اليقظ لعجائبه، الشاعر بيد الصانع وقدرته، المدرك لنواميسه الهائلة، بلفتة هادئة يسيرة، لا تحتاج إلى علم شاق عسير، إنما تحتاج إلى حس يقظ وقلب بصير. وكلما جلا آية من آيات الله في الكون وقف أمامها يسبح بحمد الله ويربط القلوب بالله: (قل الحمد لله. بل أكثرهم لا يعقلون)!

وبمناسبة الحديث عن الحياة في الأرض وعن الرزق والبسط فيه والقبض، يضع أمامه الميزان الدقيق للقيم كلها. فإذا الحياة الدنيا بأرزاقها ومتاعها لهو ولعب حين تقاس بالحياة في الدار الآخرة: (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وإن الدار الآخرة هي الحيوان، لو كانوا يعلمون)..

فهذه الحياة الدنيا في عمومها ليست إلا لهواً ولعباً حين لا ينظر فيها إلى الآخرة. حين تكون هي الغاية العليا للناس. حين يصبح المتاع فيها هو الغاية من الحياة. فأما الحياة الآخرة فهي الحياة الفائضة بالحيوية. هي (الحيوان) لشدة ما فيها من الحيوية والامتلاء.

والقرآن لا يعني بهذا أن يحض على الزهد في متاع الدنيا والفرار منه وإلقائه بعيداً. إن هذا ليس روح الإسلام ولا اتجاهه. إنما يعني مراعاة الآخرة في

هذا المتاع، والوقوف فيه عند حدود الله. كما يقصد الاستعلاء عليه فلا تصبح النفس أسيرة له، يكلفها ما يكلفها فلا تتأبى عليه! والمسألة قيم يزنها بميزانها الصحيح. فهذه قيمة الدنيا وهذه قيمة الآخرة كما ينبغي أن يستشعرها المؤمن؛ ثم يسير في متاع الحياة الدنيا على ضوئها، مالكاً لحريته معتدلاً في نظرتة: الدنيا هو ولعب، والآخرة حياة مليئة بالحياة. وبعد هذه الوقفة للوزن والتقويم يمضي في عرض ما هم فيه من متناقضات: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين. فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)..

وهذا كذلك من التناقض والاضطراب. فهم إذا ركبوا في الفلك؛ وأصبحوا على وجه اليم كاللعبه تتقاذفها الأمواج؛ لم يذكروا إلا الله. ولم يشعروا إلا بقوة واحدة يلجأون إليها هي قوة الله. ووحده في مشاعرهم وعلى ألسنتهم سواء؛ وأطاعوا فطرتهم التي تحس وحدانية الله: (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) ونسوا وحي الفطرة المستقيم؛ ونسوا دعاءهم لله وحده مخلصين له الدين؛ وانحرفوا إلى الشرك بعد الإقرار والتسليم! وغاية هذا الانحراف أن ينتهي بهم إلى الكفر بما آتاهم الله من النعمة، وما آتاهم من الفطرة، وما آتاهم من البينة؛ وأن يتمتعوا متاع الحياة الدنيا المحدود إلى الأجل المقدر.



## المبحث الثاني

### علوم الحديث: المعلل

لم يقف علماء الحديث عند علم الجرح والتعديل الذي يهتم بأحوال الرجال؛ من حيث الحكم عليهم بالقبول أو الرد، ووصفهم بأوصاف الثقات العدول أو المجروحين والمتروكين؛ إذ أن مهمة علم الجرح والتعديل الخلوص إلى حكم عام على رجل الحديث؛ بل تجاوزوا ذلك إلى البحث التفصيلي في أحوال الثقة وروايته؛ لأن الثقة لا يكون على وتيرة واحدة في كل أحيانه ورواياته. ففي حين يفرغ علم الجرح والتعديل من الحكم على مالك بن انس بأنه ثقة؛ فإن علم العلل يبدأ من حيث انتهى علم الجرح والتعديل؛ فيتناول بالبحث روايات الامام مالك رواية رواية، ويبحث عن كفيات الرواية وأحوالها وموافقاتها ومخالفاتها. وهذا البحث التفصيلي يتفرع ويتسع، فيصبح مالك في حديث ما غيره في حديث آخر. وهذا النوع من النقد ألفت فيه كتب كثيرة، وبرع فيه علماء اجلاء، لا أقول بأن المنهج العلمي الحديث وافقهم وساواهم؛ بل ساروا أمام المنهج العلمي وسبقوه، وهيئات أن تدرك مناهج البحث الحديثة شاوهم في ذلك.

لقد تنبه علماء الحديث إلى أن الثقة الموصوف بالعدالة قد يخطئ، ويهم، ويقلب المتون والأسانيد، وقد ينسى، وقد يختصر فيخل، أو يطيل فيغير ويبدل، وهو في هذه الأحوال ثقة، لا يعتمد الخطأ، ولا يقصد إلا الخير، ولا ينزل عن رتبته لاشتهاره بعموم الضبط والإتقان والعدالة. يقول الإمام مسلم في كتابه «التميز»:

«فإنك يرحمك الله ذكرت أن قبلك قوما ينكرون قول القائل من اهل العلم إذا قال: هذا حديث خطأ، وهذا حدث صحيح، وفلان يخطئ في روايته كذا، والصواب ما روى فلان بخلافه، وذكرت أنهم استعظموا

ذلك من قول من قاله، ونسبوه إلى اغتياب الصالحين من السلف الماضين، حتى قالوا: إن من ادعى تمييز خطأ رواياتهم من صوابها متخصر بما لا علم له به، ومدع علم غيب لا يوصل إليه». ثم يناقش الإمام مسلم هذا القول فيقول: «وبعد، فإن الناس متباينون في حفظهم لما يحفظون، وفي نقلهم لما ينقلون، فمنهم الحافظ المتقن الحفظ، المتوقفي لما يلزمه توقيه فيه، ومنهم المتساهل المشيب حفظه بتوهم يتوهمه، أو تلقين يتلقنه من غيره»<sup>(١)</sup>. ثم يقول: «ومع ما ذكرت لك من منازلهم في الحفظ ومراتبهم فليس من ناقل خبر وحامل أثر من السلف الماضين إلى زماننا. وإن كان من احفظ الناس واشدهم توقياً لما يحفظ وينقل. إلا والسهو والغط ممكن في حفظه ونقله»<sup>(٢)</sup>.

ونخلص إلى أن علم العلل هو علم متابعة الثقافات ورواياتهم. وهذا العلم يكشف لنا عن أمر كان يجهله أكثر الناس. والمستشرقون وأعداء السنة أكثر جهلاً به - هو أن علماءنا لم يعبأوا كثيراً بحديث المجروحين والمتروكين والكذابين؛ لأن أمر هؤلاء يسير عليهم. يقول الحاكم النيسابوري: فإن حديث المجروحين ساقط واه، والكشف على هذا الضرب سهل يستطيعه طالب العلم في أيامه الأولى من الطلب. وإنما الدقة والجهد والفهم في تتبع الثقافات». وقال الحاكم: «وعلة الحديث تكثر في حديث الثقافات، أن يحدثوا بحديث له علة، فيخفي عليهم علمه، فيصير الحديث معلولاً»<sup>(٣)</sup>.

### مصطلح العلة ومعناه :

بعد عرض هذا المفهوم لعلم العلل الذي هو رأس علم الدراية نأتي إلى تحديد معنى العلة؛ إذ العلة في اللغة: المرض الخفي الكامن في الأعماق، والذي لا يظهر إلا للطبيب الخبير العميق الفهم، بينما الجرح شيء ظاهر على الجلد. والفرق بين الجرح الظاهر والعلة الخفية يصور لنا الفرق بين علم الجرح وعلم العلل. وعليه فالخبر المعلول أو المغل: «حديث ظاهره

(١) التمييز للإمام مسلم لوحة ٢-أ.

(٢) المصدر نفسه لوحة ٢-ب.

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص: ١١٢-١١٣.

السلامة أطلع فيه بعد التفتيش على قادح»<sup>(١)</sup>.

فالحديث قد يستوفي جميع العناصر الشكلية للصحة، فيتوهم الناظر إليه أنه صحيح، ولكنه إذا عرضه على المختص الخبير يردده ولا يقبله لوجود علة فيه؛ فقد يكون الراوي حدث بالحديث في بلد غير بلده، والمعروف عنه أنه إذا خرج من بلده وقع في الخطأ لمفارقتة كتبه وبعده عنها؛ وقد يكون الراوي حدث بالحديث في شيخوخته ومع بداية هرمه، حيث تبدأ الذاكرة بالتخليط، وتشتبك الحقيقة بالخيال؛ وقد يكون الراوي ممارساً متقناً لأحاديث شيوخه، إلا واحداً منهم لم يتمكن من إتقانه وممارسته؛ وقد يكون الراوي سمع شيخه، ولم يتنبه إلى عيب في نطقه ولسانه، فغير الحرف أو الكلمة؛ وقد يذهب الراوي في سني وهو يريد غيره؛ وقد يروي بالمعنى فيختصر الحديث، فيغير حقائقه وهو لا يشعر، كل هذه القضايا وغيرها كثير. لا تظهر على الشاشة المرئية، ولا تقع تحت الظروف الشكلية المعروفة؛ وإنما يدركها من كان الحديث عنده كالهواء والطعام والشراب، يملا وجدانه، ويشغل جنانه، ويمارسه في أحيانه كلها.

وهذا النوع من الدراية لو درى به الخلق لعرفوا عظم علوم الحديث والجهد الذي بذله علماءنا، لاسيما وأن أصحاب الكتب المشهورة كالشافعي ومالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم كثير هم أساتذة في علم العلل ورواد من رواده.

ومن أشهر علماء العلل ورواده شعبة بن الحجاج المتوفى سنة (١٦٠ هـ)، قال ابن رجب في ترجمته: وهو أول من وسع الكلام في الجرح والتعديل واتصال الأسانيد وانقطاعها، ونقب عن دقائق علم العلل.

ومن رواده كذلك يحيى بن سعيد القطان المتوفى سنة (١٩٨ هـ) خليفة شعبة والقائم بعده مقامه، وعنه تلقاه اثمة هذا الشأن، كأحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين.

ومن رجاله الحاذقين عبد الرحمن بن مهدي المتوفى سنة (١٩٨ هـ) وهو

(١) للتوسع والتعمق يمكن مراجعة كتابنا: العلل في الحديث. أو شرح علل الترمذي بتحقيق المؤلف، طبع دار المنار، الزرقاء.

الذي قال عنه علي بن المديني: (لو أخذت فأحلفت بين الركن والمقام لحلفت بالله أنني لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي)<sup>(١)</sup>. ومن علماء العلل الأفذاذ علي بن المديني المتوفى سنة (٢٣٤هـ) شيخ البخاري، قال عنه أبو حاتم الرازي: (كان علي بن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل)<sup>(٢)</sup>. وقد صنف علي بن المديني كتباً زادت على الثلاثين كتاباً<sup>(٣)</sup>.

وللإمام أحمد بن حنبل باع طويل في معرفة الحديث والعلل، وقد كتب عنه تلاميذه مئات الأجزاء. وأجوبته في العلل ماثورة في كل كتاب، ولا يدانيه أحد في كثرة الأحكام والأقوال في الرجال والعلل.

وللإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح براعة خاصة وتعمق كبير في علم العلل، حتى وصفه تلميذه الامام مسلم بقوله: (أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطيب الحديث في عله)<sup>(٤)</sup>..

واشتهر الإمام أبو عيسى الترمذي بهذا الفن من فنون الحديث، وهو أول من صنف الحديث على الأبواب المعللة، ويعتبر كتابه الجامع» كتاباً معللاً. وله كتابان في العلل: العلل الصغير. وهو ملحق بكتابه الجامع. والعلل الكبير<sup>(٥)</sup>.

ولا يتسع المجال لذكر علماء العلل والكتب المؤلفة في العلل، ويمكن الرجوع إلى الكتب المتخصصة<sup>(٦)</sup> في هذا الشأن لمن أراد المزيد. ونخلص من هذا كله إلى أن علم العلل نوع من النقد الموضوعي العميق

(١) مقدمة «المعرفة» لكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ص: ٢٥٣.

(٢) معرفة علوم الحديث، ص: ٧١ وتقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ص: ٣١٩-٣٢٠.

(٣) من هذه الكتب:

علل المسند، في ثلاثين جزءاً.

العلل التي كتبها عنه إسماعيل القاضي.

علل حديث ابن عيينة، في ثلاثة عشر جزءاً.

الوهم والخطأ في خمسة أجزاء.

من حدث ثم رجع

اختلاف الحديث.

العلل المنفرقة، ثلاثون جزءاً.

(٤) معرفة علوم الحديث، ص: ١١٤.

(٥) حققه السيد حمزة ذيب مصطفى، وكان موضوع رسالته للحصول على الماجستير من جامعة أم القرى.

(٦) انظر كتابنا العلل في الحديث، هر: ٢٧-٣٤.

الذي يحتاج إلى معرفة واسعة، ويتناول أنواعاً من الفقه النقدي بعضها تاريخي، وبعضها اجتماعي، وبعضها نفسي، وبعضها عقدي، وبعضها فقهي. ولقد صنفت كتب عديدة في علل الحديث أشهرها كتاب «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» لأبي الحسن الدارقطني المتوفى سنة (٣٨٥هـ). و«العلل» لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة (٣٢٧هـ)، ومن أجود الكتب في هذا المضمار: «شرح علل الترمذي» لابن رجب الحنبلي<sup>(١)</sup> المتوفى سنة (٧٩٥هـ).

(١) كان هذا الكتاب موضوع رسالة الدكتوراه التي تقدم بها المؤلف لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٧٧، وقد نشرته دار المنار في الزرقاء، الأردن. وطبع مرتين: الأولى بتحقيق الأستاذ صبحي السامرائي، والثانية بتحقيق الدكتور نور الدين العتر.

## المبحث الثالث

الدعوة: مراجعة القواعد ٩-١٣

إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ





## الفصل الرابع

- القرآن: سورة العنكبوت مراجعة ٣٦-٦٩ حفظاً وتفسيراً
- المبحث الثاني / رسالة المؤتمر الخامس (٣)
- المبحث الثالث / التاريخ / عوامل الضعف وأسباب السقوط



## المبحث الأول

القرآن: سورة العنكبوت مراجعة ٣٦-٦٩ حفظاً وتفسيراً





## المبحث الثاني

### الدعوة: رسالة المؤتمر الخامس (٣)

الفكرة الإصلاحية في نفوس الدعوة

كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام أن شملت الفكرة كل نواحي الإصلاح في الأمة وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية ، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته ، والتقت عندها آمال محبي الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها .

• عناصر الفكرة الإصلاحية كما نراها

تستطيع أن تقول ولا حرج عليك إنها:

أ- دعوة سلفية:

لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

ب- طريقة سنوية:

لأنهم يحملون أنفسهم علي العمل بالسنة المطهرة في كل شيء ، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

ج- حقيقة صوفية:

لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ، ونقاء القلب ، والمواظبة علي العمل، و الإعراض عن الخلق ، والحب في الله ، والارتباط علي الخير .

د- هيئة سياسية:

لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل وتعديل النظر في صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج ، وتربية الشعب علي العزة والكرامة والحرص علي قوميته إلي أبعد حد .

هـ - هيئة رياضية:

لأنهم يعتنون بأجسامهم ، ويعلمون أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، وأن النبي صلي الله عليه وسلم يقول : (إن لبدنك عليك حقاً) و إن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدي كاملة صحيحة إلا بالجسم القوي ، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لا بد لها من جسم يتحمل أعباء الكسب والعمل والكفاح في طلب الرزق ، ولأنهم تبعاً لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها .

و - رابطة علمية ثقافية: لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة، ولأن أندية الدعاة هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح .

ز - شركة اقتصادية



### المبحث الثالث

#### التاريخ: عوامل الضعف وأسباب السقوط

يمكن الرجوع إلى كتاب  
الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط  
للدكتور: علي محمد الصلابي



الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ